

١٧١

الجلال

في تفسير القرآن الكريم

السيد علي عجمي بفتح الجيم المكنى بأخيه وأخيه لأبيه الباهر

تأليف

الأستاذ الحكيم الشيخ طهطاوي جوهرى

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا  
متع الله المسلمين بجلاله آمين

الجزء الحادى عشر

طبع بطبعة

مطبعى البانى أحمد سنانى وأولاده بمصر

ودقق الطبع محفوظاً

وباشر طبعه — محمد امين عمراد

محرم سنة ١٣٤٧ هـ

وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### ﴿ سورة الحج مكية غير ست آيات ﴾

( من قوله - هذان خصمان - الى قوله - وهذوا الى صراط الحيد - وهى ٧٨ آية )  
وسنذكر مناسبتها لما قبلها عند الابتداء فى تفسير القسم الثانى من السورة  
( وهى ثلاثة أقسام )

﴿ القسم الأول ﴾ فى البعث والدليل عليه وما يتبع ذلك من أول السورة الى قوله تعالى - وهذوا الى صراط الحيد -

﴿ القسم الثانى ﴾ فى الحج والمسجد الحرام من قوله - إن الذين كفروا ويستوتون عن سبيل الله - الى قوله - و بشر الحسنين -

﴿ القسم الثالث ﴾ فى أمور عاتية كالقتال وهلاك الظالمين والاستدلال بنظام هذه الدنيا على خالقها وضرب مثل بالهجر عن خلق الذباب عجزا تاما من قبل الأصنام المعبودة من قوله تعالى - إن الله يدافع عن الذين آمنوا الى آخر السورة

( الْقِسْمُ الْأَوَّلُ )

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ \* يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى

ولكن

وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ \* وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ  
 مَّرِيدٍ \* كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ \* يَا أَيُّهَا  
 النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ثَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عِلْقَةٍ  
 ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَّكُمْ وَتُفَرِّقُوا فِي الْأَرْضِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى  
 ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَمُوتُ وَمِنْكُمْ مَّن يَرُدُّ إِلَى أَرْدَلِ  
 الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مَن بَعْدَ عِلْمٍ شَيْنَانِ تَوَرَّى الْأَرْضُ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ  
 وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ رَوْحٍ يَخْرِجُ \* ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى  
 كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ \* وَمِنَ  
 النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ \* ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن  
 سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَتَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ \* ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ  
 وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْغَالِي \* وَمِنَ النَّاسِ مَن يَمْبُذُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَ خَيْرٌ أُلْطَمًا  
 بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ \*  
 يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ \* يَدْعُوا لَمَن صَرُّهُ  
 أَقْرَبُ مِن تَفَعُّهِ لَيْتَ لَئِن مَّوْتَى وَلَيْتَ لَئِن مَّشِيَ \* إِنْ اللَّهُ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
 جَنَّاتٍ تَجْرَى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ \* مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنْصُرَهُ اللَّهُ  
 فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَ كَيْدَهُ مَا يَكِيدُ \*  
 وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ آيَاتٍ يُبَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ \* إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا  
 وَالصَّالِحِينَ وَالنَّصَارَى وَالْجُودَى وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنْ اللَّهُ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ اللَّهُ  
 عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ \* أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّجَرُ  
 وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدُّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَتَّى عَلَيْهِ الْعَذَابُ  
 وَمَن يَهِنِ اللَّهُ فَكَأَنَّهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ \* هَذَانِ خَصَمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ  
 فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ \* يُضْهِرُّ بِهِ مَا

فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودِ \* وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ \* كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ \* إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُخَالِفُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ \* وَهَهُنَا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَهُنَا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ \*

التفسير اللفظي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ) احذروا عقابه واعملوا بطاعته (إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ) قيام الساعة (شئ عظيم) هائل (يوم ترونها) أي الساعة أو الزلزلة (تذهل) الذهول الذهاب عن الشئ بدهشة (كل مرضعة عما أرضعت) أي كل امرأة معها ولدها ترضعه عنه . والمقصود من هذا تصوير هولها (وتضع كل ذات حمل حملها) جنبها (وترى الناس سكارى) كأنهم سكارى (وما هم بسكارى) في الواقع (ولكن عذاب الله شديد) فأرهقهم هول به حيث طارت عقولهم وذهب تمييزهم . ولما كان النضرين الخارث يكثر الجدل يقول لا بئس ولا وحى نزل على النبي ﷺ وما اللائكة إلا نبات الله زلات هذه الآيات الآتية فيه وفي غيره من على شاكلته إلى يوم القيامة (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع) في المجادلة وفي غيرها (كل شيطان مرید) متبع للفساد ثم وصفه بأنه (كتب عليه) أي الشيطان (أنه من تولاه) اتبعه وضمير الهاء للشان والحال (فانه يضل) الجلة خبلن لم أوجوب له . والمعنى كتب عليه انه من يقبل منه فهو في ضلال (ويهديه إلى عذاب السعير) لأنه يجعله على ما يؤتى اليه . ثم أخذ يذكر الحجة على ذلك بالبراهين الطبيعية فقال (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنْ رَبِّكُمْ) أي شك (من البعث) بعد الموت (فانا خلقناكم من تراب) فان أبأ كدم آدم خلق منه وهكذا أنتم تفقدون البتات والحيوان والحيوان أيضا تفقدون بالنبات والنبات غذاءه من عناصر مختلفة وهو من التراب فانتم أيضا من تراب بواطة (ثم من نطفة) أي المني فالإنسان يكون جسمه مكوّنًا من الدم الناشئ من الغذاء المنتهى إلى التراب وينشأ من فضل ذلك الدم النطفة ليخلق بسببها آخر (ثم من علقه) أي دم جامد غليظ (ثم من مضغه) قطعة من اللحم وهي في الأصل قدر ما يمتصغ (مخلقة وغير مخلقة) مسواة لانقص فيها ولا عيب وغير مسواة أو مصورة وغير مصورة (لتبين لكم) بهذا التدرج حكمنا وابدعنا ونظامنا (ونقر في الأرحام ما نشاء) أي نقره (إلى أجل مسمى) هو وقت الوضع من ستة أشهر إلى أربع سنين وما لم نشأ نبوته أسقطته الأرحام (ثم نخرجكم) من الرحم (طفلا) صغارا وطفلا حال أجريت على تأويل كل واحد \* وقرئ - ونقر ثم نخرج - بالنصب عطفًا على نبين ويكون المعنى خلقناكم بالتدرج (لأمرين) \* الأول \* إيقاظكم بالتعليم على هيئة تربيتنا في عملنا وحكمنا في نظامنا (والثاني) \* اننا نقركم في الأرحام حتى تولدوا وتنشأوا ونبلغوا أمد التكليف . وفي هذا دلالة على أن قراءة علم الأجنة له من الشأن ما ليس لنفس الأجنة بل هو مقدم عليها فهو سبحانه يقول ان نظائى المتقن انما المقصد منه أن تدرسوه وما خلقتكم إلا لتبينوه وتعرفوه . إن معرفتكم لهذا الخلق ونظامه هي المقصودة من خلقكم ولولم يكن في القرآن كله سوى هذه الجلة لكفى في تبيان أن العلوم الطبيعية كلها واجبة دراستها وجوبا عاما أي انها فرض كفاية يقوم بها البعض والباقيون يستمدون من ذلك البعض . وكما ان القرآن يقول الله فيه انه تبيان هكذا يقول في الطبيعة أو أهم قسم منها انها لتبين فالتقارن تبيان والطبيعة تبين (ثم) زبيك (لتبليغوا أشدكم) كمال عقلمكم وقوتكم جمع شدة كالجمع نعمة



(ومنكم من يتوفى) عند بلوغه الأشد أوفيه (ومنكم من يرث إلى أرذل العمر) وهو الهرم والحرف (الكيلا يعلم من بعد علم شيئاً) أى يعود كنهته الأولى سخييف العقل قليل الفهم ناسيا للعالم . فهذا دليل على إمكان البعث لأن هذه التغيرات المتتابعة المتناسقة تدل على أن التغير مستمر فإذا مات أمكن أن يحيى

### ﴿ عجيبة من عجائب العلم ﴾

اعلم أن هذه الحجة بعينها هي التي أدلى بها (سقراط) عند موته لما كان تلاميذه حوله وهو يودعهم في النفس الأخير . فهناك مآرجع الفيلسوف (سنتلانه) الطلياني والقبطي المصري . ولأكتشف لك بما يناسب هذه الآية قال ﴿ إنا نشاهد الضد يتولد عن ضده فالجيل ينشأ من القبيح والعدل من الجور واليقظة من النوم والنوم من اليقظة والقوة من الضعف وبالعكس فالأشياء يستحيل بعضها إلى بعض ثم ترجع بصفة دائرة إلى ما كانت عليه والحياة والموت والوجود والعدم قيضات . فالوجود ينشأ من العدم والموت ينشأ من الحياة وعلى ذلك يلزم أن تنشأ الحياة من الموت إذ لا بد أن يكون للموت ما ينقضه والا فقد خالفت الطبيعة قاعدتها المطردة في جميع الأشياء ﴾ انتهى المقصود منه

فانظر كيف كان استدلال (سقراط) على الحياة بعد الموت قبل القرآن بنحو تسعائة سنة هو الطريق الذي نزل به الوحي . فالقرآن إذن بهذا يقيم للسلمين الحجج العقلية ويفتح لهم باب الفهم فكأنه يقول أنا لم أورد أن أعلمكم ذلك بالوحي مجرد بل أتى أردت أن أفصح لكم باب البراهين العقلية وهذا بعض ما عناه بقوله - لئيبن لكم - فهذا من التبيين وهو الاستدلال . ثم ذكر دليلاً آخر تسهيل مشاهدته للناس فقال سبحانه (وترى الأرض هامدة) ميتة يابسة من همدت النار إذا صارت رمادا (فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت) تحركت بالنبات (وربت) وانتفخت ﴿ وقرئ - وربأت - أى ارتفعت (وأنبئت من كل زوج) من كل صف (بهيج) حسن رائق (ذلك) هذا إشارة إلى ما تقدم من خلق الإنسان في أطوار مختلفة وإحياء الأرض بعد موتها وهو مبتدأ خبره (بأن الله هو الحق) أى ذلك حاصل بسبب أن الله هو الثابت الوجود فيصرف الموجودات في أطوارها وهو لا يتغير ويبقى وجودكم على كل حال وإن تغيرتم في الأطوار (١) فبقاؤكم سببه انه هو باق (٢) وتغيركم سببه انه قادر وحكيم ويكون ذلك لتربيتكم وترقيتكم لتقربوا منه في مقعد صدق . وعبر عن المعنى الثاني بقوله (وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شئ قدير ﴿ وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور) فهذه الجمل الأربع تبين للمعنى الثاني . يقول الله أنا حق ثابت باق فلذلك أبقىكم إلى ما لا ينقضي من الزمان وأنا قادر وحكيم فلذلك خلقكم أطواراً . هذه هي الحجج التي ذكرها من علوم الطبيعة استدلالاً على البعث

### ﴿ ذم المجيبين بأنفسهم والمعاندين ﴾

قال تعالى (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) أى بلا علم كالنصرين الحرث (ولا هدى) أى استدلال يهتدى إلى المعرفة (ولا كتاب منبر) أى وحى حال كونه (ثاني عطفه) أى لا وى جنبه وعطفه متبجراً متكبراً معرضاً عما يدعى إليه من الحق ﴿ وقرئ - عطفه - بفتح العين أى مانعاً تعطفه إلى غيره . يقول الله تعالى هو يجادل (ليضل عن سبيل الله) أى عن دين الله (له في الدنيا خزي) هو أن ذل فانه قد قتل هو وعقبه ابن أبي معيط (ونذيقه يوم القيامة عذاب الخريق) المحرق . هكذا كل من اتبع هواه فطاش سهمه وقل عقله فتكبر عن العلم وأعرض عن الاستدلال فيها وغرورا . ومثل هذا لا يعطف على الناس لأنه لا يرى أن هناك حياة بعد الموت فتكون همة في الحياة الدنيا ويقال له (ذلك) بما قدمت يدك وأن الله ليس بظلام للعبيد بل هو مجاز لهم على أعمالهم والمبالغة في ظلام لكثرة العبيد . ولما ذكر أن المجيبين بأنفسهم يصدون عن ذكر الله ويعرضون عن الاستدلال أعقبه بذكر من كان أمرهم كالملقى في الدين فلا هم آمنوا مطمئنين ولا هم من المتكبرين بل هم كالمذبذبين وهم قوم يعبدون الله على وجه التجربة والشك وانتظار نعمة فارت

أصابه خير بقي مؤمنا وإن أصابه شر ترك الدين وهو قوله تعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف) أى طرف من الدين فلا ثبات له فمثله كمثل الذى يكون على طرف الجيش فإن كانت غنيمة اقتسم وإن كانت هزيمة كان أؤل من انهزم وهذا قوله (فإن أصابه خير اطمأن) سكن واستقر (به) بالخبر والدين فعبد الله (وإن أصابه فتنة) شر وبلاء في جسده وضيق في معيشته (انقلب على وجهه) جبهة أى ارتد ورجع الى الكفر حال كونه قد (خسر الدنيا والآخرة ذلك) أى خسران الدارين (هو الخسران المبين) الظاهر فلا يخفى على أحد وذلك منطبق على أعراب قديموا المدينة فإذا صح بدن أحدهم وثبت فرسه مهرا سريرا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله قال قد أصبت خيرا بالاسلام والطمأن . وإن كان الأمر بخلافه قال ما أصبت إلا شرا وانقلب عن دينه (يدعو من دون الله) بعد الردة من الأصنام (ملا يضره) إن لم يعبد (وملا ينفعه) إن عبيده (ذلك هو الضلال البعيد) عن الصواب (يدعون ضرة) يكونونه معبودا عبادة توجب القتل في الدنيا بارتداده عن الاسلام والعذاب في الآخرة (أقرب من نفعه) الذى يتوقع بعبادته وهو الشفاعة (لبس المولى) الناصر (ولبس العشير) المصاحب وأى عشيرته وأى مصاحب إذا كان لا ينفع مولا ولا ينصر من يعاشره أما الله فهو ينفع (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الى قوله (إن الله يفعل ما يريد) فتبين من هذا أن الأصنام لا تنفع وأن الله ينصر من تولاه فدخله الجنات وعن تولاه سيدنا محمد ﷺ فهو ناصر ومن أكبر أسباب العذاب في جهنم والخزى فيها والافتقار ما يدخل الانسان من الحقد والغيظ على النعم التي يسديها الله لعباده فإن الله خلق الناس ليتعارفوا فمن داخله الحقد والغيظ من نصر الله محمد ﷺ فليقتل كل ما يريد وليجد جبلا الى سقفيه فليقطع أى فليختنق لأن الختنق يقطع نفسه بحبس المجارى . والقصد من ذلك أن جهنم تحرق من كفر ومن حتى غيظا على الناس بل الآخرة لمن صفت سرائرهم ولم تحبب نياتهم وهذا قوله (من كان يظن أن لن ينصره الله) أى محمدا ﷺ (في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب) بحبس (الى السماء) سماء بيته (ثم ليقطع) ثم ليختنق (فليستقر) فليصور في نفسه (هل يذهبن كيده) فعله ذلك الذى سعى كيدا لأنه منتهى ما يطيقه المقاطع من الفعل (ما يغبط) أى غيظه من نصر الله لعبيده محمد ﷺ وهكذا كل من كره الله الذى يعطيه الله لعباده جاهلا أن النوع الانسانى ينفع بعضه بعضا فمن كره نعمة غيره فقد كره نفسه من حيث لا يعلم لأن الناس في الحقيقة جميعا على سطح الأرض كالمتضامنين وإن لم يعرفوا ذلك فإن أم الشرق ينفعها أم الغرب والعكس . فهكذا محمدا ﷺ دينه نافع لهؤلاء الناس وقد صح ذلك فإن أبناء العرب اتبعوه بعد ذلك إلا قليلا . وقولنا ان من كره نعم الناس فقد كره نفسه قد برهن عليها الحكماء في علم الفلسفة فقد قالوا (إن الناس ينفع بعضهم بعضا فإن كل امرئ محتاج لسواه من سائر الناس يصل اليه خيرهم من حيث لا يدري بالتجارة والعلم وغيرها فهو لهؤلاء مكملون له ومن كره غيره فقد كره من يكمل نفسه ومن كره من يكمل نفسه فقد كره كمال نفسه ومن كره كمال نفسه فقد أحب نقصها . ومعادوم أن الانسان طبعه مغرم بحب كمال نفسه فتكون النتيجة هكذا أحب كمال نفسه وأحب نقص نفسه أو أحب نفسه وكره نفسه وإذا كرهها فقد استحل خنقها ) وهذا البرهان اللجيب هو الذى كان السر في التعبير بقوله - فليقطع - كأنه يقال أيها الكاره لمحمد الذي جاء لاقتادك ان نعم جميع الناس لاسباب الأنبياء نافعة لك فإذا كرهت نعم محمد فكأنك تختنق لأن النتيجة انك تنكره نعم لنفسك فتكره نفسك فتستبيح خنقها من حيث لا تشعر

لافضل ذلك أيها المكذب محمدا ﷺ ولا تجعل للغيظ محلا من قلبك فإن القرآن كله آيات واضحات ولا بد من أن يم فاتبعه فهو خير لك من التصادى في العداوة والغيظ وهذا هو قوله (وكذلك) أى مثل ذلك الانزال (أزنانا) أنزلنا القرآن كله (آيات بينات) واضحات (وأن الله يهدي) أى ولأن الله يهدي به أو يثبت على الهدى (من يريد) هدايته وأثبتانه أنزله كذلك مينا . وهنا أخذ بجلي حقيقة العالم الانسانى كله بعد ما بين

حقيقة المعاندين فقال سبحانه ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِّينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فيظهر الحق من المبطول ويجازى كلا بما فعل ويضعه في مقامه اللائق به فليس الله بغائب عن أحد . فالأنبياء وأمههم والطائعون والعاصون كلهم تحت مراقبته (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) عالم مراقب لأحوالهم جميعا ومن ذلك مراقبة قلوب الحاسدين المغتاطين وقلوب المعاندين والكافرين وقلوب جميع المؤمنين بالأنبياء السابقين فإنهم استقاموا أدخلهم جناته وإن عصوا أوكفروا أدخلهم ناره ومن أشد معصيتهم أن ينكروا رسالة محمد ﷺ حين عرفوا حقيقة دينه وهو مطلق على قلوبهم فيعذبهم وإن كنتم في شك من مراقبة الله لجميع العالم فانظروا كيف سجد له كل مافي السموات والأرض من عاقل وغيره وخضع لتسخيره مع النظام الجليل . فهل يغفل عما نظمه بعلمه وصرفه بقدرته ودبر أحقر الحشرات وأحققر الآفات وجعل لكل حشرة من الكمال ما جعل لكل قيل من كماله بل لكل كوكب وشمس من عنايته . فكيف ترون هذا وتظنون انه غافل مع ان مراقبته واضحة لمن تأمل في الأشكال والأحوال والأخلاق والأفوار وارضاع الأتومات لأولادها وهو قوله مستدلا على أنه - على كل شيء شهيد - (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ) غلب العاقل على غيره وخص بالذكر أعظم مآزاه ففعل ما يأتي فقال (والشمس والقمر والنجوم والجلال والشجر والناظر وكثير من الناس) قد سجدوا سجود عبادة مع سجود التسخير الذي اشتركوا فيه مع غيرهم من العوالم (وكثير حق عليه العذاب) لأنهم لم يسجدوا سجود عبادة ليطابق سجود التسخير بكفرهم . ثم أعقبه بأن الفعل له وحده فقال (ومن بين الله) بالشاوة (فقاله من مكرم) بكرمه بالسعادة وحيث يقال ما سبب هذا التمييز فيجواب (إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُشَاءُ) لحكم لتدركونها في الاهانة لقوم والخضف لآخرين بما استعدوا له كما استعدت البودة لسكنى الطين والهوام لسكنى التراب والسلك لسكنى البحر . فهذا من النظام العام في العالم الجسمي والعقل وعقول أكثر الناس قاصرة لاتصل الى فهم الحقيقة (هذان خصيان) فريقان مختصان فلفظ خصم وصف لفريق المحذوف وقوله - اختصموا في ربهم - راجع للخي فالؤمنون فريق والكافرون فريق آخر (اختصموا في ربهم) أى جادلوا في دينه فيقول أهل الكتاب نحن أولى بالله منكم ونحن أقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم . وقال المسلمون لهم نحن أحق بالله آمنا بنبينا محمد ﷺ ونبيكم وكتابنا وأنتم تعرفون نبينا وصدقه ولكن كفرتم حسدا والكلام أعم من هذين الفريقين وهؤلاء قد فصل الله بينهم كما قال - إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - ثم قال (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار) تحيط بهم احاطة كأعطة الثياب حال كونهم (يصب من فوق رؤسهم الحميم) الماء الحار حال كون الحميم (يصب) يذاب (به مافي بطونهم) من فرط الحرارة المؤثرة في ظواهرهم وجلودهم الممتدة الى أحشائهم (والجلود) لأنها الملاقية لتلك الحرارة (ولهم مقامع من حديد) سياط منه يجلدون بها جمع مقمعة (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم) أى كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم (أعيسوا فيها) أى ردوا اليها بالمقامع . ويقال ان جهنم لتجيش بهم فتلقبهم الى أعلاها فيريدون الخروج منها فتضربهم الزبانية بتلك المقامع فيهبون فيها سبعين خريفا

### ﴿العذاب المصغر في الدنيا مقدمة العذاب في جهنم﴾

واعلم أن نظائر هذا في الدنيا والناس يضربون الآن بمقامع معنوية وهم لا يشعرون انهم يضربون ويزجون في العذاب . فهناك عادة شرب ﴿التبغ﴾ وهو التدخين وعادة الخمر وعادة شرب الشاي وعادة شرب القهوة وعادة الاسراف في المآتم والأفراح وعادات كثيرة من هذا القبيل يعلم الناس انها مهلكة لهم ولكنهم - كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيسوا فيها - هكذا الدول في أوروبا شككت لجنة سميتها ﴿جمعية الأمم﴾ للفصل بينها في القضايا . ومن أكبر دول الأرض دولة الانجليز وهي التي بطلت ببلان المصيرية

بطشة الجبارين وقد كانت نزع السلاح من الفلاحين ومن الأئمة من قبل وأخذت منا السودان وأرجعت  
عسكرنا . والعالم الانساني كله يصرخ ونفس عقلائهم يصرخون قائلين ﴿ لاسلام لاسلام في الأرض ﴾ والأهم  
كلها تعلم انهم لاساعدة لهم إلا بسعادة كل منهم . ولكن مقامع الشره والحرص تردهم الى أسفل سافلين وهذا  
هو معنى قوله تعالى - لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم - أى من حيث نظام جسمه وبهجه ونظام عقله  
- ثم رددناه أسفل سافلين - بخلته يرتطم في أوكل الأكاذيب الشهوات والطمع والحرص فيضرب المرء أشاه  
وتتضر الأئمة غيرهما مع علمها أن الضرر يرجع عليها بنقص الفترات النافعة التي كانت تجنبها من أخواتها في  
الانسانية . ترى الرجل يكثر من الكلام أو الأكل أو يكثر غرضه أو حرصه على المال أو غمه عليه أو عداوته  
أو كبرياؤه أو كراهته للناس أو يكون جباناً أو كثير الكسل أو النوم أو الخوض في أعراض الناس ثم اذا  
سمع مثل هذا القول أو عرف الحقائق غنى لو يرجع عن عادته ولكن سوء الأثر والتربة والعادة تقمعه بمقامع  
من جديد لانزاهها ولكن أثره أشد من آثار المقامع الحديدية فيخرج في جهنم ومعه الأعمال . فهذا عذاب  
واقع فعلا ولكن الناس لا يفهمون أنه عذاب وهو مقدمة للاختباط والاختلاط والآلام بعد الموت وسيكون  
للناس هناك حشرات وزفرات وحال مزيجية . فعقولهم هنا هي عقولهم هناك . فالمقامع تكون هناك أتم  
والعذاب يكون هناك أخرى - إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة  
والناس أجمعين - ويقال لهم فيها (وذوقوا عذاب الحريق) أى النار الباقية في الاحراق . ولما فرغ من  
الكلام على أصحاب النار الذين هم ناقصوا النفوس لجهالتهم أخذ يذكر الجنة لكامل النفوس لصالحهم فقال  
(إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يجاؤون فيها) حلجا كانوا (من  
أساور) جمع أسورة جمع سوار . وبين الأساور بأنها (من ذهب) وعطف على الأساور قوله (ولؤلؤا) أى  
ويؤتون لؤلؤا (ولباسهم فيها حرير) جملة اسمية فأدت انهم اعتادوا لبس الابريسم الذي حرم الله على الرجال  
في الدنيا . وفي حديث البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال ﴿ جنتان من فضة آتينهما وما بينهما وجنتان  
من ذهب آتينهما وما بينهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة  
عدن ﴾ انتهى

فأهل النار منغمسون في آلام الأهواء والشهوات والخوف والطمع والغضب والبغض ، وأعدى أعداء  
الانسانية في كل حال ﴿ شيان ﴾ البغض والخوف ومنه الجبن ، وسعادة الانسانية الحب والشجاعة والعلم  
فيها يدخلون الجنة . ومن العلم الايمان الصحيح . ومتى ازدادت الحكمة والعلم وصفت الأخلاق رأى الناس  
ربهم . وكبرياء الله في الحديث هي تعاطفه أن يراه الناس إلا اذا صفت النفوس فارقت الى العالم الأعلى اللطيف  
فعرفت ذلك قوله تعالى (وهو الى الطيبين القبول) وهو قولهم - الحمد لله الذي صدقنا وعده -  
و ﴿ سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ﴾ (وهذا الى صراط الحيد) أى الى دين الاسلام أى  
هدوا الى دين الله المحمود . فالطيب من القول المذكور إنما هو وقوف النفس على الحقائق إذ يحيط علما بهذه  
المخاوف على مقدار طاقتهم المعبر عنه بانفراد الله بالربوبية وصدور جميع النعم عنه وتزده عن الحوادث وذلك  
لا يبقى فيه علم التوحيد بل لا بد من دراسة نظام هذه الدنيا درسا متقنا وهذه الدراسة تفتح باب الحب على  
مصرعيه ﴿ لأخرين ﴾ الأول ﴿ جال الله المتبع في هذه الدنيا ﴾ والثاني ﴿ النوع الانساني فيتعشق العلم  
بالأول والاحسان للثاني . فبالأول يرى الله وبالثاني يدخل الجنة لأن الجنة من يدخلها يكون سعيدا بالجنة  
ومادامت هناك بغض بين أهلها فلا سعادة ولاجنة فالقلوب المتباغضة متباعدة متفرقة والقلوب المتحابية مقترنة  
كما ان النار مفرقة والجنة تجمع . ومثاله في الدنيا نار الخريق تفرق المجتمعات المختلفة كالطبخ المركب من  
عناصر مختلفة وتجمع المؤلفات كالطين توقد النار عليه فيصعد . فالحب تجمع المؤلفات ونار البغض تفرق

الختلافات وهكذا سيكون في الآخرة نار الحريق لتسرى النفوس المبيضة للناس ومنها نفوس الكفار الذين خالفوا طريق الحق في شفع الإنسانية ونور الحب المشرق في الجنة فيجمعهم لأن تنفسهم مؤتلفة والاختلاف بالإيمان والعلم ظاهر في الدنيا فهكذا في الآخرة . وكلما كان في الدنيا آمناً وأقوى كان في الآخرة أمكن فها هناك نهاية ما هنا . انتهى التفسير اللفظي للقسم الأول من السورة وهنا ( أربع لطائف )

( اللطيفة الأولى ) في قوله تعالى - يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم -

( اللطيفة الثانية ) في قوله تعالى - ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم -

( اللطيفة الثالثة ) في قوله تعالى - ثم نخرجكم طفلاً -

( اللطيفة الرابعة ) في قوله تعالى - وترى الأرض هامدة - الخ

( اللطيفة الأولى في قوله تعالى - يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم - )

اعلم أن أول سورة ( الحج ) يناسب أول سورة ( الأنبياء ) فهناك يقال - اقرب للناس حسابهم - وهنا يقال - إن زلزلة الساعة شيء عظيم - فليخص افتتاح السورتين أنها قرية وأنها شديدة . وقد ذكرنا شيئاً من أمر قرب الساعة في أول ( الأنبياء ) ونذكر هنا قربها بأوضح وجه ، ذلك ليعلم المسلمون بعد أن الأمم الإسلامية قد حل بها كتب وآراء وأحلام أدخلت الغفلة على العقول وأحلت بساحتها كثيراً من الأراجيف والكاذب أضرت بأخلاق الأمة . وما يحزنني ويوقع في نفسي أشد الأسى أن كثيرين من عظماء الأمم الإسلامية ورجالات العلم تجوز عليهم ترهات فيذهبها من بعدهم . وإني أقول ولا أخشى لومة لائم أن الضلال الذي استحكمت وانتشر في أمر الساعة وتعيين زمانها قد أثر أسوأ الأثر في أم الإسلام كما أضرت بآبائنا وبنائنا أمر المهدي وظهوره . وانتشار هذه الآراء في أقطار الإسلام قد فترتهم وحطمت شأنهم . ولأذكر لك الكلام على قرب الساعة هنا وعلى ظهور المهدي في هذا المقام لتعرف الرأي الصحيح حتى إذا قرأت قوله تعالى في سورة ( المؤمنون ) - فقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون - عرفت أن أمر المهدي فترتهم وقطع أوصالهم وأن ما ذكره هنا بمناسبة أمر الساعة يقوم مقام ذكره هناك في نفس هذا المجلد وإنما جهناهما معاً لتشابههما وتقاربهما واتصالهما . فلا تجعل الكلام في ( فصلين \* الفصل الأول ) في الكلام على قرب الساعة ( الفصل الثاني ) في الكلام على المهدي المنتظر الذي يكون قبل قيام الساعة ( الفصل الأول في الكلام على قرب الساعة )

(١) نقل السهلي عن الطبري أن مئة بقاء الدنيا منذ الملة خمسمائة سنة قال العلامة ابن خلدون ونقض ذلك بظهور كذبه وكان رأى الطبري مأخوذاً بطريق الحدس والتخمين . وقد كان مستنده في ذلك أنه نقل عن ابن عباس ( أن الدنيا جمعة من جمع الآخرة والجمعة سبعة أيام واليوم ألف سنة ) وقوله ( بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى ) مع قوله ( أجلسكم في أجل من قبلكم من صلاة العصر إلى غروب الشمس ) وصلاة العصر في بعض المذاهب إذا صار ظل كل شيء مثليه وهذا على وجه التقريب نصف سبع وهو في هذا المقام ٥٥٠ سنة وبعد هذا التطويل والاستدلال والاستنتاج ظهر كذب هذا الرأي ذلك لأننا الآن في القرن الرابع عشر فالقيامة قد مضى لها إذن تسعة قرون ونحن الآن في الآخرة لاني الدنيا وهذه من المفجعات

(٢) وقال السهلي أيضاً ( إن حروف أوائل السور بعد حذف المكرر منها تكون هكذا ( أم بسطع نص حق كره ) وهي ١٤ حرفاً وجعلها ٧٠٣ ) هذا قوله وقد أخطأ في ١٠ لأن الجمل ٩٩٣ فاعتقد السهلي أن القيامة تقوم سنة ٧٠٣ هجرية باعتبار هذا الجمل ( بتشديد الميم ) وقد ظهر كذبه أيضاً

(٣) وقال شاذان البلخي وهو من المنجمين ( ان الملة تنتهي إلى سنة ٣٣٠ هجرية ) ومعلوم كذب

هذا أيضا

- (٤) وقال يعقوب بن اسحاق السكندی ﴿ ان مدة الملة تنتهى الى سنة ٦٩٣ هـ ﴾ يريد عدد حروف الجمل المتقدمة على وجه التحقيق كما تقدم وقد عرفت كذبه أيضا
- (٥) وقال نوفيل الرومي المنجم في أيام بنى أمية ﴿ ان ملة الاسلام تبقى ٩٦٠ سنة ﴾ وقد كذب أيضا
- (٦) قال جراس ﴿ انفقوا على أن خراب العالم بعد ٩٦٠ سنة ﴾ وهو كذب أيضا
- ﴿ الفصل الثاني في الكلام على ظهور المهدي المنتظر ﴾

اعلم أيها الذكرى أني وأنا طالب بالجامع الأزهر في السنين الأولى كنت مارا يوما صباحا إذ سمعت علما يقرأ في الحديث الشريف وهو يقول مامعناه (سيخرج رجل من آل بيتي اسمه على اسمي واسم أبيه على اسم أبيي علا الدنيا نورا وعدلا كما ملئت ظلمًا وجورًا) فلما سمعته تأقت نفسي لهذا المهدي الذي سيخرج في الأم الإسلامية ويهديها . ولما كنت في الزيف أيام العطلة ببلادنا بالشرقية كنت أسمع من العامة في سمرهم أن المهدي سيظهر ويقسم الأرض بين الناس وتكون سعادة عامة فأصبحت فكرة المهدي عامة في المساميين العامة والجهال . فلما قرأت الكتب وجدت لهذا المهدي أحداث كثيرة . وقد قام في الأمة فعلا رجال بهذا العنوان كالمهدي السوداني وكهيد الله المهدي الذي كانت له ولترتيته دولة الفاطميين بالمغرب ومصر وهكذا غيرهم . ولقد رأيت أعظم عالم بمصر أيام ظهور المهدي السوداني يقول انه هو المهدي فأيقنت بأن الأمة الإسلامية تغالط فيها هذه الفكرة وثبتت ولم أر عالما في الأمة أطاق اللثام عنها وشرحها شرحا وافيا مثل العلامة ابن خلدون فانه هو الذي جمع الأحداث الواردة في المهدي وآتى بجرحها وقال ان الجرح مقدم على التعديل كما هو معلوم عند علماء مصطلح الحديث وآتى بكلام الصوفية . وظهر من بيانه أنه لا فرق في هذه الأمة بين رجال الحديث ورجال التصوف من حيث ان كلا منهما تدخل عليه العقلة مهما حذق وعلاكميه في العلم . وعجبت لهذه الأمة المسكينه كيف ظهروا فيها محققون وكيف يبقى هذا التحقيق في كتب لا تظهر لأهل العلم جميعا . إن هذا التحقيق في مقدمة ابن خلدون فكان واجبا على أهل العلم أن يبينوا ذلك وأمثاله في كتب الحديث وفي مناسبات كثيرة حتى تعرف الأمة الحقائق . ولعل تلخيص هذا المقام في هذا التفسير بما يعين الفكرة ويزيل الضلالة والجهالة من بلاد الاسلام . فانما كنت أنا وأفاضل شيوخي قد سرت فينا الفكرة وسرت في آفاق الاسلام فلا تلخص الموضوع تلخيصا تنويرا للأذهان حتى تطرد تلك الفكرة من الأذهان في بلاد الاسلام فأقول

(١) روى أبو بكر الاسكافي في فوائده الأخبار عن مالك بن أنس بسنده عن رسول الله ﷺ انه قال ﴿ من كذب بالمهدي فقد كفر ومن كذب بالدجال فقد كذب ﴾ وهكذا قال في طلوع الشمس من مغربها وأبو بكر الاسكافي عندهم متهم وضاع

- (٢) وروى ﴿ لو لم يبق من الدنيا إلا يوم أطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله رجلا مني أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي ﴾ وهناك روايات أخرى وكلها معتبرة من الأحداث الحسنة الصحيحة ولكن مع هذه الصحة قد طعن فيها بأن الحديث مروى عن عاصم وعاصم ضعيف الرواية وكثير الخطأ في حديثه وفي حديثه اضطراب
- (٣) وروى أيضا في حديث من رواية قطن بن خليفة وهو منهم وقال الدارقطني لا يحتج به وقال الجرجاني زائف غير ثقة

(٤) نظر على ابنه الحسن وقال ان ابني هذا سيد (كما سماه رسول الله ﷺ) سيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق علا الأرض عدلا . وفيه روايات أخرى ومن رواه عمر بن أبي قيس وفي حديثه خطأ وله أوهام ومن الرواة له أبواسحق وقد اخطأ في آخر عمره وهكذا ذكر بقية

الروايات وأتى بحرجها ثاوة وانكارها أخرى . وليس لي أن أذكر ذلك كله فإن ذلك الطلعة في هذا التفسير الذي أردت فيه أن تكون الفائدة قريبة المأخذ وهذه الأحاديث متشابهة وروايتها كثيرا ما يكون الحديث صحيحا بسبب عدالتهم وشهرتهم ولكن يطلع فيه بسبب غفلة رجل منهم أخطأه أو نحو ذلك . فإذا تفيدنا الاطلاعة ويكنى من القلادة ما أحاط بالعنى . فلما أتمها قال . فهذه جملة الأحاديث التي خرجها الأئمة في شأن المهدي وخرجه آخر الزمان وهي كما رأيت لم يخلص منها من النقد إلا القليل والأقل منه ثم روى حديثا بنى المهدي وتكلم في جرحه وتعديله . انتهى

### ( كلام رجال الصوفية )

قال العلامة ابن خلدون ﴿ إن المتقدمين منهم لم يخوضوا في شيء من هذا وإنما كان كلامهم في المجاهدة بالأعمال وما يحصل عنها من المواجهات والأحوال وكان كلام الامامية والرافضة من الشيعة في تفضيل علي رضي الله عنه والقول بامامة وادعاء الوصية له بذلك من النبي ﷺ والتبري من الشيخين . ثم حدث بهذلك القول بالإمام المعصوم . ( أقول وقد تقدم هذا في سورة الكهف عند قوله تعالى - وما كنت متخذ المضلين عضدا - فأقره أن شئت فإنه مستوفى هناك ) وكثرت التأليف في مذاهبهم وجاء الاسماعيلية بدعون ألوهية الامام بنوع من الحلول والآخرون بدعون رجعة من مات من الأئمة بنوع التناسخ وآخرون منتظرون مجيء من يقطع بموته منهم وآخرون منتظرون عود الأمر في أهل البيت مستدلين بأحاديث المهدي التي تقدم بعضها هنا . ثم حصل بعد ذلك عند المتأخرين من الصوفية الكلام في الكشف وفيها وراء الحس . وظهر من كثير منهم القول على الاطلاق بالحلول والوحدة فشاركوا فيها الامامية والرافضة لقولهم بألوهية الأئمة وحلول الاله فيهم وظهر أيضا منهم القول بالقطب والبدال وكأنه يحكى مذهب الرافضة في الامام والقباء وأشربوا أقوال الشيعة وتوغلوا في الديانة بمذاهبهم حتى جعلوا مستند طريقهم في لبس الحرقه أن عليا رضي الله عنه ألبسها الحسن البصري وأخذ عليه العهد بالزمام الطريقة واتصل ذلك عنهم بالجند من شيوخهم ولا يعلم هذا عن علي من وجه صحيح ولم تكن هذه الطريقة خاصة بعلي كرم الله وجهه بل الصحابة كلهم أسوة في طرق الهدى وفي تخصيص هذا بعلي دونهم رائحة من التشيع قوية يفهم منها ومن غيرها دخولهم في التشيع وانحرافهم في سلكه وظهر منهم أيضا القول بالقطب وامتنأت كتب الاسماعيلية من الرافضة وكتب المتأخرين من المتصوفة بثل ذلك في الفاطمي المنتظر وبنوا ذلك على أصول وأهية وربما استدلوا بكلام المنجمين في القرانات ﴿

قال ﴿ وأكثر من تكلم من هؤلاء المتصوفة المتأخرين في شأن الفاطمي ابن العربي الحاتمي في كتاب (عقلاء مغرب) وابن قسى في كتاب (خلق النملين) وعبدالحق بن سبعين وابن أبي واطيل تلعيذه في شرحه لكتاب (خلق النملين) وأكثر كلامهم في شأنه ألقاظ وأمثال وربما يصرحون في الأقل أو يصرح مفسرو كلامهم بأن هناك نبوة خلافة فلان فيحدث تكبير وتجبر وباطل وهناك تكون ولاية وخلافة للولاية فكذلك ثم كفر . فكما كانت النبوة لها خلافة فكذلك فتجبر هكذا للولاية خلافة فكذلك ثم كفر والولاية للفاطمي المنتظر وسماه ابن العربي الحاتمي (خاتم الأولياء) وكفى عنه بلينة الفضة مشيرا الى حديث البخاري في (باب خاتم النبيين) إذ قال ﷺ مثلني فيمن قبل من الأنبياء كمثل رجل ابني بيتا وأكله حتى ادى لم يبق منه إلا موضع لبنة فأنا تلك اللبنة فيفسرون خاتم النبيين باللينة حتى أكلت اللبنة ﴿

ويقولون ان الولاية لها مراتب كمراتب النبوة وخاتم الأولياء تحاكم الأنبياء . فقامت الأنبياء أكمل بنيان الأنبياء وخاتم الأولياء أكمل بنيان الأولياء غاية الأمر أن النبي ﷺ لبته من ذهب وخاتم الأولياء لبته من فضة . وقال ابن العربي فيما نقل عنه ابن أبي واطيل وهذا الامام المنتظر هو من أهل البيت من ولد فاطمة وظهوره يكون بعد مضي (خ ف ج) من الهجرة وذلك بالجل ٦٨٣ سنة وهي في آخر القرن السابع . ولما انصرم هذا العصر ولم يظهر حل ذلك مقلدوهم على أن المراد بتلك المدة (مولده) وأن خروجه بعد ٧١٠ يخرج من

ناحية المغرب . أقول وأنت تعلم أن ذلك لم يتم . وأطال العلامة ابن خلدون في نقل كلامهم على هذا الصو  
ثم قال ( والحق الذي ينبغي أن يتقرر لديك أنه لانت دعوة من الدين والملك لإبوجود شوكة عصبية تظهره  
وتدفع عنه من يدفعه حتى يتم أمر الله . قال وقد قررنا ذلك من قبل بالبراهين القطعية التي أربناك هناك  
وعصبية الفاطميين بل وقرش أجمع قد تلاشت من جميع الآفاق ، ووجد أُم آخرون قد استعانت بعصيتهم  
على عصبية قرش إلا ما بقي بالحجاز في مكة وينبع بالمدينة من الطالبين من بني حسن وبني حسين وبني جعفر  
وهم منتشرون في تلك البلاد وغالبون عليها وهم عصاب بدوية متفرقون في مواطنهم وإماراتهم وآرائهم  
يبلغون آلافا من الكثرة . فإن صح ظهور المهدي فلاوجه لظهور دعوته إلا بأن يكون منهم ، ويؤلف الله بين  
قلوبهم في أتباعه حتى تتم له شوكة وعصبية وأفة باظهار كلته وحل الناس عليها ولما على غير هذا الوجه مثل  
أن يدعو فاطمي منهم الى مثل هذا الأمر في أفق من الآفاق من غير عصبية ولاشوكة إلا مجرد نسبته في أهل  
البيت فلا يتم ذلك ولا يمكن لما أسلفناه من البراهين الصحيحة . ثم أقاض في ذلك وأبان أن ما يدعيه العامة  
والاغمار في ذلك من الدهاء لا يرجع الى عقل ولاهدى ولا كتاب منير

هنا ما أردت تلخيصه من مقدمة العلامة ابن خلدون في أمر قرب الساعة وفي أمر قيام المهدي لتستبين  
سبيل الرشاد ويقف المسلمون بعدنا على آراء قد انتشرت قبلنا في بلاد الاسلام وفرقتهم وزعزعتهم . فاقتراب  
الساعة بالمعنى المتقدم وظهور المهدي كلاهما قد أضعف عزائم الأمة وأورثها الحور . ومن أعجب الحجب أن  
ينسب هذا العلامة الكبير ابن العربي . ولقد اطلعت في الفتوحات المكية على هذا المعنى في مواضع منه فإن  
صح هذا ولم يكن منسوسا عليه من أهل زمانه كان ذلك دالاعلى داء فتاك أصاب الأمة كلها وقطع أحشاءها  
فاذا وصل الباء الى كبار العلماء والأولياء فقد وصل الى قلب الأمة وهذا هو الموت . يسمع المسلم بقرب قيام  
الساعة بالمعنى المتقدم التي قد ظهر كذبها فيقول لم أعمل ولم أجد والناس سيموتون جميعا ويسمع بالمهدي  
المنتظر فاذا قام داع سارع اليه الجهلاء والتفوا حوله ثم يقوم آخر فينبهه آخر وهكذا حتى ان مشايخ الصوفية  
كل منهم قد اتخذ لنفسه أتباعا وأراههم أنهم أحق بآلته وبالحقائق وغيرهم من أهم الاسلام جاهلون ولست أذكر  
شيخا خاصا فإن هذا التفسير عام للمسلمين ولكني أقول قولا جامعاً

أيها المسلمون . يا أيها العلماء . اسمعوا . حم الأمر وقضى الله بالحق . هاهي ذه أمة الاسلام قد  
تفرقت شيعا وناق بعضها بأس بعض . ليس لكم والله ملجأ إلا الرجوع لنفس القرآن وقراءة جميع العلوم  
ودراسة هذه الدنيا من العلوم الفلكية والطبيعية والسياسية وهكذا . اذا درس المسلم علم الفلك نظر فقال  
يا الله أنت خلقت آلاف آلاف الكواكب وأرضنا بالنسبة لتلك المخافات كما تقسم لوصفرت حتى صارت جوهرا  
فردا ثم صفرت العوالم على مقتضاء لاصارت العوالم كلها ألف مليون أرض كأرضنا هذه على حالها اليوم .  
هناك يقول المسلم . فاذا كانت أرضنا هذه حالها فهي أشبه بالعدم . فمن هو هذا الذي يدعى أنه قد حل فيه  
الله وبالأرض ومن عليها . ثم ينظر المسلم فيرى حكمة وإبداعا وغرائب وعجائب في أصغر حشرة ورقة فيدهش  
لابداع الله ويتعجب بالحكمة . وهناك يقرأ المسلم العلوم ويعرفون الصناعات ومتى فعلوا ذلك رفعوا أعينهم  
أما الانكسار على المهدي وله سيجي . فينبه الناس بمعنى هذا أنهم متكونون عليه في إصعادهم ولم شعثهم والله  
عز وجل هو الذي خلق الناس وأعطاهم عقولا وأمرهم أنهم هم الذين يحقون ويجهلون بأنفسهم . فمن  
يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره .

سأتي لهذا المقام شيعة في (سورة المؤمنين) عند قوله تعالى . يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا  
صالحا . الى قوله . كل الينا راجعون . وقصارى القول هنا أن الله عز وجل ما أنزل كتابا من السماء  
ولا علم إلا مريدا بذلك إيقاظ الهمة . فاذا قصد المسلمون من الراضة والشيع والامامية ومن تبهم من



الصوفية المتأخرين بالمهدى أن يكون سببا في إسماعهم وهداهم مرة واحدة فقد أخطأوا ولعلوا أن الطفل لا يولد إلا بعد نموه في الرحم بالتدرج . هكذا لا تكون الهداية والرجة العالمة التي تجعل الناس أسرة واحدة إلا بجهد واجتهاد من الأم كلها التي أهمها الأم الإسلامية المستقبلية التي تنتشر فيها هذه الآراء وبها يجتدون في الرقي . هنالك يعقل الناس معنى التعاون العام والهداية العالمة والعيش بسلام مع الأمم والروح العيسوية التي ورد ذكرها في الأحاديث الشريفة . وقد قدمنا في هذا التفسير في غير ما موضع أن المدار على هذه الروح العالمة الجذوة والاجتهاد منا نحن الذين نعيش في الأرض . هنالك لآمانع يمنع من نزول المسيح ابن مريم لأنه يجد الناس يقبلون دعوته . وقلنا هناك إن المدار على هذه الروح في أهل الأرض لآعلى رجل واحد أورجال يسقون الناس الهدى سقيا بلا استعداد ولاهدى . وإعلم أن الأمم اليوم أخذت تتقارب في السياسة وتسمى للسلام كما سيأتي في سورة (المؤمنون) . انتهت اللطيفة الأولى

( اللطيفة الثانية في قوله تعالى - ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم - )

اعلم أن هذا المقام قد استوفيت في أول سورة (آل عمران) وتبين لك فيه كيف كان الله مبينا في علم الطبيعة كما كان مبينا بالكتب السماوية مفهما نوع الانسان في سفر الكائنات مالا يتجمله كتاب من الكتب ولا يعقل حكيم من الحكماء . وهنالك ترى كيف كان الخلاف بين هيكل الألماني الفيلسوف وبين بعض علماء ألمانيا في تكوين الأجنة وكيف كانت أدوار الجنين في بطن أمه دالة على تناسق العوالم الحيوانية وأنها درجات وكيف كان هذا الكتاب الذي أودعه الله بطون الأمتيات مفصلا تفصيلا بحيث تقرأ أبوابه بابا بابا كما تقرأ كتب البيانات وكتب العلوم من الحساب والهندسة والطب . وكيف ترى أجسامنا ونحن أجنة تنفتح باب العوالم الحية فتري كأنها حيوان الماء تارة وحيوان البر تارة وتنزع عنه صوره مبينا مصيرا الانسان بصورة واضحة وأنه سائر إلى طريق الكمال وهذا كله من قوله تعالى - لنبين لكم -

وهل لك أيها النبي أن أقص عليك الآن من تفسير هذه الآية مالم أعرفه وأنا أفسر في سورة (آل عمران) منذ نحو ستة ونصف فهناك فسرت قوله تعالى - لنبين لكم - تفسيراً علمياً . أما الآن فلأفسرها تفسيراً خلقياً أدبياً لتجيب من هذه الدنيا ونظامها والتبيين واختلافه وأن الله كما بين العلم في دروس الطبيعة بين الأخلاق فيها . فاعلم هداك الله إلى طريق الحق واجتباك إلى سبيل الرشاد أن المضغة المسواة وغير المسواة اللتين جعلنا لتعليمنا قد شملت مواضع

(١) ذلك أن الانسان يرى أن من الناس من يخلقون صما ومنهم العمى أوفاقديو قوة النطق أو معوجوا اليدين أو الرجلين أو ضعيفوا العقل أو مشوهوا الخلقة ومنهم من يخلقون وأنماها توعمان ملتصقان لا ينفكان حتى يموتا . كل ذلك يكون خلقه أثناء التخلق في الرحم وقد يطرأ بعض ما تقدم بعد الولادة وهم في طريق الحياة . تلك كتب كتبت بحروف كبيرة . هذا كتاب كتبه الله للناس بحروف كبيرة ولكن أكثر الناس لا يعاينون . إن الله وضع النظام على هيئة ثابتة ولكنه هو نفسه يخرق القانون ويغيره ليرشدنا أن هناك نواميس وقوانين أرقى فهناك نظام الأجسام الحيوانية والانسانية ترى أن المواد الغذائية المستخلصة من أرضنا ومائنا وهوائنا قد اقتضت وحسبت في أجسامنا فلم يفلت الهواء إلى أعلى ولا الماء إلى الأنهار ولا المواد الأرضية إلى أرضنا وهي ما اقتضتها من الجيوب والفواكه والخضر . فترى الانسان والحيوان قد حكما هذه العناصر في أجسامها . فهذا أول برهان على أن النظام الطبيعي فوق نظام أعلى وأن هناك قوة قاهرة قد حكمت على هذه العناصر أن تغير خلقها وأن الانسان بقدر أن يبذل العادات السيئة فيه بعادات حسنة كما غيرت طبائع الذرات التي هي فيه

(٢) نرى أن من الحيوان مالا يحواس له إلا اللس كدود الفاكهة والدود الذي في بطن الحيوان . ومنه

ماله حاستان وثلاث وأربع فقط كعوض الفيران تعيش في الظلمة فتفقد حاسة البصر لعدم لزومها . كل ذلك مخلوق في الطبيعة والناس يشاهدونه ويشاهدون البدو يعيش بلا حواس ماعدا البصر . ومعنى هذا التبيين أن الله يقول لنا انظروا البدو انهم قد فقدوا الحواس الأربعة وأعطيتكموها فانظروا ماذا تصنعون بها انما شبكت لصيد العلم لترتقوا عن هذا العالم فليكن أن تفكروا بهذه الحواس في هذا العالم وانما أعطيت نعمة إلا وقد جعلت بجانبها نعمة فهمومكم وغموكم أكثر ألف مرة من غموهم وهموم البدو لكثرة حواسكم وانما فعلت ذلك لأضطرركم إلى العمل بها واقتناص الآراء بسبكيتها . فالحق الذي أحاط بكم لحكمكم على الاهتداء بالعلم لتخرجوا من هذا العالم . كل هذا خلقته بين ظهرانيكم ولكني أعلم أن هذا البرسر لا يفهمه إلا قليل لذلك أردت أن يكون البرسر من نفس الانسان فجعلت المضغة تارة مسواة وتارة غير مسواة لتروا العمى منكم فتعرفون نعمة ربكم وتروا الصمم وتروا البكم وتروا الزمن ومن ضعفت أيديهم ومن فقدوا عقولهم . كل ذلك لتروا اني ماجعلت هذا فائسة أو غفلة أو عدم عناية بل جعلت هذا لأبين لكم فتقولون ان أكثر الناس سحاء العقول والحواس والأعضاء . وهؤلاء الذين خلقوا ناقصين أوجدت لهم النقص فيها بعد انما كانوا لتمام دروسنا عليهم ونعرف أن تلك المواهب نعمة يجب أن نقصصها ونعرف النعمة التي سترول عنا كإزالة عن غيرنا ففسرنا بالاستفادة منها . واذكالكلم فهم تلك الحواس والأعضاء في الحيوان فنحن مستعدون لنهم نقصها في الانسان لأن الحيوان الذي نقص شيئا من هذا لا يؤثر فينا شيوع ذلك النقص في نوعه كالبدو ولكن النقص والتشويه في جسم الانسان أسرع أثرا في نفوسنا وأبقى علما وأبلغ معنى . هذه القراءة ليس يعرفها الناس جميعا . هي قراءة لا يعقلها إلا ذوو العقول الكبيرة لأن حروفها وكتاباتها هذه الصور الحيوانية والانسانية وهـ كبيرة وهذه الكبيرة لا يفهمها إلا العقل الكبير . فاذا قال الله تعالى في كتبه السجادة ان الناس سيحشرون وكتب ذلك بالحروف المحجاجة أو سمعوه بأصوات هوائية فموه فهمما على قدر طاقة عقولهم ولكنه اذا مررت بحج الطبيعة بأن فكك بها وهدم كتابها وجعل غالبا سافها في جسم الحيوان وخالف طبعها فجعل الخفيف والثقيل والمتوسطا في شكل واحد . واذ حرم بعض الحيوان حواس . واذ فرقت الأمراض والنقص حسا وعقلا وأعضاء على الناس لم يفهم هذا إلا القليل ولهذا قال الله - لنين لكم - تبيننا تفقونهم بعقولكم وتدرسونهم بأنفسكم

فها أنت ذا أيها الذي عرفت حكمة نقص بعض الأعضاء أو الحواس نقصا خلقيا أو عارضا وأن ذلك دروس يدرسها الحكماء وانما مقصود وان كان ظاهر الطبيعة يفيد انه عارض غير مقصود . وهاك مسألة التوأمين الخلوقين المرتبطين معا برباط تام بحيث يولدان معا ويموتان معا في عصرنا الحاضر وكيف كانت حياتهما وهذا أيضا من مسألة المضغة غير المخلقة لبين الله لنا بهذا أمرين يقول أنعمت عليكم بأن كلاً منكم خلق مستقلا فلم يتصل بجنين آخر . ويقول أيضا ان اتصال اثنين معناه الاتحاد في أمور الحياة وهذان الاثنان لما اتصلا لم يمنع ذلك كلاً منهما عن مزاوله أعماله الخاصة به وهو مع ذلك مرتبط مع الثاني أشبهه بارتباط الأئمة كلها وأهل الدين الواحد كلهم وأهل الأرض قاطبة . فهذان التويمان اللذان قد تلازما موتا وحياة وان اختلفت الصفات كانتختلف الأئمة الواحدة في أحوالها ولكن التضامن فيما بينهم يجعلهم متحدين الرقاة ونحطاطا وضعفا وقوة وهاك مسألة التوأمين

### (٣) التويمان المتصلان

اعلم أن العالم الانساني الآن أصبح يدرس الغرائب والهجائب أكثر من ذي قبل . أخذ يدرسها مجرد التعجب وشاع هذا التفرج وكثر . ولماذا هذا . ذلك لأن السكك الحديدية والسفن البحرية والطائرات الهوائية قربت المسافات فأخذ أصحاب الهجائب يعرضونها على الناس ويتناولون دراهمهم والناس فرحون بما

يشاهدون . وما جعل الله الغرائب إلا للدراسة لأن الناس لا يدرسون ولا يتفكرون غالبا إلا على ما كان نادرا وهذا النادر كلما كان أندر كان العلم به أعجب وأندر . علم الله ذلك في الإنسان . فنادا عمل . خلق العلم والصم الخ كما قلت لك ليدرسها الناس وجعل أندر من ذلك وأعجب التوهمين . وقد خلق الله في هذا العصر توأم كثيرة منها ما عرفناه ومنها ما لم نعرفه لعدم ظهوره

(١) فن ذلك (تويمان هنديان \* أحدها) يسمى (راديبكا) والآخر (دوديبكا) وهما بنتان عملت لهما عملية جراحية ففصلنا إحداهن ١٩٠٠ بضع سنين وكانتا لا تلبغان تسع سنين وعاشتا بعد فصلهما . ثم إن اتحاد التوهمين قد يكون في الصدر أو في الرأس أو في البطن أو في الحوض

(٢) ومن التوائم التي عاشت (تويمان صنيان) وهما ذكران كانا في السابعة عشرة من العمر وعاشا بعدها وهما قويا البنية وقد اتحدا في طوق القص أي العظم الصدري فانه يستطيل قليلا ويخرج من الصدر حتى يلتقي برفيقه فيتحدان . وهذان التويمان لم يظهر عليهما تعب من هذه المشاركة

(٣) وهناك (تويمان ساميان) من بلاد (سيام) خلقا متقابلين أحدهما اسمه (شانغ) والآخر اسمه (انغ) وأبوهما اسمه (بونكر) ولدا في قرية (بانكوك) بسيام سنة ١٨١١ وقد اتحدا بعظم القص في أسفل الصدر بزيادة لجة ضخمة وفي جهة أخرى وقد جلا إلى أوروبا وهما طفلان وسافرا إلى أمريكا وعرضا نفسيهما للفرجة فجما مالا كثيرا وعاشا في (كارولينا) في الولايات المتحدة واشترى كل منهما عقارا واتحدا أن يقيم كل منهما مع الآخر في ملكه ثلاثة أعوام وكان الناس يحترمونهما وتزوجا أختين سنة ١٨٤٣ وأحدهما وهو (شانغ) ولد له عشرة أولاد سليحي البنية إلا صبيا وصبية ولدا أصميين . وولد لثانيتها وهو (انغ) ١٢ ولدا كلهم صحيحو البنية . فلما كانت الحرب الأهلية بالملك المتحدة خسرا كل ما لهما فسافرا لأوروبا . وفي سنة ١٨٦٣ مال شانغ إلى الافراط في السكرات وظل أخوه معتدلا في كل شيء فاتحدا في كل شيء واختلفا في الأخلاق وفي سنة ١٨٧٢ أصاب (شانغ) المذكور ألم عصبي في العينين ثم اتحلل في سائر بدنه ثم ضعف جدا . وفي سنة ١٨٨٤ أصابته نزلة صدرية لم يسرع في معالجتها وبعد مدة أفاق (انغ) وظل (شانغ) نائما فنأدى (انغ) بعض أولاده ليرقظ عمه فناداه الغلام (عماه عماه) وحركه اذا هوميت فصاح (هوميت) فاضطرب (انغ) وقال بنغمة البائس الحزين (فانز أنا ماتت أيضا) ثم اقتطع بوله وعسرت نفسه ومات بعد أخيه بساعتين وسنهما (٦٣) سنة

(٤) (تويمان متقولتان) أحدهما ضامر والآخر تام كامل ويحمل الآخر كأنه طفل . وأغرب وأشهر هذا النوع رجل هندي يسمى (لالو) ولد في (لكنو) ببلاد الهند . ومعه توأم آخر متصل به في بطنه كانا في أول الأثر منسولين في حجمهما فلما كبرا ظل أحدهما صغيرا ولم ينم إلا قليلا فأصبح كأنه طفل يحمله شات ولما كان ذلك أمرا غريبا جعل يطوف المدن يعرض نفسه للفرجة في الأسواق وفي آخر ما عرف عنه انه كان في الولايات المتحدة في العقد الثاني من القرن العشرين له

هاأنذا عرضت عليك ما عرض الله على الناس في أسواقهم ومدنهم الكبيرة . إن الله وضع في الناس حب الغرائب لأهلها دروسهم . فالعامة للتجرب . والخاصة يقولون . كلا . فالتجرب أول العلم بل هو الباعث عليه ويقولون ان هذه التوائم وإن بدت لعين الناظرين انها رمية من غير رام أو خطف في الطبيعة فانا نقول انها مقصودة للدراسة . يرى الناس التوهمين (شانغ) و (انغ) وقد عاشا معا وماتا معا ولكن أحدهما قتله الحر والآخر معتدل وقد عاشا في هناء واشتركا في السراء والضراء . هكذا الانسانية كلها والأمة كلها وأهل الدين الواحد يعيشون ويقسمون الأفراح والأتراح . فاذا طاش فرد أو أفراد من الأمة والتوا ولم يقوموا بواجبهم كان ذلك اضعا فالا لامة . فعلى بقية الأمة أن يقوموا المعوج منها والاسرى الداء من المريض الى الصحيح

جسما وعقلا واقتصادا وسياسة وهكذا الأمم كلها متصلة اتصال التوأمين فأى نقص حصل فى أمة أثر فى الأخرى فإذا نقص محصول القمح فى أمة أو محصول القطن أو غيرها أثر فى الأمم الأخرى غلاء الأسعار ونقص التجارة وأى ضعف فى أمة ينصل بالأخرى فإن هذه الضعيفة لا تستطيع استقبال صناعاتها ولاتجارها . ان العالم الإنسانى كله لم يخرج عن كونه مثل (شانغ) و (انغ) وأن أمة الشرق النائمة سقطت معا ولاتقوم إلا معا فإذا لم يقوم بعضها بعضا ولم يساعد بعضها بعضا لثقتها أوروبا . إن الأمة الواحدة وأهل الدين الواحد بينهم تضامن حقيقى إن هذا التوهم نراه بأعيننا مكتوبا بالحروف الكبيرة يفسر لنا قول النسي عليه السلام ﴿المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا﴾ وتمثيل المؤمنين فى الحديث بالجسد الواحد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى . إن الله بين لنا بهذين الانسانين وأمثالهما تضامن الناس وأن علماء الشرق يفعلون أهل الغرب بطريق غير مباشر وبالعكس وأنه خلق هذين فى (سيام) وجعل قوتهما بالتفرج عليهما لينشر ذكرهما فى الكرة الأرضية وليكونا درسا للناس وعبرة وتفسيرا لهذه الآية ولولا جهمها المال وجعهم له ماوصل خبرهما الى مصر وما جعلتهما درسا لقوله تعالى - لنين لكم -

فأهل الدين الواحد . وأهل القرية الواحدة . وأهل الأمة الواحدة . وأهل الأرض الواحدة بينهم تضامن وهم يجهلون وتعارف وهم يتعافلون . إن الانسانية لاتزال طفلة الى الآن والعقل الانسانى لايزال أمامه عقبات وعقبات ومفاوز ومفاوز حتى يصل الى غايته المنشودة وطلبة الرغبة وأعماله العالية وأغراضه العالية إن كل امرئ كأنه مسؤول عن جميع الانسانية وأن كل الانسانية كأنها مسؤولة عن الفرد وأن السؤاس فى أوروبا وثرزتهم وقولهم الانسانية ينطقون بألفاظ هى أصل المقصد الانسانى ولكنهم يفعلون ضدها . ذلك لأن الانسانية اليوم لفظية وسيجىء يوم للنوع الانسانى يكون فيه أرقى منه الآن وتحقق هذه المطالب وتذهب عنه تلك المثالب - والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون -

﴿اللطيفة الثالثة فى قوله تعالى - ثم نخرجكم فجلا -﴾

اعلم أن التناسل على ﴿قسمين﴾ التناسل بطريق الذكر والأنثى . والتناسل بغير ذلك . أما القسم الثانى فإنه يشمل جميع الأحياء الدنيا كالميكروبات والديدان وبعض أنواع النبات التى لا زهر لها وهو على أنواع

(١) الحى اذا بلغ أشده انقسم الى قسمين وكل منهما ينقسمان قسمين وهكذا على التعاقب

(٢) أن ينقسم الحيوان الواحد الى عدة حيوانات

(٣) اذا بلغ الحيوان أشده انفجر تفجرا منه حيوانات صغيرة تنمو وتناسل ويموت فنفس جسمه ينقسم

ويذهب وبعده هو وتخرج حيوانات هى أجزاؤه فى الأصل

(٤) أن يثبت على جسم الحيوان شئ كأنه أصل غصن لشجرة ثم يبلغ فينفصل فيصير حيوانا مستقلا ومن هذه الأنواع ما ذكره اللورد (أفبرى) فى كتابه ﴿جال الطبيعة﴾ وهومن النوع الأول هنا أن

بعض الحيوانات الدنيا يحدث فى وسطها حرق ولايزال هذا الحرق يندى ويدق حتى يفصل القسبان المقدم والمؤخر

فيصير كل منهما حيوانا مستقلا . وهنا يرد سؤال فيقال أيهما هو الأول وأيهما هو الثانى . إن هذين الحيوانين

كانا واحدا فمن منهما هو الذى كان أبأ ومن منهما هو الابن أم الواحد انقسم اثنين وإذا قلنا بالثانى وقد علمنا

أن كلا من هذين الاثنين ينقسمان ولايزال الانقسام الى ما لا يعلم منتهاه . أفنقول ان هذه الحيوانات خالدة

لن تموت . أم ماذا . هذا من عجائب الحكمة والناس على هذه الأرض نائمون مقبعون . لجل الله الذى

حيرنا وجل العلم الذى أشرق على القلوب . فليحيى الله العلم وليحيى الله قلوب المسلمين

وأما القسم الأول وهو ما يكون تناسله بالزواج فإنه يكون بواسطة البيض فالجنين يكون فى البيضة وهو

على ( قسمين ) قسم يخرج البيضة منه قبل تكون الجنين كالخشرات والطيور وبعض السمك فان البيض يخرج منها ويتم الجنين بأعمال أخرى كحضان الطيور له الى أمد معلوم ثم يخرج من بيضته . وقسم تبقى بيضته في الرحم حتى تفقس ويخرج الجنين حيا يتحرك كما ترى في ذوات الثدي ومنها الانسان الذي كلامنا فيه في هذه الآية . واعلم أن هناك في رحم المرأة سائلا في المبيض كمثل البيضة التي نشاهدها للدمج فلها ما يشبه الزلال في البيضة السحاجية وفي داخل ذلك المح وهو الذي نراه أصفر في بيض السحاج . وفي داخل ذلك المح جرثومة صغيرة منها يتكون الجنين والبيضة البشرية قطرها من ١.٠٠ الى ١.٢٠ من القيراط والمح الذي فيها قطره ٧.٠٠ من القيراط والبقعة الجرثومية قطرها ٢.٠٠ من القيراط وهذه هي التي يتكون منها الجنين والجنين يتغذى من دم الأم المنتشر في جسمها . ودورة الدم في الجنين تخالف دورته في الطفل بعد الولادة . فالشریان في الجنين يحمل دما ورديا والور يدحمل دما شريانيا حتى ولد انعكس الأمر . فتعجب من الترتيب المحكم . انتهت اللطيفة الثالثة

( اللطيفة الرابعة في قوله تعالى - وتري الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء - الخ )

ههنا ترى عجائب النبات مع الحيوان . ستري مايدش له ليك اتري بعقلك الحكمة واضحة جليلة في هذه الدنيا الجليلة عند الحكماء البيهية عند الجاهلاء . اننا نحيا واننا نموت ونفرح بأن نقي ونحزن بأن نموت ولكن اذا تأملنا هذا النظام فرحنا بآدعائه وانحزننا لانقائه ووجدنا عجبا . عليك قول وما العجب أقول أنظر ( لأمرين غريبين ) ثانيهما أغرب من أولهما . أما الأول فان النبات البالغ عدده ٣٣٠ ألفا كما تقدم عن العلامة (مبسر) على ظهر كرتنا الأرضية مختلف في كل شئ قسرا ولونا وطعما ومنفعة الخ وهذا الاختلاف ناشئ من اختلاف الأغذية واختلاف الأغذية ناشئ من تعاطي النبات نفسه بحيث إن كل نوع منه يجتذب من الأرض ماركا له . ألا ترى أن نوع الجير والسودا والبوتاسا وحض الكبريتيك وحض الفوسفوريك والسلكا والكأور دخلت في القطن وفي القمح وفي القول وفي البطاطس وفي الفرة وفي قصب السكر بمقادير موزونة مختلفة الوزن وباختلاف وزنها صارت ملابس أو أغذية للإنسان أو لغيره كما رأيت في البرسيم وقد تقدم الجدول موضعا في سورة ( البقرة )

انظر كيف كان اختلاف المقادير الغذائية من الأرض والهواء سببا في هذه المنافع والعجائب المختلفة . ثم انظر كيف كان هذا . كان هذا باجتناب النبات لما يناسبه . وهنا يقال كيف رتبت الفتححات السموية . كيف نظمت . كيف قومت بحيث لا تدخل في النبات إلا ما يناسبه . لا تدخل الصودا في شعر القطن إلا ٣٦٦ من المائة ولا في حب القمح إلا ٢٦٦ من المائة ولا في حب الشعير إلا ٤ من المائة ولا في حب الفرة إلا ٣ من المائة وهكذا . كيف رتبت تلك الفتححات بحيث لا تقبل إلا هذه المقادير . ذلك هو النظام انسابي في جميع النبات لا يمتص إلا ما هو لازم له

( نبات الكرب )

قال بعض أطباء الفرنجة في هذا العصر « انه نافع غذاء ودواء . إنه يشتعل على عناصر كيميائية ذات قيمة منها الفوسفور والحديد والمائيزيا وفيه مادة كبريتية تتضح من تصاعد رائحته عند غليه في المطبخ . ويقول إنه طعام عسر الهضم يجب المبالغة في طبخه ليسهل هضمه واذا ن يفيد المصابين بالإمساك لأنه يسلك الأغذية الحمضية ومع ذلك ينشأ منه أرياح فالصابون بالتلبك المعدي يجتنبونه وجوبا ويجب أن يضاف اليه نحو الزيت وهو يصلح للمصابين بالانتهاب المعوي كما لا يصلح لأصحاب التلبك المعدي كما تقدم قال وكان الأطباء يصحون بالبن اليابغورقي ( الزبادي ) لاصلاح المعدة وتطهيرها فان الكرب يقوم مقامه اذا صنع على طريق مخصوص

وعصارة الكرب اذا تناولها الصبي بمقدار ملعقتين كبيرتين أعادته فائدة عظيمة في إبادة السود والجراثيم من المعدة . انتهى

الآنظر رعاك الله كيف دخل فيه الحديد والمائز يا والكبريت والفوسفور . وكيف تنقط الأنابيب الشعرية ذلك من الأرض وأخذت تبحث حتى جعت ذلك ثم بالله قل لي أين هذه المواد الحديدية والفوسفورية والكبريتية والمائزية وكيف اجتمعت وأين الطفل لبشرب من العصير الكرني المجتمع من هذا كله فيقتل دودة . وأين الرجل الذي أصيب بالتهاب معوى فيفيهه والذي أصيب بتلبك معدى فيضربه وما المناسبة بين الكرب ومعدة الأطفال ولأهواء التي هي منتهية فيخفف التهابها والمعدات المتلبكة فيزيد التهابها ولماذا يكون هذا مناسباً لذلك . هل كانت تلك الفتحات مقتررة بحيث لا يندخل إلا هذه المواد وقد علمت أن دخولها يكسب النبات نفعاً ثم هذا النبات يكون فيها بعد قاتلاً لسرد البطن في الصبي مصلحاً للعدو عند قوم ضاراً لها عند آخرين . ذلك هو العجب في هذه الدنيا التي هي عبارة عن دار للدراسة . هذا هو الأمر الأول الذي هو العريب . أما ﴿ الأمر الثاني ﴾ وهو الأغرب والأعجب فأنظر ما يأتي

﴿ تعاون الحيوان والنبات على الحياة وهما لا يشعرا ﴾

من الدلائل الدالة على أننا في عالم واحد كأنه انسان واحد أو حيوان واحد وأن ما فيه متواصل متعاون متعاطف متبادل المنافع كما تبادلها أعضاءنا وهذا ما نراه في هذا المقام

﴿ نفس الانسان وتنفس الحيوان ﴾

إن التنفس يكون في الحيوان وفي النبات . ففي الحيوان ظاهر كما تراه في تنفس الانسان وذوات الأربع والطيور والزحافات وهكذا السمك وهذا الأخير بالخياشيم . وهكذا الهوام جميعها تنفس بالآلات صغيرة جداً وهكذا النقايعات . وهكذا ترى الدم الذي يجري في عروق الحيوان والانسان تجري فيه كرات دموية وهذه الكرات أيضا تنفس فتأخذ الاوكسوجين من السم الذي هي فيه سابحة وتفرزه بعد ما يصلحها كما تنفس نحن في الهواء . هذا هو تنفس الانسان والحيوان وكرات السم فيه . فهناك تنفس الحيوانات العليا ﴿ إن الهواء يدخل في الرئة فيتحد أوكسيجينه ببعض المواد الفاسدة فيه فيتحول الى حامض السكر بونيك وحامض السكر بونيك المذكور هو الغاز الذي يصعد بالزفير لنا من حيوان إلا وهو تأخذ الاوكسوجين ويخرج الحامض السكر بونيك وتراه اذا تنفست قد جعل طبقة مغطيه وجه المرأة وما هو إلا مادة خفية مما خرج مع الزفير ﴾ أما النبات فانه يتنفس بعكس الحيوان . إنه يمتص الحامض السكر بونيك ويخرج الاوكسوجين عكس ما يفعله الحيوان . الحيوان يتعاطى في تنفسه الاوكسوجين والنبات يتعاطى السكر بون المركب مع الاوكسوجين أى يأخذ جميع الانسان . فكلما لا ينمو النبات إلا بالأقدار التي نبذها الانسان والقممات التي رى بها خارج منارله والمواد البرازية الخارجة من جسمه وقد استقنرها . هكذا في التنفس لا يأخذ النبات إلا ما خرج في زفير الانسان مركباً ضاراً بصلاح جسمه فيكون فساداً للانسان حياة للحيوان

﴿ كيفية تنفس النبات ﴾

إن الحيوان يتنفس بالرئة أو بالخياشوم أو بجذده كما ترى في الحشرات التي يكون جلد لها في الحقيقة كالمنخل أو كالعنبر بال اذا نظرت اليها بالنظار المعظم . فهذه كلها لا تنفس إلا بجذدها ولذلك لا تسمع للزناير ولا للذباب ولا للصرصور صوت تنفسها بل كل هذه الأصوات السموعة منها أصوات أجنتها كحركات أوتار العبدان لا كأصوات الحيوانات ذوات الرئة . أما النبات فانه يتنفس بأوراقه . إنك ترى على ظهر كل ورقة من الأوراق الثنائية اذا نظرتهم ( بالمكروسكوب المعظم ) آلافاً وآلافاً من الفتحات المستطيلة وهذه الفتحات هي التي تقابل الهواء ومنها يدخل في تجاويف ومجاري أشبه بالتجاويف والمجاري التي في رئة الحيوان والانسان وكل تجويف

قد سقف بقباب صغيرة مصفوفة صفا منظما بحيث تكون كل واحدة مع الأخرى كالبناء المتناسب المنسق  
(مقايير ما يتنفس الانسان والحيوان)

إن الانسان على وجه الأرض يمتص من الاكسوجين في السنة نحو (١٦٠٠٠٠) مليون متر مكعب  
ويقتر العلماء أيضا أن الحيوانات الأخرى تمتص أربعة أمثال هذا المقدار والانسان يخرج في اليوم ٢٥٠  
غراما من غاز حامض الكبريتيك وذلك ٧٥ غراما من الكبريتون الخالص وهو الفحم . وقد حسبوا أن سكان  
القطر المصري وحدهم ماعدا الحيوان يخرجون في السنة (٤٠٠٠٠٠) طن من الفحم في السنة . فانظر  
الى جميع من على الأرض . فأهل القطر المصري نحو (١٤) مليونا وأهل الأرض نحو (١٥٠٠) مليونا  
والحساب سهل عليك . فإذا دام الانسان والحيوان الذي هو أضعافه يخرجان خفما على هذا المنوال فارالحق  
يتملى سببا لأن الحامض الكبريتيك مادة سمية وانظر ذلك في الحمام فان المادة الكبريتية اذا حبست فيه  
وقد تصاعدت من الفحم قتلت من في المكان . فهكذا الجو كانه يصير كالدم بسبب تصاعد الفحم من أفواه  
كل حيوان فأفواه الحيوان مثل موقد الفحم والحق كالحمام والناس أشبه بمن في الحمام

فانظر كيف قضت الحكمة أن يكون (حامض الكبريتيك) المذكور هو الذي يصلح لتنفس النبات  
ويكون صلاحا له كما كان فسادا للانسان فان الكبريتون المذكور يدخل في النبات ليغذيه ويقوى أغصانه  
وفروعه وثماره ففى أخذ الحامض الكبريتيك من الهواء قبله فاعتدى بالكبريتون وأرجع للهواء الاكسوجين  
كي يرجع للانسان فيصلح دمه

يا سبحا . ايها الناس أجمعوا . يدخل الحامض الكبريتيك جرم النبات فيتقبله ويغله و يأخذ منه الكبريتون  
أى الفحم وهو ما به نموت في الحمام وما به تغطى المرأة بأنفاسنا وما يسم جوتا ثم يخرج من الفتحات  
الاكسوجين نقيا خالصا لينظف الهواء ويرجع الاكسوجين ثانيا الى الانسان فيدخل رتيبه ويصاها الكبريتون  
أى الفحم المحترق في أجسامنا لأن عضلاتنا مشتملة على مادة غمية قد أخذتها من الدم الذى أخذه من النبات  
فيتحد الاكسوجين بالكبريتون المذكور ويحملة الى خارج أجسادنا كما يحمل الزبالون والكناسون القمامة  
الى خارج المنازل ومتى حمله الهواء سار به جارا حتى يوصله الى داخل الورق والورق يتقبل تلك القمامة  
والكناسة فينظف هناك ويرجع لنا الاكسوجين ثانيا . فالهواء هو المنظف لدمنا من الكبريتون الحامل  
ذلك الى النبات ليغذى به فهو كالسواب تحمل السباد الى الزرع . فالهواء والحيوان كلاهما ينظفان أجسامنا  
ومنارنا ليصلحنا للزرع الذى يصلحنا لعبش . فانظر هذه القضايا الجميلة المثقبة بهجة لنوى العقول

(جوهرة في مقال عام في قوله تعالى - يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من الميث - الخ )

لما اطلع على هذه الآيات أحد أصحابي من أهل الفضل قال لى إن هذه الآيات جاءت للاستدلال بظواهر  
خلق الانسان على اليوم الآخر ولكن الانسان اذا نظر لهذه الكائنات التى على الأرض أهشأ أن كل كائن  
فيها قد منح كل ما يحتاج اليه ونال من الفرائز والطباع ما يكفل صلاحه . فهل فكرت يوما في غرائز هذا  
الانسان وطباعه . وهل درستها على حقيقتها لتكفل له سعادة الدنيا والآخرة اذا عمل بها . فقلت إن ما نقوله  
أيها الأخ لقول عام وذو مرام بعيدة وليس لى بتحقيق ما قلته يدان ولا أدري كيف يصل العقل الانساني الى  
ما نقول وهل في قبرته ذلك وهل سيوفق له يوما . أنا لا أدري . إنما أقص عنيك قصصا مما تخيلت سابقا  
فلعل فيه سدادا من عوز وبصيا من العلم ومبدأ للحكمة التى تريدها

في ذات يوم كنت جالسا خارج القاهرة في ضواحيها بين الأشجار والزررع ليللا أنامل النجوم والمجرة  
وأسرح الطرف في مجانبها وألح من خلالها حملا وحسنا وبهجة وفي أثناء ذلك أسمع غو بالأغصان وأصوات  
الحشرات ونعمات الأغصان الراقصات على نغمات أوتارها والرباح تعبث بها وكأن تلك الأغصان فرحات بدعابة

الرياح جذلات طرباب بعناقها مغتبطات بعشقها وغرامها ووصالها فحرك ذلك المنظر من قلمي ماسكن وأثار في من الوجدان ما يبطن وله القلب وله الأغصان وسكرت النفس لجلال النجوم والنور وبهجة الرياض ونفاتها المطربات . هنالك أخذني ما يشبه السنة وكأنني أرى أممي نورا يهبها نزل من السماء الى الأرض وأخذ يجتمع ويتكون قليلا قليلا هيئة انسانية حتى رأيت أمام عيني انسانا سويا ولكنه كان كالهمم بأمر عظيم فما كان إلا كلعج الصر حتى رأيت قد ظهرت أمامه بلاد واسعة ومدن شاسعة وبحار عظيمة فما كان إلا طرفة عين حتى أمر الوفود من الأقطار خضروا وأخذ يقلب طرفه فيهم كأنه يمتحنهم بنظرانه ويدرسهم بلحناته فما أسرع أن انتقى أرقاهم عقلا وأرفقهم أدبا وأشرفهم نفسا فكان أولئك خمسة رجال لا يزيدون ثم أمر الوفود الحاضرين الذين لا يحصوهم العدد ولا يحصرهم الحساب ولا يمتد اليهم الطرف أن انصرفوا فما كادت الإشارة تبدو منه حتى خلا منهم الفضاء في أسرع من وميض البرق واختلاج العين ونبضة القلب فلا أدري أفي الحق طاروا أم في الأرض غاروا أم رجعت أجسامهم الى العالم الأثري فرجعت الى أماكنها حالا وظهرت هناك ليقيموا بهمام الملك . ولم يبق من هؤلاء الجوع إلا الخلة الذين هم أمام ذلك الملك (بكر السلال) الذي نزل من السماء ملكا (بفتحها) وهؤلاء الخمسة . أمه واقفون خاضعون خاشعون مطعونون إذا أمرهم انجروا وإذا نهاهم انتهوا . وهم من خشية مشفقون . عنت له وجوههم وخشعت له أبصارهم وظلوا له قانتين فقال لهم إنائي أنتم المصطفون الأخيار من مملكتي . ثرت كنائتي فوجدتكم أصلهامكم سرا وأصعبهم سرا وأقوهم بأسا . اطلعت على ماني ضائركم فوجدتكم للحق عاملين والفضل مجتدين وعن الجبل مريضين وأمري مطيعين إن مملكتي واسعة الأطراف بعيدة الأكناف شاسعة الطاف لا يصلح لقيادها إلا أنتم فلا يصلح إلا لكم ولا يصلحون إلا لها ها أنذا وليتكم زمامها وأعطيتكم قيادها فاسمعوا قولي وأطيعوا أمري . فلما سمعوا ذلك قالوا سمعوا وطاعة نحن عبيدك الخاضعون وخدامك المطيعون فرنا أنماك وفل نسمعك فقال إن مملكتي قد قسمتها (٣٦) مقاطع وقد وليت كلا من الأول والثاني (١٠) مقاطعات والثالث (٩) مقاطعات والرابع (٥) مقاطعات والخامس مقاطعتين . هلموا الى ما أمرتكم وتوجهوا الى ممالككم وليكن عندي علم بكل ما يحدث فيها بحيث أراه وأنظر اليه فقالوا له أريد منا أن نثبتك بأبنا . هذه الدليل بالكتب فنشرح الحقائق ونقدمها لك فقال كلا . إن هذا عمل الجهال ملوك الأرض . إن العالم الأرضي الذي أنتم فيه عالم متأخر وطرق الاقفاهم والاستفهام عسرة صعبة وليس بين الناس وبين ما يعبرون عنه علاقة . لقد كان أهل هذه الأرض قبل التاريخ يعبرون عما في نفوسهم برسم صور الأشياء تقريبا ثم نوعوا في التعبير والرسم واخترعوا الحروف الهجائية المعبرة عن المعاني ولا مناسبة بين حروف (ق ا م) وبين الفعل الخصوص إلا كالنسبة بين أمرين متباينين لا علاقة بينهما كالماء والحديد وإنما الذي تصنعونه لي يناسب مقامي لأنني من الملأ الأعلى وعالم القدس فلكن اللغة التي تخاطبوني بها نفس صور الأشياء التي هي الحقائق واضحة جلية ظاهرة . فقوموا من فوركم ولتحضروا لي حالا لوحا عظيما يقبل جميع الصور التي تحضرونها وليكن ذلك اللوح يقبل ما لا يتناهى من الصور لا تتحجب صورة صورة ولا شكل شكلا بحيث إذا رسمتم صورة ثم رسمتم فوقها آفا غيرها لا تتحجب العليا منها السفلى بل تكون كلها حاضرة عندي . فهذه هي الكتابة التي تليق لمقامي ومركزتي في السموات العلى التي كنت فيها قبل تثنى عندكم فلم يكذب بطني بهذه الجمل حتى رأيت لوحة عظيمة لا تنتهي لأمدتها قد مدت أمامي وهم حولها ينتظرون الأوامر فقال احضروا صور ممالككم هيئة الخيالة (السينا) فما كان إلا كلعج الصر حتى رأيت ما يشبه (السينا) التي أراها في بلادنا المصرية وعددها خمسة قد نصبت أمامي كاملة تامة وما كان إلا كلعج الصر حتى رأيت صورة تلوح في تلك الآلات السينائية وأنواعها (٣٦) صورة وما كادت تظهر للأعين حتى رسمت الصور على تلك اللوحة وهكذا أخذت الصور تترافد وأنا ألاحظ الملك قد شغل بها وكما رسمت طبقة ظهر جبال في اللوحة



يعقبه جبال آخر رسم طبقة أخرى وهكذا طبقا عن طبق صور فوق صرر . كل ذلك لم يتجاوز من الزمان لحبات أو ثوابت كما يرى الانسان في عالم الأحلام . هنالك أخذت أفكر وأقول من هذا الملك الذى كان ملكا ومن هؤلاء الخسة وماهى ممالكهم وما هذه اللوحة ثم ماهذه العجايب كلها وما كاد هذا المخاطر يلوح لى حتى تبنى لى شخص كهية انسان فقال - ولا يفتك مثل خير - أنا جليلها المحكك وعذيقها المرجب أنا ابن بجنيتها وأبو عذرتها فاسمع لما ألقىه اليك ولا تجعل من قبل أن أدلى اليك بما عندى . فقلت هذه هدية من ربي أنقبلها بالشكر وأخذها بالقبول ونعمة أنعم الله بها على ليلوتى أشكر أم أ كفر ومن شكر فأنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غنى كريم . فقال ان هذا كله صور أمامك ليلى اليك علما جفا تعرف معنى كون الانسان علما صغيرا ومعنى ( من عرف نفسه عرف ربه ) ومعنى قول على كرم الله وجهه

دواؤك منك وما تشعر \* ودواؤك منك وما تبصر

وترعم انك جرم صغير \* وفيك انطوى العالم الأكبر

فان هذه الآيات والجلل الحسان تسمعونها يا أهل العلم ولا تدركون مغزاها بل أكثركم يقول حين يسمعونها ( أسمع عجيجة ولا أرى طحنا ) فهذه ألقىت اليك لتعرف الله واليوم الآخر من نفس صورة الانسان ويستغنى الناس بما نذكركه الآن عن البراهين الجدلية والفلسفة الوضعية والتعصفات اللفظية ويقر بما أرى لك العاقل والجاحد والمحدد والشاكون اذا كانوا يعقلون . فقلت فاشرح لى ما وصفت وبين لى ما ذكرت فقال أما هذا الملك الذى صار أحد الملوك الأرضية فهو روح الانسان إذ حكم عليها أن تحبس في هذا الجسد الأرضى . وأما الوزراء الخمسة فهى الحواس الخمس . وأما الملك التى توصل أخبارها فهى العين للنور والظلمة والقرب والبعد واللون والشكل والحجم والصغر والكبر والحركة . ولحاسة الس عشة أيضا وهى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والخشونة والنعومة والثلث والخفة واللين والقسوة . واثقة التوق (٩) مثل الخلوة والحلوة والملوحة والدسومة والمرارة والنفوسة والحرارة وطعم المر والعدوية . والأذن الأصوات الموسيقية الانسانية وغير الموسيقية وأصوات الآلات الموسيقية وأصوات الحيوان والجماد . ولحاسة الشم نوعان الخبيث من الروائح والطيب منها . فهذه (٣٦) نوعاها كل هذه العوالم التى سخرت للانسان ولا يضبطها ويحكمها إلا بحواسه الخمس . وأما ما رأيت من اللوحة فهى مخه والقوى التى فى دماغه . وهذه جعلها الله للانسان تقوم مقام الألواح التى يكتب فيها للأطفال للدراسة والألواح الحجرية التى كان يكتب عليها قدماء المصريين والبابليين والآشوريين وأهل الهند فهؤلاء كلهم كانوا يكتبون على ألواح حجرية نقي آلاف السنين وعشرات الآلاف فتلقن للأبناء ما فعله الآباء . ولتلك لما أرسل موسى عليه السلام ألقىت له الألواح مشاكسة لما كان فى زمانهم من اقامة الألواح والكتابة عليها . فهذه اللوحة التى تراها أمامك تصورك لى هبة لوحة دماغ الانسان التى ترسم فيها صور الأشياء الآتية من عوالم المادة التى لاتعد مثل الألوان التى هى من عوالم الابصار فهى أنواع سبعة أحر وأصفر وأخضر الخ وكل لون منها يتنوع الى ما لا يحصر لها من أنواع الجبال والهبجة واختلاف الأشكال . فهذا عالم واحد من عوالم القوة الانسانية وعوالم الانسان كإقلا لك ٣٦ علما تحكمها حواسه . فاذا كانت الألوان علما واحدا يشمل ما لا يحصره من الأصباغ والألوان فى الكواكب والماء والأرض والزرع والسهل والجبل والحيوان والانسان فكيف بما بقى من العوالم المقتدرة (٣٦) علما . فلو ان الانسان أرقى من ألواح أهل الأرض . فألواح أهل الأرض الحجرية وغيرها ليست شيئا مذكورا بجانب لوحة الانسان لأنها تسع ما لا ينتهى من العوالم مع صغرها . فلو ان الانسان واحد يشمل عوالم لا تنتهى لعدتها وهو أشرف من ألواح أهل الأرض وكتبهم وطواميرهم ودفارهم فهو أشرف البوابين وأرقاها وأعلاها وهو يدل الانسان على الله وسعة علمه وأنه واحد وعلمه واحد ولو حة المحفوظ واحد يجمع ما لا ينتهى وإذا قال

الله - بل هو قرآن مجيد \* في لوح محفوظ - وقال - كل في كتاب مبين - فان هذا البيان يعرف الانسان ان كتاب الله ليس ككتبتك . واذا كان لوح عقولكم اشرف من لوح تكتبون فيه بما لا يتناهى وأتم في الأرض التي مثلت في العلم الحديث عندكم بجوهرفرد بنما العالم حولها يمثل بألف مليون أرض فكيف بمن خلق هذه العوالم كلها ونفاكم في هذه الذرة الخفية وقال لكم - وما أوتيت من العلم الا قليلا - فلا جرم يكون لوحه المحفوظ وكتابه القديم وعلمه بالنسبة لما لاح لكم في عقولكم اكبر وأكبر من نسبة العوالم لكم في أرضكم الخفية وبهذا تفهمون قول الامام الغزالي \* ان اللوح المحفوظ كالقوة الخفية في الانسان \* فان هذا القول منه ضرب مثل لاغير . فكما ضرب الله المثل باللوح الذي ترونه أمامكم ضرب الغزالي مثلا بلوح أشرف منه وهو القوة الخفية في الانسان كلاها ضرب مثل يقرب المعنى . ثم قال لي ذلك الهاتف فهذه أول ثمرة من ثمرات هذا المثال الذي أمامك تعرف به معنى \* من عرف نفسه عرف ربه \* فلائكة الله مطيعون له طاعة الحواس للانسان ولكن بالاتباع ولا تميل فاللائكة عوالم مستقلة خلقها الله كاخلاق الارواح فايك أن تظن غير ذلك . فكما خلق الكواكب والأرض والسماء خلق الملائكة فهم مخلوقون لله كالأجسام وهم له مطيعون (الثمرة الثانية) الايقان باليوم الآخر وهنا بيت القصيد . انظر رحك الله وتبج من غراثر الانسان وطائفه (١) انك لا ترى حيوانا ولا انسانا إلا وقد خلق فيه دافع بدفعه للتغذية وتناول الطعام والشراب فالطفل بكى للطعام فوجد لبن الأم وغير الطفل أحس بجوع يؤله فوجد مقتضى ذلك الألم ومطالبة وهو الطعام أشكالاً وألواناً وأنواعاً . فهذا عجب كان الغرائز هي نبراس هذه الدنيا وكان هذه الأجسام الحيوانية والانسانية نموذج هذا الوجود أحست بالجوع وأحست بالعري فوجدت طعاماً وملبساً . هذا عجب أن تكون غريزة الجوع والعطش والاحتياج لللبس مقرونة بوجود ما يناسبها وهذا أعجب العجائب أن تكون البواطن والرائز مخلوقات على نسبة العوالم الخارجية . ومعنى هذا أن القوى التي فيكم لم تخلق إلا ومعها مطالبها وهذه فائدة عظيمة جدا سيكون لها شأن عظيم

(٢) ثم هنا مسألة ثانية وهي مسألة حب الرجل للمرأة وحب المرأة للرجل وهكذا كل ذكر وكل أنثى من كل حيوان في الأرض فهذه كلها يهوى ذكرها أنثاها والعكس أحب الذكر أنثى فوجدتها أي ان أعضائه هيئت وغريزته الباطنة خلقت متناسبة مع وجود أنثى تكون معه وهكذا أمر المرأة مع الرجل فبن العجب أن كل واحد منهما وجد الآخر فذكر الحيوان والانسان كونهما لصاحبة لأنثى فحصل ذلك فعلمنا أن شهوة التناسل لما خلقت في كل منهما لم تعطل كما لم تعطل شهوة الغذاء وهذا عجب ثم قال أنا أقول لك هذا عجب ولكنكم أنتم لا تهتجون لأن العجب انما يكون من الغريب وهذا أمر واقع فيكم فلا تعقلونه

(٣) ثم ان كلام من ذكر ان الحيوان والانسان أحب أن يكون له ولد فحصل ذلك نتيجة لما تقدم (٤) ثم ان الانسان منكم يحب أن يكون له ملك وحشم فتم ذلك لكم قليلا أو كثيرا . وخلق للأسد أنياب ممددة لتأكل اللحم . خلق له الحيوانات آكلات الحشيش . وخلق في بني آدم أناس مغرمون بالعلم وآخرون مغرمون بالملك فكان العلم وكانت الممالك

(٥) وقد خطر للانسان من أول تاريخه وتحت أن يطير في الجو ليسى الى حبيبه ويجتمعا حتى قال الشاعر العربي

بكيت على سرب القطا لذرمرن في \* فقلت ومثلى بالبكاء جدير  
أسرب القطا هل من يعبر جناحه \* لعلى الى من قد هويت أطير  
لجأوني من فوق غصن أراك \* ألا كنا يا مستعير نغدير  
وأى قطاة لم تعرك جناحها \* فعاشت بذل والجناح كبير

فلم يكن الانسان في هذا الحاضر الا أوغابا . كان الشاعر يقول ذلك وما كان ليخطر له أن الانسان يوما سيطير في الجو ويشارك الطير . إذن خواطر الانسان وأمانيه محترمة فلقد طارت فتاة أمريكية من أمريكا الى أوروبا في ساعات معدودات تحركت الشركات للسير بين القارتين بالطيارات . إذن هذا الشاعر كان خاطره حقا فقد صارت الطيارات اليوم تجرى في الساعة ٣٠٠ كيلومترا مع ان قطار السكة الحديدية يجري نحو ٦٠ كيلو في الساعة وقد سار الطيارون في قارة استراليا واخترقوها في سائر جهاتها وقطعوا مفازة هناك مسافة ١٥٠٠ ميل بين مدينتي (برث) و (دربي) هناك و ٤٨٠ ميلا من (اديليد) الى (مليبورن) ٥٠٠ ميل من (مليبورن) الى (سدي) ٥٠٠ ميل من (سدي) الى (برسين) وهناك شيخ في السبعين من عمره قطع بالطيارة في يوم ١٢٠٠ ميل مع انه كان يقطع هذه المسافة في ستة أسابيع على جواده وقد سرت الطيارات الى مسافات أكثر من أربعة ملايين ميل من غير أن يصيب أى راكب من ركابها أوسائق من سائقيها أو ميكانيكي بها خدش في أصبعه

فتبين من هذا أن مآلنا الانسان من الطيران حصل فعلا ولابد من أن حال الانسان وأعماله ستغير في القريب العاجل ولا يعلم إلا الله ماذا سيكون غدا وإن غدا لناظره قريب وإلى هنا انتهى الأمر الخامس (٦) إن الانسان فوق ذلك قد أحب البقاء الى مالهاته له وعشق الكواكب وأحب البحث فيها والاطلاع على عجائبا . هذه غريزة من غرائز الانسان وهي غريزة مقدسة لها قيمة بل هي أرقى مما قبلها واشتهى الطعام فوجده والزوجة فوجدها وهكذا الولد والمال وأن يطير في الهواء فهكذا هو يشتهي أن يطوف العوالم كلها ويسير بين النجوم ويعيش الى الأبد . هذه جبل عليها الانسان . أحب الانسان الاطلاع على العوالم . ثم قال هذا المصنف لى بعد ذلك لقد جاء في كلامك سابقا في سورة (الأنعام) وفي سورة (يونس) كلام عن الكواكب والمجرة . والسدم (جمع سديم) وهذه كلها عوالم يجب الانسان الاطلاع عليها فكيف تقطع هذه الغريزة ولا تعطل الغرائز التي قبلها ولم تصدق تلك ونكذب هذه . كلا . هذه غريزة صادقة لأن ما قبلها صادق كله . إن هذا القول أقوى الأدلة على بقاء أرواحكم واطلاع الفضلاء منكم على العوالم العلوية والمنكرون منكم بعد الاطلاع على هذا البرهان انما ينكرون بالاستبعاد لا غير . فكما استبعد الناس الطيران في الجو لأنهم لم يروا الناس يطيرون هكذا هم يستبعدون بقاء الأرواح والاطلاع على العوالم العلوية لأنهم لم يروا أرواحا تطير في الجو وتشاهد الكواكب بعد موتها . أما العقل فقد شهد بهذا البرهان . فقلت هل تسمح لي أن أناقشك . قال قل مائشاء . قلت أنت بنيت هذا البرهان على الشوق والحب وأن كل ما أحبه فطرنا العاقبة لابد من وجوده . فكما كان الغذاء والنساء والأموال والطيارات وقد طلبها نفوسنا . هكذا سئقي أرواحنا وتطلع على العوالم العلوية ولكني أقول في اذا خاطبت الناس بما تقول ردوا على قائلين هذه الحجة مردودة لأن الشوق الى الاطلاع على العوالم العلوية ليس عاما في الناس بل هو خاص بطبقة ممتازة فكيف أدخلته في البرهان فرد على قائلنا ليس اختصاص غريزة الاطلاع بطبقة من الناس قادما في انها غريزة . أأنت ترى الأطفال لا يفرحون بجمال النساء وانما يفرحون بالحلواء . فما مثل الحكماء في الأمم لا لاكتل البالغين العارفين بقيمة النساء فالتاسي جميعا بالنسبة لهذه الطاقة الممتدة أشبه (بالعين) بكسر العين التي لا يرى وجهها لمصاحبة النساء وزواجهن . فقلت قد فهمت . فقال ودونك عالم السموات . هذا العالم البهيج . انظر ماذا ترى . انه يظهر فيه كل يوم كشف جديد عندكم فقد ظهر لكم في هذه الأيام أن هناك (سدما لولبية) وهذه السدم ظهر انها عوالم مستقلة كنظام مجرة . وكل سديم منها سعة كسعة مجرتكم ومجرة تكم قرص عدسي الشكل طول قطره نحو مائة ألف سنة نورية وعرضه ٢٠ ألف سنة نورية . ومعنى هذا أن النور الذي يجري من الشمس الى الأرض في (٨) دقائق و (١٨) ثانية . وما بين الشمس والأرض يقطعه القطار في أكثر من ٣٥٠ سنة

وتقطعه قلة المدفع في ١٢ سنة . فهذا النور لا يقطع طول مجرتك إلا في مائة ألف سنة إلى آخر ما تقدم  
ومن هذه السدم التي تعادل مجرتك ما يقال له (غيوم مجلان) ومنها ما يقال له (سديم المرأة المسلسلة)  
ومنها ما يقال له (الشلياق الخلق) ومنها ما يقال له (سديم السلاق اللوبي) ومنها ما يقال له (سديم الجبار غير  
المنظم) . ولقد وجدوا أن (سديم المرأة المسلسلة) يبعد عنك نحو (٩٠٠) ألف سنة نورية ، وهناك  
(سدم لولبية) تبعد عنك أضعاف ما تقدم ، وهناك سدم تبعد عنك مائة مليون سنة من سنى النور . ثم  
إن (سديم المرأة المسلسلة) يحير نحو مجرتك بسرعة (٣٠٠) كيلومتر في الثانية وأكثر السدم اللولبية تبعد  
بسرعة (٦٠٠) كيلومتر في الثانية . ثم إن جرم (سديم المرأة المسلسلة) يساوي جرم شمسك ألفي مليون  
ضعفاً وأن هذا السديم يستغرق (١٧) مليون سنة للدوران على نفسه مرة واحدة وأرضكم تدور على نفسها  
مرة واحدة كل ٢٤ ساعة (انظر صور هذه السدم الأربع في الصفحة التالية)

ثم قال لي . هل تذكر شيئاً عند اطلاعك على هذا . قلت نعم تذكرت قوله تعالى - وإن يوما عند  
ربك كالف سنة عما تعدون - وقوله - في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة - فهو ما حدثهذه المدد على  
قدر عقولنا والافند الله أيام كل يوم منها مائة ألف سنة أو مليون سنة وهذا يوم مقداره (١٧) مليون سنة  
لا كالسنتين عندنا بل هي سنة نورية والسنة النورية تعد سنوها المعتادة عندنا بالملايين . فقال أحسنت إذ  
فهمت . فقلت الحمد لله رب العالمين . فقال إن ولوعكم بهذه المجاب دليل على بقاءكم بعد الموت كما كان  
ولوعكم بالطعام والنساء وبالطيران دليلاً على حصولها وقد جاءت في الوجود ، ثم البرهان على - اليوم  
الآخر - والحمد لله رب العالمين . كتب في ليلة الثلاثاء ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٨ م

﴿ لطيفة في قوله تعالى - ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً - ﴾  
اعلم أن هذا أمر أهمل قواه ونفسه . أما ذلك الذي جعل حياته كلها نافعة علماً ومجلاً فإنه إذا كبرت  
سنه فإن عقله يزيد لا ينقص . ولقد أحصوا المخترعين في أوروبا فوجدوا أكثرهم ممن زادوا على الستين .  
ولقد رأيت المرحوم الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الأزهر سابقاً قد عاش نحو ١١٥ سنة وهو قوي العقل  
بديراً الجامع الأزهر كله بعقل منير وفكر حاضر . ومن أعجب العجب أن يكون رجال من أوروبا مثل (كلتسو)  
الوزير الفرنسي يحس في نفسه في زمن الشيخوخة بأنه شاب إذ بلغ الثمانين وهو نشيط كالشباب قد أتم الصلح  
مع ألمانيا وذهب إلى بيته في الريف يفكر لمنفعة بلاده وهو لا يصدق أنه شيخ . جاء له الدكتور (فورنوف)  
ليجري له عملية جراحية ترجع له الشباب فقال لست شيخاً . يقرأ كتب الاغريق ليعرف علم المتقدمين  
ويكتب مقالات في الصحف ويقول ﴿ يجب أن تلقى مرساتنا ونستقر على صخر المعرفة ﴾ ويقول ﴿ كل  
يوم يمر في هورهان لي على أني أجد نفسي بنشاط عقلي ولست أعرف شيئاً كثيراً ولكني أقبل ما أعرفه  
كبدي كما أقبل نتيجة معرفتي ﴾ ويقول للشباب ﴿ يجب أن تسموا لي أكثر ما تستطيع حتى تحصل على  
أقل مما ترمي إليه ﴾ . ويلعب الألعاب الرياضية في الشيخوخة كأنه شاب ولا يشرب الخمر والتبغ ويقول انهما  
دون رجوليتي . هذا رجل افرنجى والله يقول لنا في القرآن - وأما ينفع الناس فيمكث في الأرض -  
ويقول بعض العلماء عندنا ﴿ إن العالم يكون أطول عمراً من غيره ﴾ وهذا حق فقد ثبت بالأحصاء أن جال  
الذين أطول أعماراً وأن النابغين العبقريين أطول أعماراً من الجميع . فإذا كان أهل أوروبا الذين حاد  
مجموعهم عن الفضائل النفسية قد ظهر فيهم أمثال هؤلاء فأولى ثم أولى نحن المسلمين فإن ديننا يأمرنا بكل  
ما هو جليل . انتهى

﴿ إيضاح الكلام على التبوغ (العقريه) وبيان أنه يدخل في قوله تعالى - وأما ينفع الناس فيمكث في الأرض - ﴾  
قد شاعت في أوروبا فكرة أن النابغين العبقريين مجانين وانهم يموتون ناقصي العمر وألف (لومبرزد)



(شكل ٢ سديم الجبار غير المنتظم)



(شكل ١ سديم السلاقي الأولي)



(شكل ٤ - سديم الشايفان الخلق)



(شكل ٣ سديم المرأة المسلسلة الأولي)

كتابا كبيرا في هذا المعنى وتلعبه (ماكس نوردو) له كتاب أكبر منه وقد رأيت في كتب (جوستاف لوبون) المترجمة ما يفيد أن التابعين نصف مجانين . والحقيقة التي لا مرأى فيها أن التابعين لهم صفات منها (١) انهم في زمن الصبا يحسون بنقص وشين بلحقهم فيجعلن حياتهم وقفا على العمل كي يرفعوا أنفسهم من الخزي والعار

(٢) ثبت بالاختبار أنهم يعنون بصحتهم أشد العناية ودليلك على ذلك ما جاء في التوراة من عنابة كثير من الظلماء للذكورين فيها بصحتهم . وترى الصحابة والتابعين يتجنبون اللذات ويحرقونها زهدا في الدنيا وكان ذلك صحة لهم وكانوا يحافظون على النظافة وعلى السواك والسواك اليوم القدح الملعى وكانوا يأكلون الخبز غير منخول الدقيق زهدا وظهر اليوم انه أعظم وأفيد للصحة وظهر الآن بعض سر قوله تعالى - ولتسألن يومئذ عن النعم - وبعض سر قوله تعالى - أذهبتم طبيائكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها - الخ وأن الاكثار من أكل الحلوى وأنواع اللحوم . كل ذلك مقصر للأعمار مخرب للأدمى مدلل للفوس . (اقرأ هذا المقام في سورة طه عند قصة آدم وابلis في آخر السورة)

وكان (افلاطون) يقول (الجسم السليم يرقى بالنفس كما ان النفس السليمة ترقى بالجسم) إذن النابعة بحس بنقص في الشرف وفي الجسم فهو أبدا يجتهد في اكمال نفسه فيها (٣) وقد ثبت بالاحصاء أن هذه الطاقة تعيش طويلا فقد أحصى أحد الأمريكان عدد الذين بلغوا السبعين بين العبريين فوجد انهم خسة أضعاف نسبتهم بين سائر الناس فقد بلغ (نيتيان) الرسام الطلياني المائة من عمره ومات بالطاعون ولكن كان موته أمرا مستغربا عند أصحابه لما كانوا يعرفون فيه من القوة وكان (كارليل) معمودا فبلغ ٨٢ سنة وكان يسير في هذه السن خسة أميال في اليوم . وكان (فاجنر) ضعيف الجسم فعاش الى السبعين . وكان (نابليون) مزاجه أشبه بمزاج الانثى فقاوم نفسه حتى صار يدوس الدول دوسا . انتهى

إذن تبين من هذا كله أن قول بعض أساتذتنا في قوله تعالى - وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض - له شاهد من الواقع الحاصل في الأمم وأن حصول الخرف والجهل بعد العلم يتأخر في هذه الطبقة أولا يكون وإنما قلت هذا ليكون نموذجا لأناس يظهرهم الله في أمة الاسلام ويرون في أنفسهم همة عالية فيلعموا أن الله مع المحسنين وأن هذه القاعدة التي وضعها للناس في أنه يجعلهم عذرين تتأخر في هذه الطاقة النافعة للناس لأنه خصصهم لنفع عبادته وخير الناس أنفسهم للناس والحمد لله رب العالمين

### ( الْقِسْمُ الثَّانِي )

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِذْ فِيهِ بِالْهَادِي يُظْلَمْ نُذِقُهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ \* وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ \* وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ \* لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَنَّمَا اللَّهُ فِي أَيْامِهِمْ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَاكْلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَالْإِنْسَانِ الْفَقِيرِ \* ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ \*

ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ خُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَحْلَلْتُمْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُبْتِغَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِِبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِِبُوا قَوْلَ الزُّورِ \* خُفَاءٌ لِلَّهِ غَيْرٌ مُّشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ \* ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرُ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ \* لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ يَحُلُّهَا إِلَىٰ الْيَتِّتِ الْعَتِيقِ \* وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّذِكْرِهِمْ أَسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِنَّهُمْ كُفِرُوا إِلَهُ وَاحِدٌ قُلْ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْخَيْرَيْنِ \* الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَبِمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ \* وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَأَذْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمَعْرَ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاكُمْ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ \* لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتَكْبَرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ \*

(١) اعلم أن هذه السورة متصلة بما قبلها فان آخر سورة (الأنبياء) كان في أمر القيامة كقوله تعالى - يوم نطوى السماء كطي السجل للكتب - وما قبلها من الآيات كقوله - واقرب الوعد الحق - الخ وأزل هذه الاستدلال على البعث بالبراهين العقلية

(٢) ان السور المتقدمة قد أقيمت فيها الحجج الطبيعية والنبوية على الالوهية غالبا . أما في هذه السورة فقد جعل العلم الطبيعي من براهين البعث كما انه من براهين وجود الله . لقد جاء ذكر العلوم الطبيعية في (سورة الحجر) على مقتضى ترتيب المواليد . وهكذا تكرر ذلك في السور بعدها . وما هي هذه السورة قد جئ فيها بعلم الأجنة استدلالا على البعث وكذا بنظام المواليد الثلاثة استدلالا عاما في قوله - ألم تر أن الله يسجد له من في السموات والأرض - الخ فهنا سلسلة المواليد منتظمة تماما . كواكب للأضواء عليها وجبال وشجر ودواب والناس ثم حشرهم وهذه هي المواليد من أولها الى آخرها غاية بالعلوم الطبيعية

(٣) تقدم في السورة السابقة وما قبلها ذكر الأنبياء وبراهينهم لقومهم . أماني هذه السورة فالخطاب من الله رأسا للأئمة الحاضرة وهو خطاب يسترعى السمع ويوجب علينا ولو على سبيل فرض الكفاية تفصيلا وفرض العين اجالا أن نعرف جميع ماضع الله في أرضه وسماه وما دبر في خلق الأجنة والنبات والحيوان

(٤) ولما تم الكلام على الاستدلال على البعث والحق به شرع سبحانه يذكرنا بما يناسبه وهو أما كن الحجج وأعماله فان الحجج انتقل من حال الى حال جديدة . ففيه يترك الانسان وطنه وملابسه المعتادة ويصرف ماله ويلي دعوة ربه رافعا صوته بالتلبية تاركا لبس الخيط مهرولا ما بين جبلين طائفا حول بيت الله واقفا والشمس فوق رأسه وهو مخبت خاشع والناس معه كذلك ملين لربهم خاضعين له واقفين معا فلا أهل ولا مال ولا ولد راجعين الى منازلهم تائبين من الخطايا منتظرين الموت . كل هذا أشبه بالخشى في أكثر صفاته لتلك ذكر الله الحجج بعد البعث فقال (لن الذين كفروا ويصنون عن سبيل الله) أي وهم يصنون (و) عن

(المسجد الحرام) أى الدخول فيه (الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه) أى المقيم (والباد) الطارى  
أى جعلناه للمسجد الحرام للناس مستويا فيه العاكف والباد فهما مرفوعان بسواء الذى هو منصوب عند خفض  
\* وقرئ - العاكف - بالجر على البذل من الناس (ومن يرد فيه) فى المسجد الحرام أى مراد (بالحاد  
يظلم) حالان مترادفان أى عادلان عن القصد ظالما (نذقه من عذاب أليم) فى الآخرة وخبر إن فى قوله - إن  
الذين كفروا - مقترن تقديره نذيقهم من عذاب أليم (و) أذكر (لأننا لإبراهيم مكان البيت) أى حين  
جعلنا لإبراهيم مكان البيت بماء أى مرجعا ليعبد فيه ويعمره إذ رفع البيت أيام الطوفان وكان من ياقوتة  
حراء فأعز الله إبراهيم مكانه برج أرسلها فكنست مكان البيت فبناه على أسه القديم وأوحينا إليه (أن لا تشرك  
فى شيئا) من الأصنام (وطهر بيتي) من الشرك والأوثان وكل قنر (للاطافين) أى الذين يطوفون بالبيت  
(والقائمين) أى المقيمين فيه (والركع السجود) أى المصلين (وأذن فى الناس) ناد فيهم وأعلم . والأذان فى  
اللغة الاعلام والناس أهل القبلة (بالحج) بدعوة الحج (يأتوك رجالا) مشاة جمع راجل كقام وقام (وعلى  
كل ضامر) أى ركبنا على كل يعبر مهزول تعبته بعد السفر فهزله (يأتين) صفة لنامر أى جماعة الابل  
\* وقرئ - يأتون - صفة لرجال (من كل فج عميق) طريق بعيد (ليشهدوا) ليحضروا (منافع لهم)  
دينية ودنيوية كالغفرة والتجارة (ويذكروا اسم الله) عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها (فى أيام معلومات)  
هى عشرين الحجة عند أبى حنيفة وآخرها يوم النحر وعند ابن عباس أيام عرفة والنحر وأيام التشريق وقيل  
انها أيام النحر وثلاثة أيام بعده (على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها) أمر بإباحة (١) اذا كان الهدى  
تطوعا وكذلك الأنحىة . وأما الواجب فلا يأكل منه عند الشافعى (٢) ولا يأكل من جزاء الصيد والنذر  
ويأكل ما سوى ذلك عند ابن عمر وأحمد واسحق (٣) وقال مالك مثل ذلك وزاد فى التحريم فدية الأذى  
(٤) وأحبب الرأى حرمت الأكل من كل واجب الاדם المتمتع والقران وإنما يأكله الزمن الذى لا شئ له وهو  
قوله تعالى (وأطعموا البائس الفقير \* ثم ليقتضوا نقمهم) أى ليزيلوا أدرانهم أى ليخرجوا من الاحرام بالخلق  
وقص الشارب وتنف الاباط وقلم الأظفار والاستجداد ولبس الثياب . والحاج أشعث أغبر مادام لم يزل هذه  
الأوساخ (وليوفوا نقورهم) ما ينشدون من البر فى حجهم (وليطوفوا) طواف الركن الذى به تمام القصل  
أو طواف الوداع (بالبيت العتيق) القديم لأنه أول بيت وضع للناس أو الذى أعتقه الله من تسلط الجبارة . الأمر  
(ذلك) ومن يعظم حرمت الله) أحكامه وكل ما لا يحل استباحته ومنه الحرم وتكليف الحج والسكعة والمسجد  
الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام فكل هذه من حرمت الله التى لا يحل انتهاكها (فهو) أى فالتعظيم (خير  
له عند ربه) ثوابا (وأحلت لكم الأنعام) أى أحلت لكم أن تأكلوها بعد الذبح وهى الابل والبقر والغنم  
(إلا ما بينى عليكم) تحريمه فيما تقدم فى سورة (المائدة) وهو - حرمت عليكم الميتة والدم - الخ (فاجتنبوا  
الرّجس من الأوثان) أى اتركوا الرّجس الذى هو الأوثان فهى نجاسة معنوية أقيح من النجاسة الحسية  
(واجتنبوا قول الزور) وهو أعم من عبادة الأوثان كتحريم السواحب والبخائر ونحوها وكشهادة الزور  
\* يروى أن النبي ﷺ قال (عدت شهادة الزور الاشرار بالله ثلاثا ولا هذه الآية) والزور من الزور وهو  
الانحراف (حفاء لله) خالصين له (غير مشركين به) وهذا وما قبله حالان من الواو فى اجتنابوا (ومن يشرك  
بأنه فكأنما خر) سقط (من السماء) الى الأرض (فتخطئه الطير) أى تسلبه وتذهب بسرعة (وأتهوى  
به الرج) أى تيل وتذهب به (فى مكان سحيق) بعيد . هذا تشبيه مركب وهو أبلغ التشبيهات ، يقول من  
أشرك فى فقد أهلك نفسه هلاكاً ليس وراءه هلاك بأن صوّرت حاله بصورة حال من خرّ من السماء فتخطفته  
الطير ففرقت أجزأه فى حواصلها . أو عصفت به الريح حتى هوت به فى بعض المهالك البعيدة . الأمر (ذلك)  
ومن يعظم شعائر الله) أى دين الله ومنه فرائض الحج ومواضع نسكه والهدايا وتعظيم هذه اختيارها غالبية النّس



حسانا سمنا (فانها من تقوى القلوب) أى فان تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب . ولأرب أن القلب منشأ كل فجور وكل تقوى (لكم فيها منافع) من الركوب عند الحاجة وشرب ألبانها عند الضرورة (الى أجل مسمى) أى الى أن تنثر (ثم يحملها) أى وقت وجوب نحرها منتهية (الى البيت العتيق) والمراد انها تنعز في الحرم والحرم في حكم البيت إذ الحرم حريم البيت . تقول بلغت بلد العدو وأنت أمتنا اتصل مسيرك بحدوده . وأولى من هذا أن تجعل الشعائر عامة كما تقدم وتعظيمها اتمامها . والمنافع التى للناس فيها تتركز بالتجارة الى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية الى السكعة بالاحلال بطواف الزيارة (ولكل أمة) واسلك أهل دين (جعلنا منسكا) متعبدا كما جعلنا لكم هذا المنسك لأننا هكذا نجتمع قلوب الناس باجتماعهم في مكان العبادة (ليذكروا اسم الله) وحده ويجعلوا نسيتهم لوجهه إذ لاغرض من المنسك إلا التذكر المعبود (على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) عند ذبحها (فإلهكم إله واحد فله أسماؤه) أخلصوا التقرب (و بشر الخئسين) المتواضعين الخالصين (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) هيبة منه لاشراق نورجلاله عليها (والصابرين على ما أصابهم) من البلاء والمرض والمصائب التى لا يقنطرون على إزالتها (والقيى الصلاة) في أوقاتها (وعما رزقناهم ينفقون) يتصدقون (والبدن) جمع بدنة وسميت بذلك لضخامتها (جعلنا لكم من شعائر الله) من اعلام دينه (لكم فيها خير) منافع دينية ودنيوية (فاذكروا اسم الله عليها صواف) قائمات قد صفقن أيديهن وأرجلهن . وكيفية الذكر أن تقولوا عند ذبحها ﴿الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر اللهم منك واليك﴾ (فاذا وجبت جنوبها) سقطت على الأرض أى ماتت (فكلوا منها) أمر بإباحة (وأطعموا القانع) الراضى بما عنده وبما يعطى من غير مسألة (والمعتز) والمعتز بالسؤال \* وقرئ - والمعتزى - (كذلك) مثل ما وصفنا من نحرها قياما (سخرناها لكم) مع عظمتها وقوتها حتى تأخذوها وهى منقادة (لعلكم تشكرون) انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص (لن ينال الله) لن يصيب رضاء ولن يقع منه موقع القبول (لحومها) المتصدق بها (ولادماؤها) المهرقة بالبحر من حيث انها دماء ولحوم (واسكن يناله التقوى منكم) واسكن ترفع اليه الأعمال الصالحة والاخلاص وهو ما رزق به وجه الله ثم كررها ثانيا تذكيرا للنعمة فقال (كذلك سخرها لكم لتكبروا الله) لتعرفوا عظمتها باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره (على ما هداكم) أى أرشدكم الى معالم دينه ومناسك حجه فتقولوا الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أولانا (و بشر المحسنين) الخالصين فيما يأتونه و يذرونه . انتهى التفسير اللفظى . وهنا ﴿خمس النوائف﴾

(١) فى قوله تعالى - والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد -

(٢) فى قوله تعالى - فكلوا منها -

(٣) فى قوله تعالى - لكم فيها منافع الى أجل مسمى -

(٤) فى قوله تعالى - ولكل أمة جعلنا منسكا -

(٥) فى قوله تعالى - لن ينال الله لحومها ولادماؤها -

﴿اللاطفة الأولى فى قوله تعالى - والمسجد الحرام الذى جعلناه - الخ﴾

اعلم أن هذا المقام وهو مقام الحج قد استوفيت فى سورة (البقرة) فارجح اليه إن شئت ولنخص الكلام الآن بما فى هذه الآية واعلم أن الله عز وجل لم يخلق الخلق سدى ولم يخلقهم فى أرضه سهلا بل أحاطهم بضروب الحوافظ التى تحفظهم وهى العقبات التى تمنع عنهم الأذى كما تقدم فى قوله تعالى - له معقبات من بين يديه ومن خلفه - وأن الله يعامل الناس معاملة الرحمة واللاطف والعطف ولكن أكثر الناس يجهلون ذلك جهلا تاما لما انهم مشغولون بأمور المعاش والأخلاق القاطعة للبر عن التذكر والتفكير . واندقت قمتك لك فى هذه السورة انه جعل الهواء صلة بين النبات والحيوان بحيث يكون موصلا لمادة الفحم من نفس الحيوان

الى النبات وبه ينمو النبات ويتخلص الاكسوجين فيذهب الى الحيوان . أما السكر بون الذى بقى في النبات فانه يدوم فيه حتى يأكله الانسان . والمقصود من هذه الجألة أن الناس والحيوان والنبات على الأرض أشبه بأعضاء جسم واحد فالنبات يغذى بكر بون خرج من الانسان والانسان يغذى بنفس النبات وفيه السكر بون ثم هذا السكر بون يذهب الى النبات ثانيا وهكذا . وانما ذكرت لك هذا استكالا على فيمكم ما تقدمت قريبا في هذه السورة وليكون مقدمة الى ماسأتى في هذه الآية . فانظركيف كان كل من الحيوان والنبات يرسل الى الآخر منافع ولا يعلم كل منهما بذلك بل هم جميعا غافلون فالنبات والحيوان والانسان كل هؤلاء غافلون إلا بعض ذوى العقول الكبيرة . فانظركيف أحاط الله الانسان بصنوف النعم ودفع عنه النقم وهو لا يشعر . ومن دفعه النقم عنه أن خلق في الأرض جبالا لتفصل بين الأمم ليصفو فيها الهواء لئلا يكون التعفن فيفسد الجو لتلاصق العمران ولئلا يعمد المرض والعدوى والوباء بلدة الى أخرى وأيضا ليحصن بها من هر بوا من الظلم والجور في المدن الفظالة فيهرعوا الى جوارر بهم في أعلى الجبال ويعيشوا مع الوحوش التي فرت من ظلم الانسان . فالجبال إذن أمان للناس من هذا القليل . هذا هو الأمان الطبيعى والديانات نزات مصداقا لما في الطبيعة واقرا لما هو نافع ونحو بما لما هو ضار . فمن أبدع المنافع وأجل المفاخر الدينية أن جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس وجعل الحرم للناس سواء العا كف فيه والباد وجعله حرما آمنا لاصاد صيده ولا يقتل فيه أحد ومن دخله فهو آمن . اليه يهرب كل مظلوم ويأجأ كل مضطهد فقام في الدين مقام الجبال الشاهقات يكون حصنا يأوى اليه المخافتون وهذا مقامه رفيع وفضله عظيم ففيه يعبد الله وتشرق النفوس وتبتهل الى ربها . وهاك آراء العلماء في الآية

(١) يستوى في البيت العا كف فيه والبادى في تعظيم حرمة وقضاء النسك فيه وفضل الصلاة فيه وهو قول مجاهد والحسن

(٢) أولئذ من المسجد الحرام جميع الحرم والتسوية فيه أن المقيم والبادى سواء في النزول فيه ليس أحدهما أحق بالمزلة من الآخر غير أنه لا يزعم أحد أحدا اذا كان قد سبق الى منزل وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد قالوا هما سواء في البيوت والمنازل \* ويقال ان الحجاج كانوا اذا قدموا مكة لم يكن أحد من أهل مكة أحق بمنزله منهم وأمر عمر أن لاتعاقب أبواهم في الموسم . وعلى هذا لا يجوز بيع دور مكة واجارتها والأرض إذن لاتملك ولوملكت لم يستو فيها العا كف والبادى . فلما استويا كان حكمهما حكم المساجد وهو قول أبى حنيفة . وعلى القول الأول يجوز بيع دور مكة واجارتها وهو قول طاووس وعمر بن دينار وهو مذهب الشافعى وقد قال الله - الذين أخرجوا من ديارهم - فنبهنا اليهم واشترى عمر ابن الخطاب دار السجن بأربعة آلاف درهم اهـ

فانظركيف حرم ابراهيم الحرم ودام تحريمه في الاسلام ليكون ذلك أمنا للناس وموطنا للعبادة وموضعا لاجتماع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وقد اتمن الله بذلك فقال في آية أخرى - ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض وأن الله بكل شئ عليم -

يقول الله انى جعلت البيت الحرام قياما للناس الخ لتعلموا أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض أى لتنظروا أن لا فى حكمه كون الحرم قياما للناس ثم تفكروا في بقیة حكمه فى السموات والأرض التى هى من قبيل العناية والحفظ من الآفات الطارئة عليكم من السماء والأرض فأنا أحفظكم منها ولن تقدروا على معرفتها إلا بالدراسة والعلوم ولن تقدروا اناس أن يدركوا شأنا من عنايتنا بهم إلا بدراستها فاذا آمنتمهم فى الكعبة بطريق الدين . فباحسرة على العباد لجهلهم . فكيف من مصيبة عنهم رفعتنا . وكم من نازلة دفعتنا . وكم من قاصمة كسرتنا . وكم من داهية أنزلناها . فنحن نكأكم بالليل والنهار وأنتم لاتشعرون . فأنا حرمت

الحرم ليفكر العقلاء فيه ويقولوا ان ربنا حرّمه لأنم فيه وهل له أفعال غير هذه واذن يدرسون نظام هذا الوجود ويقولون نعم نحيط بالانسان الرزايّا من كل ناحية ولكن هناك عطف ولطف بمنع المصابب عنه ومنه المسألة المتقدمة في الكربون المتواصل بين الحيوان كنه والنبات . هذا هو معنى قوله تعالى في سورة (المائدة) - جعل الله السمكة البيت الحرام قيما للناس والشهر الحرام - الى قوله - ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وأن الله بكل شئ عليم - . فهذه المسألة انى يظنها الناس سهلة وهى تحريم الحرم فتح باب لدراسة نظام الله في حفظنا في السموات والأرض

واقدر ألهم الله أهل أوروبا أن يعملوا (سويسرا) ملجأ للذين يفرّون من الظلم أو المجرمين السياسيين وقد اصطلمحوا على ذلك . فتجب كيف ألهم الله الناس أن يعملوا عملا قد أنزله الله على ابراهيم بطريق الوحي . فهنا ملجأ سياسى اختاره الناس وهناك ملجأ دينى اختاره الله . ذلك ليعلم الناس أن ربنا هو الذى يلاحظ عباده ويرحمهم في هذه الدنيا . فلما لم تكف الجبال للغارّين من الظلم ألهم قوما أن يلجؤا الى مكان يصطلمحون عليه ليأمنوا فيه . فالجبال مأمّن طبيعى إلهى وسويسرا ملجأ سياسى . والحرم ملجأ إلهى دينى والله يقدر الليل والنهار

﴿ اللطيفة الثانية في قوله تعالى - فكلوا منها - الخ واللطيفة الثالثة في قوله تعالى - لكم

فيها منافع الى أجل مسمى - ﴾

أما اللطيفة الثانية فقد اتضحت في تفسير الكلمات فلا نعيد ما ذكرناه وانما نبين أن أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من لحوم هداياهم شئ فأمر الله بمخالفتهم . وأما اللطيفة الثالثة فاعلم أن المنافع المذكورة في الآية كدسرها ونسلها وصوفها ووبرها وركوب ظهرها . فهذه المنافع قد اختلف فيها العلماء (١) اذا جعلها الانسان هديا وسماها لذلك لم يكن له بعد ذلك شئ من منافعها عند مجاهد وقادة والضاحك ورواية عن ابن عباس ومنافعها له قبل ذلك التعيين (٢) للهدى تلك المنافع بعد التعيين للهدى فتركها و يشرب لبنها عند الحاجة الى أجل مسمى أى الى أن تنجر عند عطاء

(٣) يجوز ركوبها والحل عليها من غير ضرر بها عند مالك والشافعى وأجد واسحق ويجوز كذلك

أن يشرب من لبنها بعد ما يفضل عن رى ولدها

(٤) لا يركبها إلا أن يضطر اليه وهذا لأصحاب الرأى

(٥) والشاعر غير ذلك من المناسك منافعها بالتجارة والأسواق الى أجل مسمى أى الى الخروج من مكة وبالأجر والثواب الأخرى فى أعمال مناسك الحج الى انتهاء أيام الحج

﴿ مسامرة في قوله تعالى - فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر

كذلك سخرها لكم لعلكم تشكرون - ﴾

حادثى رجلان قد حجّا في هذا العام (سنة ١٣٤٦ هجرية) أحدهما من بجوىون الأقطار ويتقوّن الأنصار ويعاشرون الكبراء والأمراء وأهل الحل والعقد . والثانى من العامة وأهل الصناعة فاتحدث آراءهما على ما يأتي

﴿ إن الحاج اذا حلوا (منى) ونصبوا خيامهم بعد الافاضة من عرفات يتقربون الى الله عز وجل بالهدايا والضحايا من الابل والغنم ويتكئون أكثر تلك الهدايا على الجبال المحيطة بهم صباحا فلا تجبى الضحوة الكبرى إلا وقد انتشرت الروائح اللطنة الحية فلكت الهواء . ودخلت الأنوف واحتات كل رئة من رئات الحاج الذين هاجروا الى ربهم . وهذا التغير السريع وفساده بسبب الحرارة الشديدة من الشمس والان هذا الزمان يكون

الحج فيه صيفا والصيف قوى الحرارة لاسمها في الأفطار الحجازية المحرقة بالحرارة السكاوية القاتلة فلا عجب اذا امتلأ الحق بالعفونة في بضع ساعات فلا ترى القوم إلا أناسا مالت رؤسهم وتقلصت شفاههم وحانت منبتهم وأودعوا قفرا . ولا سبب لهذا إلا فساد الحق بما خالطه من تلك الروائح الكريهة القاتلة من الهدايا والضحايا في العبد وفي أيام التشريق . فلما سمعت ذلك منهما في حديث طويل . قلت لهما . أليس هناك فقراء يتناولون هذه اللحوم . قالوا . كلا . ثم كلا . قلت ان هذا أمر منكرو . كيف بغفل المسلون عن هذه الأمور المحزنة ثم سألتهمكم كم عدد الذين يموتون . فقالا مامن عشرة أو ثمانية إلا مات منهم واحد أو اثنان . فقلت كم عدد الحجاج في هذه السنة . فقالوا يقر بون من ثمانية ألف . فقلت وبكم تبلغ الهدايا التي يتقربون بها . فقالوا تقدر بمبلغ ( ٥٠٠ ) ألف جنيه أو أقل قليلا . فقلت يا عجب . ان صح هذا تكون هنا ( مصيبتان ) بل مصيبتان وهما هلاك أنفسنا وهلاك أموالنا . أما الأموال فهي تلك الضحايا التي جعلها الله لأهل مكة وسكان حرمه الشريف حلالا يأكلون منها كما قال تعالى على لسان إبراهيم - فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكروا -

اللهم إنك قد استجبت دعوة إبراهيم عليه السلام . وهاهي ذه القلوب تهوى إليهم . وهاهي ذه الثمرات قد رزقوها ونكثهم لم يعاطوها . فيا عجباً لأمتنا الإسلامية . يقول الله تعالى - لعلهم يشكروا - فهل شكر أهل الحرم على هدايا تقدم لتعطي الحق عفونة ورائحة خيبة . هذا ما كان من أمر الهدى . أما الأنفس وهلاكها فإن هذه الضحايا والهدايا بدل أن كانت نعمة لبقاء النفوس وحياة المسلمين من أهل الحرم أصبحت وبالا وهلاكاً للحجاج القادمين من الأفطار . فسكان هذه النعم انقلبت نقما على أولئك الحجاج بهلاكهم وعلى نفس أهل الحرم لأن الناس اذا عرفوا أن الوباء يحمل بساحتهم في مني بسبب الضحايا وشاع ذلك وذاع بنفرا للعلاء وأهل العلم عن الحج ولا يجح بعد ذلك إلا الجهلاء ، فاذا فرضنا أن ( ٣٠٠ ) ألف حاج يموت منهم في ( مئتي ) عشرة آلاف أو عشرون ألف فهذا عدد لا يستهان به . وهذه مصيبة كبرى لا تحتملها دين الاسلام فما كادت أنطق بهذا حتى ابتدرني أحد أهل العلم وكان حاضرا في المجلس فقال ماهذه الضجة وما هذه المخاوف ومن أين أتيت بهذه الأقوال ومن قال لك ان رائحة الذبايح والهدايا والضحايا تورث الموت والطاعون . قات أسمعك كلام المؤرخين والأطباء فتبسم قليلا وقال قل . فقلت . قال العلامة ابن خلدون في مقدمته تحت عنوان ( فصل في وفور العمران آخر الدولة وما يقع فيها من كثرة الموتى والمجاعات ) مانصه

( وأما كثرة الموتى فلها أسباب من كثرة المجاعات كما ذكرنا أو كثرة الفتن لاختلال الدولة فيكثرة المخرج والقتل أو وقوع الوباء . وسببه في الغالب فساد الهواء بكثرة العمران لكثرة ما يخاطه من العفونات والرطوبات الفاسدة وإذا قسد الهواء وهو غذاء الروح الحيوانى وملابسه دائما فيفسد الفساد الى مزاجه فان كان الفساد قوي وقع المرض في الرئة وهذه هي الطواعين وأمراضها مخصوصة بالرئة وإن كان الفساد دون القوى والكثيرة تتر العفن ويتضاعف فتكثر الحمايات في الأمترجة وتعرض الأبدان وتهلك . وسبب كثرة العفن والرطوبات الفاسدة في هذا كما كثرة العمران ووفوره آخر الدولة ) انتهى المقصود منه

هذا كلام ( ابن خلدون ) وهو من أجل علماء الاسلام المطلعين على العمران بل يقل نظيره في الأمم المتأخرة الإسلامية . وقد جاء في كتاب ( كنوز الصحة ) المؤلف حديثا أيام عصر محمد على باشا الكبير بمصر مانصه ( في صفحة ١٧١ عند الكلام على الطاعون )

( إن مرض الوباء يكون في الغالب قاتلا ومن أصيب به يموت سريعا بعد ٢٤ ساعة أو ٤٨ ساعة وذكر الصلاح ولا عجل لذكره هنا . ثم قال أغلب الأطباء يقولون بعدوى هذا الداء وأنه ينتقل من شخص لآخر باللامسة لاسمياً أطباء أوروبا فلذا اخترعوا ( الكورتينا ) وهي كلمة معناها ( أربعون ) أعني ان الأشخاص

الظنون فيهم ذلك يمتكثون مدة أربعين يوما في محل واحد لا يحل عليهم أحد معوضين للهواء في انتهى فلما سمع جلسنا العالم ذلك ضحك واستغرق في الضحك وصار يضرب كفا على كف وقال - قل بأبائه وآياته ورسوله كنتم تستهزئون - . أبهذا تحيدون . أنقول في دين الله وتستبدل عليه بكلام مؤرخ تارة وطيب تارة أخرى . مالنا ولاين خلدون . ومالنا وليكتاب (كنوز الصحة) . انت تقول ان ترك الضحايا على الجبال أورد الموت لبعض الحاج فطلبت منك أن تبرهن على أن هذا الترك منكر فلم تشف غليلا . ترك الناس هداياهم التي أمرهم الله بها على الجبال بى والشرع لم يحرم ذلك . هذه سنة متبعة لا يسأل الله أحدا عن ذلك . سبحنا الضحايا وتركناها أما تعفن الجوق وما أدراك ما تعفن الجوق فهذا أمر لا دخل له في الدين فمن مات من الحجاج مات بأجله وسواء أكان سببه ما زعمته من الروائح الكريهة أو غيره فهذا شئ والهدايا والضحايا شئ آخر . المسلم لا يلزمه أكثر من ذلك ولم نسمع عن علمائنا مثل ما تقولوه وقد قال الله تعالى - ما جعل عليكم في الدين من حرج - . سبحنا الهدايا وتركناها ونحن لسنا مسؤولين عن شئ غير هذا . أما قولك في الهواء الطاؤون والكسرتين فهو بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار . فدعنا من هذه الأراجيف واتق الله ولا تضع وقتك فيما لا يفيد . فلما أتم صاحبى مقالته صدق عليه الحاجبان اللذان ألقيا إلى هذا الحديث وأثنا على كلامه وقال بلسان واحد إن بعض المتنورين هناك سألوا بعض العلماء فقالوا لهم هذا أمر الشرع فلم نفهم أما الآن فقد عرفنا الحقيقة . فتح الله عليك أيها الشيخ فاقده أثرت بصارتنا وشرحت صدورنا وقد كان الشيخ طنطاوى يكاد يضلنا عما وجدنا عليه علماءنا والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . فلما أتموا مقالاتهم قلت لهم جميعا هذا بيت يثبتونه على غير أساس فلا سمعكم ما يهدمونه من أساسه ولتعلمن نبأه الآن . فقالوا ليس في الامكان أبدع مما كان والا فانت يبرهان . فقلت قد ذكرت في (سورة الكهف) في التفسير ما قاله ابن القيم وهذا نصه تحت عنوان (في تغير الأحكام بتغير الأزمنة والأمكنة والعرف) قال هذا فصل عظيم النفع جدا وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة أوجب الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل اليه وما يعلم أن الشريعة الباهرة لا تأتي به فان الشريعة مبنية على أسسها على الحكم والمصالح وهي عدل كلها ورحمة كلها وحكمة كلها وكل مسألة خرجت عن العدل الى الجور وعن الرحمة الى ضدها وعن المصلحة الى المفسدة وعن الحكمة الى العبث فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل . وقد ذكرنا لذلك أمثالا منها انه شرع لهذه الأمة وجوب انكار المنكر وتغييره ولكن اذا كان انكار المنكر يستدعى منكرا أشد منه فانه لا يسوغ الانكار في هذه الحالة الخ . انتهى المقصود من كلام ابن القيم الذى نقلته في سورة الكهف وهو صريح في أن المفسدة تجتنب في الاسلام . فبالله أى مفسدة أكثر من ضياع ٥٠ ألف جنيه بلا فائدة لأهل الحرم وهلاك آلاف من حجاج بيت الله الحرام . فقالوا بلسان واحد أيها الأستاذ إذن أنت تريد أن تهدم نفس الاسلام فان الهدايا التي ورد بها صريح القرآن تريد أنت تحريمها . إن تلك الضحايا والهدايا منها الواجب ومنها المندوب فانت بهذا التقرير قد جعلت الواجب أو المندوب حراما . فقلت حاشا لله فان هذا كفر واتى أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين وانما الذى أتبعه أن نسير على سنن القرآن والقرآن لم ينزل لما يضربنا بل نزل لما ينعفنا . وهذه الهدايا اذا صح ما قلتموه لي انقلب خيرها شرا وهذا لا رضاه جاهل فضلا عن عالم وهذا قول اعلم من أئمة المسلمين عرف حقيقة الاسلام وفهم قوله تعالى - اعلمكم تتفكرون في الدنيا والآخرة - فانه أمر بالتفكير في الدنيا قبل الآخرة . فابن القيم رحمه الله تفكر وصرح بالحقيقة ومن لم يحكم أمر الدنيا فليس له في الآخرة من نصيب . إن الهدايا في (منى) مصلحة ولكن ترتبت عليها مضرة ضياع الأنفس والأموال وهي انما كانت لبقاء الأنفس لا هلاكها . فليجهد المسلمون للتخلص من هذا المرض والجهل العظيم والعار على أمة الاسلام . اللهم ان هذه غفلة وعلى المسلمين أن يتخلصوا منها . فقالوا فهل أنت عندك

مخرج لذلك . فقلت أنا لا أقول شيئاً فرمى بوافق مذهبا وبخالف مذهب . ولكنى أترك الأمر لمجلس يجتمع فيقرر ذلك من علماء الأمة فيكون اجابيا . فقالوا ان ما ذكرته عن ابن القيم حسن وأقرب البنا من كلام المؤرخين والأطباء . ولكنه قول عام ونحن الآن في أمر ديني عظيم فنحن نرفض الاكتفاء به فان كان عندك علم فائت بنا به والا فارجنا من مقالاتك الذى أطلت به في هذا المقام . فقلت أليس دين الاسلام يجري على مقتضى سنن الله عز وجل والعقل . فقالوا يظهر أنك ليس عندك فوق ما تقدم لأن هذا القول داخل في قول ابن القيم فدعنا منه واتنا يرهان والا فسلام عليك . فقلت ها كم ماورد في السنة جاء في الربع الرابع من (الإحياء) في باب التوكل (صفحة ٢٦٠) مانصه

﴿ فان قيل ان من شرط التوكل أن يترك الانسان الحجة والفصد عند تبغيق الدم فانه يجب أيضا أن يكون من شرط التوكل قياسا على ذلك أن من تادغته عقرب أوحية لا ينجيها عن نفسه إذ الدم يلدغ الباطن والعقرب تلدغ الظاهر فأى فرق بينهما فان قال قائل وذلك أيضا شرط التوكل فيقال ينبغي أن لا يزال لدغ العطش بالماء ولدغ الجوع بالخبز ولدغ البرد بالجملة وهذا لا قائل به ولا فرق بين هذه الدرجات فان جيع ذلك أسباب رتبها مسبب الأسباب سبحانه وأجرى بها سننه . ويدل على أن ذلك ليس من شرط التوكل ما روى عن عمر رضى الله عنه وعن الصحابة في قصة الطاعون فانهم لما قصدوا الشام وانتوا الى الجاية بلعهم الخبر أن به موتا عظيما ووباء ذريعا فافترق الناس فرقتين فقال بعضهم لاندخل على الوباء فتأتى بأيدينا الى التهلكة وقالت طائفة أخرى بل ندخل وتوكل ولا نفر من قدر الله تعالى ولا نفر من الموت فكنوا كمن قال الله فيهم - ألم ترى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم - فوجهوا الى عمر فسأوه فقال ترجع ولا تدخل على الوباء فقال له الخافون في رأيه أنفر من قدر الله تعالى فقال عمر نعم نفر من قدر الله الى قدر الله . ثم ضرب لهم مثلا فقال أرايتم لو كان لأحدكم غنم فبهط واديا له شعبتان إحداهما نخصة والأخرى مجدة أليس ان رعى النخصة رعاها بقدر الله تعالى وإن رعى المجدة رعاها بقدر الله تعالى فقالوا نعم ثم طلب عبدالرحمن بن عوف يسأله عن رأيه وكان غائبا فلما أصبحوا جاء عبدالرحمن فسأله عمر عن ذلك فقال عندي فيه يأمر المؤمنين شئ سمعته من رسول الله ﷺ فقال عمر الله أكبر فقال عبدالرحمن سمعت رسول الله يقول « اذا سمعتم بالوباء بأرض فلا تقدموا عليه واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه » ففرح عمر رضى الله عنه بذلك وجد الله اذ وافق رأيه ورجع من الجاية بالناس . فاذن كيف اتفق الصحابة كلهم على ترك التوكل وهو من أعلى المقامات ان كان أمثال هذا من شروط التوكل ﴾ اه

ثم ان صاحب الإحياء بعد ذلك أخذ يبين الحكمة في نهى الناس عن الخروج من أرض الوباء فعلاها بأمرهم لو خرجوا من أرض الوباء وتركوا المرض به لم يجد هؤلاء المساكين من يعول أسياءهم أو يدفن موتاهم وضرر الباقيين بالمرض بخروج الأصحاء محقق وضرر الأصحاء غير محقق بالبقاء . فاذن في الخروج الاحتراز من ضرر مطلق والوقوع في ضرر محقق ﴾ هذا ملخصه . انتهى ما قصده من الإحياء . ولكنى أقول إن هذا السر أظهره الله في عصرنا الحاضر فقد أجمع أطباء الأمم أن انتقال الموبوءين من الأماكن التى بها الوباء ينشر جراثيم المرض في العالم وهذا قام عليه البرهان وصار حجة من غير شك . إذن سر النبوة ظهر الآث وأن الدخول بأرض الوباء قاتل لنفس الداخلين والخروج منها قاتل للناس في الأقطار الأخرى . وهذا السر من الأسرار التى أتى بها الاسلام وظهرت حديثا . فقالوا لقد شفيت صدورنا وشرحت قلوبنا وأرت بصائرنا بحسن بيانك وانا لمسرورون ولكن القول يحتاج الى مزيد بيان وإيضاح . الله ذكر هذه الهدايا في نفس القرآن وأنت أتيت بكلام عمر في أمر الوباء وانه يفر من قدر الله الى قدر الله . أزيد بذلك أن يفر الحاج من (مني) أى انهم لا يخرجون . إن المسألة مشككة تحتاج الى بيان . ماذا تريد بقولك هذا . أتريد ان الناس لا يخرجون

في (منى) لأجل هذه المفسدة . قلت لقد قلت لكم سابقا ان هذا لا يقول به مسلم جاهل أوعالم . فقالوا ماذا تريد إذن . فقلت أنا أنكر المسألة لأهل الحل والعقد من علماء الاسلام فهنا شأنهم . فقال أحدهم لماذا لا يتبع المسلمون على حل هذه المشكلة فينتفع أهل مكة الفقراء بالهدى ويمتنع الهلاك عن أرواح حجاج بيت الله . فقلت ان الله علم هذه الحيرة قبل أن يخلق مكة والحرم وحل هذه المشكلة حلا اجاليا . فقالوا كلهم بلسان واحد فتح الله عليك فاسمعنا كلام ربنا . فقلت قال الله تعالى في (سورة الحج) - وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق \* ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات (وهي أيام النحر) على ما رزقهم من بهيمة الأنعام \* فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير - ثم قال أيضا - ولكل أمة جعلنا منسكاً ليدذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام - أي عند ذبحها وقال بعد ذلك - والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف إذا وجبت جنوبها - أي سقطت على الأرض - فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر - أي الراضى والسائل - كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون - ثم قال بعد ذلك - كذلك سخرناها لكم لشكروا الله على ما هداكم - أي الى تسخيرها والتقرب بها

(١) فهنا ذكر أنهم يذكرون اسم الله عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها - على ما رزقهم من بهيمة الأنعام - فعبارة بأنه رارقتنا وماذبح وترك على الجبل ليس رزقا لنا بل هو رزق الحيوانات التي لا ترى وتخرج في الهواء وتدخل أجسام الأحياء فيموت الحجاج

(٢) ثم قال - فكلوا منها - أي من لحوم الهدايا والأضحية اذا كانت للتذوق وهكذا من الهدى الواجب بالشرع مثل دم النتح والقران والدم الواجب بافساد الحج وفوته وجزاء الصيد على خلاف في ذلك لانفيل به (٣) ثم قال - وأطعموا البائس الفقير - والأمر هنا للوجوب . أوجب الله علينا أن نطعم البائس الفقير أما ذبح الهدى على الجبل وتركه ليقول المسلمين فهو مضاد لكتاب الله تعالى والله هو الذي قال ذلك

(٤) وقوله تعالى - اذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام - فالتعبير برزقهم يدل على أنه يراد أن تكون تلك الذبائح رزقا لا رزقا للحيوانات الذرية التي تقتل المسلمين بالوباء

(٥) وقوله تعالى - فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر - تأكيد لما تقدم في هذا المقام (٦) وقوله - كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون - أي تشكرون انعامنا عليكم كما قاله المفكرون

وأي انعام في ترك الذبائح في الحق لتكون هلاكا للحجاج ووباء يقتلهم . فهذه ليست نعماً لنا نشكر عليها بل هي نعم توجب الرضا والصبر وفرق بين الشكر والصبر فالشكر على نعمة والصبر على نقمة فلو جعل الله هذه الانعام نقمة لنا بحيث تكون سببا في الوباء لقال غير هذا فكان يقول سخرناها هلاك بعضكم وابتليناكم بها لعلكم تصبرون فسلكم عنكم سبيلكم

فلما سمعوا ذلك قالوا والله ان هذا هو الحق المبين والله لتتشرن هذه الفكرة بين المسلمين فليس بعد لا يريدون أن يتفكروا في هذا والله ان هذا هو الحق المبين والله لتتشرن هذه الفكرة بين المسلمين فليس بعد هذا بيان . فهل عندك بعد هذا بيان . فقلت . وليس وراء الله لمرء مطلب . هذا كلام الله وهذا كلام رسول الله وهذا كلام العلماء . فإذا يقول المسلمون بعد هذا . فقالوا نظن ان الوهابية يعارضونك . فقلت أشهد الله أن هذا الكلام اذا وقع في أيديهم وبلغتموهم ماقلته الآن وكانت الحال هناك كما وصفت فانهم لا يخالفونه انهم ينصرون السنة ومتى وجدوا حقا اتبعوه . فقالوا وكيف تحل المشكلة . ليس في منى أحد يأخذ تلك الذبائح . فقلت كم لهذه المسألة من حلول فإذا اتفق علماء الاسلام على أن تجعل تلك الذبائح في (منى) في يد قوم عقلاء من أمة الاسلام وتضع بصناعة لحفظ تلك الأجسام من التعفن ثم توزع على المحتاجين فيأكلونها

فان هذا حل سهل إن أقره العلماء ووافق مذاهم فاقى واثق أن علماء كل مذهب لا يتحولون عنه فليحلوا هذه المشكلة بحل يوافق الجميع . وأما ماقلته فانما هو ضرب مثل لاجل لأني لأريد أن أدخل في التفصيل كما تقدم وانما أتممت قولي بأن أذكركم وأذكر المسلمين جميعا بقول الله تعالى - جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد - فالكعبة والبيت الحرام قيام للناس بالأمان من القتل مكانا وزمانا وما يهدى الى الحرم يكون قياما للناس من حيث الثواب للهدى باطعام الفقراء وهذا في (سورة المائدة) فمن نصب مائدة آمن أضافه زمانا ومكانا وقدم لهم الطعام . ويقول في سورة (النساء) - ولاتؤثروا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما - أي لانهطى نحو الأطفال مثلا المال لئلا يضيعونه في غير موضعه والمال عليه مدار حياتنا فكيف نسلمه لمن لا يحفظه . فالمال قيام لنا أمرنا بالمحافظة عليه من سفهائنا والهدى والقلائد قيام لنا فاذا نحن حافظنا على المال فلاندعه في أيدي السفهاء لأنه قيام لنا فمن باب أولى نحافظ على ما هو قيام لنا من الأنعام فلاندعه يطبخ منا فوق رؤس الجبال ويهدينا طاعونا وموتا زؤاما أي لاجعل ما هو قيام لنا هلاكنا لأجسامنا . وإذا لم ندع أحد القيامين للسفهاء فهل ندع القيام الآخر هلكتنا بدل أن يكون حياة لنا . هذا خارج عن العقل وعن الدين فالدين يرضه والعقل ينبذه ألافية كرعلماء الاسلام فوالله ان الله يحاسب كل من اطاع على هذا ولم يفكر فيه - إن الله عزيز ذو انتقام -

﴿ الاطيفة الرابعة في قوله تعالى - ولكل أمة جعلنا منسكا - متعبدا ﴾

اعلم انه مامن أمة خلت إلا ولها ما كن للعبادة وذلك ليجمع الناس على رأى واحد ومكان واحد لتعدد القلوب وتجمع التختلات وتفق المشارب . إن من اطاع على هذا التفسير وأمعن فيه النظر واطلع على ما اقتطعنا فيه من ثمرات العلوم وجمال الثمرات وبهجة الحكمة يوقن أن العالم الذي نحن فيه خالق للضامن والاتحاد . وإذا تبين لك في هذه السورة كيف كان تعاون مملكة النبات ومملكة الحيوان على الحياة وهما لا يعلمان وكيف كان الهواء جاريا بينهما ناقلا مادة الفرح من نفس الحيوان معطيا الى النبات وهو يعتدى بها معدا نفسه لتغذية الحيوان ثم يدور الدور . ثم اذا نظرت في سورة (الحجر) وفي سور غيرها ترى هناك كيف كان النحل والحشرات الأخرى رسلا بين الأزهار ملقحة الاناث من الذكران شاربة العسل . وترى في سورة (الرعد) كيف كانت كل ورقة فيها قوة تنم الصواعق ولولا الورق والشجر لأهلك الصواعق كثيرا من الحيوان . وترى في سورة (البقرة) وغيرها كيف كان السحاب في بعد مخصوص فلا هو بالقرب جدا ولا هو بالبعيد جدا . والابل للثياب في الأول وعطل الحركات ولفاجأ الناس المطر في الحال الثانية من غير إنذار فاذا رأى الناس السحاب حسبو له ألف حساب وكانوا منه على حذر خيفة الأيبي ولا يضر . واذا نظرت في سورة (الرعد) أيضا عند قوله تعالى - له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله - تعلم أن كل ما حولنا من غاز وسائل وجامد يؤدي إلينا منافع على شرائط مخصوصة ولولاها لكان كل نافع ضرا علينا . اذا عرفت هذا أيقنت أن الاتحاد سار في هذا الكون وأن كل جزء مرتبط ببقية الأجزاء بطريق مخصوص

اذا كان هذا في العالم كله فانظر في نوع الانسان الذي نحن بصده فقد جعل الله له في كل أمة مكانا يتبعون فيه ومنسكا يجمعهم ليكون الاجتماع رابطة بينهم ارتباطا عقليا روحيا لا ارتباطا طبيعيا كارتباط الانسان بالحيوان والنحل بالزهر والذكور بالاناث والمطر والسحاب والبرق بالخلاوقات الحية . ان ذلك رابط طبيعي ولكن الله عز وجل يريد ترقية الانسان ترقية روحية فغثه على العبادة لتصل بره وحته على الاجتماع ليرتبط بأبناء جنسه ارتباطا قلبيا روحيا حتى اذا عرفهم في الدنيا كانوا معه بعد الموت في صفاء وهناء . فهنا مدرستنا وهناك محل تملنا والنهايات على مقتضى البدايات والأعمى هنا أعمى هناك والمتهدى هنا مهتد هناك والله لم يجعل الرزق بسعينا والالحج والعمره والجهاد بجهدنا إلا لاثارة الحية والنخوة واطهار الثمرات العقلية



لتكون لنا هناك نورا مينا قال تعالى - نورهم يسي بين أيديهم و بأيمانهم - والذين الواحد يجمع الأمم المختلفة في الأخلاق والأعمال والعادات فكان الأرواح المختلفة كرة كوكبية ذات عناصر مختلفة وصور مختلفة صنعها الخالق لمنافع هناك سنعرفها ومن يمت برها

( اللطيفة الخامسة في قوله تعالى - لن ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم - )  
هذه الآية وآيات أخرى في هذا القسم أثبت مقاصد الحج فلبست ظواهر الأعمال مقصودة لثباتها . إن ظواهر العبادات والمناسك والطواف والسعي وري الجرات والوقوف بعرفات والتجرد من الخيط وغير ذلك كلها يراد بها ما يقوله الحاج ( ليكن اللهم ليكن لاشريك لك ليكن )

يراد بهذا كله خلوص القلوب من علاقتها بهذه المادة الأرضية وحبسها الى العالم الأعلى على شريطة أن يكون الناس إخوانا لأن الهناء هناك على مقدار العباد والارتباط وشعور الانسان بالاخوة العامة والصدقة التامة بين الاخوان . واعلم أن الله قد جعل بين الناس روابط طبيعية كاللغة والجنس وكالوطن وكذلك الجامع لأمم مختلفة وذلك كله جعله بالصفة التي خلقها وأهداها للناس والدين جاء لأعم من ذلك . جاء ليجمعهم كلهم على رأى واحد وهو التعاون بالمودة للخلاص من هذه الأرض ونبد العلائق الدنيوية . إن المدا على ما ذكرناه فلا صلاة بنافعة ان لم يكن الله في ذكر العبد كأنه يخاطبه ويكلمه ويشافهه في الصلاة . إن الحج لأثره له مالم يكن نتيجة اطراح هذه الحياة . إن الزكاة إن الصيام إن الصدقات كل ذلك للتخلص من رقة هذه الحياة . فالجوع وبذل الصدقات للتبترى من العادات والصلاة للعروج الى عالم الجبال وخطاب الله المطلع الشرق نوره في القلوب . انتهت اللطيفة الخامسة

### ( الْقِسْمُ الثَّالِثُ )

إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الدِّينِ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ \* أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَاهِرُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ \* الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِنَتِ صَوَامِعُ وَيَسْعُ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ \* الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَنُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ \* وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَتَوُودُ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ \* وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ \* فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَبَقِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِشْرٌ مُعْتَظَلَةٌ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ \* أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ \* وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ تُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ



اللَّهُ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ \* وَإِذَا تَنَزَّلَ  
 عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٌ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونُ بِالَّذِينَ تَبْلُغُونَ  
 عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ تُبَشِّرُونَ بِشَرِّهِ مِنْ ذَلِكَمُ النَّارِ وَعَذَابِ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَكْفُرُوا  
 الْمَصِيرُ \* يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِثْلُ مَا سَمِعْتُمُوهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا  
 ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ  
 \* مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنْ اللَّهُ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ \* اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنْ  
 النَّاسِ إِنْ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ \* يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ \*  
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ \*  
 وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ  
 إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا  
 شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى  
 وَنِعْمَ النَّصِيرُ \*

### ﴿التفسير اللفظي﴾

قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا) أى يدافع غائلة المشركين عن المؤمنين . ومن هذا القليل  
 - إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا - وانما يدافع عنهم لأنه يجب من يؤذون الأمانات والشاكرين للنعماء  
 ويبغض غيرهم (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ) أى خوان لأمانة الله كفور لنعمه وبهذه الآية فلسمتك  
 أيها الذكى . وتعلم انك اذا نكرت ما نكتب في هذا التفسير من الحقائق العلية وأذعتها في الأمة الاسلامية  
 بالطريق الذى سلكناه والمنهج الذى أتبعناه والسبيل الذى اتبعناه فاعلم انك منصور والله يدافع عنك لأن  
 الأمة اليوم في حاجة الى التطور في أعمالها والترقي في أخلاقها والخروج من سقائها . واذت بما أشرت  
 اليك فان الله معك . وتعلم أن أمثالك في الأقطار الاسلامية يسلكون هذه السبيل ويحجثون بحمد الاسلام  
 وينشرون نحو ما أقول في هذا التفسير فتنبوع الله كما وثقت به وانى لولا إيقاني بأن هذا اليوم له ما بعده  
 وأن الأمة اليوم غيها بالأمس وأن المسلمين سينقلون الى أطوار أخرى وأحوال أعلى ومقام أسمى ماسطرت  
 حروفها . وتعلم أن هذه السبيل وحدها هي المسرعة الى ذلك الرقي فان ديننا فيه عناصر الرقي وقد تركت جواهرها  
 فهانت ذا بشر الناس وعلمهم وقم ففهم خطيبا والله معك واقراً - إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب  
 كل خوان كفور - (أَذِّنْ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَّهُمْ ظُلُمُوا) أى بسبب كونهم مظلومين . وذلك أن مشركي مكة  
 كانوا يؤذون أصحاب النبي ﷺ أذى شديدا جدا حتى طفق الكليل وكانوا يأتون رسول الله ﷺ ما بين  
 مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم صبرا فاني لم أؤمر بالقتال حتى هاجر فأنزله الله هذه الآية وهي  
 أول آية نزلت بالإذن بالقتال بعد ما نهى عنه في نيف وسبعين آية (وإن الله على نصرهم لقدير) وهذا وعد  
 لهم بالنصر كما وعدهم بدفع أذى الكفار عنهم . فانظر كيف وعد الله مريدى الإصلاح بدفع الأذى عنهم

ووعدهم أيضا بالنصر عند الحرب . فاعلم انك ايها الذي منصور في حربك العلمي وجهادك الاسلامي كما نصر رسول الله ﷺ في جهاده هو وانصاحه الحربي

ولقد رأيت كيف نصر الله الأنبياء في سورة (الأنبياء) السابقة ثم أتبعها بهذه السورة لتستبين السبيل فيقول الله هانذا نصرت الأنبياء وأنت يا محمد تكون مثلهم فلا نصرتك على الكفار كما نصرتك على الأنبياء إن الله جمع الحج والجهاد والبعث في سورة واحدة لأنها من قبيل واحد . فالهجج للخروج من المأثوقات والولوع برب البريات والجهاد لخلاص النفس من أسر العادات والانطلاق الى عالم الشهادات أو الرجوع بالحرية والاستقلال والبعث مكمل لها لأنه انطلاق من عالمنا الأرضي الى العالم السماوي . فالجهاد والحج بعث مصغر يتلوها البعث المكبر ولذلك قدم أكبرها وألحقا به

﴿ نصر الله الأنبياء للذكورين في السور السابقة ونصر سيدنا محمدا ﷺ وأصحابه ﴾

واعلم أن الجهاد في هذه العصور هو الجهاد العلمي فانه لا حرب ولا ضرب ولا سيف ولا مدفع إلا بالعلم والعلم يفعل اليوم ما لا تفعله أعظم المدمرات فهو يهبع الشعوب ويفرس في القلوب حب الكرامة والسمعة والاتحاد والجهاد . فاذا نشرت ما يكتب في أمثال هذا التفسير فأنت قائم بالجهاد بل هو الجهاد في مستقبل الزمان . إن العقائد في مستقبل الزمان هي للمجدد الوحيد للأنتم فانشروا ما كتبناه وما يكتبه سوانا . فسترى أثر العمل ظاهرة في الاسلام ولقد وعد الله بالنصر

﴿ برهان ديني ﴾

واعلم انك كما قال الامام الغزالي رحمه الله « اذا أردت أن تصدق ديننا فاعمل بما فيه فان كانت النتيجة كما جاء فيه فذلك دليل على صدقه » وأنا أقول بين للناس ماني هذا وماني أمثاله مما يحب الناس في العلوم وانظر ماذا يفعل الله وهو القاتل - إن تنصروا الله ينصركم - والقاتل (وان الله على نصرهم لقدير) إن الذي يهزمك من هذه الآيات أن تتخذها نبراسا لك وإياك أن تتوهم أن هذا خاص بنبينا ﷺ وأصحابه لنا الآن وهو يتلى علينا فنحن المبشرون (بفتح الشين) به فاذا متنا بشربه من بعدهنا ووعدوا بجرماته . فجاهد ثم جاهد ثم جاهد واتى موفى برقى الاسلام في القريب العاجل ثم أبذل من الذين قبله (الذين أخرجوا من ديارهم) بمكة (بغير حق) إلا أن يقولوا ربنا الله كقول الشاعر

ولا عيب فيهم غير أن سيفهم \* بهن فلان من قراع الكتائب

أي ما أخرجوا من ديارهم إلا بسبب قولهم وحمل - أن يقولوا - جر بدلا من - حق - (ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض) بالجهاد واقامة الحدود (لهتمت صوامع) هي معابد الرهبان المتخذة في الصحراء (وبيع) هي معابد النصارى في البلاد (وصلوات) هي كنائس اليهود وهي بالبرانية صلوات (ومساجد) هي مساجد المسلمين (يذكر فيها اسم الله كثيرا) يعني في المساجد أي فلو لا أن الله يدفع بعض الناس ببعض لهتمت في شريعة كل نبي معابد أمته كالصلوات لليهود الخ (ولينصرون الله من ينصرونه) من ينصرونه وقديمت ذلك فعلا فقد سلف الله المهاجرين والأنصار على صناديد العرب وأكسرة الجحيم وقباصرة الروم وأورثهم ديارهم . أقول وسيدور الزمان دورته على نحو غير الذي مضى فينصر الله دين الاسلام ويكون ماني هذا التفسير وأمثاله مما أنقاه الله على أفئدة المصلحين من أجل الأسباب التي بها يتبع في أمة الاسلام رجال في العلوم الطبيعية والفلكية والاقتصادية بها تفتح المدارك وتقوم الدول وتنظم الشؤون ويكون العالم السياسي المسلم داهية في السياسة وقد كان بالليل متجدا ذا كرا لربه مصليا مستغفرا . هذا الذي سيكون في المستقبل القريب . وستشيع في أمتنا العلوم التي امتازت بها أوروبا علينا وسيصير الفصح والكهرباء والطيارات وأمثالها من أقل الأشياء علما عند المسلمين وتصبح كلمة اسلام وكلمة شرق أرقى من كلمة غرب وكلمة أور و بين ويرجع الحمد كما كان أولا وقد

وعندنا الله بالنصر وقد وعدت أنا بذلك من أيام الشباب بأنى سأبقى هذا التفسير وليس المقام مقام شرح كيف كان هذا الوعد فلذلك ليس بمجمل ولكن الذى يدهشنى جد الدهش أنى أبشره تبشيرا فى الصغر ثم أنى أعيش الى هذه السن وأجد الخاصة والعامة من الأمة الاسلامية تود أن أتم هذا التفسير هذا مصداق لهذه الآية ولينصرن الله هذا الدين بل هذا الأسلوب من الدين وهو اجتماع العلم والدين الذى قد أنزل القرآن لأجله وقد خبي فى القدر وبرز اليوم ظاهرا جليا واضحا يتلأأ فى سماء الجبال وهواء الكمال فى محبوبة المجد العلمى والشرف الانسانى . سينصر الله هذا الأسلوب من الدين . سينصر الله الله أيها الذكى فقم فى المسلمين بشرهم بمستقبلهم أثر العزائم والقوى السكائمة . إن فى الشرق لقوى مكت وعقولا نامت فأيقظها بقلمك وجاهدها بلسانك فالسمع أذن الله أن تكون واعية والقلوب أذن الله أن تكون عاقلة . ولينصرك الله وهو خير الناصرين كما نصر المسلمين فى القرون الأولى (إنا الله لقوى) على نصرهم (عزيز) لا يمانعه شئ . ثم بين السبب الذى من أجله ضمن النصر لهم بأنهم هم فى أنفسهم صالحون وهذه الطائفة جديرة بالمساعدة الإلهية فقال مبدا من الموصول وهو لفظ من (الذين ان مكناهم فى الأرض) كملت نفوسهم باقامة الصلوات ومناجاة الله فى أكثر الأوقات وهذه المناجاة توصل لهم روحانية خاصة بها يهتدون فى دياجير الحياة وهذا لا يعرف إلا بالتجربة وهو قوله (أقاموا الصلاة) ولامعنى للصلاة ولافضل فيها إلا باستحضار المعبود والتوجه اليه فبإعلى قبر الطائفة بحيث يجعل العبد نفسه كأنه انسلخ من البشرية وانطلق الى حال الملكية . فهذه الصلاة هى المعبر عنها بانها أقيمت من قوت العود اذا عدلته ولا معنى لاعتدال الصلاة إلا بانجام أركانها . ولامعنى لأركانها إلا استحضر المعبود وحضور القلب عند نطق اللسان . هذه هى الصلاة التى جعلها الله من صفات من ينصرهم ويكونون خلفاءه فى الأرض وهو حين مناجاته يلهمهم الخيرات فيما بين الصلاة والصلاة وقوله (وأتوا الزكاة) ليكونوا عوناً لأهم ولا يتقيدوا بالقيود الثقيلة المالية التى تقعد النفس عن أشرف الامور (وأمرأوا بالمعروف ونهوا عن المنكر) فهم بعد أن كملت نفوسهم بالامور العلمية والروحية الدال عليها مناجاة الله فى الصلوات وبذلوا الأموال ليخلصوا الأنفس من شحها والعقول من عقاها ولينعموا على من حولهم أخذوا يكملون غيرهم كما كانوا هم فيفيضون على الناس من علومهم كالنهر فيفيض بالماء كالشمس تشرق على الأفاق ويمتعون بالمسند الناشئة فى الأمم لتزول من طريق كالم . هذه هى الصفات التى جعلها الله لمن تولى نصرهم وهذا هو الذى تم فعلا زمن الخلفاء الراشدين ومن بعدهم فقد قبلوا الأرض قاباً وزينوا وجهها بالعلم والعمل أيام الأمويين والعباسيين فتم العلم وأنعم العلماء وأنعم الدين ونحن ان شاء الله سنخلفهم وسنخلفهم أنت أيها الذكى فاذا كانوا قد زينوا آسيا وافرقيها وبعض أوروبا بالعلوم ثم خدوا وركبت ريجهم وأخذت أوروبا علومهم وطردتهم من بلادهم فان البور سيدور وسأخذ دورنا فى الإصلاح وسنقيم الصلاة كما أقاموها ونؤتى الزكاة كما أدوها ونغلا الأرض عدلا كما ملؤها ولا ننتكل على أحد فان الهداية ستم بربوع الاسلام ويكون الناس اخوانا وياك أن تقول ان زمانه بعيد بل هذا هو زمانه العلم هو المرشد الأمين ولابد أن يكون العلم هو أول السعادة وهو آخرها . فلتكن الهداية حالة فى سائر القلوب وليعلم العلم الربوع وليلهج بحمال هذا الوجود الأطفال والنساء والصبيان والشيوخ الركع وليقم بالأمر القائمون - ولتعلم نبياء بعد حين - (ولله عاقبة الامور) فهى الى حكمته راجعة . ولما كان هذا القول ربما استبعدته العقول ونفرت منه النفوس أيام النبوة قبل حصول النصر وهكذا أيضا الآن عند كتابة هذا التفسير فيقول المسلم وبك من أين لنا النصر وأكثر بلاد الاسلام فى يد الفرنجة وهم لنا غالبون . أقول على رسلك هكذا كانت بلاد العرب أيام نزول هذا القرآن فكانت بلاد العرب مرسحا للدولة الفارسية للدولة القياصرة وكان لهم فيها نفوذ وأى نفوذ فلم يمنع ذلك من تحقيق هذا الوعد بعد نزول هذه الآيات . أقول لما كان الأمر كذلك وهذا بدعو قوما للتكذيب وآخرين للشك أرفده الله بقوله

(وان يكذبوك فقد كذبت قباهم قوم نوح وعاد وحمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى فأمايت للكافرين) أى أمهاتهم حتى مضى زمن آجالهم المقدرة (ثم أخذتهم فكيف كان تكبر) أى فكيف كان انكارى عليهم بتغيير النعمة محبة والحياة هلاكا والعمارة خرابا . هذا ما قاله الله ونزل في زمن لم يكن للمسلمين فيه نصر وقد ضرب لهم أمثال الأمم السالفة المذكورة في سور تقدمت . فيؤلا الأنبيا مضت قصصهم فذكرهم لأن قصصهم معلوم للمسلمين فلم يبق إلا الاعتبار بهم . أما نحن في هذا التفسير فانا نقول اذا نصر الله المسلمين بالصفات الأربع المذكورة فانه الآن أسرع اليها نصرا لأن العبرة عندنا بنفس المسلمين لأنه وعدمهم ثم نصرهم كما قرأت الآن . فلذلك عندنا محسوس . فهم اعتبروا بعاد وحمود وأن أتباع الأنبياء نصروا وان غيرهم خذلوا . وكانت أقرب أمة اليهم أمة اليهود فلذلك كثرت ذكرها في القرآن . أما نحن فأقرب الأمم اليها أمة الاسلام أسلافنا وأسلافنا نوات عليهم النعم أولا والنقم آخرها فهم في القرون الأولى كانوا يعقلون فلما انقضى أجل النصر اتقوا جاهلين حتى عليهم القول في الهند في الشام في مصر في شمال أفريقيا وهاتحين الآن نعيد الشكره ونقول ان شاهدنا من نفس أمتنا فليكن الله أسرع نصرا لنا لأننا لسنا مكذبين ولكننا غافلون نائمون . ياقاط الأمم أسهل من إحيائها وإيقاظ أهل الكيف أسهل من إحياء الأموات . إن الله ضرب المثل لآياتنا بالأمم وضرب المثل لنا بآياتنا الأولين فبذلك فلتفرحوا هو خير مما تجوعون . ثم أخذ يفصل ما أجله من حال هذه الأمم . مبينا منظرها بعد هلاكها ليعتبر المسلمون وليزايوا الظلم من الأمم شرقا وغربا فقال (فكأن من قرية أهلكناها) بإهلاك أهلها (وهي ظلمة) أى أهلها (فهى خالية على عروشها) ساقطة حيطانها على سقفوها بأن سقطت السقوف وخرت من فوقها الحيطان أو خالية مطلة على عروشها التي سقطت بينها والحيطان مائلة مشرفة عليها (وبئر معطلة) أى وكمن بئر معطلة متروكة مخلاة عن أهلها كانت عامرة في البوادي فهى اليوم متروكة لا يستقي منها هلاكهم (وقصر مشيد) أى مرفوع أو مجصص أخيلناه عن ساكنيه . ومن الآثار المذكورة والقصور بئر في سفح جبل بحضرموت وقصر مشرف على قلته كانا لقوم حظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتله أهلهم الله تعالى وعظلمها وذلك أن أربعة آلاف نفر ممن آمن صالح لما نجوا من العذاب أنوا حضرموت ومعهم صالح فأت في حضرموت فبنوا مدينة حاضروا وقعدوا على هذه البئر وأمرؤا عليهم رجلا منهم فأقاموا دعرا وتناشوا حتى كثروا وعبدوا الأصنام وكفروا فأرسل لهم حظلة المذكور وكان جالا فقتله في السوق فكان ماتقدم \* ويقال ان حضرموت سميت بذلك لموت صالح فيها لما استقر بها وكان منصوب بمقتدر يسره المذكور . ولما كانت أحوال الأمم مكشوفة في خواياها مسطرة في قصورها الخربة وآبارها المعطلة وقراها المهتمة والعقول لافهمها والناس لانذكراها أرذفه موبغا الأمم مفرعا لم قتال (أفلم يسيرا في الأرض) لبروا مصارع الجاهلين ومصير الظالمين (فتكون لهم قلوب يعقلون بها) ماحل تلك الأمم إذ نسبت عقولها فأهملتها وعاشت في دعة في قصورها غرت عليها وأن سنة الوجود أن لا يقوم إلا بالعلم والعمل فأما الظلم فان مرتته وخيم (أو أذان يسمعون بها) ما يتلى عليهم من الوحي الذي يحضهم على التتمير لدراسة حال الدول ونظام الأمم دارسها وقائما غائبا وحاضرها حيا وميتا ليقبسوا من الأحياء ويعتبروا بالأموات . فالوحي هذا دأبه وهذه وجهته فلهاسمعوه بآذانهم فقاموا بالأعمال حق القيام ولما كان الناس جميعا بأبصار وبآذان قال الله ليس كل مصر بمصر ولا كل حامل سيف بشجاع ولا كل راكب جواد بفارس أرذفه بقوله (فانها لاتعنى الأبصار ولكن تعنى القلوب التي في الصدور) عن الاعتبار فالقلب قد يعقل وان غميت الأبصار ويعنى وان سلت الأبصار . وذكر المصدر للتأكيد ونفي التجوز وللتذكير بأن المعنى الحقيقي ليس هو التعارف (ويستجولونك بالعذاب) المتوعده استهزاء وقد شاهدوا الأمم الهالكة ولكنهم عمى عن الاعتبار بها (وان يخلف الله وعده) فهو على صراط مستقيم ونظام ثابت فكما فعل فيمن

فليكنم يفعل فيكم (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) لأن السنين واحدة فسيكون ماضيلكم مضاهيا لما حلّ بينكم كان قبلكم . وإذا قلتم قد طال العهد ولم يحل العذاب فأين العذاب فإن الله حليم وألف سنة عنده كيوم عندكم بل ليس عند ربك صباح ولا مساء بل الصباح والمساء تحت أمره وعلى ذلك ينفذ وعده بعد أمد طويل عندكم قريب عنده كما قال - إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا - لأن كل ما هو آت قريب وذلك إشارة لعذاب الآخرة فإذا تأخر عشرين ألف سنة مثلافه في كعشرين يوما عندكم وهذا شيء قليل ولا يكون ذلك اخلافا للوعد . هكذا خراب الأمم فإن الأمة العربية حلّ بها الانحلال بعد أزمان النبوة بنحو ستائة سنة فهو كنصف يوم ونصف اليوم شيء قليل جدا . قاله تعالى يقول سنبي لا بد من إتمامها ولا بد من اهلاك الظالمين وإن بعد حين أمّا وأفرادا في الدنيا والآخرة أو أعدائهم في الآخرة فقط مع الأكدار في الدنيا وهم لا يشعرون ثم أتيت ما ذكره من عدم اخلاف الوعد وإن طال الأمد فأبان أنه كم من أمم أمهات فطال عليها الأمد وهذا قوله (وكان من قرية) وكم من أهل قرية (أملت لها) أمهاتهم كما أمهلتكم (وهي ظالمة) مثلكم (ثم أخذتها) بالعذاب (والى الصير) والى حكمى برجع الجميع

﴿ لطيفة لتبيان ما تقدم ﴾

هل تحب أن تسمع أمّا الذي نفس هذا في أمنا الإسلامية . انظر كيف قام أسلافنا بالعلم والحكمة واشتغل الخلفاء وأهل النظر من علماء المسلمين في الشرق والغرب بالعلم وقد نقلا العلم عن الأمم ومنهم اليونان وهناك أزهت في الشرق علوم هي الفلسفة العربية وهكذا امتدت الحكمة والعلم إلى أوروبا في دولة اسلامية هي الدولة العربية الأندلسية التي جنت الحجاز بين العراقيين واليمنيين والمصريين وأمّا أخرى واستمرت على ذلك أمدا طويلا وتبع من بينهم ابن رشد الفيلسوف المشهور فأهتة المسلمون وأذله وطردوه إلى مراكش وشتوا شمل تلاميذه وأكثرتهم من اليهود وقد كانت للرجل في العالم صولة فأقرأ كتابه أمّا الذي انظر كيف يقول ان علم التوحيد اليوم بين المسلمين نظريات وقواعد أصعب جدا من معرفة الله وإنما معرفة الله بما نشاهد من الطبيعة . وسرد على ذلك أدلة ومنها ما سألت في سورة (الباء) فذكر كيف جعل الله الأرض مهادا والجبال أوتادا . وبالجهة دعا في مؤلفه الصغير إلى مائدعو إليه الآث هو وأمثاله في ذلك الوقت كأن الله يريد أن يجرى على سننه أى أنه يعزّ قوما بعد دظم وبذل قوما بعد عزّهم على مقتضى سنة الوجود فلم يرض المسلمون هذا العالم ونفوه وشتوا تلاميذه فذهبوا إلى أوروبا وتركوا التكلم بالعربية ونقلوا علم ابن رشد إلى العبرية ومن هؤلاء انتقل العلم إلى أوروبا فإن مؤلفات ابن رشد التي هي شروح على كتب (أرسطو) ترجمت إلى اللغة اللاتينية ودرست بالجامعات الأوروبية وظلت الفلسفة العربية قائمة مقام كتب (أرسطو) في البات الفلسفية إلى آخر القرون الوسطى بل عاشت إلى النصف الأول من القرن السابع عشر . قال (فولتر) ان اللاهوت المسيحي قد اتخذ (أرسطو) أستاذه الوحيد أما في الجامعات فإن العلوم حين بدأت تدب فيها الحياة في آخر القرن السادس عشر لم يزد أهل العلم على أن رجعوا إلى مبادئ (أرسطو) واتخذوها قاعدة لأعمالهم ثم زادوا عليها أنى أن وصلت إلى الحال الجبجية الآن وما زالت تدرس بالجامعات الأوروبية والأمريكية إلى اليوم بالغات المختلفة

هذا مجمل العلم في العالم الانساني وأنت ترى من هذا أن ابن رشد في الأمة الإسلامية كان السبب في انتشار علم الفلسفة إلى نصف القرن السابع عشر أى منذ قرنين ونصف تقريبا من تأليف هذا التفسير . فانظر بارعاك الله . انظر وتجب من أمة طال الأمد عليها فقتت قلوبها فطردت علماءها وعصت كبارها . طاب القرآن البحث في كل شيء ، في البئر المعطلة وفي القصر المشيد . طاب السفر في الأرض للنظر والاعتبار . وقد قال علماء ان السفر ﴿ سفران ﴾ سفر جسمي يتبعه سفر قلبي فبعد أن يطوف الانسان الأرض ويشاهد ما فيها

من عامر وخواب يرجع فيفكر ويجعل لذلك فكرة عالمية ينفع بها الناس هذا هو القصد . فاسفر الجسمي أشاره بقوله - أفر يسبروا - والسفر العقل أشاره بقوله - فتكون لهم قلوب يعقلون بها - ولكن المسلمين إذ ذاك كانت قد خضت شوكتهم وأنت جهاتهم فاستمرؤا معنى الجهالات وبغضوا العلماء

### ﴿ نظر المسلمين في المستقبل ﴾

نظر المسلمين في المستقبل القريب سيكون في ﴿ أمرين ﴾ في أمر الأمم المعاصرة لنا والأمم القانية المالكة فاذا رأوا أمة العرب في الأيام الأولى قد أهلكتها التتار من ناحية المشرق لما استمرؤا معنى الجمالة وأم أوروبا من جهة الغرب فانهم ينظرون الى قصر الحمراء وقصور الخلفاء في الأندلس وآثارهم المشهورة وأعمالهم العظيمة وينظرون الى آثار الفراعنة في مصر وآثار الدولة العباسية في العراق والأموية في الشام ليرجعوا المجد الذي فقدوه وليدبرسوا العلم الذي هجروه . هذا من جهة . ومن جهة أخرى يدرسون أم أوروبا وأم أمريكا وأم اليابان ويكتونون من هذا كله دروسا نافعة ويكونون لهم دروس من ذلك في نظام مذهبهم وحياتهم ويعتبرون بما ولده الجهل من هلاك أهل استراليا وأهل أمريكا الأصليين وقصورهم المشيدة المهتمة وآبارهم المعطلة . ولقد وجدوا في أمريكا اهراما كاهرام مصر . ولقد قرأت في الجرائد العربية منذ ١٥ سنة أنهم كشفوا هناك مدينة قديمة تحت الردم وتلك المدينة مسورة بسور من حجر مشكك على شكل ثمان عظيم

هذا هو النظر الملائق بالمسلمين الذي يدعو اليه القرآن . فليقرأ المسلمون آيات الله في الغرب وانما القرآن مرة تترك أعمال الأمم . فاذا قال الله سيروا في الأرض فانظروا فهذا هو المقصود من السفر ومن النظر ثم قوله - وهي ظلمة - اشاره الى ظلم الجهل وظلم الأحكام والاغارة على الناس وغير ذلك فليس الظلم خاصا بالمعاصي بل ان تعطيل الأرض والقعود عما فيها من الثروات وعما في باطنها من المعادن وأمثال ذلك أيضا من الظلم . وإذا كان في الأرض منافع وليس لنا فيها فائدة فلماذا نلبيهم أمرها باستخراجها لمنفعة الناس ونشاركهم في الثروات

### ﴿ علوم الحكمة أيضا في الأمم ﴾

وقد أصاب اليونان قبل العرب ما أصاب العرب في العلم فأقول مانع ناعق الخراب بديارهم كان بالتبرم من فلسفة (أرسطو) فأعقب ذلك قانون صدر بنى الفلاسفة جميعا سنة ٣١٦ ق م ثم عفت آثار الفلسفة من اليونان كلها ففقدوا استقلالهم باستيلاء الرومان عليهم فهذا يماثل ما حلّ بأمة العرب بعد ذلك بنحو ١٥٠٠ سنة فان الفلسفة والعلوم والحكمة طردت من بلادهم وأصبحت ديارهم مأوى للأجانب يقيمون فيها وهم ظالمون ولا قاعدة لاستقلال البلاد سوى علوم وحكمة ونظر وهل هذا سوى قوله تعالى - أفلم يسبروا في الأرض - الخ وهل التقليل شيء سوى علوم الحكمة والفلسفة . إن هذا الدين دين الفلسفة والحكمة . ولما جهل بعض الناس العلوم الحكيمية أبعدوا عن القرآن حقّ القول على أكثرهم لأنهم لا يعلمون . وقد تقدم ملخص رقي العلم وانحطاطه في الاسلام عند قوله تعالى - نجماونه قرطيس - الخ في سورة الانعام - ثم الكلام على الماطفة التي أوردناها فلنشرع في تفسير بقية القسم (قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين) أى أوضح لكم ما نذركم به (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم) في الجنة (والذين سعوا في آياتنا معاجزين) مساقين مشاقين للساعين في نشرها والمعايزة مغالبة تقول عاجزه فأعجزه وعجزه اذا سابه سبقه في التجهيز لأن كلا منهما يطلب إنجاز الآخر عن الحق به (أولئك أصحاب الحميم) النار الموقدة . ولما كان أولئك الساعون في المعايزة يكذبون بالدين إما عنادا واما جهلا لشبهات طرأت عليهم وأمور في الدين جعلتهم يشكون فيه فأخذوا يدنون على ذلك الشك أعقولهم ومساعهم للحط من قيمة الدين أفاد سبحانه أن ذلك هوديدن الدنيا وما ينزل فيها من العلوم والديانات فقال (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) فالرسول من جاء بشرع جديد



والنبي يوم ذلك ويم من جاء لتقرير شرع سابق كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهما السلام ومثلهم علماء الاسلام فهم كهؤلاء الانبياء فكل عالم مفكر في الاسلام فهو كمنى لهذه الأمة \* ولقد قيل ان النبي ﷺ قال « ان الانبياء ١٢٤ ألفا وأن الرسل ٣١٣ » وقوله (إلا إذا تمني) أى قرأ كما قال حسان ابن ثابت في عيمان حين قتل

تمنى كتاب الله أول ليلة \* وآخرها لاقى حمام المقادر

وقوله (ألقى الشيطان في أمنيته) أى ألقى الشيطان على سامعيه ومتبعي دينه الشبهات في معاني قراءته فيقول قوم انه سحر وقوم انه كهانة وهكذا . ويقول آخرون بعد عهد النبوة إن هذا الدين لا يصلح للعالم وانما هو للعبادات وقارئ العلوم رجل طيبى وهكذا . أو يقول قوم ان محمدا ﷺ يعلمه بعض الناس وذلك قول الذين كانوا في زمانه ﷺ (فينسخ الله ما يلقى الشيطان) بأن يقيض للأمة من يزىل الحرافات أو الأحاديث المكذوبة ومن ذلك أن هذه الآية نفسها قد جاء فيها أحاديث لم ترد في كتاب من الكتب الصحيحة كالموطأ لمالك وصحصى البخارى ومسلم وجامع الترمذى والسنن لأبي داود والنسائى فهذه الكتب الستة لم يرد فيها هذا الحديث الآتى الذى شغل المفسرين وجعل لهذه الآية معنى غير ما كتبناه فان كتاب (تيسير الوصول لجامع الاصول) الذى جمع مافى هذه الكتب الستة لم يذكر هذا الحديث في تفسير هذه السورة . فاذا هو حديث ليس مما يستحق أن يذكر فضلا عن أن يرد عليه أو يجاب عنه وهو أن الشيطان وسوس الى النبي ﷺ عندما قرأ قوله تعالى - ومنامة الثالثة الأخرى - فجرى على لسانه أن قال (تلك الغرائب العلى وان شفاعتهن لترجي) ثم نبه جبريل بعد ذلك فاعتم فقرأه الله بهذه الآية وهذا كذب صراح . وفي هذه الكلمة لفظ الغرائب عبارة عن الأصنام شبهت ببعض طيور الماء (ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) ثم قال الله تعالى مبينا سبب تمكين الشيطان من إلقاء الشبهات (ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض) شك (والقاسية قلوبهم) المشركين (وان الظالمين) أى الفريقين (لنى شقاق بعيد) عن الحق (وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به) بالقرآن (فتختبئ له قلوبهم) بالانقياد والخشية (وان الله لهادى الذين آمنوا) فبما أشكل عليهم (الى صراط مستقيم) وهو النظر الصحيح الموصول الى الحق (ولا يزال الذين كفروا في مرة منه) أى فى شك مما ألقى الشيطان في قلوبهم عند قراءة القرآن عليهم (حتى تأتيتهم الساعة) القيامة أو أشرطها أو الموت لأنه القيامة الصغرى أو الساعة الصغرى (بغتة) فجأة (أو تأتيتهم عذاب يوم عقيم) يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر وهو يوم عقيم لاخير فيه ولا ربح (الملك يومئذ لله) أى يوم القيامة (يحكم بينهم) بالمجازاة للكافرين والمؤمنين (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم) والذين كفروا وكذبوا بأيماننا فأولئك لهم عذاب مهين \* والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا) في الجهاد (أوماتوا ليرزقهم الله رزقا حسنا) الجنة ونعيمها (وان الله لهو خير الرازقين) فانه يرزق بغير حساب (ليدخلنهم مدخلا يرضونهم) وهو الجنة (وان الله لعليم بأحوالهم (حليم) لا يجلب بالعقوبة

(فصل في تفصيل الكلام على قوله تعالى - إلا اذا تمني ألقى الشيطان في أمنيته - )

اعلم أن الله عز وجل جعل نظامه في الدين كنظامه البديع في الطبيعة . تأمن فيما فعله الله في الحقول وانظر . أأست ترى انه خلق القمح والذرة والقطن وسائر النباتات التى يحتاج اليها الناس ومع ذلك تراه خلق بجانبها نباتات أخرى تخلق في الأرض معها وتقتات من الأرض فترى الحشائش مخضرة مع الذرة ومع القطن ومع سائر البقول والأشجار وترى أن الفلاح لا ينام ولا يسكن حتى يزيل تلك الحشائش فيتوفر الغذاء لنفس الشجر ولنفس النبات . هذا هو الأمر الذى حصل في نفس القرآن . ترى أن الله أنزل القرآن فيقرؤه الرسول وترى أن العرب قالوا ساحر كاهن وهكذا فاستبان الحق وجاءت غزوة بدر ونصر الله المسلمين مصداقا لما

الآيات التي يقول فيها انه منصور . هكذا في زماننا ترى أمم أور و أتوس جيوشا من القسيسين يفقهون المدارس في الشرق وقد طردوهم من بلادهم لاضرارهم بسياساتهم فيقولون للمسلمين ان دينكم ملو ومحقو بالخرافات والأكاذيب فيشككون المسلمين في الدين . وترى المسلمين أنفسهم دخل عليهم الغش والخداع من جهة الوعاظ وصغار العلماء ان هذا الدين لا يعيش مع العلوم فجعلوه دين خول . وكما نسخ الله وسواس الشيطان أيام النوبة هاهوذا ينسخها اليوم بالعلم والعمل . أما العلم فانظر فيما يكتبه المسلمون اليوم في أقطار الأرض وانظر في هذا التفسير أليس تجد أن هذا الدين هو دين المدينة العالية . أليس هذا ناسخا لما ألقاه الشيطان في القلوب . وأما العمل فتعجب كيف ألهم أمة الترك أيام هذا التفسير أن تطرد القسيسين من بلادها مع أنها أعلنت أن صيغة حكومتها ليست دينية بل هي صيغة دنيوية . أليس هذا ناسخا لما ألقاه الشيطان على السنة القسيسين من أن هذا الدين دين تأخر ثم هم يملنون دياناتهم في بلاد الاسلام . وأست ترى أن هذا مجزوة ومصادق لهذا الوند . أفلم تر أن الله نسخ ما ألقي الشيطان . نعم ان الله نسخ وسنسخه أكثر . فلنقم بها الذكر بنشر أمثال هذه المسائل بين الأمة المسكينة . هذا والله من معجزات القرآن . هاهوذا نسخ ما ألقي الشيطان في العقول لما تتهافت الأمم الاسلامية وأصبح كل من ارتقى منصبا في أمم الشرق من المسلمين إنما يكون من المتعلمين في مدارس المسيحيين الذين جعلهم الله فتنة واختبارا لعقول الأمة - ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة -

إن حقائق الواسوس الشيطانية حول المعاني القرآنية في العقول الاسلامية أخذت تحصدتها مناجل البراهين في أمثال هذا التفسير . ويزاها من أرض الاسلام أمثال الترك والأفغان - إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب -

( جوهره في إيضاح تفسير قوله تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول - الخ )  
وذلك فيما أورده السيد أحمد بن المبارك مؤلف كتاب ( البريز ) ذلك العالم المحقق المطمع على كتب الدين وعلى كتب الحكمة المعروفة في بلاد الاسلام منذ قرنين من الزمان إذ سألت الشيخ عبدالعزيز الدباغ ذلك الرجل الأبي الذي كان يسمع ( يضم الياء ) ذلك العالم من العلم ما يجمله جميع علماء الاسلام قاطبة فقد سأله ابن المبارك المذكور عن مسألة الغرائق وقال له هل الصواب مع عياض ومن تبعه في نقبها أومع الحفاظ ابن حجر فانه أنبأ وقال بعد أن ذكر أسانيده عن سعيد بن جبير قال قرأ رسول الله ﷺ - أفرأيت الملات واليزي \* ومائة الثالثة الأخرى - فألقى الشيطان على لسانه ( تلك الغرائق العلى وان شعاعتهن لترنجي ) فقال للمشركون ما ذكر ألهتنا نجبر قبل اليوم فسجد وسجدوا . قال ثم ذكر تخرج البزار في القصة وكلامه عليها وما يتبع ذلك واعترض على أبي بكر بن العري الذي رد هذه الرواية وعلى عياض كذلك إذ جعل روايات الحديث مضطربة ضعيفة . ثم قال أجد بن المبارك المذكور للشيخ الدباغ بعد ذلك لما هو الصحيح عنكم في هذا وما الذي نأخذكم عنكم فقال رضى الله عنه الصواب في القصة مع ابن العري وعياض ومن وافقهما لاعم ابن حجر وما وقع للنبي ﷺ شيء من مسألة الغرائق وإنى لأعجب أحيانا من كلام بعض العلماء كهذا الكلام الصادر من ابن حجر ومن وافقه فانه لو وقع شيء من ذلك للنبي ﷺ لارتفعت الثقة بالشرعية وبطل حكم العصمة وصار الرسول كغيره من آحاد الناس حيث كان للشيطان سلاطة عليه وعلى كلامه حتى يزيد فيه ما لا يريد الرسول ﷺ ولا يجبه ولا يرضاه فأى ثقة تبقى في الرسالة مع هذا الأمر العظيم ولا يفتى في الجواب أن الله ينسخ ما يلقي الشيطان ويحكم آياته لاحتمال أن يكون هذا الكلام من الشيطان أيضا لأنه كما جاز أن يتسلط على الوحي في مسألة الغرائق بل زيادة كذلك يجوز أن يتسلط على الوحي بزيادة هذه الآية برمتها فيه . وجبئذ ينطرق الشك الى جميع آيات القرآن والواجب على المؤمن الاعراض عن مثل هذه الأحاديث الموجبة لمثل هذا الريب

في الدين وأن يضر بوا بوجهها عرض الحائط وأن يعتقدوا في الرسول ﷺ ما يجب له من كمال العصمة وارتفاع درجته ﷺ الى غاية ليس فوقها غايه ثم على ما ذكره في تفسير قوله تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى - الآية يقتضى أن يكون للشيطان تسلط على وحى كل رسول ومرسول وكل نبى مني زيادة على تسلطه على القرآن العزيز لقوله تعالى - من رسول ولا نبى إلا اذا تمنى أنى الشيطان في أمنيه - فاقضت الآية على تفسيرهم أن هذه عادة الشيطان مع أنبياء الله وصفوته من خلقه ولا رب في بطلان ذلك

هذا ما قاله الشيخ عبد العزيز الدباغ . ثم قال الشيخ أحمد بن المبارك بعد ذلك ﴿ ما أدق نظر الشيخ (يريد الشيخ عبدالعزيز) مع كونه أمياً ﴾ ثم أورد كلام البيضاوى الذى يفيد ما يقرب من المعنى المتقدم ثم قال ابن المبارك أيضاً ﴿ ان العصمة من العقائد هى التى يطلب فيها اليقين . وقد عد الأصوليون الخبر الذى يكون على تلك الصفة من الخبر الذى يجب القطع بكذبه ﴾ ورد على ابن حجر الذى يدعى صحة الحديث بأن ذلك في الامور العلية التى يكفى فيها الظن من الحلال والحرام . أما الامور العلية الاعتقادية فلا يفيد خبر الواحد في ثبوتها فكيف يفيد في نفيها وهنهما . ثم قال ابن المبارك المذكور ﴿ ثم فنت للشيخ رحمه الله ما الصحيح عندكم في تفسير قوله تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا اذا تمنى أنى الشيطان في أمنيه - وما نور الآية الذى تشير اليه فقال رضى الله عنه نورها الذى تشير اليه هو أن الله تعالى ما أرسل من رسول ولا نبى من الانبياء الى أمة من الأمم إلا وذلك الرسول يتبنى الايمان لأمة ويحبه لهم ويرغب فيه ويحرس عليه غاية الحرص ويعالجهم عليه أشد المعالجة ومن جلتهم في ذلك نبينا محمد ﷺ الذى قال له الرب سبحانه وتعالى - فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا - وقال تعالى أيضاً - وما أكرمنا الناس ولو حرصت بمؤمنين - وقال - أفأنت تكبره الناس حتى يكونوا مؤمنين - الى غير ذلك من الآيات المتضمنة لهذا المعنى ثم الأمة تختلف كما قال الله تعالى - ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر - فأما من كفر فقد أتى اليه الشيطان الوسوس القاذحة له في الرسالة الموجبة لكفره وكذا المؤمن أيضاً لا يخلو من وسوس لأنها لازمة للايمان بالغيب في الغالب وان كانت تختلف في الناس بالقلة والكثرة وبحسب المتعلقات . اذا تقرر هذا فعنى تنبى انه يتبنى الايمان لأمة ويحب لهم الخير والرشد والصالح والنجاح . فهذه أمية كل رسول وكل نبى وإلقاء الشيطان فيها يكون بما يليق به في قلوب أمة الدعوة من الوسوس الموجبة لكفر بعضهم ورحم الله المؤمنين فينسوخ ذلك من قلوبهم ويحكم فيها الآيات الدالة على الوحدانية والرسالة ويبقى ذلك الله عز وجل في قلوب المنافقين والكافرين ليفتنوا به فخرج من هذا أن الوسوس تلقى أولاً في قلوب الفريقين معا غير انها لا تدوم على المؤمنين وتدوم على الكافرين ﴾

وبعد ما ذكر هذا الشيخ ابن المبارك عن الشيخ الدباغ قال ان هذا التفسير من أبدع ما يسمع وأخذورد الطرق التى فسرت بها فوجدها كلها ضعيفة أو مخالفة للعقيدة . ولما كتبت هذا واطلع عليه أحد الاخوان الفضلاء قال إن هذا الشيخ قد نقلت أنت عنه في (سورة الكهف) عجائب عن العلم لم نسمعها من أكثر العلماء إذ قال هناك ﴿ ان المسلم يعبد الله لذاته بدون نظر الى جزاء في الدنيا ولا في الآخرة وهذا مقام عال جداً ﴾ فهل تسمعون شيئاً من تفسيره لبعض الأحاديث حتى ترى وجهته . فقلت نحن الآن في تفسير القرآن . فقال هذه مسألة محجبة رجل أى يفسر القرآن ويعترض على رجال الحديث ولا تعجب آراء ابن حجر ويصوب كلام عباس ثم بعد البحث يرى الشيخ ابن المبارك العالم العظيم أن هذا حق من حيث الحديث ومن حيث علم مصطلح الحديث ومن حيث علم الأصول ومن حيث المنطق . فرجل مثل هذا نريد أن نشم رائحة تفسيره لأنى حدث من الأحاديث أو بعض آيات أخرى . فقلت له . لقد سأله الشيخ ابن المبارك عن قوله ﷺ ﴿ ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ﴾ فأجبه الشيخ الدباغ بجواب استغرق ما كتبه منه . ٤ صفحة في

النسخة المطبوعة وجمع فيها ما بين القراآت المشهورة وما بين الأخلاق النفسية . وهنا زاد عجي حين قرأت هذه المعاني التي ذكرها الشيخ الديباج فانها ترجع الى علم النفس وتنتهي الى اسعادها اسعادا تاما بحيث يصبح الانسان وهو في هذه الدنيا كأنه في أعلى عليين في الجنة . فهذه المعاني التي ذكرها ذلك الشيخ الأني لواتصف بها انسان أصبح كأنه روح ماهرة سعيدة في الدنيا قبل الآخرة . فقال صاحي فأرجو ذكر بعض هذه المعاني التي ذكرها . فقلت ذكر في معنى نزول القرآن على سبعة أحرف ﴿ سبعة أصناف ﴾ من العلم وهي

(١) الآيات الأمرة بالصبر والدالة على الحق والمزودة في الدنيا

(٢) الآيات الدالة على الدار الآخرة

(٣) النور الذي وضعه الله في بني آدم وأقصرهم به على الكلام وخصّ النبي ﷺ بخصائص فيه

(٤) الآيات المتعلقة بصفات الله تعالى

(٥) الآيات الدالة على أحوال الخلق الماضين وهي القصص

(٦) الآيات التي فيها الكلام على الكفار

(٧) الآيات التي ذكر الله فيها نعمه الفائضة على خلقه

وسمى هذه السبعة هكذا بالترتيب (حرف النبوة . حرف الرسالة . حرف الآدمية . وحرف الروح . وحرف العلم . وحرف القبض . وحرف البسط)

فقال صاحي هذه أشياء لافائدة منها فأين المجائب التي فيها وأين البواطن . الرجل قسم القرآن أقساما وجعل لكل قسم اسما صفات الله وأخبار الماضين وهكذا . أعطى كل واحد منها اسما وكفى فأين الأسرار وما هذه إلا أشياء مكررة لما عرفه الناس في القرآن فما هذا الذي تذكر انه يأتي بغراب . فقلت أنا ذكرت لك انه أتى بالمعنى في ٤٠ صفحة فهل هذه الكلمات هي كل ما قاله . فقال ما الذي أدهشك من كلامه . فقلت الذي أدهشني من كلامه انه دخل من هذه الاصول السبعة الى غوامض النفس الانسانية . فقال أريد أن تذكر كلمة منها . فقلت قد قسم كل واحد من هذه السبعة الى سبعة أخرى لجعلها (٤٩) \* مثلا تجده في البسط الذي جعله دالا على ذكر نعم الله على عباده فيما تقدم قد قسمه الى ﴿ سبعة أقسام ﴾ فالأول منها الفرح الكامل وهو نور في الباطن ينفي عن صاحبه الحقد والحسد والكبر والبخل والعداوة مع الناس لأن هذه الأوصاف ونحوها متنافية للفرح وإذا وجد نور الايمان مع هذا الفرح في الذات نزل عليه نزول مجانية وموافقة وتمكن من الذات على ما ينبغي وكان بمثابة المطر النازل على الأرض الطيبة فتتولد من ذلك أخلاق طيبة ﴿ والثاني ﴾ منها سكن الخير في الذات دون الشر وهو نور يوجب لصاحبه أن يكون خيرا سجيلا له وطبيعة فترى صاحبه يحب الخير ويحب أهله ولا يجوز فكره إلا في الأمور الموصلة اليه ومن فعل معه خيرا لا ينساه أبدا وأما من فعل معه سوءا ووصله بأذية فان مضى وقته ينساه ولا يبقى في فكره حتى انك اذا اختبرته بعد ذلك وجدت قلبه فارغا من ذلك وهو مطمئن مستبشر بمناجاة لم يقع له شيء يؤذيه فهذا من كمال البسط ﴿ والثالث ﴾ منها فتح الحواس الظاهرة وهو عبارة عن لذّة تحصل في الحواس الظاهرة وذلك بفتح العروق التي فيها فتتكيف تلك العروق بما أدركته الحواس وبهذه اللذة يكمل البسط . ففي البصر لذة بها يحصل الميل الى الصور الحسنة وفي السمع لذة بها يحصل الخضوع عند سماع الأصوات الحسنة والنفحات الشجيبة وهكذا بقية الحواس . ففي كل حاسة لذة زائدة عن مطلق الإدراك والفرق بين فتح الحواس الظاهرة الذي هو من أجزاء البسط وبين كمال الحواس الذي هو من أجزاء الآدمية التي هي أحد الأحرف السبعة المتقدمة أن فتح الحواس يزيد على كمالها بفتح العروق السابقة فان فتح العروق زائد على الإدراك الذي في كمال الحواس وبذلك الفتح الحاصل في العروق والتكيف للجاذب لصاحبه يقع الانقطاع الى المدرك فترى صاحبه ينقطع مع كل نظرة الى كل ما يراه

وقد تحصل له غيبة خفيفة مع ذلك الانقطاع بخلاف مطلق الادراك فانه لا يحصل معه هذا الانقطاع . وكمن شخص يرى أمورا حسنة ولا يتأثر بها . وكمن آخر يسمع أصواتا حسنة ولا تنفع مع على بال . وبهذا الفتح والتكليف يحصل كمال البسط . انتهى ما أردت منه

فقال صاحبي ولماذا اقتصرت في الاختيار على هذه المسائل الثلاث دون باقيها البالغة (٤٩) مسألة مكتوبة في (٤٠) صفحة وهل من هذا دهشك . فقلت نعم . قال ولماذا . قلت لأنها تناسب آية . وما أرسلنا من قبلك من رسول - إلح - وناسب هذا التفسير عموما . قال فأوضح لي ما قلت . فقلت إن هذا التفسير قد شرح الله صدرى فيه الى جلال هذا العالم ونظامه وبهائه وحسنه ولولا انشراح صدرى ما أمكننى أن أكتب مما كتبت حرفا واحدا . ألا ترى أن عجائب هذه الدنيا وبدايتها ومحاسن النجوم والشمس والقمر والنهر والجبل والشجر والزهر وبذلة كلها لكل انسان وحيوان ولكن ادراكك بنى آدم أكثرهم لهذا الجبال وادراك الحيوان ليس يعطهم لذة بل أكثر الناس وجيع الحيوان يدركون هذا الجبال ولكنهم لا يحسون بالجبال فبما يشاهدون والمختص بادرار هذا الجبال طوائف اختصهم الله بذلك فطروا على هذا الدقيق والاحساس بالجبال . وبهذا الاحساس بالجبال ثبت الايمان الناشئ من الاطلاع على العجائب في العالم وهو لآدم هم الذين نسخ الله ما أتى الشيطان في قلوبهم كما تقدم في قوله تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول - إلح . أليس هذا هو الأمر الثالث في مقام البسط الذى هو من الأحرف السبعة التى أنزل لها القرآن . إن هذا المعنى الدقيق والفكرة التى لا تخطر ببال أكثر الناس قد أوحى هذا الأمل لنا ايضا كما شفى الصدور وهو عجيب جدا . هو أمر حاضر عند النفوس ولكنها لاتعبر عنه فعبّر عنه هذا الأمل الذى فتح الله عليه وهذا الجبال وادراكه هو الذى قاله علماء التربية . إن علامة النبوغ انما هو الإعجاب فاذا رأينا صبيا مغرما بالمشاهد العجيبة فهذا الغرام دليل على رقيه وقبوله للعالم وعلى قدر وجود العقل عن ادراك الجبال وذوقه يكون ضعف ذلك المدرك . أفلا تعجب أن يكون تعبير هذا الصالح أعجب ما يصفه الوصفون في هذا المقام ثم إن كل ما جاء في هذا التفسير وغيره من جلال هذه الدنيا مهما أطر بنا حين قراءته ومهما أدهشنا جلاله . أفليس مقصود ذلك كله اسعاد النفس وحليتها بالعالم والحكمة أولا والعمل بما يمكن العمل فيه ثانيا . قال بلى . قلت فاذا كانت النفس مشغولة بالحسد بحيث يحل في القلب الحزن لما يرى من نعمة أسبغها الله على أحد أقاربه أو أعجابه مثلا أو كانت مغناطة حاقدة على من أساء اليها . أفليس ذلك الحقد وذلك الحسد ينغصان على النفس حياتها ويحجبانها عن الاقتداء بما انطوت عليه جوارحها من الصور العلمية الجميلة التى أدركت جلالها وأحست بهائمها وكيف ينسخ الله ما يلقي الشيطان من قلب معمر بالزنا والعداوات والوساوس . إن النور والظلام لا يجتمعان وأى سعادة أعظم من سعادة امرئ أصبحت نفسه مشرقة بهجة بهية في نفسها ثم انزيت بالصور العلمية - نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء - فأنما الأخ اخترت هذه المسائل الثلاث لهذه الحكمة . ثم قلت . إذن هذا الصالح الأمل يريد بأحرف القرآن في النهاية أن تكون الروح خالصة من الشوائب بحيث تكون قريبة من ربها والقرب كل القرب انما يكون بأمثال هذه الصفات . فما الزورة ولا الخييل ولا الزبور ولا الفرقان ولا كتب الحكمة اليونانية والرومانية والاسلامية والاروروبية لا طرى لا سعاد النفس وأجل سعادة لها أن تكون هذه بعض صفاتها وأن الذى نكتبه في هذا التفسير مما يفتح أبواب السعادة لها وسيأتى بعدها أناس يشربون هذه المعاني إذ تكون الأمة قد استعنت لها والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

فقال صاحبي . أما ما ذكرته حسن جدا لأنك ربطت الكلام الذى استطردت به في حديث نزول القرآن على سبعة أحرف بالمعاني التى في آية الفرقان حتى لا يتوهم القارئ انه ابتعد عن الموضوع ولكن أين الدرايا وأين القرى فأين سبعة الأحرف التى جعلها معاني وأذواق وأخلاقا شريفة وسبعة الأحرف اللفظية . ان هذا

الكلام بعيد عن ظاهر الحديث . فقلت إن هذا قاله نفس الشيخ ابن المبارك للشيخ عبدالعزيز إذ قال له مانعه  
 ﴿ إن المراد بالأحرف السبعة ما يرجع الى كيفية النطق بألفاظ القرآن كقول عمر رضي الله عنه « سمعت  
 هشام بن حكيم يقرأ القرآن على حروف لم يقرئها رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ موصوفا لكل من حروف  
 عمر وحروف هشام إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأفروا ما يسمونه وهذه الأحرف التي ذكرتم أوصاف  
 باطنية وأنوار بائية في ذاته ﷺ لا يمكن أن يخاف عمر وهشام فيها حتى يجهيها رسول الله ﷺ بأن القرآن  
 أنزل عليها » فقال رضي الله عنه اختلاف النافطات التي في أحاديث الباب فرع عن اختلاف الأنوار الباطنية  
 فتسكين الحروف ورفعها ينشأ عن القبض والتعب ينشأ عن حروف الرسالة والخفض ينشأ عن حروف الأدمية  
 ولكل آية فتح خاص وذوق معلوم . فلما سمعت هذا الكلام المدور بادرت فقرأت عليه الفاتحة وصعدا من  
 سورة البقرة فسمعت منه في بيان ذلك التفريع ما بهرتني ثم أعدت القراءة وقرأت بسبع روايات قراءة نافع  
 وابن كثير وأبي عمرو بن العلاء البصري وأبي عامر وعاصم وحجة والكسائي فسمعت في ذلك المحجب الحجاب  
 ورأيت القرات السبع تختلف باختلاف الأنوار الباطنية فظهر لي والحمد لله وله المنة ما كنت أطلبه . منذ نيف  
 وعشرين سنة في معنى الحديث وقد طلبه قبلي الحافظ ابن الجوزي نيفا وثلاثين سنة فظهر له وجه في معنى الحديث  
 ثم ذكره له وقف عليه لغيره ولكنه قاصر على التلفظات واختلافها فذلك الوجه وغيره مما قيل في الحديث  
 (الحا تعلقوا فيه بطل الشجرة الخ) وقال الشيخ ابن المبارك قبل ذلك ﴿ إن جلال الدين السيوطي نوع الأقوال  
 فيه إلى أربعين قولاً ومع وقوفي على كل ذلك لم يحصل عندي ظن بمراده ﷺ بل بقيت على الشك حتى  
 عرفت الحقيقة من شفا ذلك الأمل ﴾ انتهى ملخصا

فلما سمع صاحبي ذلك قال إذن الشيخ الديباغ ربط ظواهر الألفاظ ببواطن الأنوار واختلاف العلماء رجع  
 الى الألفاظ مع الجهل بل تلك الأنوار . قلت نعم . قال عجبا . كيف يكون في العالم عقول ونفوس مشرقة الى  
 هذا الحد . أنست هذه النفوس أرقى من نفوسنا نحن . فقلت نعم إن هذه النفوس التي تصف بالصفات التي  
 ذكرها الشيخ الديباغ عجيبة فهي صفا لا كدر معه وعلم لا جهل معه ونور لا ظلمة معه . وإذا كانت نفس  
 الشيخ الديباغ على هذا الخط فهي من عالم أسمى من مستوانا الذي نبش فيه . وإعجب لما ذكره هو وقلته  
 في سورة (الكهف) من وصف لطبقات الصوفية في الأمم الإسلامية وشرحه مسألة ذكر الأسماء والأورد وأن  
 أكثر هؤلاء لا ينالون من الفتح قليلا ولا كثيرا وشرح طرق الصوفية في أدوارها الثلاثة وكيف يقول هناك  
 ﴿ إن أكثرهم طلاب دنيا لا طلاب آخرة ﴾ . فقال وما الحكمة في ظهور أمثال هؤلاء في أمة الاسلام . قلت  
 يظهر لي أن هؤلاء يخفون في الأرض لأمور منها

(١) ان الانسان اذا فتح الله عليه بشئ فأفاد في العلوم يعلم أن علمه بالنسبة لغيره كالعلم وأن هذه  
 الظواهر ليست شأ بالذات للحقائق

(٢) ومنها أن المسلمين اليوم أصبحوا أجهل الأمم بسبب الشيوخ الجهلاء الذين يهوونهم أنهم عندهم  
 علوم مكتومة عندهم فيقال لهم أيها الشيوخ الجهلاء انظروا لهذا الشيخ هل أفضت عنايوا على تلاميذكم كعلوم  
 هذا الشيخ الأمل مع أنكم تجهلون ظواهر القرآن والعلوم . إذن هذه الدعاوى كاذبة . واعد أسسن مضافي  
 كمال باشا في الخرابه أولئك الشيوخ من زواياهم وجعلهم مع الناس يعملون كما يعملون لأهم لم يفيدوا الأمة شأ  
 (٣) أن يجد العلماء في العلم لأنه لا ساحل له وإذا جهل علماء الاسلام ظواهر العلوم فتكيف بصلون  
 لبواطنها فاعلمهم أن يقرأوا سائر العلوم والله هو الذي يصطفي للحقائق من يشاء

(٤) ان هذا الشيخ قد اطاع على بعض العلوم قبل ظهورها كما سيأتي في سورة (النور) فسأقل عنه  
 هناك انه رأى جبال الثلج في الجؤ مریدا بذلك تفسير قوله تعالى - ويتزل من السماء من جبال فيها من برد -

فقال اني شاهدت جبال الثلج في الجوّ والبرد يصنع من ذلك الثلج بفعل الله تعالى وهذا حقا قد كشف بانطارات في عصرنا الحاضر وستراه مرسوما فهذا يحب بل معجزة للقرآن فكذب ينزل القرآن بذلك ولم يكن معلوما ثم كيف يأتي رجل أي فيخبر به قبل حصوله والمسلمون وأهل أوربا جميعا كانوا يجهلون ذلك ثم يظهر في هذه الأيام فقط وقد رسم فعلا . أفليس هذا عجبا وهذا في زماننا ليس يدعا فاذا اطلعت على كتابي المسمى (الأرواح) رأيت عجبا فان الصبي الجاهل وقت التنويم ينطق بما يجهله أكبر فيلسوف في أرضنا . وهذه (الورا) بنت الحاكم الأمريكي فطقت بعشر لغات لم تكن لتعرفها من قبل . ولقد تقدم بعض هذه المسائل في هذا التفسير كالذي جاء في سورة البقرة عند مسألة السحر وبابل وماروت وفي مواضع أخرى فيها وفي غيرها (٥) ان ذلك يوجب على المسلمين أن يكونوا أعلم الأمم بهذه العلوم الجوّية والسموية والأرضية

(٦) ان هذه تحلّ لنا مشاكل كثيرة فان العقلاء في هذه الأرض يدeshون إذ يرون كواكب مشرقة وأنوارا متلاثة وحسابا منظما وسحابا مطرا وأنهارا وجبالا وحيوانا وجمادا ونباتا . فهل كل ذلك لأجل خدمة هذا الانسان في الشرق والغرب ونفوسهم على ما هي عليه من الضعف والجهل والحقد والحسد . ووجه الحل أن يقال هناك أرواحا عالية أرقى من هذه وأن هذه الأرواح الأرضية الانسانية اليوم لا تزال في حال الطفولة ولا ضير في ذلك فالرجل العاقل والحكيم الفيلسوف يربون الصبيان الذين لا يدركون إلا قليلا . إذن نفوسنا في هذه الأرض اليوم تربي بالتم والنظم والبأساء والضراء وهي تتخط حتى تموت وترتقي في عوالم حتى تصير في عالم أعلى وهي فيه متحدة مع اختلافها أشبه بالتحاد أضواء الشمس السبعة مع اختلافها فان الزهرة تختلف الحمرة وهي معها متعددة اتحادا تاما وهذه الألوان اجتمعت والتحدت لرقى العوالم الأرضية . فإذن تزول الخيرة من نفوسنا أو تقل في هذا النوع الانساني المصنوع أبعد صنع ثم هو في الرذائل مدفون . فاننا نقول اذا كنا نحن الآن على هذه الحال فلا عجب فعن ربينا الله و يعطينا من العلم والأخلاق على مقدار طاقتنا وبه نفهم قوله تعالى - لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم \* ثم رددناه أسفل سافلين - فالأرواح في أحسن تقويم على حسب جبينها كما ظهر من أحوال وأقوال (الشيخ البداوي) فهو يصف لنا صفاء النفوس وجمالها وبراءة هارها له من الأرواح العالية التي أنزلها الله من عالم الأرواح لتعطينا حكمة وعلمنا وليست من درجتنا ولانم جبلتنا التي قد غمست في حارة هذه الأرض . ومن عجب أنه في تفسير هذا الحديث وهو حديث ﴿ أنزل القرآن على سبعة أحرف ﴾ أتى بزيادة الرذائل والفضائل التي أدرجها (الغزالي) في الجزء الثالث والرابع من (الاحياء) وسماها (المهلكات والمنجيات) فهذه كلها تضمنها الحديث عند هذا الشيخ العظيم الذي لم يتعلم . ومن عجب انه لمساله ابن المبارك العلامة المتقدم ذكره عن الحديث المذكور أجابه بقوله اصبر الليلة حتى أسأل النبي ﷺ ثم أخبره في اليوم الثاني بما سمعت بعضه هنا . إذن هذه روح كبيرة أشرقت في أرضنا لتدلنا على نقصنا أولا وتربينا أن هذا القرآن ليس القصد منه هذه الظواهر وحدها فالألفاظ والمعاني المتعارفة مقدمات لامور وراءها وهذه العلوم وهذه المعارف وراءها علوم ومعارف - فليترقوا في الأسباب - وهذا يفسر لنا مجاء في (علم الأرواح) حديثنا . ان بعض الأرواح لما سئلت لماذا نرى الكاملين عندنا تكذب عليهم الأرواح أجابت لا اكمل في أرضكم فالأولى أن تقولوا صالحين ولو كنتم كاملين ما حشرتم في هذه الأرض . إذن نحن هنا في الأرض ناقصون ونحن ربينا الله الآن ولم يصل أكثرنا للحكمال ولا قاربه وإذا كان هناك بعض الكاملين أمثال البداوي المذكور فاننا لانعرفهم ولا نلاحظهم لعدم الملامة بيننا وبينهم . وغاية الأمر أن أهل الأرض الآن يشبهون بالأرواح الكاملة في أمور . منها أن رئيس الولايات المتحدة قد أعلن في هذه السنة أي سنة ١٩٣٨ السلام العام بين الأمم وقد وافقت كتابته أكثر الدول على ذلك كما ستراه موضعا في سورة (الؤمنون) عند قوله تعالى - وان هذه أمتكم أمة واحدة - ومعلوم أن هذا كله اتحاد لفظي الآن فهم جميعا متحدون لفظا ولكنهم يصنعون

السلح ليلاً ونهاراً . إذن ليسوا كأولان الشمس السبعة بل هم كالذئاب العاويات وقد لبسوا ثوب الملائكة وعسى أن تكون هذه الظواهر مقدمات لحقائق في مستقبل الزمان . ومنها أن عمال كل حكومة يعملون لمصلحة واحدة وهم متعددون ولكن هذا اتحاد صناعي وإنما هذا كله يفهمنا أن هذه النفوس تغفل ظواهر ماخلقته وإن لم تصل إليه فملاكاً ترى الصبيان يركبون أعواداً كأنهم ركاب خيل إذ يفعلون مايقوله وهم لا يعلمون فأهل الأرض الآن يفعلون في سياساتهم ماظواهره تنبئ عن الحقائق وأن هذه النفوس الانسانية لن تنال سعادتها إلا بعد قطع عقبات في عوالم أخرى بعد الموت وتترك قيوداً وقيوداً من الأخلاق الشائنة والأكاذيب والنفاق ومادامت لم تصل لهذه السرجات فهي في سجين الجهالة معذبة مضطربة في جهنم البرزخ و يظهر لي أن قراء هذا التفسير من الأمم الاسلامية سيكونون على رأي واحد وعلى مشرب واحد في الشرق والغرب . ذلك لأن الدين الاسلامي فيه ليس منشعباً بل هودين واحد ورأي واحد وفكرة واحدة ففيه ظهر أن هذه العلوم التي تدرسها الأمم كلها هي أصول دين الاسلام . فأتم الاسلام بعدنا هم الذين سيقروا كل علم وكل فن . إذن سيتحدون مشارب وآراء ولايختلفون ولا يكونون كالذين تقدمونا من أم الاسلام للتأخرين في الزمان الذين ظنوا أن الاختلاف في فروض الوضوء أو في مدة الحيض أو في ركعات الوتر أمر عظيم فقراء هذا التفسير يعلمون حق العلم أن اختلاف الأئمة في الفروع لا يوجب التفرق . فاذن هؤلاء القارئون لهذا التفسير وأمثاله في عصرنا سيكونون هم الذين عليهم نظام جهور المسلمين يقودونهم الى اصلاحهم وسعادتهم واتحاد بمالكهم و دولهم ونظامها والله خير حافظا وهو الهادي الى سواء الصراط

هذا ماعن لي في تفسير قوله تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا اذا تمنى أتى الشيطان في أمنيه - وماتبع ذلك من تفسير حديث ﴿ أنزل القرآن على سبعة أحرف ﴾ وماشا كل ذلك والحمد لله رب العالمين فقال صاحبي . اذا كان الله قد خلق أناساً بيننا قد امتازوا امتيازاً عظيماً بحيث أصبحت معارفنا بالنسبة لمعارفهم شيئاً قليلاً . فاذا صح هذا كان ذلك موجبا ﴿ لأصبرين ﴾ أولاً ﴿ خزنا على جهنم بالنسبة لهم ﴾ ثانياً أن النفس تشرب الى هذه المرتبة وتبقى طول حياتها مؤملة أن تنالها . ولايخلص الانسان من هذه الأصرين إلا اذا كان غير مطلع على مثل هذا أواطلع عليه ونبهه وكذبه وأراح نفسه وليس كل امرئ قرأ هذا يستطيع التكذيب فان الآراء التي يقال في تفسير آية أو حديث مثل ما تقدم هنا لا تدع عقلاً يشك في تفوق قائمها . فقلت اعلم أن المراتب التي نحن عليها والسير الذي نسيره في حياتنا هو الذي سته الله عز وجل وهو الأقرب لسعادة نفوسنا ورقيها في الدنيا والآخرة وهذا هو القانون العدل والصدق والنور الالهي . فأما ما يكون بالمصادفات والامور النادرة فهو الذي لا يلام حالنا ولا يصلح لنا نظامنا الذي في هذه الدنيا . ألا ترى عراك الله أن الجنين لا يتكون إلا تدريجاً ولم تجر عادة الله أن يجعل النطفة رجلاً سوياً في يوم أو بعض يوم ولو أن الله أتى علينا العلوم دفعة واحدة وزدجت في أفئدتنا وشاهدنا في هذه الدنيا مالا عين رأت ولا ذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فان ذلك لا تحتله عقولنا ونحن في هذه الأجسام الأرضية . فاذا حبنا الله الآن فليس هذا لاذلائنا . كلا والله بل هو لسعادتنا لأننا لو حملنا ذلك لأعطاء لنا كآناح للجنين أن يقتحم المشية والرحم ويشق له طريقاً ويخرج من سجن الرحم الى هذه الدنيا الواسعة وينظر كواكبها وشموسها وأقمارها . فاذا كان مدبر هذا العالم لم يحبب الجنين عن مشاهدة عوالم لاحصر لعدتها بعد أن استكمل مدة النوى في الرحم وهو لا يشاهد هناك شيئاً إلا أنه مسجون في الظلمة . هكذا لا يحبب صانع هذا العالم ومدبره أرواحنا في هذه الأجسام الأرضية عن الاطلاع على ما وراء الحجب لأنه لو أطلعنا عليها قبل أولها لكان ذلك وبالاً علينا ونهاباً لعقولنا واهلاكاً لنفوسنا . هنالك قال صاحبي هذا القول مقبول والبرهان حق وصدق ولكن لو أردت بما رآه من كلام هؤلاء المفتوح عليهم لآرى ماذا يقولون فانهم إن أبدوا رأيك وطابق مقننهم برهانك هنالك تطعن



النفوس وتهدأ القلوب وتفرح الصدور ويقول كل امرئ منا (رضيت رضيت) وأذن يكون قارى هذا التفسير وأمثاله منشرح الصدر لا يحزن على ما حرم من مراتب عالية علمية ولا يندم على ما ذهب منه من تلك الثمرات العلمية . فقلت نعم هم الذين قرروا هذه الحقائق بأوضح مما ذكرت وأبين مما شرحت . قال إني لني شوق لسماعه . فقلت لقد نقل الشيخ أحد بن المبارك المذكور عن شيخه الديلماني أنه ذكر ما يشاهده المفتوح عليهم من السموات والأرضين وأفعال العباد في خلواتهم و يشاهدون نار البرزخ وهي الممتدة بين السماء والأرض وهي التي تذهب إليها الأرواح بعد خروجها من الأشباح على درجاتها وهناك الأرواح الناقصة فيها وهي هناك في منازل ضيقة كالآبار والكهوف والأعشاش وأهلها في صعود ونزول دائماً لا يكلمك الواحد منهم كلمة واحدة حتى تهوى به هوىته . وقال إن هذه النار غير نار جهنم بل هي نار هذه العوالم . وهنا ذكر أن هذا المفتوح عليه يشاهد الأفعاك والنجوم وهكذا ثم قال ويجب عليه أن لا يستعظم شيئاً من هذه الأمور وأن يستصغر كل ما يرى والا وقف به الحال وصار أمره الى الانتكاس لأن الذات في زمن الفتح شفافة تنفذ كل ما تستحسنه وهذه الأشياء المشاهدة كلها ظلام فإذا ركن الى شئ منها وقف في الظلام وانقطع عن الله عز وجل ولذلك كان غير المفتوح عليه في ساحة الامن وكان المفتوح عليه في غاية الخطر إلا من عصمه الله . وإذا كانت الذات قبل الفتح مشغولة عن الله عز وجل بنحو اللوز والرز وبب والجص فضلاً عن الدرهم والدينار والنساء والأولاد فكيف لا يفطن بعد الفتح بمشاهدة العالم العلوي والسفلي ومساعدة الشياطين له على ما يريد ولا عصمة إلا بالله . قال ومن وقف مع شئ من هذه الأمور السابقة كانت الشياطين معه بدا بيد وصار من جملة السحرة والكهان . ثم ذكر اللقمان الثاني وهو الكشف النوراني فذكر أنه مقام مشاهدة الأنبياء والملائكة على حقيقتهم ومع ذلك يحتاج أيضاً الى عناية وضبط نفس انتهى

﴿ رأى الشيخ الخواص والشيخ الشعرائي في هذا المقام ﴾

ولقد قال مثل ما تقدم الشيخ الخواص لتلميذه الشعرائي إذ قال له ﴿ اكمل الأولياء من دخل الدنيا وعمل فيها بالأعمال الصالحة ولم يشعر بكمال نفسه ولا شعر به أحد من الخلق حتى يخرج من الدنيا وأجره وافر لم ينقص منه ذرة قال فقلت له وهل ينقص الولي بمعرفة الناس بكماله فقال نعم أما سمعت قوله ﷺ (خصّ بالبلاء من عرفه الناس) فلا يزال الودّ يقوم له في قلوب المعتقدين الى أن يستوفى جزاء أعماله الصالحة كلها لأن الودّ والمحبة ما قاما في باطن الخلق إلا من ظهور كماله لهم فأحسن أحوال من ظهر كماله للخلق أن يخرج من الدنيا مفلساً بالأعمال الصالحة سواء بسواء قال فقلت له فهل يدخل الفتح الالهى استدراج ومكر فقال نعم يدخله المكر والاستدراج ولذلك ذكر الله الفتح في القرآن على نوعين (بركات وعذاب) حتى لا يفرح العاقل بالفتح قال تعالى - ولأن أهل القرى آمنوا واتقوا ففتحنا عليهم بركات من السماء والأرض - وقال تعالى في حق قوم آخرين - فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد - وتأمل قول قوم عاد - هذا عارض ممطرنا - لما حجبتهم العادة قبل لهم - بل هو ما استجمعت به ريع فيها عذاب أليم - تدمر كل شئ بأمر ربها - قلت له فما علامة فتح الخير وفتح الشرّ فقال كل فتح أعطاك أدباً وترقياً ودل نفس فليس هو بمكر بل عناية من الله لك وكل فتح أعطاك أحوالاً وكشفاً واقتبالاً من الخلق فأحذر منه فإنه نتيجة مجتهد في غير موطنه فتفاد الى الآخرة صفراً اليمين مع إساءتك في الأدب إذ طلبت ذلك فإن كل من طلب تجليل نتاج أعماله وأحواله في هذه الدار فقد عامل الموطن بما لا يقتضيه حقيقة قال فقلت له فإذا حفظ الله العبد واستقام في عبادته وعجل له الحق نتيجة ما أكرامه فهل من الأدب قبولها أو ردّها فقال الأدب قبولها إن كانت مطهرة من شوائب الحظوظ النفسانية . ثم ذكر أن الكمال أن يقابل الانسان جميع العوالم بما يناسبها ويعطى كل ذى حق حقه ويأخذ الأشياء بالحق ويردّها بالحق انتهى

و بعد أن سمع صاحي هذا قلت له . أفلمست ترى أن كلام هذين الصالحين هو عين ما قلته لك وأن استبجال  
الاطلاع على العوالم في الحياة الدنيا يشابه من كل وجه استبجال الأم أسقاط جينها قبل موعد مولده . فأنظر  
لهذا التحذير والتخويف وأن المطلاع على هذه العوالم معرض للخطر العظيم . ولتعم إلى أنا كنت أحب أن  
أقف على هذه الحقيقة من كلامهم فاستقرت نفسي الآن وانشرح صدري ورضيت رضا تاما بما نحن عليه  
الآن من هذه الحال فلنفس في التفسير ولنشرح صدر من يقرؤه فلا يحزن على أنه لم يطلع على عوالم جسيمة  
فان هذه قد عدوها شهوة نفسية توجب الانقطاع عن الله وجعلنا نحن أشبه بالسقط اذا سقط من الرحم قبل  
تمام المدة . ثم قلت له وانني أيها الأخ لم أكن لأجريك فيما سألتني عنه في هذا المقام مع خروجه عن موضوع  
تفسير قوله تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى - إلخ إلا لما أتوقبه من توالى الحسرات والوساوس  
في قلوب الذين يقرؤون التفسير إذ يقولون لماذا يفتح الله على أمثال السباع ويركنا وهذا الحزن يضر بالقارئ  
ضررا يلغا ويعطل رقى الأمم الإسلامية كما أنه فعل ذلك مع آبائنا وقرأوا في كتب المتقدمين أمثال ما ذكرناه  
هنا فتطاعت نفوسهم حسرات وأضاعوا الزمان في التناهي على درجة الكشف وهم في بحر لحي - أما الآن فقد  
حصرص الحق واستبان السبيل واستوفينا هذا المقام عقلا ونقلا بحيث لا يبقى في نفس الأذكيا من قراء  
هذا التفسير وأمثاله حسرة أولوعة بل يقرؤون ويعلمون الأمة ويسبرون في رقبها بحجب للعالم ولله مرقين للشعوب  
الإسلامية خصوصا والانسانية عموما مريدون بذلك وجه الله

فيأبأ الأذكيا أعمالوا في هذه الدنيا كما تعمل الكواكب والشموس والأقمار تسير مطيعة لربها لاتبني  
جزاء ولا شكورا . وإياكم وأن تطلبوا حظوظ نفوسكم بل كونوا عبادا لله مخلصين . هذا ما أرجوه لنفسي  
وسيكون هذا رجاء من يقرؤون هذا التفسير

هذا ولكن أيها الذكرى مفكرا في أهل زمانك فان الأمم الإسلامية اليوم على ما كانت عليه منذ قرون  
فانك ترى في كل قرية شيوخا لهم مريدون والنادر فهم من فتح عليه وهم جميعا يتغنون بهذا القول يوهمون  
الناس انهم وارثون هؤلاء الأعلام فيجب تحذير الناس منهم فأكثرهم خطر على الأمة الإسلامية إذ يقولون لهم  
ان علم الغيب هو العلم الحق والناس محجوبون ويغضونهم في العلوم المشهورة وهذا ضلال فلو قد تحقق أن تلك  
العلوم لا تحصل إلا للنادر منهم وهي في غير أوانها وأن أكثر من فتح عليهم يصعبون سحرة وكهانا . وبناء  
عليه اذا وجد المسلمون منهم من يخبر بالغيب فهذا ليس ولاية بل قد أصبح هذا الرجل كاهنا أو سائرا فأما  
الولى الاسلامى فهو غير هذا ولذلك يجب تطهير البلاد الإسلامية ممن يدعون الاخبار بالغيب ولوصدقوا أو من  
تظهر على أيديهم الخوارق ليظهروها للناس فان هؤلاء غالبا ضارون بالأمة الإسلامية ولذلك أحسن مصطفى  
كال باشا في طردهم من البلاد . فما أكثر هؤلاء لإلحاق طاعون يأكلون من أموال الأمة ولا يعملون لها  
شيئا . هذا ولما أتممت هذا وأطلع عليه صاحي قال والله لقد أخرجتني من مأزق صعب . ذلك اني كنت  
أقرأ اسمين من أسماء الله تعالى قد حسبتهما بالجل ليطابقا اسمي في حساب الجلى فكنت أقرأهما كل صباح  
وكل مساء بمقدار عدد هما طنانا أن الله سيفتح علي بهذه القراءة ويريني الحجاب في الدنيا ولكن تبين لي  
الآن اننى مخدوع لأن هذا الذكر ليس لوجه الله وأيضا لو فرض اننى فتح علي وشاهدت ما في قلوب الناس  
لم يكن لذلك فائدة وانى أنهلنى بما أشاهده من أحوال الناس وبما في قلوبهم وأعقد انى وصلت الى الله ولم  
أصل في الحقيقة إلا الى شهوق الى موافقة الشيطان فان نتيجة ذلك على فرض حصوله أن يعتقد الناس في  
و يقبلوا بدى و يأتوا بالخيرات من عرق جبينهم . وأنى شيطان أضل من شيطاني حيثذ وهنالك لا يكون  
لناس منى فائدة إلا انى أوهنهم بأنى وقتت على علوم تقطع دونها الاعناق فيقفون متعسرين ويحترقون  
علوم المسلمين من تفسير القرآن وحجاب المخلوقات التى ستظهر فيهم وتشر بعد ظهور أمثال هذا التفسير ويبقى

المسلمون في درجة الذل والانحطاط وأوروبا تسبقهم على أمريكا والصين واليابان ويحيطوا ببلادهم من كل جانب وذلك كله بسر وصولي وإطلاعي على المغيبات التي لا تنفذ المسلمين إلا أن يعظموني . أنا أقول هذا وأنا موقن أن الشيخ في بلاد الاسلام هنا شأنهم قد أضلوا المسلمين وأعمسهم عن العلوم فساد الحال واعتقدوا في شيوعهم أنهم أعظم العلماء حتى أتى سمعت عن بعض المسلمين في بلاد الغرب انه قال هل سيدنا محمد ﷺ أعظم شرفا من شيخنا فلان وأنا لا أحب أن أذكر اسمه هنا لأن تلاميذه يتلاون الأقطار وإنما قال ذلك لأنهم يسمعون انه يطير في الجو ويحيي الموتى ويعمل أعمالا لم تسمع لشيء من الأنبياء . هذا قولي وأستغفر الله لي وللمسلمين والمسلمات . ثم قلت ان ما شرحتة الآن هو الذي كان يحيش بنفسي لاسيما اني لما قرأت كتاب ( راجا يوقا ) المترجم من الهندية حديثا الى الانجليزية وجدت هذا الكتاب يجعل السعادة خاصة بمن يصلون الى ما وراء الحس ويكشف لهم عن عوالم الغيب مع انهم وثنيون ولهم ذكر خاص ورياضة خاصة بأن يحبسوا التنفس داخل الرئة أواخر الفم وإنما يفعلون ذلك كله لأجل الكشف والظاهر أن هذا نقل كله الى متصوفة المسلمين المتأخرين ولزعموا فيه بدليل أن النقشبندية عندهم هذا التنفس عينه ويمزجونه بذكر الله أما أولئك فيمزجونه بلفظ ( اوم ) وهي حروف ثلاثة تدل على الآلهة الثلاثة عندهم التي هي ثلاثة وهم واحد فهو كدين النصراني سواء بسواء . ولما قرأت هذا المذهب عجبت كل العجب كيف يقول هؤلاء انهم قد كشفت لهم العلوم وكيف يقبهم قوم عندنا من المسلمين وهذه حال محيرة جدا ولعل الله ألهم الشيخ الدباغ والشيخ الخواص الذين عرفا هذه الحقائق ودونوها حتى نستأنس بها الآن في هذا التفسير فتكون أشبه بنبراس لمن يعدنا إذ يعلمون أن هذا الكشف هو الكشف الظاهري وأنه نوع من السحر أو الكهانة . ولقد كنت أحيى في أسمى وأقول اذا كان أرباب الكشف قد ملؤا بلاد الاسلام فلماذا ترى هذه البلاد متأخرة كما ان الهند كذلك وهل هذا الكشف قد سلخ المكشوف عليهم من الانسانية حتى تركوا انوارهم في المذلة ولا يساعدونهم فأما الآن فقد عرفنا أن ذلك ليس مقصود الانسانية وأن هذه شهوات نفسية واننا نستعيد بالله منها وانها كاللال والولد والذكر والصب قد تغر الانسان وقد يضل بها أقوام وقد يصيرون مشوهين مشعبدن . فهذه الحال لا تدل على رقي نفس فهي كالرجل المزم ( بفتح الواو ) تنوعا مغناطيسيا فليس حضور الروح به دال على سمو المنزلة بالأخلاق العالية والمنزلة الشريفة في العلم والحكمة والفضيلة ومنفعة العموم . وأنا أرجو أن يكون قراء هذا التفسير هم الذين يبعثون في نفوس المسلمين الحية ويفهمونهم بما يفتح الله به عليهم . واني أجد الله عز وجل إذ علمنا ما لم نكن نعلم وفهمنا هذه المسألة التي لم أكن أأمل أن أقف على حقيقتها فاني كنت أقول أنا لا أقدر أن أحكم هذا الحكم إلا اذا كنت مطالعا على ما وراء الحجب أما الآن فقد علمت أنا وعلم كل من قرأ هذا التفسير حقيقة الحال من غير أن تقع في خطر كشف الحجاب الذي كنا نظن انه لابد منه لمعرفة هذه الحقيقة واذن نقول ما قاله بعض كرام الصحابة ( لو كشف عني الحجاب ما ازددت يقينا ) انتهى اللهم ان المسلمين الذين أحاطت بهم الدول من كل جانب وقفوا حيارى بين مدرسه في كتب السادة الصوفية وبين ما يشاهدونه حولهم من أعمال الأمم النافعة لهم وبغيرهم فهم أصبحوا عالة على الأمم ولا يبدون حراكا وسكت علماءهم لأن نفس العلماء متحيرون . فسبى المسلمون الكهرا باء والمغناطيس والبخار وغيرها قد انتفع الناس جميعا بها وهم لم يفعلوا الأمم اليوم بشئ مطلقا فهم يقرؤن كتاب ( الفتوحات المكية ) لابن العربي وفي ( الإيجاء ) للإمام الغزالي عن الفتح الرباني . وفي رسالة أيها الورد للغزالي أن هناك فتحا ربانيا به يرى الانسان ما وراء الحجب والمسلمون بين ذلك متحيرون هل ينقطعون عن العالم للذكر حتى يصلوا لهذا المقام أو يغمضوا الأعين عن كتب أسلافهم مرة واحدة كما فعل مصطفى كمال في أمه الترك أم ماذا يصنعون والله لقد حرم المسلمون من أمثال ( توماس ألفا اديسن ) الذي بلغ سن الثمانين في ( ١١ فبراير سنة ١٩٢٧ )

والذى اخترع المصباح الكهربائى والآلة الحاككة (الفونوغراف) وآلة الصور المتحركة (السينما) وغيرها حرم المسجون من رجال العمل . وقد كان آباؤهم هذه العالم قاطبة . فاولاهم لم يكن أولئك المخترعون والمستنبطون كما تقدم فى سورة (التوبة) وغيرها . إذن فليكن ما كتبناه فى هذا التفسير وما كتبه العقلاء فى أم الإسلام نبيا . فليعلم المسلمون فى أقطار الأرض علما ليس بالظن أن محاولة كشف الحجاب قد خاف منها رجال الصوفية وجعلوها أشد إبعادا عن الله من المال والولد والله يقول - واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا - فالخسار هناك يكون أكثر كما تقدم . فليعلم المسلم الآن بخدمة المجموع الانسانى كنه ان أمكن والا فأى مجموع يقتدر عليه واذن يكون خليفة لله خالق السموس والأفكار الطائعات لرب العالمين والحمد لله رب العالمين ﴿ النبات والديانات ﴾

ان الله أنزلنا فى هذه الأرض لاسعادنا وليس اسعادنا أن يعطينا العلم أو الرزق ونحن ساكنون ساكنون ان الرزق اذا أعطى بلا اجتهاد والمال اذا أعطى بلا عمل وكذا العلم اذا أتي بلا كد ذهن والدين اذا نزل الى الأرض ولم يكن هناك فيه شبه تعترض القول وتقف الشهات المذكورة فى طريق فهم الديانات أصبحت الأجسام معطلة والعقول كاسدة فان الرزق لوعم الناس أجمعهم بلاتعب لأصبحوا نباتا فان النبات يحيا ويمش على العناصر المحيطة به والناس هم الذين يأتون له بالساد . لذلك جعل الله رزق الناس موقفا على عملهم ليقوم بذلك أجسامهم وتجري دماؤهم وتصلح أحوالهم وتقوى عضلاتهم وأكثر الناس جهال لا يفهمون أن العمل الشاق لابد منه لصلاح أجسامهم . لذلك حرم عليهم الكسل وألزمهم العمد لتحصيل القوت كى تقوى أجسامهم وتصلح حالهم وسلط الحشائش على زرعهم وتقال ثماره . فعلم ذلك كرما منه ليكثر مادة الحيوان من تلك الحشائش والحيوان لا قدرة له على الزرع وبحوج الانسان لازالته فزيد قوته الجسمية وادراكه العقلى فى استنباط الحيل لإبادة ذلك ﴿ حياة الحيوان والديانات ﴾

هكذا ترى الحشرات والحوام والحيوانات الصغيرة المدابة بالأكروبات قد ساطها الله على الحيوانات النافعة فى ديارنا من الطيور التى ترى ومن حيوانات الحرث والسقي كل ذلك ليتبيننا بالعلم لاصلاح حيواننا ونباتاتنا الله التى أنزلنا لاهلاك زرعنا وقتل حيواننا وكذا نباتاته التى ساطها على زرعنا وملأ به أرضنا جعلها معا يلائم السهل والجبل وملأ بهما الحق وأحاطنا بها من كل جانب وساطها علينا ولم يؤثر الحق فيها كما يؤثر فينا وفى أنعامنا فجعلها أقدر على الزهرير فى الشتاء والحرور فى الصيف ونحن وحيواننا ونباتنا ضعاف أمام كل شئ . هذا من الله ليتبيننا مريدا بذلك تقوية أجسامنا بالعلم وعقولنا بالحيل . ولولا هذا لكننا مترفين منعين منفسين فى الملاهي فيكون الفناء العاجل . هكذا الديانات لو أن الدين نزل الى الأرض ولم يكن شبهات ولا خيالات كالدين الاسلاى وقبل الانسان القضاء ولم يبحث فيها ولم يكن بحث ولانتقيب . لو كان كذلك لماتت العقول وضاعت الأمم وأصبحت الأمة كلها من العامة الجهلاء فان الناس ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ عامة مقلدون . وحكماء محققون . وأواسط متشككون . فالعامة ناهيون العلماء والحكماء وقفوا على الحقائق . أما الشاكون فانما هم الشبان الذين ارتقت عقولهم عن طبقة العوام ولم يصلوا الى طبقة الخواص فهؤلاء هم الذين يتلون بالبحث حتى يصلوا فن وصل الى مرتبة الحكماء وعرف الحقائق فهم الذين قال الله بهم - وليعلم الذين أنونا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت فى قلوبهم وإن الله هداهم الذين آمنوا الى صراط مستقيم - وهو البرهان بعلم الحكمة كما تقدم . وأما القاسية قلوبهم فهم الذين حين شكوا تركوا النظر وحرقوا كل شئ وناموا فالعامة ليس عليهم ملام إنما اللوم على الذين امتازوا عن العامة فعرفوا أن هناك شبهات لابد من تحصيلها فأعرضوا عنها وماء هذه الشبه إلا باب الحكمة والعلم فاذا تركوها بقيت فى عقولهم وتركت عليهم

واعلم أن هذا المقال الذى ذكرته قد رعى طيرين بحجر واحد فان الشبه القائمة فى الديانات على نفس الأنبياء ومازولوا به تقوم على نظام الكون وجسالة فكيف يكون الكون جسلا منظما وخالقه هكذا يفعل إذ يوقع الناس فى مشاكل فى حقولهم وزروعهم ودياناتهم وأعمالهم . فالجواب قد عرفته فى { الأمرين } الدين ونظام الطبيعة { فالشيطان يوسوس ليشك الانسان فى النبوة قائلا ان القرآن ليس منزلا لما فيه من كذا وكذا ويوسوس قائلا ان هذا العالم ليس منظما فاذن ليس له خالق فيجاب بما أجبت به مؤثقا وأن هذا باب من أبواب الحكمة فابتهد أن يفتح عليك وسترى ما آيات الله العجيب فتوجه الى الله وهو بعلمك - واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شئ عليم -

{ فصل فى أن العقاب يجب أن يكون على قدر الذنب وتمثيل ذلك بإيلاج كل من الليل والنهار فى الآخر } قال تعالى (ذلك) أى الأمر ذاك وقد استأنف سبحانه بعده فقال (ومن عاقب بمثل ما عوقب به) ولم يزد فى الإقتصاص (ثم بنى عليه) بالعودة الى العقوبة . يقول الله ان من جازى بمثل ما فعل به من الظلم ثم ظلم بعد ذلك خفى على الله أن ينصره سواء أكان ذلك من الأمم أم من الأفراد (لينصره الله إن الله لعفو) يحو آثار الذنوب (غفور) يستأنواع العيوب . وانما ذكر هذين الوصفين لأن من بنى عليه قد كان الأولى له أن يصبر ولا يعاقب الباغى لما جاء فى القرآن من طاب العفو وكفوه تعالى - ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور - وقوله - وان تعفوا أقرب للتقوى - رقبه - فمن عفا وأصلح فأجره على الله - فالنتقم قد ترك الأفضل والله قد تكفل بنصره اذا بنى عليه مرة ثانية أيضا اذا عاقب بمثل ما عوقب به فهو عفو له غفور لتركه الأفضل وهو العفو عن الباغى منها على أن العفو خير وأبقى (ذلك) النصر (بأن الله يوبخ الليل فى النهار ويوبخ النهار فى الليل) أى ذلك النصر للظلم بسبب انه قادر على ما يشاء ومن بجانب قدرته انه يدخل ساعات الليل فى النهار فيأخذ الليل فى القصر والنهار فى الطول وذلك فى فصل الشتاء والربيع ويدخل ساعات النهار فى الليل فيجعلها فى الليل ويأخذ النهار فى القصر والليل فى الزيادة وذلك فى فصل الصيف والخريف ولا يأخذ أحدهما من الآخر إلا على مقدار ما أخذ الآخر منه وذلك فى بلاد مصر لا يبدو أربع ساعات فأقصر نهار عسدينا عشر ساعات وأطولها ١٤ وهكذا العكس فلا يأخذ النهار من الليل ولا يأخذ الليل من النهار إلا بحسب واحد فذلك جعلت الانتقام من الباغى على مقدار جرمه لا يزيد ولا ينقص كما جعلت كل ليل لا يأخذ من كل نهار إلا ما أخذه الآخر منه

(١) فاذا كان ذلك فى مصر أربع ساعات أى ان كلا منهما ينقص فى النهاية ويزيد فى النهاية عن الآخر

أربع ساعات

(٢) فى أطراف الهند والصين يكون ساعتين

(٣) وفى بلاد السند وبعض البلاد الفارسية أربع ساعات كالقاهرة

(٤) وفى البحر الاسود وقرب القسطنطينية ست ساعات

(٥) وفيها يقرب من باريس وبرلين ونحو ذلك ثمان ساعات

(٦) وفيها يقرب من بحر الشمال وماوالاه (١٠) ساعات

(٧) وفيها وراء ذلك ١٢ ساعة و ١٤ و ١٦ و ١٨ ساعة شمالى بحر الباطق وفيما بينه وبين رأس الشمال

تصل زيادة كل منهما من الآخر فى النهاية الى (٢٠) و (٢٢) و (٢٤) ساعة ثم تكون الزيادة بالأشهر ويكون أطول نهار يصل الى ستة أشهر وأطول ليل يكون ستة أشهر وهنا يتساوى الليل والنهار كما تساوى فى خط الاستواء . فى خط الاستواء كل منهما (١٢) ساعة دائما وفى القطبين كل منهما ستة أشهر دائما فيما بعد جزائر (جروالنده)

هذا معنى الآية . يقول الله ان الليل لا يأخذ من النهار ولا النهار يأخذ من الليل إلا على مقدار ما أخذ الآخرته فانظروا حسابي في ذلك وافعلوا . مثل ما فعلت ولا تنتقموا إلا على قدر الذنب لأن هذا هو العدل وأنا العدل وإن أسست السموات على العدل وملكى قلم على العدل . هذا هو العدل وهو المساواة والانصاف في كل شيء . فإياكم أن تنتقموا فوق ما رسمته لكم لأنكم قد خالفتم القواعد التي رسمتها . وإياكم والحقد على من عاقبتموه وودم الغضب بل ارجعوا بعد ذلك للمساواة والاعراف عدلي ونظامي فليكن كل شيء في أعمالكم وأخلاقكم بميزان وعدل . انتم قد جعلت المساواة في كل شيء نموذجاً للعدل عندهم ورسمت لكم الحطة فاتبوها وأنا القاتل . والسماء رفعها ووضع الميزان . فهذا هو الميزان - أن لا تطفوا في الميزان \* وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان - فكما وزنت الزيادة والنقص في الليل والنهار بحسبي فزنوا أعمالكم في الانتقام كما وزنت أنا وإن لم يراني إلا الذين يسبرون على صراطى وهذا صراطى فأياكم أن تحيدوا عنه . فأنا نصرت الذي يني عليه كرة أخرى اذا كان عقابه الأول بمثل ما عوقب به لأنه فعل ما فعلته في الليل والنهار من الحكمة والمساواة (وإن الله سميع) يسمع قول المعاقب والمعاقب (بصير) يرى أعمالها فلا يهمل مثقال ذرة (ذلك) الوصف بكمال القدرة والعلم (بأن الله هو الحق) الثابت في نفسه الذي هو مبدأ لكل موجود فاذا اختلف الليل والنهار وتناقصا للتعداديان من الناس فهو مصدر هذه الخلائق المتدخلة وهي تزيد وتنقص وهو ثابت لادارة شؤونها فالتحركات لابد لها من محرك فان لم يكن ثابتاً فلا بقاء لها (وأن ما يدعون من دونه هو الباطل) لأن الأنعام وكل ما يعتقد فيه الالهية غير ثابت إذ هو متغير تتقلب الأعراض كسائر الخلق (وإن الله هو الحق) على الأشياء (الكبير) عن أن يكون له شريك

﴿ لطيفة في قوله تعالى - ذلك بأن الله يوجب الليل في النهار - أيضا ﴾

لما كان القول المنقسم في شأن الحارثة وانتقال وأن ذلك لازم لبقاء المساجد والكنائس وما أشبهها وقد طال المقام في منازعات أهل الأرض ومنافعهم أراد الله سبحانه أن يفرج العقول ويخرجها من انحصارها في الامور الجزئية الأرضية الى باحات الجبال وساحات الجبال ويقول ارفعوا رؤسكم الى أعلى . إن قتالكم مع الكفار ونصركم عليهم وعقابكم للباغيين عليكم ونصري لكم ليس هو المقصود من الدين ولا من الحياة . هب انكم نصرتم على الباغيين وعلى الكافرين . فهل هذا هو المقصود من وجودكم . كلا . هذه أمور أخلاقية والأخلاق اعتدالها صراط مستقيم والصراط المستقيم لا يقصد لذاته بل هو موصل لغيره . الصراط في الآخرة فوق جهنم يتوصل به الى الجنة ولا يمكن ذلك لكم إلا باحتياج الصراط السوي في الدنيا بالأخلاق الفاضلة كالعفو او كالانتقام على قدر البني وهذا كله ليس مقصوداً لذاته بل المقصود أن نفوسكم بعد هذا تنفرغ الى ما هو أعلى فالأخلاق في الدنيا بيدها الفتح بالعلوم فهناكم يكون صراط لآخرة فالجنة على مقتضى الاخلاق في الدنيا والعلوم فيها بل ان أولى الآيات من الناس في الدنيا يرون أن العلم في الدنيا والابتهاج به جنة حقيقية تجلت لهم ويفرحون بالوت اذا أعوا ما وجب عليهم على قدر طاقتهم لعباد الله ويقولون إنا اذا متنا زدنا علماً و يقرؤون - وقول رب زدني علماً - و يقرؤون - نورهم يسي بين أيديهم وبأسماهم - وذلك انور هو نور الله الذي كسبه في الدنيا ويقولون معنى ماورد ﴿ وعليون لأولى الآيات ﴾ أى ان أعلى لذة للنوع الانساني الوقوف على الحقائق . ويقولون إن لذة الطفل بالتراب حوله وازدياد الفرح بكل جديد عند سائر الناس مبادئ يعرف منها أن فطرنا لاسعادة لها لا بالعلم . فاذا ذكر الله التل والنهار في معرض القتال والانتقام وأناب كيف يكون العدل مع ان الناس لا يشعرون عادة بالنسبة بينهما فما ذلك إلا لأن الأمر عظيم وأن الحياة ظلمات والحكمة والوقوف على الحقائق نور . فاذا حاربنا فلنكن النهاية نصب أعيننا وهي الاغتيال بالعلم . واذا غفونا فليكن كذلك ولنكن وجهة الانسانية العلم . وقد أصبح هذا العصر علم فلا دنيا إلا بالعلم ولما لا إلا بالعلم ولا نأثر إلا بالجهل

ولا فقر ولا ذلّ إلا بالجهل . هذا هو السبب في ذكر الليل والنهار في هذا المقام . أفليس ذلك بمعجب فبذلك فلتفرحوا وهو خير مما تحبّهون . وبمثل هذا فتتعرف بلاغة القرآن . هنا تتضاءل الفصاحة والبلاغة المبرّدة من الحكمة والعرفان . هنا يذوب علم البلاغة المعروف . إن عالم البلاغة الذي لم يبق من علوم الحكمة حظا ولأمن علوم العجائب السماوية والأرضية كفلا حتى ليكون مقدمة لمن ينظر في العوالم فهو أشبه بصراط مستقيم يتوصل عليه إلى جنة العرفان . فالبلاغة التي يدرسها الناس في المدارس أشبه بإذن يعلم الأخلاق الذي لا علم بالحقائق إلا بعد الاتصاف بضمونه . وإذا كان علم الأخلاق النفسي لابد منه للوصول إلى الحقائق العلمية في السموات والأرض هكذا يكون علم الأدب اللغوي من البلاغة وما يحتاج إليه من العلوم كالنحو والصرف واللغة والمعاني والبيان والبدیع والاشتقاق والتاريخ وما أشبه ذلك فهي كطريق مستقيم يتوصل به المطلعون على عجائب هذا العالم إلى فهم تلك الحقائق من القرآن . فإذا سمعت قول المتدّئين في العلم القائلين إن القرآن لا يعرف إلا بالبلاغة العربية فاعلم أن تلك المعرفة هي الصراط الموصول لغيره وليست هي نفس علم القرآن والمقصود منه كلاب هي طريق يوصل لما هو المقصود وهو أدراك الحقائق مثل ما كتب لك الآن بعضها . فبلاغة القرآن شيء ومعرفة معاني القرآن وعالومه شيء آخر فالتقدمات غير المقاصد والمقدمات بلامقاصد شجر بلاغر وافظ بلاعنى والقانع بها مغرور والله هو الوليّ الجيد اهـ

### ﴿ فصل في ذكر عجائب الأرض بعد العجائب السماوية ﴾

قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً ﴾ بالنبات (إنّ الله لطيف) باستخراج النبات فيصل علمه وطقه إلى كل ما جلّ ودقّ (خير) بكل تدبير ظاهر وباطن (له) مافي السموات ومافي الأرض) ملكا وخلقاً (وان الله هو الغني) في ذاته (الجسد) المستوجب الحمد بصفاته وأفعاله ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَاءَ الْأَرْضِ ﴾ جعلها مذلة لكم معدة لمناقضكم (والفلك تجرى في البحر بامرّه) الجلة حال (وبمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بأذنه) لإبمشيته - يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسموات - فترجع الأرض والسموات رقنقا كما كانتا رقنقا وقد تقدّم إيضاحه ﴿ سورة الأنبياء ﴾ إذ تصير كرة الشمس وجيع السيارات حولها في حال كالحال الأولى مشتتة مفرقة ثم تصير كرة نارية وهكذا (إنّ الله بالناس لرؤف رحيم) إذ جعل هذه العوالم بنظامها الخالي ولم يرجعها إلى الحال الأولى ليفني ما عاينها وتكون هي كرة نارية غازية (وهو الذي أحياكم) بعد أن كنتم جادا مما سبب لكم من بقاء العالم على هذه الحال ولم يعثره فتصطك الأرض بالسموات (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) بالبعث (إنّ الإنسان لكفور) لمجدود لئله لأنه محفوظ محوط بأنواع النعم وهو لا يشكر عليها

### ﴿ لطيفة في قوله تعالى - أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً - ﴾

نرجع إلى مسألة الحرب كرة أخرى ولننظر كيف ذكر الله أنزال الماء من السماء في حيز الكلام على الانتقام بعد أن ذكر أولا إيلاج الليل في النهار . يقول الله إن الانتقام من الباغي يكون بالعدل كاعدات وأنا خلقتكم للعلم فلتكونوا علماء . فهكذا هنا يقول أفلم تنظروا إلى الأرض كيف أنزلنا عليها الماء من السماء فاختضر النبات . اعلم أن الأمم إن لم تهذبها الحوادث ولم تؤدبها الكوارث ولم توقظها النوازل ولم تعلمها التجارب بقيت بلهاء نائمة ناشئة . فالأمم كالأفراد لا يقومون من غفلاتهم ولا يستيقظون من نومهم إلا بموقظات الأيام ومزعجات الليالي . ولعمرك لم يبعث الحرب الكبرى في أمم العرب والشرق (سنة ١٩١٤) إلا تلك الكتب التي أبرزها علماء الألمان قائلين ﴿ الأمة بلا حرب ميتة ﴾ فإذا رأينا أمة قد غفلت بأنوثها وجهل شبانها وتنعما وانغمسا في اللذات فلينزل عليها طمر الحرب وليسبب لها أمطار القنابل ونيران الصواعق المرسلات من الطيارات ولترعها الجيوش الجرارة والجحافل الكرارة في حنادس الظلم وفي جارة القىظ . هنالك نبئت يسها

وتخضر شجرها وتزهو حدائقها بأفانين الحكمة وأزهار العلم . هنالك يستيقظ الشبان من سباتهم . هنالك الأفراح والمسرات . هنالك تنبج البلاد . إن البلبا والمنايا وافتاح الأعلام في الأمم مشيرات كوامن الأخلاق والمواهب والسجيا . لن تظهر كوامن الأخلاق ومجانب الغرائز وصنوف الفضائل إلا بانزال ماء المحن عليها فهناك تهتز النفوس وتنبت من كل زوج بهيج . من الحكام والسجيا والفضائل والمزايا . هذا ملخص ماقله علماء الألمان حتى أناروا نائرة الحرب الكبرى . وقد قال ذلك من قبلهم (سقراط) في كتابه إلى الاسكندر وقد تقدم في هذا التفسير وهو أن الأمم لا تطبق النعيم والراحة والدعة فإن ذلك يمت الغرائز ويضمحلهم وانما يرفعهم إلى العلام ادامة الأعمال وانارة الغرائز . أقول في الرصاص المنهاتل ولا القذائف من القنابل إلا كاطل والوايل أصاب أرض النفوس فأنبثر بحان المهم وأشجار الحكيم فأزهرت وأثمرت وأغنت الواردين والصادرين ولقد جاء في علم الأرواح أنهم سئلوا عن الحروب فأجابت إحداها قائلة : إن الحوادث العظمى في الأرض والحرب الطامة تكون لغرض احداث تبدل عام في نظام أرضكم وتكون فيها أرواح قد حلت الأجسام الأرضية غير صالحة للارتقاء فيصعب بها الفناء وتسكن أخرى أعلى منها أرضكم بحيث يخلق الله في بطون الأتئات أرواحا أرقى عزة من أرواح الموجودين فكل عمل الداهيين ولذلك يكون الاختراع والتقدم دائما بعد النوازل العظيمة كالحروب الطامة والزلازل والوباء انتهى

فانظر قول علماء الألمان وقول (سقراط) وقول الأرواح . أليس هذا عين ما في القرآن . أليس ذكر اخضرار الأرض بعد انزال الماء عليها هو عين ارتقاء النوع الانساني بعد الحروب والرصاص والوباء والزلازل والاهلاك العام في بقعة أوجهات متعددة . لعمرك إن هذا من أسرار القرآن . إن من يسمع القرآن وهو لم يدرس الحكمة واكتفى باللغة العربية وتوابعها و بلاغتها يظن أن ذلك تكرار وتكرار فانه ذكر في أول السورة انه ينزل الماء على الأرض فهتز وتهتز من كل زوج بهيج يستبدل به على البعث . وهنا ليس لذلك ولاغيره بل ليدلنا على ماذكرناه وأن الأمم يتجدد شبابها بالحروب ويقاس عليها النوازل الكبرى كالزلازل والوباء . ان من يسمع القرآن وهو لم يدرس العلوم لأشبه بمن يسمع لغة أجنبية وهو لا يفهمها فانه يظن أن كلماتها عبارة عن نعمة واحدة ليست مفصلة ولا مختلفة كمن يرى الشيخ من بعيد فانه لا يعرف أعضاده ولا ماهو . هكذا نحن نرى الكواكب وهي لبعدها عنا لا نرى فيها إلا قطعاً لماعة كالمس ولا نرى ما فوق ذلك هكذا كل علم وكل فن يجهله ومن ذلك القرآن . فذكر اخضرار النبات مرة بعد أخرى وذكر ابلاج الليل في النهار وابلاج النهار في الليل في مواضع مختلفة يجعل أكثر الناس لا يعلمون ما المقصد من هذا التكرار والعلم هو الذي يجل الحقائق . إن القرآن لا يعرف إلا بقراءة علوم طبيعية ورياضية وفلسفية وسياسية واجتماعية وروحانية والله الهادي إلى سواء الصراط اهـ

﴿ بهجة العلم في قوله تعالى أيضا - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير - ﴾  
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله على نعمة العلم والحكمة . اللهم إنا نحمدك على ما علمت وعلى ما نشرت من الحكمة في الشرق والغرب وعلى ما ألهمتني فألفت كتاب ﴿ أين الانسان ﴾ في نحو سنة ١٩١٠ أي قبل كتابته هذه الأسطر بنحو ١٨ سنة وأجدك على أنك شرحت صدى لهذا التفسير وإن ذكرت فيه كثيراً من الحقائق العلمية والسياسية وقلت إن الشرق والغرب يجب أن يكون عقلاؤهما وعلماءهما متحدين لارتقاء نوع الانسان وانهم الآن لجهلهم قد تركوا مواهب العقول مبعثرة هنا وهناك ومنافع الأرض والهواء والأضواء متركبة متنبذة وهم هائمون في ضلالتهم جاذبون في غوالبهم وحروبهم يأخذ زيد مافي يد عمرو من المال جهالة ونذالة وقد ترك أضعاف وأضعاف أضاعه في خبايا الأرض وخفيات الطبيعة ونسي السؤاس وعظما الأمم في كل أمة من الأمم أرضاً منبذة لا تزرع ومنافع مهجورة لا تعرف ذلك للجهل العام في هذا العالم . فالأرض الصالحة لا تزرع



في الأمم المنبوذة المهجورة تنادى بلسان فصيح قارئة قوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة - . الماء ينزل من السماء ويملاً الأنهار والأنهار تجري على اليابسة وتمر والناس غافلون عن أعينهم ما هم فيها . هـ - أنهار النيل ببلادنا تجري إلى البحر الأبيض المتوسط ويقولون إن البلاد بها نحو مليون وسبع مائة ألف فدان تصالح للزرع ويريدون أن يذهبوا الماء الواجب لها حتى تخرج للناس رزقا . هذا مثل واحد من أمثال كثيرة . فالناس لشهرهم في الشرق والغرب يتركون أمثال هذا أضعافا مضاعفة في كل أمة وتحت أيديهم إلى مافي أبدي أخوانهم جهالة قديمة العهد توارثتها الأمم كبرا عن كابر لأن العقول لم تكن مهيأة لأن تعقل - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة - فليس الرزق خاصا بانتهاج مافي أيدي الناس قاصرا عليه بل ههنا رزق أوسع وهو أن الأرض تخضر بازال الماء عليها . إن الأمم لم تكن عندها مواصلات كما في عصرنا ولم تكن العقول وصلت إلى هذا الغنى وعلى قدر اختلاط الأمم واتصالها يكون التفاهم والتعلق وسيعرف الناس قيمة الأرض وزرعها ومنفعتها ومنافع الاشتراك العالم في الثروات

إن الأرض لله والناس كلهم أمة واحدة كما سيأتي في سورة (المؤمنون) وكل أمة قصرت في تعليم أبنائها أوفى نظام أرضها أوفى استخراج منافعها العامة فالأمم كلها يجب عليها أن تشاركها في استخراج تلك المنافع طوعا أو كرها وتزعمها بذلك وتأمرها بتعليم جميع من فيها . إن في كل أرض من المنافع ما ليس في غيرها وفيها من الخواص ما ينفع المجموع في السكرة كلها وتقويت خواص أرض في أمة من أمة الأرض أو خواص عقل من عقول أبنائها حرمان لأهل الأرض كلهم من تلك الخواص في الحالين . فلكل الأمم الحق في مطالبة كل أمة ببرز مالها من المواهب العقلية والخواص الأرضية وغير الأرضية . هذا هو الذي كتبت معناه في كتاب (أين الإنسان) وعرفه أهل أوروبا وكتبوا فيه . وأنا أزيد عليه الآن ما لم أكن أعلمه إذ ذاك من العلم - وفوق كل ذي علم عليم -

هل كان يخطر لأهل العلم أن النبات كالإنسان سواء بسواء . هل كان يحيل لنا ونحن ندرس في الفلسفة القديمة ونقرأ فيها أن النبات يحس بالضوء وبالجهات بدليل أنه يميل إلى جهة النور إذا نئذمن نافذة وينحرف عن الظلمة وأنه يسير على جبل نصب له بين حائطين ولا يميل عنه وأنه يميل إلى الرطوبة ويتجافى عن الجبوسة بعروق الضاربة في الأرض . وبالجملة له إحساس بما يلائمه إحساسا مبهما . أقول هل كان يخطر لنا ونحن نقرأ تلك الفلسفة ثم نكتبها في هذا التفسير في (سورة الرعد) ونحن نوازن هناك بين القديم والحديث . إذ رسمنا هناك بالتصور الشمسي أنواعا من النبات الذي يضطاد الحشرات ويهضمها وقد رسم بعضه وهو قابض على الحشرة ليتغذى وقد زود وقوى بالعسل والشكل الجليل وبالداهليز المسواة المنقطة المساء التي اقترى التباب بالولوج حتى إذا دخل المكان فرحا بعسله وجاله ونموته انتفض النبات عليه فاقترسه اقتراس الأسود للغزالان والخنزير للبقير الوحشي . أقول هل كان يخطر لنا إذ ذاك أن علما نباتيا يظهر في الهند في أيامنا هذه ويقابل الوزير المصري أثناء طبع هذه السورة تقريبا في أوروبا ويدعوه الوزير المصري إلى مصر ويحضر إليها ويبلغ محاضرة في دار (الجمعية الجغرافية) يوم الاثنين ١٧ سبتمبر سنة ١٩٢٨

إن هذا العالم المسمى (جاجاديس بوز) الهندي قد برع في هذا العلم حتى اخترع ما يخرعه أحد في أوروبا ولا في اليابان ولا في أمريكا إذ وصل علمه إلى أن النبات كالإنسان سواء بسواء فهو يحس وهو يتحرك وله دورة عصارية (أي بعصارة النبات) كالسورة الدموية للإنسان وله إحساس بألياف جعلته يحس - أسرع من إحساس الإنسان وهو يمرض ويتأثر بالسم ويشفي من المرض بعقاقير طبية . وبالجملة أصبح النبات كالإنسان سواء بسواء في كل أحواله وكأنه نطق بقوله تعالى - وإنتهتكم من الأرض نباتا - فأعجب كيف جعل الله الإنسان نباتا وهذا العالم (جاجاديس بوز) يقول كذلك بل أنك ستري في نص خطبته وتجربته أن الشرارة الكهر بآية

أثرت في النبات قبل أن تؤثر في الإنسان كما ستراه قريبا . أفلا ترى أن هذه نعمة أنعم الله بها علينا إذ أرسل هذا العالم الخطيب الى مصر أثناء طبع هذه السورة لتجعلها درسا وشرحا لما في هذا التفسير من العلم ومن نظام الأمم العام . ومن عجب أن القرآن أكثر من التمثيل بالنبات في أطوار كثيرة فإن زهد في الدنيا قال - إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض - الخ وإن استدل على البعث قال - وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت - وهكذا والعامة يقولون ﴿ إن الإنسان نبات مقلوب أغصانه يده ورجلاه ورأسه هي جذر النبات ﴾

إذا عرفت هذا فلا ذكر لك خطبة هذا العالم الذي قام دليلا على ما قلته في كتاب ﴿ أين الإنسان ﴾ من أن عالم الشرق ينفع الغرب وبالعكس وأن جهل الأمم يمنع العلم عن بعض أعم الشرق اضعاف للأمم كلها ومنها تلك الأمم المستعمرة لغيرها لأن ثمرات العقول في الأمم المغلوبة قد ضاعت على الناس جميعا وعلى هذه الأمة القاهرة . ذلك العالم الذي أدخلته النمسا في المجمع العلمي لديها وزيره ملك ( بلجيكا ) في معبده العلمي ( بكسلتن ) . ذلك العالم الذي أدهش نوع الإنسان باختراعه فقد كان الناس قد اخترعوا ( الميكروسكوب ) الذي يحسم الأشياء أنى مرة ولكنه هو اخترع ( كرسى كوغراف ) يكبر الأحجام خسين مليون مرة وهذا أمر عظيم وبهذا أظهرنا سر النبات الذي يحس أكثر من الإنسان . وقبل أن أقول لك الخطبة بخلافها أضرب لك مثلا في إحساس الإنسان وحركته لأن إحساس الإنسان وإن كنا نعرف ظواهره فيه خفايا وغرابا محتاج الى ضرب الأمثال

### ﴿ طرق البريد وطرق المواصلات في يد الإنسان ﴾

سترى في سورة ( المؤمنين ) في نفس هذا المجلد عند ذكر الإنسان ونحوه انى سأشرح لك نظام اليد الإنسانية مقتصرًا عليها لتكون نموذجًا لمعرفة غرائب جسم الإنسان . فسترى هناك أن اليد الواحدة من بدى الإنسان قد وجدوا لها ( ١٢ ) طبقة . ولما كان هذا الشرح ستراه هناك عدلت هنا الى ضرب مثل ليكون تنويعا في الشرح مع سهولة في التعبير لمناسبة ما هنا حتى نقبس عليه عجايب النبات حتى اذا قرأت خطبة العالم الهندى فهمت معنى آليات الحس وقوة الحركة في النبات فلا مثل لك اليد بمدينة عظيمة وهذه المدينة عليها سور من الخارج يحفظها ومعنى دخلنا من باب السور وجدنا ( ادارة البريد البرقى ) أى التفارغ الذى لا سلك له ووراءها ( ادارة الطرق والمواصلات ) ووراء هذين ( أنابيب المياه ) لسقى أهل المدينة

هذا كله حاصل في يد الإنسان من جهة ظاهرها وحاصل نظيره فيها من جهة باطنها وتفصيله كما ستراه هناك موضعا بعضه بالتصوير الشمسى . إن ظهريد الإنسان عليها جلد فهو أشبه بسور المدينة وتحت الجلد مباشرة أعصاب الحس - أى التى توصل ما يقع على الجلد من إحساس بمكروه ومحبوب الى المخ ولولا هذه الأعصاب المواصلات لم يحس الإنسان بحرق يده أو بقطعها فيضرب أو يحرق وهو لا يحس - بألم . فهذا الإحساس مركزه في السامع وفى داخل الفقار أى في الجهاز العصبي . فهذه الأعصاب عليها مدار الحياة إذ لو لم تكن تلك الناس والحيوان عن آخرهم وهم لا يشعرون . ثم وراء هذه الطبقة طبقة أخرى يشرعها علماء الطب بأيديهم مستقلة فيها أعصاب الحركة . ومعنى هذا أن أعصاب الحس - حينما توصل الخبر بالصار أو النافع وبالآلم أو الأضرار من الجلد الى المخ تأمر القوة الحاركة في المخ بأسرع من لمح البصر أعصاب الحركة أى التى في الطبقة التى تحت هذه الأعصاب التى سينهاها ( ادارة المواصلات ) كالطرق الحديدية والطيارات وأنواع السيارات . فهذه الأعصاب أى أعصاب الحركة تقبض اليد مثلا أو تبسطها أو تحوذلك من الأعمال المختلفة . فان كانت تلك الأعصاب من جهة ظاهريد بسطة وبالعكس فان أمرت القوة العاقلة في المخ أعصاب الحركة قبض اليد مثلا هيأت أعصاب الحركة التى في جهة باطن اليد قبضت اليد وإن أمرتها بالبسط هيأت أعصاب الحركة التى في جهة ظاهريد

فبسطت اليد . فلبسط أعصاب وللقبض أعصاب والمخ هو الأمر لكل حال بما يناسبها  
إذا فهمنا هذا في أمر اليد فهمنا مامعنى الاحساس في الحيوان ومامعنى الحركة . وإذا عرفنا أن وراء  
أعصاب الحس في اليد وأعصاب الحركة الأوردة والشرابين التي تغذى الجسم بالدم فهمنا معنى قول هذا العالم الهندى  
أن في النبات عصرة تفعل فعل الدورة الدموية في الانسان

فلخص ما يأتى في أمر اليد أن هناك سورا يحيط باليد ووراء السور طرق البريد بجميع أنواعه ووراء  
البريد طرق الحركة والأعمال بجميع أنواعها ووراء هذه الطبقة الأنهار والترع والخلجان وهذا الترتيب عجيب  
فان وضع الطرق البريدية والبرق (التلغراف الذى له سلاك أو لاسلاك له) وراء الجلد الذى سمينا سور المدينه لأجل  
أن تصل الأخبار حالا الى المخ ولولم يكن هذا الوضع على هذا النظام لاختل أمر الحياة لأن الجاد إذن لا يحس بما  
يفناه من قطع أو حرق فيهلك الانسان لعدم الاحساس لأن الاحساس قد وضع بعيدا عن هذه الطبقة وهذا  
سر عجيب وحكمة منظمة غريبة . ومعلوم أن ما بعد العلم إلا العمل والعلم مقدم على العمل والعلم هنا يكون  
بأعصاب الحس فوجب أن تكون أعصاب الحركة نالسة لها ليكون العمل . لتلك كانت أعصاب الحركة  
تحت أعصاب الحس كما ترى سلوك التلغراف في بلادنا المنسربة فوق الأعمدة المنصوبة . ونرى القضب المنصوبة  
أسفل منها على الجسور وعليها القطرات تمر . ولا جرم أن هذه تقابل أعصاب الحركة في اليد ثم اننا نشاهد  
على جوانب الجسور التي عليها قضبان السكة الحديدية ترعا جانبية تسقى الحقول . فهنا أسلاك التلغراف تحتها  
قطار البرق في الأرض وتحتها الأنهار لسقى الأرض وهنا كذلك سواء بسواء فأعصاب الحس في مقابلة أسلاك  
التلغراف وأعصاب الحركة تحتها في مقابلة قطار السكة الحديدية والشرابين تحت ذلك في مقابلة الترع التي يجرى  
الجسر الذى عليه تجرى القطرات . بحل الله الذى شرح لنا مافى أجسامنا بطهار نظيره في الخارج وأصبنا  
نرى الأعمال في المدن تضارع أعماله هوفى أجسامنا وأجسام حيواننا وأجسام نباتنا . اللهم إني أجدك جدا  
كثيرا على نعمة العلم وعلى نعمة الايضاح ونعمة الفهم اذ فسرت لنا بهذه الأعمال قوله تعالى - وفي الأرض آيات  
للموقنين \* وفي أنفسكم أفلا تبصرون -

يقدّم الله الآيات التي في الأرض على الآيات التي في الجسم . لماذا . لأننا لانفهم الآيات وال عجائب التي في  
نفسنا إلا بعد أن ندرس العجائب التي في الأرض كما رأيت الآن إذ صارت طرق سكة الحديد والترع بجوانبها  
والتلغراف من فوقها هي عينها نفس مافى أيدينا ومافى أجسامنا ومافى حيواننا ومافى نباتنا من الترتيب والنظام  
البديع . هذا ما أردت أن أقدمه لفهم محاضرة الأستاذ (جاجاديس بوز) الهندى فهناك نصها

قام السر (جاجاديس) ففسق له الحاضرون وبدأ بالكلام على الرابطة بين الشرق وبعضه وقال إن  
العلم لا وطن له ولداخل للدين في البحث العلمى . وقد قبلت هذه الكلمات بالارتياح والاستحسان . وعمل  
السر (جاجاديس) تجر به دلل بها على أن النبات يحس أكثر من الانسان فقد أوصل شرارة كهربائية الى  
بعض الأشخاص ثم أوصلها للنبات ولم تحدث الشرارة تأثيرا في الشخص ولكنها على العكس أحدثت اهتزازا  
في النبات ثم سلط بعد ذلك شرارة قوية على النبات فألمته ثم امتحن النبات على أثر الحادث بجهز يميز الحياة  
من عدمها فأثبت أن النبات قد مات . وأجرى تجر به أخرى فوضع مقدارا كبيرا من الدم على النبات حدثت  
به اهتزازات تبدل على الفناء . ثم أخذ المحاضر مقدارا من مستخرج نباتى خاص وألقاه على النبات فعدت  
الى الحياة . وكانت كل هذه الأعمال موضع الاهتمام من الحاضرين واستخدم الفانوس السحري أثناء إلقاءه  
المحاضرة وقد ظلّ بقلها ساعة ونصف ساعة وهذا تعريها

( ليس في تاريخ الجنس البشرى حوادث ذات مغزى مثل قيام المديننتين العظيمتين على ضفاف نهري  
النيل والكنج . وقد كان هناك اتصال فكري منذ (٢٢) قرنا مضت بين البلدين العظيمين (مصر والهند)

عند ما أرسل ملكنا العظيم (سوكا) رساله الى هذا القطر وأوصاهم أن يقدروا معارفهم وأن يتعدوا بالشعب ويرتبطوا به برابطة الاخاء . فلما جاءتني الدعوة التي وجهتموها الى أحي في نفسي ذ كرى الماضي . ولقد لقيت من الوزراء دعوة الشرق الحارة ورأيت من الشعب ما جعلني أشعر بأني واحد منكم فقبلت ما اقترحتهمه على ود وأن اتخذ بعض الطلبة منكم تلاميذا لي لأطلعهم على الطرق الحديثة التي تهيئ النظم عن السر العظيم الذي تكنه الحياة . ومع ان العلم ليس متاعا خاصا بالثري أو الغلب وهو عام يشمل جميع الأمم والشعوب فان الشرق يصلح لتقديم مساعدات كبيرة لترقية العلم بفضل عقلية ومواهبه الموروثة التي تلقاها من جيل الى جيل . أما التصورات الشرقية المنقذة التي تستطيع أن تستخلص من مجموعة الحقائق المتناقضة في الظاهر نظاما جديدا في الوسع ضيقها . وكبح جماحها بقوة التركيز والعادة التي جربنا عليها في حصر الفكر . وهذا الضابط هو الذي يمنحنا القوة التي تساعدنا على استقصاء الحقيقة بصير لاحت له . ولما كان العالم أجمع يعتمد بعضه على بعض فقد زاد ثرائ الجنس البشري ونما بفضل التجري الفكري المستمر الذي يغرض علينا جيلا بعد جيل . ولا ريب أن الاعتراف بهذا الاعتناء المتبادل هو الذي ربط الشعوب البشرية العظيمة وقيدها معا وضمن استمرار المدينة ودوامها

### ﴿ حياة النبات والحيوان ﴾

إن الرأي المتفق عليه اجالا هو أن حركة الحياة الميكانيكية تختلف في الحيوان عنها في النبات اختلافا كبيرا . فالحيوان بحس ويتأثر بهزة كهربائية سريعة . أما النبات فيعد اجالا بأنه لا يحس بضربات متوالية وللاحيوان أنسجة ناعمة لئلا يضره الدم المغذي بخلاف النبات فان الزرعوم انه لا يشتمل على أنسجة ناعمة وأعضائه الحواس في الحيوان تلتقط رسائل الحوادث الخارجية وتنقل اختلافاتها بواسطة الأعصاب فتحدث حركات عكسية أما النبات فالزرعوم أنه خالو من مثل هذه الأنسجة الناعمة . وعلى هذا فالظنون أن هناك مجربين للحياة يجربان جنبيا الى جنب دون أن تكون لأحدهما علاقة بالآخر ولكن هذا الرأي خطأ في خطأ وكان من جراء النظريات الفاسدة وما أحدثته من أثر أن عرقل تقدم العلوم والمعارف . والعقبة الحقيقية التي عرقلت سير البحث في حياة النبات هي الحقيقة الواقعة وهي أن تفاعل الحياة يقع داخل الشجر الخيال الذي لا يستطيع عيوننا اختراقه والوصول اليه فكان لابد لنا والحالة هذه من اختراع آلات غاية في الدقة والحساسية تستطيع الوصول الى أصغر وحدة من وحدات الحياة لتدوين نبضها وهزاتها . وقد كان اختراع (الميكروسكوب) الذي يحسم الأشياء أنفي مرة عهدا جديدا في تقدم علم الحياة . أما جهازى المعروف باسم (كروسيكوغراف) الذي يكبر الأحجام تكبيراً هائلا يبلغ خمسين مليون مرة فقد أخذ الآت يبط اللثام عن غرائب عالم جديد فبدأ النبات نفسه يكشف عن أسرار حياته الخفية . وقد صنع هذا الجهاز هندو ميكانيكيون تدربوا في معهدى . ومعلوم أن التقدم الاقتصادي في أية بلاد يتوقف على التقدم في الاكتشاف والاختراع . ومن هذا الوجه يستطيع العقل الشرق اظهار ما فيه من قوى كامنة . وقد كانت النتائج الجديدة التي حصلنا عليها في معهدى فيما يتعلق بتأثير العقاقير الطبية في الحيوان والنباتات ذات شأن عظيم في ترقية الطب . وقد كان لمراقبات النمو التي سجلها جهازى الجهر الفائق فضل في جعل تفاعيل التؤمن المرتبات وتبنى بواسطة تحديد ناموس النمو ومعرفة هذا الناموس من الامور الجوهرية للتقدم في الزراعة العملية التي يتوقف عليها اعداد المواد الغذائية للعالم

### ﴿ النبات أشد إحساسا من الناس ﴾

ما كان الناس يظنون أن النباتات العادية حساسة أما الآن فقد عرف ذلك باختبار الجيب بواسطة الجهاز الذي يسجل أدنى حركات النقص

## ﴿ نزع الموت في النبات ﴾

وضعت نباتة في الكرسي الكهر بائى بعد بلها قليلا لتسهيل سير الكهر باء فيها وقد ظلت النباتة هادئة هنيئة كما تبين ذلك من ثبات خط الضوء المنعكس من الجهاز المجسم ثم أدبر مفتاح كهر بائى فسمع دوى كالرعد في الجهاز فأحدث ذلك تقلصا من النباتة واندفع خط الضوء بعنف الى اليسار ولكن النباتة لم تكن قد ماتت بعد ثم سمعت دمنمة التيار الكهر بائى المهلك أعقبه تقلص آخر شديد وانحرف خط الضوء مباشرة نحو اشارة الموت الذى لارجوع بعده الى الحياة وقد سلط تيار آخر على النباتة ذاتها فلم تتأثر بل سكنت سكوت الموت

## ﴿ دورة العصاره ﴾

إن البورة البدوية في الحيوان يسببها دفعات الأنسجة النابضة التي تتخذ في الحيوانات الدنيا شكل أنبوبة مستطيلة وهذه الدفعات تسير الى اتجاه خاص بواسطة حركة دودية في النبات أيضا وبها تقوم البورة العصارية في النبات . وأعجب من ذلك ما للعقاقير من التأثير نفسه في ضربات النبض في الحيوان والنبات سواء . وقد بلغت دهشة الحاضرين أشعتها عند ما عرض (السر جاديس بوز) أمامهم تأثير السم وزياده في ضربات بعض النبات فان استعمال السم جعل النبض يضعف شيئا فشيئا على حين كان ضغط العصاره الذى هو بمثابة ضغط الدم في الحيوان ينخفض باطراد حتى كاد يتلاشى وكانت النباتة في هذه اللحظة تحتلج بحيث لومالت قليلا فشر الموت لوقف دولا ب حياها ثم استعملت كمية من خلاصة نبات هندي فشاهد الحاضرون إذ ذاك النضال بين الحياة والموت الى أن تغلب فعل الترياق في النهاية فاستطاعت النباتة الافلات من مخالب الموت وعلى هذا المنوال اكتشف تأثير عدد كبير من النباتات الهندية وخاصيتها الطبية التي لم تكن معروفة قلا وفائدة بعض هذه النباتات هي أعظم جدا من أية عقاقير أخرى معروفة في عالم الطب وقد وقع فعلا أن استعملت خلاصة إحدى هذه النباتات في ضئع سكن قلبه كية فعادت اليه الحياة . ولارب أن هذا البحث سيؤدى الى وضع (فرماكونيا) جديدة تصاف اليها من العقاقير لتخفيف آلام الانسانية وأوصاها

## ﴿ تدرج الحياة من النبات الى الحيوان ﴾

يمكننا أن نتبع مدارج سلم الحياة الطويل ونرى أن النبات هو أقرب إلينا كثيرا مما كنا نظن ونفكر أنه ليس نموًا نباتيًا خصب بل إن أليافه الدقيقة كلها إحساس وقد تبين لنا أن النبات يتأثر بالخدمات الخارجية بحركة تقلص تبدو منه وأن جسم النبات يرتبط بعضه الى بعض بخيوط موصلة حتى إن الهياج الذى يحدث في أى جزء منه يسرى فيه كله . وقد تسنى لنا أن نسجل ضربات نبض حياة النبات ونجد أنها تقوى وتضعف بحسب درجة قوة الحياة فيه وأنها تسكن عند موت النباتة ونرى من هذه الحال وغيرها من الأحوال الكثيرة أن تفاعيل الحياة في النبات والانسان متشابهة وأنه بالاختبارات التي يمكن أن نجريها في النبات يتسنى لنا أن نخفف آلام الناس وأوجاعهم ﴿ انتهت الخطبة

هذه هي الخطبة التي خطبها ذلك الضيف الهندي الياقة في علم الحيوان وبه صح ما طمنا قلته في هذا التفسير كما سيأتى في سورة (المؤمنون) عند قوله تعالى - وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربيكم حافظون - وأن الناس جميعا يساعد بعضهم بعضا في العلم وأن الانسانية اليوم لازال طفلة جاهلة فما العلماء في الأمم إلا كلالئكة وما الدواق في الأمم إلا كلالئكة ظاهرا وكذئاب ووحوش باطنا فهم ذئاب يلبسون لباس الملائكة هذا هو العالم الأرضي الآن وربما يأتي زمان يصبح الناس في هذه الأرض كلهم متساوين فهم إذن يسعدون سعادة لم يحكم بها نوع الانسان . ولكن إليك أن تقارن أن أهل الأرض مهما نالوا من الاتحاد والعلوم يصلون الى منتهى السعادة في هذه الأرض بل يتناولون سعادة نسبية . ألا ترى أن أهل الأرض اليوم محبوبون فيها لا يستطيعون الصعود لعالم الأفلاك وهم في هذه الأرض ولا يقرعون على الصعود في جوار أرضنا إلا طيارة

لها شرائط مخصوصة فإذا اختل شرط منها أحرقت النار وأحرقت من فيها كما قال تعالى - يا معشر الحق والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فأنفذوا لانفذون إلا سلطان \* فبأي آلاء ربكما تكذبان - وإنما لم يكن لهم سلطان على ذلك لأن الأرض اليوم تجذبنا إليها بشئ يقال له الجاذبية وما هذه الجاذبية إلا نوع من المقامع المذكورة في أول السورة لأن أرضنا من عالم المادة الغليظة فلها بمجهم نوع شبه فعندنا مقامع بقعدنا في الأرض وبعيدنا عن الجوى ومقماع يؤلمنا بالجوع وآخر يؤلمنا بالعطش ثم الشبق ثم الغضب ثم بالطمع ثم بالخساحة فعندنا الآن مقامع تعدل بعشرات كمها تؤذينا وتقرهنا على الأعمال للضر والنفع والجلب والدفع فهي كالقمامع الحديدية في جهنم . فها نحن أولاء نحسن بدافع يدفعنا عن الارتفاع في الجوى نسميه الجاذبية والهواء الجوى يضغط على أجسامنا بعشرات القناطير لحفظها كما تقدم في (سورة النحل) عند قوله تعالى - إن الله يأمر بالعدل - الخ

نحن هنا أجسامنا غليظة لا تقدر أن نطالع الأفلاك ولأن نسيح في المشتري أو المريخ فضلا عن الشمس والجوزاء وما أشبه ذلك . أهمل الأرض جميعا محبوسون فيها قد منعوا من أقطار السموات العلى لغاظ أجسامهم لأن أرواحهم لا تزال طفلة فإذا ارتفعت وخفت ساحوا في أقطارها وعرفوا أخبارها . إن الله حسبنا هنا وجعل حسبنا مرقبا للجوسين بدليل أنه جعل محل الحبس دار أعمال فأقى لهم بجميع ما يحتاجون إليه في أعمالهم من أعمال الكسوة والغذاء والزينة . فها هو ذا زرع الأرض وشق أنهارها وزانها بكل جبال وكال وقال لهم هذه أرضى فهي وإن كانت سجننا لم أجعلها محل عقاب بل دار لتعلم فن لم يتعلم أولم يتهذب فأنا له بالمرصاد وعلى ذلك تكون هذه الدنيا مهما ارتقى أصحابها لا يلبثون الكمال المطلق لأن الكمال المطلق في عوالم الجنات والجدثة رب العالمين

( فصل في ذكر أن كل أمة لها شريعة ونحو ذلك )

قال تعالى (لكل أمة جعلنا منسكا) أى لكل أهل دين جعلنا شريعة تعبدوا بها (هم ناسكوه) عاملون به (فلا ينزعك في الأمر) في أمر الدين (وإدع إلى ربك) إلى توحيدك (إنك لى هدى مستقيم) طريق إلى الحق سوى (وان جادلوك) وقد ظهر الحق ولزمت الحق (فقل الله أعلم بما تعملون) من المجادلة الباطلة (الله يحكم بينكم يوم القيامة) يفصل بين المؤمنين والكافرين يوم القيامة بالثواب والعقاب كما يفصل بينهم في الدنيا بالحجج والآيات (فما كنتم فيه تختلفون) من أمر الدين (ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والأرض) فلا يخفى عليه شئ (إن ذلك فى كتاب) هو اللوح المحفوظ (إن ذلك) أى أن الإحاطة وإثباته في اللوح المحفوظ (على الله يسير) لأن علمه مقتضى ذاته (ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا) حجة على جواز عبادته (وماليس لهم به علم) حصل لهم بالاستدلال (وما للظالمين) الذين ارتكبوا هذا الظلم (من نصير) يدفع العذاب عنهم (وإذا تنلى عليهم آياتنا) من القرآن (بينات) لأن القرآن يبين ما يحتاج إليه في الدين وفيه دلائل العقائد الحققة (تعرف في وجوه الذين كفروا المنسكر) الإنكار لغيتهم ولما جددوا عليه من المذاهب الباطلة (يكادون يسفلون) يبطشون (بأنهم يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم) من غيظكم على التالين وسطورتكم عليهم هو (النار وعددها الله الذين كفروا وبئس المصير) النار

( لطيفة في قوله تعالى - لكل أمة جعلنا منسكا - )

لما جاء قوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة - وبين به كيف تجدد الأمم بأحوال الحروب ويصلح الناس وتنشأ شعوب أرقى مما قبلها كما ينشأ في الأرض بسبب ما هطل من المطر فيها نبات على آثار النبات الهشيم الذى كان فوق الأرض أعقبه بنباتين بعض ذلك كأنه مثاله فقال ها نحن أولاء أرسلنا أنبياء، وخلقنا أمما وقد طال الأمد عليها فقست القلوب فأردنا أن نجدد ملكنا ونحي مدرس من

دروس الإصلاح الأخلاقي والعلمي فأرسلناك وأمرناك أن تمرّق الأغشية التي غشت على العيون والأباطيل التي رطلت على القلوب وأجلب التي نصبت بين الخلق وبين الحق تارة بالقول وتلاوة القرآن وتارة بالحرب وسجال الطعان حتى تخرج أمة للناس وشريعة جديدة تجتد ما اندرس ونحي ما مات من فضائلنا في خلقنا واصلاحنا لشؤونهم فجعلنا لك شريعة غير شرائعهم حديثة النشأة وأوجبها الجهاد العلمي والحربي كما نبئت نبات جديد أثر المطر فتخضر الأرض لما لنا من اللطف في الجليل والصغير . فكما وصلنا الى دقائق النبات وجليل الشجر مواهب ومحاسن وجليتها للنظرين هكذا أبدعنا شريعته وجعلناها قائمة مقام الشرائع الدارسة والبيانات الماتة لنحي الآمال وتجدد الأمم كما تجدد النبات بعد الثبات والشجر بعد الشجر فكيف يجادلونك في أمر نحن قدرناه أو ينازعونك فيما اخترناه . إنا نحن قدرنا أن نجعل هذا العالم في ارتقاء كما تجتد ما اندرس ونحي الموات فهكذا نحي الأمم . ان الأمم من الأرض فلهن شأنها فانا نحن المتزلون مطرا والموجون علما نحن المزجون السحب المرسلون الرسل والزارعون النبات والمجتدون الأمم بشرائعها إذ لا ثبات لأمة إلا بشريعتها ولا شريعة باقية ولا كتاب إلا مع رسول فكيف يجادلونك وقد ظهر الحق وأصبح البرهان واضحا على مقتضى سنن الكون المشاهد لهم وهم لا يفقهون فأجبهم ان جادلوك بأن الله بأعمالهم علم وهل يخلف وعده ويخون سننه ويقت حركة الأمم الأرضية المستقلة لأناس لا يعقلون . ان الحق غالب والباطل زاهق فلتعاقبن في الدنيا وليحكمن عليكم بالعقاب في الآخرة فان الله يعلم ما تفعلون وكيف لا يكون ذلك وهو يعلم ما في السموات والأرض قد كتبته في اللوح المحفوظ

### ﴿ بدائع القرآن ﴾

من تأمل في هذه الآيات عجب من أسلوب الكتاب العزيز فبينما نحن في حرب وجدال مع أعداء الدين اذا نحن بين الكواكب المشرقات وبدائع السموات وأضوائها المشرقات والأنوار والظلمات ثم انتقلنا الى الرابض النضرات والازراع الخضرات والأزهار الجليات والأثمار النضرات ثم انتقلنا الى فلك في البحر جاريات ونظرة سامية الى السموات وإنتهاج بحفظها وهي سائرات فهذا معرض تجلّت فيه صور جميع ﴿ المواليد الثلاث ﴾ الانسان والنبات والحیوان فالحيوان مما سخر لنا في الأرض . ففي هذه السورة ذكرت المواليد مرتين مرة في أولها ومرة في آخرها حنا على النظر في الموجودات وتنبيهنا أن الحرب والقتال مهد لدرس العلوم فطرد العدو من البلاد وحفظ الثغور وإقامة الحدود سبيل لإقامة الامن وحفظ البلاد من الاضطراب . هنالك يتفرّغ العقلاء للنظر في هذه البدعات والتجلى بهذه المكرمات . واني أجد الله عز وجل إذ جعل أول حياتي في الحقول فدرستها درسا سطحيا قبل أن أعرف تفسير القرآن ونجبت من بدع الاقنان وضع الرحمن ولما اطلعت على العلوم الحديثة ودرست الفلسفة القديمة رأيت أن القرآن ينصوح بالحكمة ودراستها والحقول وفهمها والجنات وعلمها والأشجار وأنوارها والأزهار ولقاحها والثمار ومنافعها والعيون وجريانها فلتكن الحقول درس المسامين ولتكن السموات لئامر المتعلمين ودرس المفكرين والشعوس والكواكب محور تعليم المتعلمين - لئلا هذا فيعمل العاملون - وفي ذلك فليتنافس المتنافسون -

﴿ بهجة العلم ومسامرة في قوله تعالى - لكل أمة جعلنا مفسكاهم ناسكوه فلاننازعنك في الأمر

وادع الى ربك إنك لعلى هدى مستقيم - ﴾

إن الله عز وجل جعل للمناسك مختلفات ولكنها تصبح كأنها عادات عند الأمم ودين الاسلام هو الهادي الى خير المناسك . إن من ينظردايات الأمم وعاداتها يجد اختلافًا كاختلاف الألوان واللغات والأطعمة وهكذا تذكر ما تقدم في أول سورة (طه) إذ ذكرت لك هناك قوما من السودان عند ساحل الذهب بأفريقي

ملكسة (اشاتي) وكيف كان دينهم وعاداتهم من أشق العادات والديانات وترقب ما يأتي في أول (سورة الفرقان) عند قوله تعالى - ليكون للعالمين نذيرا - إذ ترى هناك قوما على نهر (يبحر) قد أسلموا وتبدلت عاداتهم بالنظافة والصلاة والعدل بعد كل الرم والظلم وقيح العادات . فأنه يقول أيها الناس أنتم مختلفون في أحوالكم وهذا الدين هو الهدى فاتبعوه . فهل لك أن أأحدثك بمجابه به المستر (مسون) العالم الأمريكي الرحلة الشريفة ذكره حين رجوعه من رحلة في أرواسيا إفريقيا حيث قضى خمسة أعوام مقبها بين القبائل هناك . وقد نشر بعض الأخبار عما شاهده في هذه الأقاليم وإلى القارئ أعرب احداها وهي خاصة بالمرأة

### ( الزواج )

قال « مررت بقبائل عديدة من العبيد منهم رحلة يتنقلون من جهة إلى أخرى كما يفعل العرب في البادية ومنهم مقيم في قرى صغيرة ينون بيوتها من القش والطين . والمرأة عند جميعهم تقوم بأعمال شاقة قلما يقدم عليها رجل حتى اني مررت بقبيلة لأعمل للرجل فيها إلا أعداد الطعام والقيام بالأعمال البسيطة فالمرأة هي التي تخرج إلى الصيد والقنص فتعود بالطيور والحيوانات إلى زوجها وتلقها بين يديه ليعد لها للأكل . بينما تستمر في العناية والتعب . أما إذا هوجت القبيلة واعتدى عليها عدو ما فإن الرجال تهب حينذاك مع النساء للدفاع عن الجنس المشترك فيتناول كل واحد قوسه ونباله . على أن النساء يتولين بأنفسهن القيادة . ورأيت قبيلة أخرى تعيش فيها المرأة بعكس ما ذكرت فهي لاتعد انسانا بل نظرا للرجال بل حبيباتا داجنا ترحله الأرواح العالية كما يسمن ألفتهم لخدمة الرجال فإذا ما وضعت المرأة طفلا يدخل الزاد عليها ويسأل من يحيط بها من النساء (ذكر أم أنثى) فإذا أجابوه (ذكر) هلل ورقص وتقدم من زوجته ووضع على عنقها قبلة والقبلة في عرفهم أن بعض أسنانها عنق زوجته ثم يأخذها بيده ويوقفها ويخرج بها إلى الهواء الطلق حيث ينادى جيرانه من أبناء القبيلة ويطلبهم على الخبر السار مفاخرًا بزواجه . أما إذا أجابوه (أنثى) فإنه يغطي وجهه يديه ويلعن امرأته وساعة زواجه بها ويخرج غاضبا ولا يعود إلى مواجهتها إلا بعد أن يكبر الطفل ويستطيع السير على قدميه . هذه هي العادة المزعومة عندهم . ومن أقطع مارأيت أن الأخ يتزوج بأخته وأن الرجل الواحد كثيرا ما يتعاقد مع رجل آخر على أن يزوجه ببنته جيمه أن يكون عددتهن « أما الزواج فيتم عند تلك القبيلة بالطريقة الآتية » يوجد على مقربة منهم في إحدى الغابات الكثيفة حيوان صغير نادر الوجود جدا يسمى (غومي) وهو من نوع من الغزلان لا يزيد حجم جسمه على جسم الخروف الصغير فيجب على الرجل الذي يرغب الزواج من إحدى الفتيات أن يقدم لها هدية غزالا من تلك الغزلان فيخرج الرجل بعد الاتفاق مع والد الفتاة ولا يعود إلى القبيلة إلا حاملا الحيوان المطلوب . أما إذا لم يوفق إلى صيده وجهه إلى عروسه فإنه لا يعود إلى القبيلة بل يرحل عن تلك البقعة ويبحث عن مكان آخر يعيش فيه . وإذا ساعده الحظ وعاد بفرسته فإنه يقدمها إلى الفتاة التي تصبح بعد ذلك ملكا له يفعل بهما ما يشاء ويملك عليها حتى الموت والحياة . ومررت بقبيلة أخرى من عادة النساء فيها أن يزرعن عنقهن الشعر سواء كان من الرأس أو من الجسم فإذا نظرت إلى امرأته منهن لاجد على جسمها كله من رأسها إلى قدمها شعرة واحدة . أما الرجل فإنه يترك شعره نمو وكثيرا ما يلبس إلى دهن جسمه بمرك نباتي يستعمله القوم لانماء الشعر فترى الرجل وهو أشبه بالفرود كثير الشعر كشعره والمرأة هناك تمتاز عن أخواتها بكبرشفتها وضخامتها فالمرأة الجليدة هي التي تكون شفتاها أنضخم من شفتي غيرها من نساء القبيلة فتراها والحالة هذه تستعمل طرقا غريبة وتستنقب الحيل لتضخم شفتيها كما يستعمل الرجل طرقا أخرى لانماء شعره . ومن أغرب ما رأيت قبيلة لا يطلب فيها رجل امرأة للزواج بل المرأة هي التي تختار زوجها وتطلبه من أمه فإذا رضيت الأم تم العقد بين الفريقين ولا رأى للرجل في ذلك . وإذا كان لا يرضى بالمرأة التي طلبته لزوجها فإن الزواج يعقد بالرغم منه وليس عليه إلا الطاعة العمياء . ورأيت



أيضا قبيلة من العار فيها أن تكون المرأة تحية الجسم كما أنه من العار فيها أن يكون الرجل ضخم الجسم بل يجب أن تكون المرأة ضخمة والرجل نحيل . والمرأة التحيلة الجسم لا تجد من يرضى بها زوجة كما أن الرجل الضخم لا يجد من يرضى به زوجا ولله في خلقه شؤون »

هذه بعض ما يختلف الناس فيه من العادات والأديان والله يقول - فلا تئذ عنك في الأمر وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم - اه

### ( كيف كان مبدأ اشتغالي بالعلم )

لقد سافني لذكر هذا الموضوع تكرار الآيات القرآنية للعلوم الفلكية والطبيعية فاسترت أن أذكر لك أيها الذكر ما سافني إلى هذا وما أثر في النفس في أول حياتي لترى كيف أنعم الله عليك وساق لك العلم سهلا شها حاولا جنيا فأقول أيضا لما رمزت إليه آنفا ما يأتي

لقد كتبت هذا الموضوع في أول كتاب ( التاج المصع ) الذي نشر من سنة (٢٠) سنة فلا ذكر هنا ما أذكره في النفس من تلك الأحوال فأقول

كنت في أول أمرى مجاورا بالجامع الأزهر ثم قامت الحوادث العرابية ودخل الاعجاز بلادنا فانقطعت ثلاث سنين عن العلم وكنت في أثناء ذلك أزالو الأعمال الزراعية بيدي مع من يزرعون وقدا عتراني مرض طويل في المعدة لازمني وقد كان والدي في مرض أيضا وفوق ذلك كله كنت أفكر في هذه الدنيا وأقول يا ليت شعري ألهما خالق . وهل الأنبياء كلوه اني لا أصدق إلا إذا عرفت أنا بنفسى ولا أنكل على أحد . ان هذه الطرق الحديدية تجرى عليها القطارات وليست من صنع المسلمين . فيا ليت شعري ماذا يقول الفريجة الذين صنعوه . هل لهذا العالم إله أنا لا أصدق إلا إذا عرف عقلى . ان هذا العالم ليس فيه شئ من النظام . انه معسر . انه مختل معتل . اننى أرى هذه البقرات وهؤلاء الرجال والنساء وهذه الحيات من الدرة توضع في الأرض وهذا الماء الجارى فيها وهذه الحارث التى تشق الأرض كل ذلك غير متناسب ولا منظم فأفكر واقفة والرجل كذلك والحراث تمتد مستطيل من الأرض إلى أعلى كأنه زاوية والثوران رؤسها إلى الأمام والرجال والنساء رؤسهم إلى أعلى والماء يجرى على الأرض ليرفع رأسه مثلهما . فهذه الدنيا مضطربة مرتبكة مختلة لا أرى فيها نظاما ولا احكاما وإذا فقد النظام والاحكام فلا إله خالق ان هي إلا أحوال متغيرة وأمور مبهمة ولدها الاتفاق وأظهرتها المصادفات . فلما أحسست بهذه الخواطر رجعت إلى نفسى وقلت ان العلماء في الدين يقولون اننا ننظر للعالم العلوى والسفلى فهما إذا نظرت فلم أجد إلا خللا ولم أزد إلا شكاف لم يبق عندي أمل لإلاقى أمر واحد وهوان أوجه قلبى إلى من صنعني فان كان موجودا أجابني وهذا هو الأمر الذى أجعله نصب عيني حينئذ شمرت عن ساعد الجد وأخذت أصوم بعض الأيام وأصلى بعض الليالى فكنت أجسد في ذلك لذة وسرورا وتوجهت إليه سائلا بقلب محترق . ولكنك قلت يا خالق هذه الدنيا . أنا لم أخلق نفسى بل وجدت انى هكذا وانى أوجه قلبى إلى ذلك الموجود الذى خلقني وإذا كان خالقا لى فهو عظيم وكبير ورقيم وأنى لى جسما وروحا فلتوجه الروح إليه ولتسأله أن أقف على الحقيقة . يا الله أنت خلقتنى فقله لى . أوأه . ومن لى بأن أقف على هذا الوجود وسرته فأكتب ما أقف عليه لمن بعدنا حتى اذا وجد في الدنيا من احترق فوائده لمعرفة هذه الدنيا رأى أمامه ما جرت من الأعمال وما قايت من الأحوال فبهتدى ولا يجد هذا العناء . وصرت أطلب ذلك في الحقول وعلى شطوط الأنهار . ولكن دعوت في الخلوات وناجيت في الصلوات في المنزل وعلى شطوط الأنهار . وتارة أحضر تفسير القرآن للجلايلين وأقرأ تفسير الألفاظ الذى كتب هناك فأقول يارب هذه الظواهر لم أقف على سرها أما اللفظ ففهمته فأين عجائب الدنيا . وبيننا أنا كذلك إذ وقع في بدى كتاب جاء فيه حديث ( لقد أرلت على اللبلة آية ويل لمن قرأها ولم يتدبرها ويل له ويل له ثم قرأ عليه السلام ) - إن في خلق

السموات والأرض - الخ ) فقلت هذا حسن أمن هذا الباب كان دخول الأنبياء فصرت أقف على شواطئ الأنهار وفي الحقول وأنظر إلى السحاب وأفكر فيه وهذا ابتداء العجب . وتارة كنت أجلس على شاطئ نهر يسمى (أبا الأخضر) ومعى كتاب (الجلالين) وكتاب ابن عقيل في النحو وأطالع في هذا وفي هذا وأقول يا سبحان الله أن القوم حولي في الحقول لا يسمعون لأن عقيل والغيره فكيف أقرأ هذه الأشياء ولأشأن لها في بلاد الفلاحين ولكن كان الوجدان يسوقني والفكر يشوقني . وتارة أتجث على حشرات بين الأعشاب عسى أن أجد فيها ما يشم منه رائحة النظام والاحكام . وأذكر أني مرة عثرت على حشرة صغيرة مستطيلة الشكل قد خطت عليها خطوط بيض ناصعات وأخرى جرقانيات وقد كان منظر الخطوط جبلا بها وقد رسمت الخطوط بهيئة نظامية وإن لم أكن أعرف إذ ذاك شيئا من الهندسة فقلت إن صانع هذا الكون قد جعل في هذه الحشرات نظاما فلا بحث عن النظام وعن الاحكام فعمى أن أوفقى وتذكرت ما كنت أسمع من الأشياخ أن العلم كله أصله فارسي لأن الأزهر إذ ذاك لم يكن كهنته اليوم وما كنت لأظن أن أحدا في الدنيا يعرف شيئا من هذه الكائنات وأن الذين عرفوها قد ماتوا أيام تدهور المسلمين مع أن المدارس في مصر كانت زاخرة بتلك العلوم وأورو بأمشحونة بها ولكن التاميز ينبع ما يليق إليه اتباع الولد لأمه والمسيحي للقسيس والمسلم للشيخ والولد لأبيه والناس جميعا محبسون فيما يعلمون يحبهون ما وراءه بل ينكرونه ثم أخذت أطالع تفسير القرآن كل يوم ر بعا وكان الجزء يتم في ثمانية أيام وكنت أحفظ التفسير عن ظهر قلب حفظا عقليا فلما متى أن أفهمه حرام كما كان يقال إلا بتوقيف من الشيخ ثم أخذت أدرس ذلك أشهرا قليلة وأنا أدعو الله فاستجاب الدعاء ووصلت إلى الأزهر ثانيا وزال خطر الانقطاع منه وأتممت العلوم التي كانت فيه على وجه التقريب ثم دخلت إلى مدرسة (دار العلوم) وكانت زاخرة بكل ما أريده ووجدت فيها كل ما كنت أصبو إليه وأنا في الحقول وكنت أتجيب أن يكون هذا في بلادنا وأنا عنه محجوب فوجدت أن النفوس الانسانية قد بحثت وفكرت . ولقد كنت أعتقد أن البروس التي أقرؤها عبادات وانها خبر العبادات حتى فن الرسم فكنت أرسم في الدرس وأنا معتقد أنه عبادة لأنه مشحذ للذهن مقولاً لمعلم للنظام الذي كنت أبحث عنه في الحقل فلا جدته . كل ذلك بعد ما درست القرآن في الأزهر الشريف على جهة الشيوخ الكبار ثم صرت مدرّسا في المدارس المصرية الابتدائية والتجهازية والعالية وكذا (الجامعة المصرية) أيضا في قليل من الزمن . وفي أثناء ذلك كنت اختلس من الوقت ما أقدر عليه وأؤلف كتباً فبلغت الرسائل والكتب ما يقرب من أربعين ونشرت بين المسلمين ذلك لأني بعهدى التي عاهدت الله عليه ولم يكن في شيء من ذلك مني تكلف بل كان الوجدان هو الذي يسوقني وهناك تجلّت في النفس أحوال تدعو إلى النشر بين المسلمين لأجل لذكرها الآن . وهأنذا أكتب في هذا التفسير ما يقنع به علي . أقول وإني الآن أجد الله عز وجل إذ وصلت في التفسير إلى هذه الدورة وما كان ذلك من اليسور ولا بعضه ولكن الله هو الذي أعانني وهو الذي سهل ذلك لي وإن أقصى ما أريدته في هذه الحياة أن أتم هذا التفسير وأن ينشر وعند ذلك أعتقد أني أدبت ما أعتقد أنه واجب على ديننا ووجدنا وهناك هناك أشعر بتمام المطلوب وأن ولوعي بنشر هذه الآراء كولوجي بمعرفتها فأنا اليوم كنفتي من قبل يوم أن كنت صغيرا هنالك الاهتمام بالتعليم وهنا الاهتمام بالنشر وهما في النفس سواء بل اني أجد في القلب شديدا الاهتمام بثنائهما أكثر منه بأولهما . وهاهوذا أمانة في يديك أيها النكبي وستقرأ فيما كتبه السكابون من الأئمة الاسلامية في الشرق والغرب فأجعل نصب عينيك هداية المسلمين - ولينصرون الله من ينصره إن الله لقوى عزيز -

( أمة الاسلام والعلوم )

هذا هو الدين الاسلامي وهاهوذا القرآن يذكر المواليب الثلاثة في سورة (الحجر) وما بعدها إلى هذه السورة نحو ست مرات منها مرتان في التحلل وما بعدها إلى هنا وهذه أوروبا المسيحية فاني لما قرأت اللغة الانجليزية

واطلعت فيها وفيها ترجم من لغات أخرى ألفت العلوم هناك زاهرة وألفت صلاتهم ليس فيها شيء إلا ما يقرب من قولهم « ربنا آتنا خبزنا يومنا يوم الخ » وجدت أمة الاسلام هذا شأنها ودينها غني بالمباحث في العالم كله وهي غافلة نائمة . ومن عجب أن المسلم لم يدعه الى العلوم كلها القرآن حسب بل يرى انه في صلاته يقرأ كل صباح ومساء - الحمد لله رب العالمين - والحمد هنا على التربة العاتقة للعالم كله ويكون الحمد على مقدار ما عرف الانسان من النعم والامعرفة لنتم إلا بالعلم . وترى المسلم في ركوعه يقول مخاطباً لربه { خضع لك سمعي وبصري وحنئي وعظمي وعصي وما استقلت به قدمي لله رب العالمين } فكيف يقرأ السمع والبصر والمنخ والعظام والعصب وهو يجهلها ويرى مات المسلم وهو لا يدري ما عصبه ولا ماهي وظيفته . والأقرب من ذلك قول المسلم في السجود { سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره - تبارك الله أحسن الخالقين - } فكيف يعرف انه أحسن الخالقين وهو يجهل تشريح العين وطبقاتها السبع ورطوباتها الثلاث ويجهل طبيلات الأذن وما فيها من العجائب . أما العاتقة فهم مشغولون فكيف ينال الخاصة . وكيف ينال الأذكاء . وكيف تكون صلاة المسلم حائلة له على علم التشريح وعلى علم وظائف الأعضاء وعلى علم الحس والمحسوس وهو لا يحسن بهذا كله . أنا لا أقول ان الجهل بهذا يخرج عن الدين . كلا . فان رجة الله واسعة وليست تسع المسلم وحده بل تسع جميع الناس والحيوان وكل مخلوق ولكن المقام مقام ارتقاء العقول والشعوب بقدر الامكان . يقول المسلم عند الرفع من السجود { سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد } وهذا هو كل العلوم فالعالم كله ليس شياً سوى هذه الأربعة فحسب على تعليم هذه الدنيا إن الدين الاسلامي دين حكمة وشرعية . دين يأمر بجميع العلوم . وهأنذا أتيت ماعلي من النصح وترك الأمر لمن بعدنا وسنفرق الدنيا وسيقوم بهذا رجال ذوو عقول كبيرة وفؤاد وشوكه بين المسلمين وسيقبلون نظام الدنيا ويعملونها حكماً وعدلاً - ولتعلمن نبأه بعد حين -

### ( فصل في ضرب المثل بالذباب والأصنام )

قال تعالى ( يا أيها الناس ضرب مثل ) بين لكم حال مستقرة أوقفة راتقة ( فاستمعوا له ) لبيانه وأتم متفكرون فيه ( إن الذين تدعون من دون الله ) من الأصنام ( لن يخلقوا ذباباً ) لا يقدرون على خلقه مع صغره وضعفه ( ولو اجتمعوا له ) أي تلحقته وإذا كانت هذه الأصنام تجزمم اجتماعها عن خلق أضعف المخلوقات فكيف تعبد وهل يعبد إلا الخالق ( وإن يسلبهم الذباب شيئاً ) من الطيب الذي كان العرب يضعونه على الأصنام أو الطعام الذي يضعونه بين يدي الأصنام فيقع الذباب عليه فيأكل منه ويسلبه ( لا يستنقذوه منه ) لا يستنقذوا ما يحتفظه من طيبها ومن الطعام الذي بين أيديها فهي لم تجز عن خلق الذباب فحسب بل الذباب سطا عليها فسلم ما تجملته به فجبرت عن دفع أضعف مخلوق ( ضعف الطالب والمطلوب ) الذباب والأصنام فالذباب طالب لما سلب من الطيب الذي على الصنم والمطلوب هو الصنم للاستلاب منه وهو عاجز ( ماقدروا الله حق قدره ) إذ أشركوا به ما لا يمتنع من الذباب الذي هو أضعف الخلق ونظير هذا قول الشاعر

فلو أني بليت بها شئ \* خولته بنو عبد المدان

لهان على ما ألقى ولكن \* تعالوا فانظروا بمن ابتلاني

ثم قال تعالى ( إن الله لقوي ) على خلق كل ممكن ( عزيز ) لا يلبث شيء أمّا الأصنام فانها لا تقدر على خلق أضعف الأشياء وهي من اللذلة بحيث يغلبها أضعف المخلوقات فلا قوة لها إن الله قوي عزيز لم يكن لمخلوق أن يكلمه وكيف يتسنى للمخلوق التكلم مع الخالق عظيم القوة رفيع الجالب إلا اذا تحلى بالفضائل وتناهى في الكمالات فهناك يستعد للأخذ عنه والتلقى منه كاللائكة والأنبياء فالأولون رسل الآخرين لأن العلم لله وهو منزّه عن المادّة وهو يلقيه الى الملائكة والملائكة بوصالونه الى الناس باذن الله تعالى . فهذا تقرير بقدر الله

وعظمته وأن الكفار ماقدروه حتى قدره لذلك قال تعالى (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) ليدعوا سائر الناس إلى الحق والاستقامة والارتقاء وهؤلاء يقتدى بهم الناس ليخرجوا من الجهالة إلى أعلى الدرجات في العلم لاهذه الأصنام التي زعمتم أنها شافة لهم عند الله . فالأصنام حجرية والملائكة أجسام نورانية أقرب إلى الله من أكثر البشر وهم يعلمون الأنبياء الذين هم صفوة الخلق وهذه الوسيلة ينشر الدين وهناك تكون الشفاعة بعد انتهاج خطة العلم فأين الثريا وأين الثرى وأين الأجسام الكثيفة من الأرواح النسيقة (إن الله سميع بصير) يدرك سائر الأشياء (يعلم ما بين أيديهم) ماقدّموا (وماخلفهم) وماخفوا وماعملوا وماهم عاملون (والى الله ترجع الأمور) في الآخرة (يا أيها الذين آمنوا أركعوا واسجدوا) أى صلوا (واعبدوا ربكم) وحده وأخلصوا له (وافعلوا الخير) صلوا الأرحام ونحلوا بكمال الأخلاق (لعلكم تفلحون) لسكنى عدوا وتفوزوا بالجنة (وجاهدوا في الله) أى من أجله أعداء دينه ممن يسطون على المؤمنين من الأمم ومن الشهوات الكامنة في النفوس والجهالة التي تحصر الدين فيما لا يؤدى إلى سعادة المؤمنين (حق جهاده) أى استغفار الطاقة فيه \* قال ابن عباس (لا تخافوا في الله لومة لائم فهو حق الجهاد) وقال أكثر المفسرين أن يكون بذمة صادقة خالصة ولتكون كلمة الله هي العليا واستدلوا بحديث الصحيحين (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) ولما كان جهاد النفس أحد الجهادين بل هو الجهاد الأكبر لأنه لاجهاد لعدو من لم يتصف بصفة الشجاعة والشهامة وهذه لا تكون إلا بأخلاق راقية . ولذلك قال رسول الله ﷺ لما رجع من غزوة تبوك (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) ثم قال تعالى (هو اجتباكم) اختاركم لدينه والاشتغال بخدمة وعبادته ولنصرته (وما جعل عليكم في الدين من حرج) أى ضيق ففتح باب التوبة لمن أذنب برد المظالم للظالمين والاستغفار ورخص في المضايق لهم وشرع الكفارات والديات في حقوق العباد إن الله وسع دينكم توسعة (لهة أياكم إبراهيم) وإنما كان أبانا لأنه أبو نبينا ﷺ والتي أب لأمته لأنه أحياهم حياة روحية (هوساكم المسلمين من قبل) من قبل القرآن في أيامه (وفي هذا) القرآن لأنه جاء فيه قول إبراهيم - ومن ذرينا أمة مسلمة لك - فهذه التسمية التي ذكرها من قبل جاءت في نفس القرآن بسبب تسميته قديما وقوله تعالى (ليكون الرسول شهيدا عليكم) بأنه قد بلغكم (وتكونوا شهداء على الناس) متعلق بقوله - وجاهدوا في الله - الخ وما بينهما اعتراض . وقد تقدم في سورة البقرة أن ذلك يلزم المسلمين أن يكونوا أمة أرقى لأهم أخلاقا ومعارف وعلما وحكمة وعدلا ونظاما حتى يكونوا شهداء على الناس والشاهد عالم بما عند المشهود عليه مطلع على أحواله حتى يفصح عن شهادته ويقدمها . وهذه الأمة الإسلامية قد أخذت دورا مهما من تلك الشهادة ويرجع لها دورها أوفر مما كان ويقوم فيها حكماء وعلماء يدرسون الأمم ويعرفون دخالها ويكونون مصلحين لما عوج من أخلاقها سواء دخت تلك الأمم الإسلام أم لا وشهادتهم عند الله يوم القيامة يسبقها العلم في الدنيا بالمشهود عليه والعلم لا بد أن يكون عن حقيقة فنحن شهداء على الأمم والتي شهد علينا « ليكون شهداء على الأمم طبعاً » والله شهيد على النبي وعلينا وعلى الأمم . فالتة شهيد والتي شهيد ونحن شهداء . فانظر الى هذه الصفة الجبيلة . وصف الله في القرآن أنه شهيد فالتة شهيد على ما يفعل جميع الناس مطلع عليهم والتي ﷺ شهيد على أفعالنا ونحن على أفعال الأمم . هذا هو الذي ينتج من جهاد المسلمين فهم مجاهدون جهادا علنيا وجهادا علنيا وجهادا خلقيا ليكونوا متخلقين بأخلاق الله أي مرشدين للأمم ناضجين للعباد ليرشدوهم اذا رأوا منهم تقصيرا كالأنبياء للأمم وكما يفعل الله مع الأنبياء . ولقد كان المسلمون فيما مضى سبب انتشار العلوم العقلية في الأمم وهم السبب في إسقاط هيبة وسلطان رؤساء الدين على الأمم حتى أدلوههم فلهذا نشطت المدنية فهذا مما جاء من لوازم الشهادة لأن الشهادة عن علم . ولما علم المسلمون سابقا أحوال الأمم في دينها أخذوا يذكرون لهم بطلان تقاليدهم فزال كثير منها . وعسى أن يكون في الأمة بعد حين أمة أعلى من معاصرها

فيكون درسهم لأحوال تلك الأمم ونقدهم لعقائدها ونظاماتها ومعاملاتها مع بعضها بمثابة تحمل الشهادة التي يسبق أناءها عادة وبهذا يتوفى في تلك الأمم شرف المقاصد وجلال الأعمال . ثم قال تعالى ( فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ) لما خصكم به من أنواع الفضل والشرف فن حق من أشرف على قوم أن يكون خيرهم وأتم جعلكم الله أشرف الأمم فليس من اللائق أن تكون أوروبا المسيحية هي المشرقة على العالم الانساني . كلا بل يجب أن تكون الأمم الاسلامية في الأرض هي التي تشرف على العالم الانساني بالحكمة والعلم والاخلاق والعناية بالأمم وتسكينها وارشادها واسعاها والصاية عليها فان الرسول شقيق بأتمته التي هو شهيد عليها فلنكن أمتة التي هي شهيدة على الناس ذات علم وشفقة على العالم الانساني تعلمه ونحكي الأمم المظلومة سواء أكانت على دينها أم على غير دينها لأن رسولنا شهيد علينا وهو بنا شقيق رحيم فلنكن نحن شهداء على الناس ونحن لهم مصلحون معلمون مرقون مهذبون أكثر مما فعل آباؤنا الأميون . ولما كان ذلك قد يكون فيه ريب فيقال كيف نكون شهداء على الناس وقد مررنا على المسلمين زمان ضفت فيه شوكتهم ذكر مايزيل ذلك الشك فقال ( واعتصموا بالله ) وتقوا به في مجامع أموركم ( هو ولاكم ) ناصركم ( فتم المولى ونعم النصير ) فلا مثل له في الولاية والنصر بل لا مولى ولا ناصر سواه . وفي ذكر ابراهيم في هذا المقام وانه سنانا المسلمين وانا نكون شهداء على الناس نذكر بما جاء في سورة البقرة إذ جاء فيها - لتكونوا شهداء على الناس - واذا قرأت ما كتبناه هناك علمت كيف كان عليه السلام مشغوقا بالعلوم الفلسفية والطبيعية . ففي ذكر ابراهيم هنا اشعار بذلك فهو سنانا مسلمين وهو نفسه كان مقرما بالعلوم الطبيعية والفلسفية فاذا سرنا على منواله سعدت بنا الأمم وكنا شهداء عليها ( انظره في سورة البقرة )

﴿ لطيفة في قوله تعالى - يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له - الخ ﴾

ربما يظن المسلمون أن هذا المثل للكفار وحدهم وأن الله يقول لهم أتم عبدتم الأصنام والأصنام في غاية الضعف وأحق مخلوقا كالذباب سلب منها طيبها وطعامها والصنم لا يقدر على دفعها عنه وعلى ذلك أتم تعبدون أضعف شيء فليس بقادر على أن يخلق أضعف مخلوق بل أضعف خلقي يسلبه وهو لا حراك له بل لا يجس ولا يعقل . يقرأ المسلم هذه الآية ويظن انه خرج منها لاله ولا عليه . كلا . إن المسلم واقع في شرك هذه الآية مخاطب بها كما خطب الكافر بالله . يقول الله هذا الذباب أضعف مخلوقا وقد اختطف من الأصنام طيبها وما سلكها وهي ضعيفة والعاقل يفكر فيجد هذا المثل فتح باب علم الحيوان . فتح باب الحكمة . ألم تركب كيف كان الذباب مسلطا علينا كما هو مسلط على الأصنام . أليس الذباب يسلبنا بعض ما نملك كما يفعل بالأصنام أليس نحن ضعافا أمام هذا الذباب . أليس هذا الذباب اذا أحسن - فينا بقدر في أعيننا أوراى رطوبة في منازلنا أو طعاما بين أيدينا انقض على أعيننا فوضع فيها بيضه فأفرخ البيض دودا والدود يعمي العيون أو يضعفها أليس الذباب ينقض على طعامنا فيضع فيه بيضه فيكون أذى للآكلين وفيه مادة سمية من ذلك الذباب لأن الله خلقه من المواد القذرة التي تراكت في المدن ليصلح الهواء . أليس ذلك داعيا للامانة علم الذباب وعلم الحشرات وعلم الحيوان لتعرف ما فيه من المضار والمنافع لتحتس من الضار وتأخذ الدافع . إن الله لم يذكر هذا المثل اعتباطا بل ضر به لتعلم المسلمين . إن القرآن يقرأ لنا الآن ونحن نسمعه فلسنا مشركين بالله كلا . ولما جاهلون بنعمته والجاهل بالشيء محروم منه مبعد عنه وأورو با سبقتنا بهذه العلوم فسلط الله علينا فلندرس تلك العلوم

﴿ درس من كتاب انجلىزى مترجم عن الفرنسية على الذباب ﴾

هذا هو الدرس الذي يلقيه المعلمون في العالم الغربي على تلاميذهم وبعض المسلمين لاهون ساهون يأمون لا يعلمون أن ديننا يأمرنا بدرس هذه الموالي من كتاب ﴿ العلوم الطبيعية ﴾ تأليف (بول بيرت)

المطبوع سنة ١٨٩٠ م . يشرح الأستاذ معلما لتلاميذه صفحة (٩) من الكتاب ومابعداها . خاطب الأستاذ تلميذا قائلا : « أى فرق بين الذبابة والحصان . فأجابه الحصان كبير والذبابة صغيرة . فقال الأستاذ حسن . ولكن ليس المدار على الحجم صفرا وكبرا فقد ترى الحصان صفرا والذبابة كبرا عند الاستعانة بالمنظير المكبرة وتسلطها على الذباب فيرى انه أكبر من الحصان وأمثاله . فأجاب تلميذ آخر . كلا . إن الذبابة لها جناحان والحصان لا جناح له . فقال الأستاذ لوقطع الجناحان والذبابة حية أفليس الحصان إذن كالذبابة . فإ الفرق . فقال تلميذ آخر . كلا . بل الذباب لا شعر له والحصان له شعر . فقال الأستاذ أوافق أنت بما تقول . امسك بالذبابة وانظر إليها بهذه الزجاجية . انظر الشعر عليها فلها شعر كما للحصان . فقال آخر إن الذبابة لها ستة أرجل والحصان له أربعة أرجل . فقال الأستاذ هذه ملاحظة مهمة ولكن أليس يجوز أن تكون الذبابة قد فقست رجلين كما فقست الجناحين . فأبى فرق إذن بينها وبين الحصان . حينئذ جاء دور الأستاذ فقال اضغطوا على الذبابة فضغطوا عليها فلم يبق إلا الجلد والأرجل والجناحان . قال لهم . فأما الحصان فانه لو وقع البيت عليه فتهشم فانا نجد أن الحصان فيه مواد باقية صلبة فأما الذبابة فلم نجد من هذه شيئا فيها وهذه المواد الصلبة هي العظام إذن يكون الحصان وأمثاله حيوانات ذات عظام ولها هيكل عظمي يحفظ البدن ولها مادة ملونة وهو الدم ذلك لأن الذبابة لم نجد فيها تلك المادة الملونة فتكون النذيجة هكذا إما أن تكون الحيوانات فقيرة لها هيكل عظمي واما أن لاتكون كذلك . فذات العظام يلاحظ أن لها دما والتي لاعظام لها لادم لها » ومن هذا البرس السهل قسم جميع الحيوانات أى من تشريح الذبابة وتشريح الحصان . واستمر الأستاذ يلقي الدروس حتى شرح الحيوانات كلها . ولأنك لك الكتاب كله في موجز من اللفظ لترى عجائب القرآن - ماذا أراد الله بهذا مثلا يصل به كثيرا - من الجاهلين الذين لا استعداد عندهم - ويهينى به كثيرا - من العلماء المفكرين

### ﴿ أقسام الحيوان أربعة ﴾

( القسم الأول . الحيوانات الفقرية ) وهي التي ذكرناها الآن وهذه تشمل

(١) الانسان (٢) وذوات الأربع (٣) والطيور (٤) والزواحف (٥) والسمك

فهذه الخمس هي أقسام الحيوان الذى اشتمل على هيكل عظمي وفقرات ودم . فالانسان والبهائم من الخيل والبغال والحمير والأنعام من الإبل والبقر والغنم والسباع كالثبب والنكب والطيور الجارحة وغير الجارحة والزواحف كالحيات والعقارب والسمك فى البحر وهو معروف . كل هذه لها عظام ودم ولكل نوع من هذه أصناف كثيرة ﴿ القسم الثانى . الحيوانات الحلقية ﴾ أى التى تركب جسمها من حلقات مجتمعات منضمة

يكون منها جسم هذا الحيوان وهذا القسم أنواع وهي

(١) الحشرات (٢) والعناكب (٣) وذوات الأرجل الكثيرة (٤) والحيوانات القشرية (٥) والبود أما الحشرات فهي ما كان لها ستة أرجل ولها إما جناحان كالذباب الذى هو أصل البرس واما أربعة أجنحة كأبى دقيق الذى يعيش فى بلادنا المصرية ويكون منه البود الذى يفصد شجر القطن وهذا سلينا قطننا فلذلك يدرسه الناس الآن فى مصر بعض الدراسة . وهناك حشرات أخرى لها أربعة أجنحة تسمى باللسان الافرنجى (درا كوفلاى) . وأما العناكب جمع عنكبوت فهي مالها ثمانية أرجل ضعف مالنوات الأربع وأما ذوات الأرجل الكثيرة فهي ما قد تصل أرجلها الى عشرين زوجا من كل ناحية عشرون رجلا ويقال لها فى بلادنا المصرية (أم أربعة وأربعين) . وأما الحيوانات القشرية فهي تشمل قراض الخشب وحيوانا يسمى (كرايفش) باللسان الافرنجى وهو مركب من حلقات مدججة قوية . وأما البود فهو يشتمل دود الأرض والعلق وهذاان رؤسهما متصلة بجسمهما وليس لهما أرجل وليس جلدهما صلبا قشريا كالجمل (كرايفش) ﴿ القسم الثالث ﴾ من الحيوانات الهلامية التى جسمها أشبه بالفالوج الذى هو نوع من الأسفحة ومن هذا حيوان

يسمى (القوقعة) وهذا الحيوان جسمه يكون من هذا الهلام . وقد أعطى وقاية من الحار نقيه العاديات والمهلكات وهي معدة كتنزل تسكن فيه . ومنه حيوان يسمى باللسان الافرنجى (ميوزل) وجسمه محفوظ بين صدفتين من المحار . فهذا القسم وهو الثالث من أقسام الحيوان لاعظم له فليس من ذوات الفقرات ولا حلقات له فليس من ذوات الحلقات فهو إذن حيوان هلامي (القسم الرابع . الحيوانات الشعاعية) وهذه منها ماهو على شواطئ البحار المسمى (سمك النجم) ومنها ماهو في البحار يعيش كهية مستعمرات مكونة من تلك الحيوانات الصغيرة ومن اجتماعها تتكون أجسام صخرية وقد تتكون منها جزائر . فترى هذين النوعين يختصان (بأمرين \* الأول) أن لهما فها مركزيا يشاهد في الوسط (الثاني) أن الحيوانات حول ذلك الفم ترجع الى حلقات ضوئية تحيط بذلك الفم أو المدخل . ثم ان مشاهدة صورتها تدخل في النفس عجباً فان (سمك النجم) تراه على هيئة بهجة ذات خمسة فروع تحيط بمركزها وتلك الفروع كأنها أصابع الانسان وذلك الوسط كالسقف وكل أصبع من هذه الأصابع على بأهداب تقطيه وفي أصول تلك الأهداب تشاهد نقطة مضيئة كأنها مصابيح لامعة على طول تلك الأصابع وهذه صورته (شكل ٥)



وهناك أيضاً الحيوان المسمى باللسان الافرنجى (بوليبيا) فانك ترى الفم المتقسم أو المدخل ليس متسعاً كما في سمك النجم بل تراه نقطة صغيرة تحيط بها حيوانات لاحصر لها مجمعة بهية ثمان ورقات جيلات ذات شعاع جيل وهذه صورته (شكل ٦)



( شكل ٦ - بوليبيا )

أما الحيوانات التي تتكون كهية مستعمرات وتكون في وسط البحار فهي حيوانات جسمها مكون من كتلة هلامية ليس لها أعضاء متميزة وتفرز رواسب حجرية تأخذ شكل نباتات ولذا تسمى (الحيوانات النباتية) وتسكن قاع البحار وأشكالها مختلفة وبعضها يستعمل في الصنائع وذلك كالمرجان والاسفنج فالمرجان حيوان معروف يستعمل حلياً وتفرزه حيوانات اخطبوطية لتسكن فيه وهو يشبه شجرة عديمة الأوراق وهو كثير الوجود في البحر الأبيض والأحمر مثبتاً على الصخور وتكون الحيوانات على المرجان كأزهار وهذا هو الذي جل العلماء قديماً أن يعتبروه نباتاً زمننا طويلاً وهذه صورته (شكل ٧)



( شكل ٧ - رسم المرجان )

هذه أقسام الحيوانات التي خلقها الله وبها في الأرض وجعلها درساً لنا . وقد نقلت لك عن الفيلسوف (اسبنسر) انها تبلغ نحو مليونين أغنى ألف وهذا العدد هو المقسم على هذه الأنواع فنه ذوات الهيكل العظمى وهي الحيوانات الفقرية ولها دم وهي الانسان وذوات الأربع والطيور والزواحف والأسماك . ومنه ذوات الحلقات وهي الحشرات والعناكب وذوات الأرجل السكينة والحيوانات القشرية والدود ومنه الحيوان الهلامي كالأعراق التي على شواطئ البحار . ومنه الحيوان الشعاعي الذي ترى أطرافه لامعة حتى سمي (سمك الصم) . فهذا مجمل هذه المخلوقات . انظر كيف ذكر الله هذا المثل ونادى الناس جميعاً والمسلمون من الناس طبعاً فزجن من الناس واذن هذا النداء لنا . يقول الله - يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له - يا أيها هل الله يقول استمعوا له إلا اذا كان المثل عجيباً وفيه علم كثير . قال الله في هذا المثل - فاستمعوا له - وقال في القرآن - وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا - فكان الله أمرنا باستماع القرآن كله وأمرنا باستماع هذا المثل على الخصوص ثم أورد هذا المثل . نحن نسمع القرآن لنقرأ فيه علماً . ونحن أولاء قد سمعناه وسمعته آياتاً فكونوا بممالك عظيمة وهي الدولة العباسية والأموية وغيرهما قديماً وهكذا الدولة الأفغانية والفارسية حديثاً وعسى أن يلحق بهما بقية الاسلام . ومن استماع القرآن كان علم الفقه الذي نشعت مذاهبه فإذا استمعنا لهذا المثل فإذا نصنع به . ندرس الحشرات ودرس الحشرات يستلزم دراسة الحيوان كله ودراسة الحياتين فيها سر الربوبية وعجائبها وحكمها والمواهب التي أسديت إليها وبها ارتقاء العقول وبها ارتقاء الدولة كل ذلك من دراسة الذباب . الذباب الذي ألف كتاب الحيوان كله على التنبيل به والله مثل به ليقول انظروا خلقي . فكأنه لما ذكر المواليد مراراً وكررها في هذه السورة مرتين أتى هنا للحيوان بمثل وهو الذباب النشط ذو الأرجل الستة والجناتين

﴿ جوهره في قوله تعالى - وإن يسلبهم الذباب شيئاً - أيضاً ﴾

كيف يسلب الذباب منا ومن الأصنام طعامنا كالعسل وغيره وهو صغير . وكيف ترى عيناه تلك الدقائق قطعاً لأن الحظف لا يكون إلا بعد العلم وعلمها بنظرها فهل تقدر على ذلك النظر . ثم ان النجاسة شديدة الحرص فمن أين أقبلنا عليها لنذبحها عنا طارت حالا فكيف كان ذلك مع ان الانسان منا لا يرى إلا ما أمامه وستأتي الإجابة على هذا السؤال قريباً هنا . وذكر النجاسة هنا وهي من نوع الحشرات مقدمة لذكر أمثالها كالنمل الذي سيأتي ذكره قريباً والعنكبوت الذي سيذكر بعده فالنمل والذباب والنمل المذكورة في القرآن من الحشرات وقد عرفتها والعنكبوت نوع آخر ليس من الحشرات بل هو مستقل ولذلك ذكر بعد ذكرها مستقلاً . أما بقية الحيوان فأكثرها مذكور في القرآن اجلاً ومالم يذكر فهو في قوله تعالى - ويخلق ما لا تعلمون - ثم أمرنا باقتفاء آثار العلماء لنعلم الأشياء فقال - وقل رب زدني علماً - وقال - وفوق كل ذي علم عليم -

﴿ روضات الجنات ومناهج الحكمة في قوله تعالى أيضاً - وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه

منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز - ﴾

اللهم أنت المجدود على نعمة العلم والحكمة التي عشقناها وتمتعنا بها في هذه الأرض إذ هي رياض غناء لأزلي الألباب . أيتها أدرا العين ووجهنا نرى إحكاماً وهندسة وبهجة وجلاً . اللهم لست أقول هذا تقليداً ولا تزويقاً . ولكني أقول الآن والقواد مفعم بالبهجة والحكمة . يرى أكثر الناس الجبال في الورد والزهر والخمر وأنواع الحقائق الغناء ولا يتعدى نظرهم الجبال الظاهري ونحن أولاء نراه في كل مكان - فأيتها تولوا فم وجه الله إن الله واسع عليم - نراه في المواضع التي يألف الانسان أن ينظر إليها وفي الباب والحشرات الطائرات . تلك الحشرات التي خلقتها لتطهير الأرض من الرطوبات وأنواع العفونات - حتى لا يلبس



الطاعون والوباء والأمراض الفتالة غفلت تلك الحشرات وجعلتها ملطقة للجوع مبعدة للرض إذ تستعمل تلك المواد العفنة الى أجسامها الحية فيقلب الضرر نفعا والموت حياة ولكن جاء في الحديث ﴿ كل أم يتبعها وابلها ﴾ فهذه العفونات والرطوبات مع انها استحات الى أجسام تلك الحشرات حفظت ما كانت عليه من الاضرار إذ لا معطل في الوجود فتجول ضررها العام رو بأوها في تلك الحشرات الى ما فطرت عليه تلك الحشرات من أنها تنقل المرض من زيد الى عمرو فتعمر الأوباء والطاعون وأنواع الأمراض المختلفة الأخرى . ذلك شأن الحشرات كالذباب المذكور في الآية فهي نعمة تدفع الأذى ولكنها تكون رسلا بين المريض والصحيح وسفراء بين الأحياء فتقلل الأمراض وتعطي العدوى وتعمها . هذه وظيفة الحشرات . فإذا كانت هي مخلوقة من القاذورات متغذية بها عاكفة عليها فهي صالحة لحفظ خواصها وهي الإهلاك والابادة والشئ من معدته لا يستعرب وهي من عناصر اختصت بالإهلاك وأحداث المرض فهي تكون قيمة على ما خلقت منه قائمة بشأنه مساعدة لإبادة الأحياء فوق هذه الأرض وتشارك الحيات ونحوها الحشرات في انها مخلوقة من القاذورات والرطوبات فهي تكون سامة اذا كانت أمكنتها قدرة ضارة وتكون غير سامة اذا كانت أمكنتها التي تعيش فيها غير قدرة ولا رطوبة فيها وهذا محجب فانها ان تغذت باصول نظيفة زال منها السم وان تغذت بأغذية قسرة منتهة تضر بالصحة كان في جسمها السم وأضررت بالناس . إذن ليست كل حية سامة . فاسم نتيجة الأغذية إذن الأغذية هي التي تنتج النتائج التي تضر والتي تنفع فلما كان الذباب كاه ضارا كان سببه أن غذاه كاه من العفونات والرطوبات كالحيات السامة لاغير

﴿ بيان أوصاف الذباب والحشرات وكيف كثرت وكيف سلاط الله عليها مهلكاتها ﴾

الحشرات كلها لها ستة أرجل وأجنحة وأنبو بتان ممتدتان عند رأسها بها تتفاهم مع غيرها ولكل من هذه الحشرات رأس و بطن وصندوق وهي بيضاء كما يبيض الطير ولكن الفرق بينهما أمور منها (١) أن الطير تحضن بيضها وتعني بأطفالها . أما هذه الحشرات ومنها الذباب الذي نحن بصدد الكلام عليه منه ما يعتني ببيضه كالطيور وذلك كالنحل والنمل ومنها ما لا يعتني ببيضه بل يتركه ولا يعرف أين تنفقس ذرئته كالذباب والجراد . فهذان النوعان وأمثالهما يتركان بيضهما ولا يلزمان بحفظه بل تقوم بحفظه العناية الإلهية في البر والبحر

(٢) ومن الفرق بين الطيور والحشرات أن الطيور يخرج جنبها من البيضة مباشرة تام الحلقة والأعضاء مثل ماوى في الدجاج والجمام والعصافير فهذه تخرج ذرئتها من البيضة تامة كما كانت آبؤها . أما الحشرات كالزناير والذباب والنحل والنمل فهي على غير هذا النظم . ذلك انها تخرج من البيض أشبه بدود صغير جدا وهذا البود يتنحى من جلده مرات متعددة ويكون ذا أطوار في خلقه وياكل أكل لا يشراه وينهى ذلك بأن ينسج على نفسه نسجا حريريا قليلا كما كثر الحشرات أو كثيرا كدود القز وتنام تلك البودة مدة ثم تخترق تلك الكرة التي نسجها على نفسها وتخرج حشرة تامة كأهمها . هذه هي الحشرات وهذه درجاتها في خلق ذرئتها

﴿ أحوال الحشرات وعدم أحوالها ﴾

وهناك تخرج النورية في الجوع ومنها ذرئته الذباب فتأكل من هذه المائدة التي نصبها الله لها وهي المواد الرطبة كما قدمتا والعفونات في كل مكان . فالزرق لها موفر والغذاء حاضر لا يكلفها نصبا ولا مشقة . وليس للذباب عناية بخزن أرزاقها ولا تحمل مؤنة لها ولا تفعل ما يفعله النحل والنمل فهذان فطرهما الله على حب الادخار كالانسان . ذلك أن الذبابة والجرادة والناموسة وأمثالها لاتعيش للعالم المقبل فلم يضع الله في فطرتها الادخار . أما النحل والنمل والناموس فانها لاتعيش للعالم المقبل فانها ان سالت من المهلكات لها الآلات

لأجسامها لم تسلم من برد الشتاء المهلك لأجسامها المريح لأهل الأرض من إيذائها وحملها الأمراض وتوزيعها على الناس ومساعدتها على إهلاك الأحياء على هذه الأرض . ثم إن الذباب والجراد والناموس وأمثاله قد امتلأت الأرض بأرزاقها فلا حاجة للاذخار . فهذان سببان من أسباب عدم اذخار الذباب وأمثاله للوقت تباركت يا الله . إنك لم تعط إلا بقدر . أعطيت النمل غريزة الاذخار ولم تعطها الذباب . فالاعطاء بحكمة والمنع بحكمة ولعلناك ملأت بهذه الحشرات البر والبحر والسهل والجبل - إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم -

### ( العنكبوت والطيور والنبات الحيوانى )

تباركت يا الله . أكثرت من الذباب وأمثاله من الحشرات وجعلته ملطفا للرطوبات مقللا لها ثم انك لم تفره يفسد فى الأرض بما بقى فى طبعه عما استمد من غذائه بل خلقت الطيور وأنواع العنكبوت والنبات الحيوانى وأمريتهن أن يتغذين من هذه الحشرات الطائرات تخفيفا للمرض وتقليلاً للألأ . عجبا يا الله خلقت العنكبوت كاسيأتى شرحه قريبا عند قوله تعالى - وخلق كل شئ فقدره تقديرا - فى (سورة الفرقان) وأمريتها أن تنصب خيامها وتنسج نسيجها وقات لها أيتها العنكبوت اصطادى من الذباب مائشائين وكايه فى بيوتك إنك ذات صناعة والذباب لاصناعة له ولا حيلة فكليه هنيئا مريئا . ولقد خلقت أيضا النبات الحيوانى المتقدم شرحه ورسم صوره المتعددة الجمية فى (سورة الرعد) عند قوله تعالى - يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل - فهناك أنواع من النبات مرسومة مشروحة مبين فى شرحها أنها لتأخذ إلا فى المستنقعات والبرك والأماكن القنطرة وقد جعلت مهيأة لصيد الذباب . ذلك الذباب الطائر القوى الذى أعطى الله كل واحد منه أربعة آلاف عين صغيرة كل عين منها مستقلة بحيث لو نظرها الانسان بالمظارالمعظم لراها كهية عيون الغراب لكثيرة تبلغ هذه الآلاف فالعين الواحدة مقسمة عيونا على هذا النمط . فهذه الحشرة مع قوتها وعيونها وأجنحتها يسطدها العنكبوت التى لا أجنة لها والنبات الصياد الذى لاصول له ولا قوة وإنما أمده الله بالعسل فى داخله وفتح فيه نوافذ أشبه بالمقاصير والقصور وجعلها مسواة مهندمة مقصولة تنزلق الأرجل اذا لامستها وفها من الداخل مواد سامة حتى اذا جاءت النياية وقد رأت ظواهر النبات جيلة الأشكال حسنة بهية ذات رائحة جيلة تقدمت إليها ودخلت فى دهاليزها لتشرب عسلها الذى رأت منه بعضه على أبواب تلك المحرار فلا تمشى بعض خطوات حتى تنزلق أرجلها وتغمس فى سائل يغمر جسمها فيقتصها النبات ويهشمها ويضمها بالمادة الهاضمة التى وجدوها فيه تشبه المادة الهاضمة فى معدة الانسان

فيحياها . نبات ثابت فى مكانه يصطاد ذبابا سميحا بصيرا طائرا فى الجو وعنكبوت لاجنح له جعل طعامه من الذباب الطائر ذرة بالبلاد والعباد . هذه قصة الذباب المذكور فى الآية إذ يقول الله تعالى - إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب - أما الطالب فهو الذباب وأما ضعفه فهو مع ما أعطى من الأعين ومن القوة والأجنحة ووفرة الرزق فى الدنيا ورغد العيش قد التقطه الطير وأكاه العنكبوت التى بنتها أو هن البيوت . فالعنكبوت ذات الثمانية الأرجل أكلت الذباب ذا الستة الأرجل والأجنحة فهو أخف حركة من العنكبوت . ومع ذلك صار طعاما لها وهكذا النبات الحيوانى الذى جعله الله خاصا بأكل الحشرات لتنظيف الأرض من الذباب وأمثاله ، الذباب ضعيف لأن الذى يته أو هن البيوت اصطاده والنبات الذى لا قوة له اصطاده وأنى ضعف بعد ذلك . فهذا الذباب مع هذا الضعف كله غلب الأصنام فأكل ما عليها من الطيب وذلك بحجة بصره وتقوده . فانه يقول من ذا يقدر أن يخلق هذا الذباب الضعيف ومن ذا الذى يقدر أن يحكم النظام فيجعل تلك الحشرات مخلوقة بقدر بحيث تكون لغاية وهى تقليل الرطوبات ثم هو يصير طعاما لغيره ويكون يصفه بقدر وقد أعطى

غريزة هو وأمثاله كالثاموس والجراد انه لا يضع البيض إلا في مكان يصلح لأن تعيش فيه ذريته متى فقس فتفهم وان لم يرب النرية قد حرص عليها قبل وجودها فوضع البيض في الأماكن التي منها تقتذى بعد فقسها فمن هذا الذي يقدر أن يعلم هذا كله ويخاط هذه الخلائق ويعطيها آلاف العيون التي لا تدركها الأبصار وهي تدرك مآدق من المواد الصغار . فهل تخلفها هذه الأصنام التي لا سمع لها ولا بصر ولا أجنحة ولا حياة

هذه يا أيها عجائب الذباب التي خلقتها ونشرته في الأرض - ليهلك من هلك - بالأمراض منه - عين يئنة ويحيا - بالعلم والمعرفة والدرس - من حي عن يئنة - فالأول بتقصيره والثاني بتشميره وجدته والله هو السميع العليم خلقت يا الله هذا الذباب منذ خلقت الدنيا وأعطيته هذه القوة وزوّقه بالأجنحة والأعين ولكن أكثر أهل الأرض ما كانوا يعلمون وإنما يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن العلوم والحكمة غافلون . لذلك أرسلت لهم أنبياء فعلموهم وقالوا لهم إلهكم إله واحد فانظروا في عجائب الخلق في البر والبحر فسمع ذلك أقوام وضلّ آخرون وبتوا إلى الزمان ضلّ أكثرهم . فإذا يفعل الحكمة ورجال الدين . نصبوا لهم الأصنام والمعابد وشرحوا لهم أوصاف تلك المعبودات وأعظموها لأنها أقرب لعقولهم وأدنى من متناولهم ولم يقدر أكثر الناس على فهم هذه العجائب التي ذكرناها في خلق الله فترى الأصنام شاخصة في كل مكان في مصر في العراق في الهند في الصين . وسترى وصف آلهة الصين في أول سورة (الفرقان) وانهم وضعوها فوق الجبال المشاهقة المرتفعة فوق سطح البحر (٥٠٠) قدم والبرجات التي توصل إليها عددها (٧٠٠) قدم والذهاب إليها يحجبها بجد نصباً ونعياً فيحمله قوم إلى العبد فوق الجبل . ذلك فعل الناس من قديم الزمان . إن كهانهم لما رأوا قصور عقولهم مثلاً لهم القدرة الإلهية والدينام والنبات والحكمة والرفعة والعلو بأصنام هائلة صخرية ثابتة مصنوعة صنفاً متقناً مرتفعة فوق الجبال يراها الابن كما يراها الأب جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن فيتحدث بها الأب ويلي أماديه الابن لأنها ثابتة موطدة فوق الجبل كما أن الله العليّ ثابت لا يموت رفيع على عظيم حكيم فهذه الأصنام وضعها الناس قديماً لتكون مثلاً لجلال الله وعظمته أو مثلاً للنجوم الزاهرات كزحل والمشتري التي كانوا يعتبرونها آلهة عند كثير من الأمم وهي الكواكب السيارة التي تدبرها الملائكة والملائكة عباد الله المكرمون . هذه عبادة المتقدمين . هذه يا الله عبادة الأمم القديمة وديننا لم يقل ان قوما يعبدون الأصنام ولم يرسل لهم نبي قبل الاسلام يدخلون النار . كلا . بل هم يحاسبون على حسب اعتقادهم - وما كنا معذّبين حتى نبعث رسولا -

هذه هي الأصنام وهذا سبب عبادتها وهذا هو الذباب وهذا المتقدم عند الكلام عليه سبب ضعفه ومع ضعفه غلب الأصنام وسرق ما عليها . إذن لتكن الأمم الحاضرة أطول باعاً وأرقى همة من الأمم السابقة . سبحانك اللهم فلتنك عبادة الأمم الحاضرة في الشرق والغرب لخالق الذباب المبدع العجيب الصنع الحكيم الفاعل . فلننجز السابقون عن فهم هذا الوجود وجهلوا بدائع الاقنان في أصغر المحاولات كاتساب لن يقصر باع الأمم الحاضرة عن معرفة عجائب الحكمة فليرتقوا في العلم وليدخلوا حظائر الحكمة وليدرسوا كل شيء ومنه الخشرات والذباب الذي غلب الأصنام . ان الأمم في مستقبل الزمان حين يطعم فجر الحكمة وتشرق شمس العلم في الأرض لن يقدروا أن يعبدوا الأصنام بل هم يدرسون ماهو أنجب من الأصنام وذلك هو هذه الدنيا والمواليد الثلاثة التي رمز لها هنا بالذباب . إن هذه الخشرات وأمثالها لها شأن عظيم في العالم لذلك خصها الله بالذكر ولم يقتصر على انه قال - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - وقوله - وفي الأرض آيات للموقنين - . كلا . بل قال - إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها - راداً على المشركين إذ لم يفهم ذكر الذباب وذكر العنكبوت في القرآن . إن الله مهذب بالاسلام للأمم دراسة العلوم وأشار إلى أن العقول اليوم ستفقه هذا الوجود وتنبذ معرفة الصانع في الحيوان والخشرات بالأصنام والشيوخ والمقابر

ومن يعيش به والسلام

﴿ اعترض على المؤلف في مسألة أعين الذبابة التي تعدّ بالآلاف وذكر مدار بينه وبين مدرسي المعارف ﴾  
 ههنا لما وصلت الى هذا المقام واطلع عليه بعض الفضلاء قال لقد ظهر هنا عجائب الباب والعنكبوت وأن  
 الثاني يصطاد الأول الذي هو ضعيف وأن الطيور والعنكبوت تطارد الذباب وأن الأضعف طعمة للأقوى وأن  
 العيش الرغد للذباب ليس دالا على رفعة القدر بل عبثة النصب عند العنكبوت أكتبته شرقا وجها .  
 وههنا سؤالان أبديهما ﴿ أولهما ﴾ اذا كانت العنكبوت نافعة بأكل الحشرات وكذلك الطيور إذن يجب المحافظة  
 عليهما في الحقول والحدائق . فقلت نعم قال العلماء في عصرنا الحاضر « يجب على صاحب البستان وعلى الفلاح  
 أن يحافظا على العنكبوت لأنها تأكل آلافا من الحشرات فهي نعمة على الفلاح . وعلى الطير كذلك » . ولقد  
 تقدم هذا الثاني في (سورة يوسف) وهناك صور الطيور للمنع صيدها بمصر وهناك في (سورة طه) طيور أخرى  
 وجدها نافعة للزرع وجب حفظها . فقال هذا عجب أن تكون العنكبوت مما يجب المحافظة عليها كأن الله  
 سبحانه في القرآن مشيرا للمحافظة عليها . فقلت ان هذه الحقائق غير منتشرة اليوم في بلاد الشرق انتشارا تاما  
 فقال كيف لا تكون منتشرة وهذه المعارف تدرس لصغار الطلبة . فقلت له ولكنها تدرس بغير تشويق وإنما  
 يقرأ الأستاذ الدروس في أمثال هذا في التعليم الابتدائي والثانوي لمجرد المطالعة الفاظية والاعراب وتحليل الجمل  
 وصرفها . يصتوب التلاميذ عن معانيها لعلمهم انهم لا يمتحنون فيها . وما كان يؤلمني أني وجدت رؤساء  
 المدارس بمصر أيام اشتغالي بالتعليم فيها لا يأبهون لمثل هذه الامور وقد كنت يوما في بهومدرسة (دارالعلوم)  
 وأنا واقف أمام دروة صغيرة فيها نسيج عنكبوت وذلك النسيج واضح بجاء حين ذلك ناظر المدرسة فرأيتني  
 التفتا الى ذلك النسيج وهو بيت العنكبوت . فقال وماذا أعجبك منه . قلت ان شكله محفوظ على حاله والأولى  
 بقاؤه لينظر اليه التلاميذ فيعرفوا شكله للدراسة وتوجيه النظر . فقال هذا أمر لا قيمة له ولولا انه بعيد عن الأنظار  
 لازنته وما فائدة هذا وأنى علم فيه أوحكمه . هذا أمر لا قيمة له فنجبت كل العجب وعرفت ما انتبه عن أهل أوروبا  
 اهم اذا احتلوا أمة من أمم الشرق شرعوا يمتحنون النفوس المتعلقة فيلقون العلم اليهم قسورا ولا يجيبونهم فيه  
 خيفة أن تنبث النفوس الى الحكمة فيفلقون من أيديهم

الاهم إني أحبك انك ألهمتني أن أولف هذا التفسير حتى يكون نموذجا تقرؤه الأمم الاسلامية التي حكم  
 عليها بالاستعمار فلا تحرم عما يبعثها في العلم على الوجه الصحيح فيكون ذلك سبيلا لرقبهم واستقلالهم وقرؤه  
 الذين هم مستقلون في بلادهم فيزبدنهم شوقا الى العلم والحكمة ويجدون موافقا لما يدرسون من علوم هذه  
 الدنيا التي هي علوم القرآن الذي هو كلام الله والعلم فعله والفعل والقول متلازمان . فقال صاحبي هذا هو  
 السؤال الأول قد استوفيناه ﴿ السؤال الثاني ﴾ إنك قلت إن الذبابة لها أربعة آلاف عين فهل هذا القول  
 تقبله العقول الأهم لا ومن ذا الذي يظن أن للذبابة ثلاثة عيون فضلا عن ١٠ فضلا عن الألف بل الآلاف إن  
 هذا خارج عن العقول والمنطق فأنى منطق هذا وأنى عقل يقوله والله إن كتاب ﴿ آلف ليله وليله ﴾ وكتب  
 الخرافات لم تجرؤ أن تقول مثل هذا القول بل كتب الخرافات لأصحابها عذرها فان الناس لعلمهم أن صاحبها  
 وضعها على سبيل الرواية لا يزبدون كلامه أما هنا فان جلة مثل هذه يسمعون القارئ لهذا التفسير فيصرف  
 قلبه ويقول يظهر ان هذا المؤلف ينقل السلام بلا علم ولا هدى ولا كتب منبرها هو إلا أن يقرأ كتابا فانيحيا  
 مثلا فيعتقد أنه كتنزيل من حكيم جيد والافرج فيهم المرفوفون كغيرهم . فاذا قلت لنا إن الذبابة لها أربعة  
 آلاف عين فعنه اننا قوم لا نقول لنا . فقلت آتم كلامك . قال نعم . فقلت أذكرك بما مضى في هذا  
 التفسير وأن قطرة الماء فيها مئات الآلاف من الحشرات وكل حشرة لها عيتان وسمع فكيف وسعت هذا  
 كله . وأذكرك أيضا بأن قطرة الماء تحتوى على ذرات بحيث تعدّ بعدد (٥) وعلى يمينه (١٨) صفرا .

وأذكرك بأن كل جسم من الأجسام فيه مسام وهذه المسام بينها فتحات عظيمة جداً بالنسبة للذرات المتلاصقة فهل تسبعت أن تكون للذابة أربع آلاف عين وماذا تقول إذا أخبرتك أن هناك حشرة تعيش على العلق كبيرة الحجم تكون عينها مشتملة على عيون صغيرة تبلغ (٢٧) ألف عين . فقال هذا كله زيادة في الاستقراب وأن ما ذكرته لا يفيده إلا أمكان الحصول وقرى بين الممكن حصوله وبين الموجود الحاصل فعلا . فقلت هل لك أن أقص عليك قصصا يناسب حديثي معك الآن ومنه يتضح المقام ويصير الغائب عنا الآن كالعيان . فقال حبا وكرامة . فقلت

﴿ محاورات بين المؤلف وبين بعض المدرسين بوزارة المعارف أيام الامتحان ﴾

لقد كنت يوما جالسا مع بعض الرفاق بعد العصر أيام الامتحان بقصر درب الجامع وذلك كان في امتحان آخر السنة لاعطاء التلاميذ الشهادة الابتدائية والثانوية كالمتاد كل سنة فقال لي قائل منهم وذلك في سنة ١٩١٥ تقريبا . انظر الى هذا العنص وأوراقه البديعة المنقحة الحسنة الشكل . إن بعض الاخوان يقول ان نظامه أجل من نظام النحل الفارسي لحسن الاتفاق . ( أقول ولقد كنت قبل ذلك ألقت كتابا وكتبت في بعضها أن عين النملة مركبة من مائتي عين لأنني كنت رأيته في كتاب صغير من الكتب الانجليزية التي يدرسها التلاميذ في المدارس الثانوية . ولقد كان هو وبعض الاخوان اطلعوا عليه فأرساوا هذا ليحدثني هذا الحديث حتى أذكر ذلك فيكون سببا في الأخذ والرد والفتنح فيما أقول كما هي العادة في كل الأهم في أمثال هذا الشأن) فلما قال ذلك أجبت . كلا يا صاح . فقال وما البرهان . فقلت ( أولا ) ان الحيوان أرقى من النبات (ثانيا) ان عين النملة مركبة من مائتي عين . فقال أيها الاخوان من منكم يعرف أن عين النملة مركبة من مائتي عين . فقالوا جميعا . كلا لا نعرف ذلك . فقلت أنا قرأتها في كتاب انجليزي . فقال يا فلان يا فلان هل قرأتها وأنت في انكنازا . قال . كلا . ثم كلا وهذا غير معقول وصارت هذه حديث القوم في نالوبهم وسعمرهم وطاروا بها فرحابتغون بها ويفخرون ويفرحون إذ أظهروا خطأ في بعض هذه الكتب . فقلت لهم يقول الله تعالى - فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والبر - فتوجهت الى أكبر مدرّس في (مدرسة الزراعة) بحلول فاحضر عين النملة ووضعها تحت المظار ورأيت بعيني رأسى تلك العين عبارة عن أعين أشبه بأعين الغراب أقل عددا لها مئتا عين ثم قرأ أملى ما كتبه علماء الخنسا والأملات في القرن العشرين وانهم حلوا كل عين تحليلا تاما وشرحوها فوجدوها عيوناً مستقلة تامة الاستقلال . إذن تكون النملة لها (٤٠٠) عين على الأقل . فلهذا تم ذلك ألقت في رسالة اسمها ﴿ رسالة عين النملة ﴾ وستقرأها في (سورة النمل) مع قصتها المذكورة بهيئة أدبية وتروى هناك شرحا لها وافيا ونشرت هذه الرسالة في الجرائد وقرئت أمام محفل المدرسين فسكنوا للحقيقة أجعين . وأذكر أن أرفعهم مقاما وعلما وقد تعلم في ألمانيا قد كان خاطبي قبل ذلك منكرا هذا الرأي فقلت له هو في الكتب الألمانية والخنساية والانجليزية فقال كذب الاورويبيون فقلت لهم معي الى (حلوان) فان مدرّس العلم مستعد لمقابلتنا هناك وهو بريك عين النملة فهناك سكت واعتذر وبعدها ألقت الرسالة وقرأها واحد منهم عليهم أجعين كما تقدّم

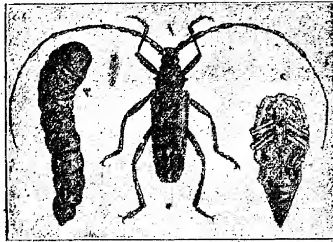
فقال صاحبي هذا عجب ولكني أريد أن أعرف في أي كتاب رأيت أن عين الذبابة مركبة من أربع آلاف عين . فقلت هي تقرأ الآن في مدارس الشرق والغرب لاجلها فيها وهي الآن تدرس في مدارسنا في الكتب المنشورة بين أيدي تلاميذ المدارس باللغة الانجليزية في ﴿ كتاب الانشاء ﴾ . فقال يا عجبا كل العجب وكيف يعرفها التلاميذ ويجهلها المدرسون . فقلت إن المدرسين صرفت أصارهم عن أمثال هذا فهي في الكتاب أمامهم ولكنهم يحقرّون النظر اليها والتفكير فيها . ألم تر أن المسلمين يقرّون صلباح مساء - فل انظروا ماذا في السموات والأرض - وهكذا حتى ان شيوخ الصوفية قد أمروا تلاميذهم بقراءة آيات دالة على

أمثال هذا النظر مثل قوله تعالى - قل اللهم مالك الملك - الخ ونحو - شهد الله أنه لا إله إلا هو - ومثل قوله - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار - الخ - هم يأمرون تلاميذهم بذلك ومع ذلك لا هم ولا تلاميذهم يتفكرون في خلق السموات والأرض - فقراءة الكتاب وحفظه غير حب العلم وعشقه - ألم تر أني ما تقدم في قول الشيخ السليح ﴿ ليس المدار على أن ترى الجبال وإنما المدار على أن قوتك الإدراكية تذوق الجبال ﴾ فالنظر للجمال شئ وذوق الجبال شئ آخر فكثير من أعم الشرح اليوم يحجبوا عن إدراك الجبال أي ذوقه وذلك لأسباب طارئة وعوارض حاجبة قال تعالى - وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستورا - فهذا حجاب مستور مسدول على هذه العقول وهي متى أزيلت حجبها المسدولة عليها أدركت الجبال وارتقت إلى حال الكمال - فقال إذن كأنك تقول إن هذه الآية وهي قوله تعالى - إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيأ لا يستقدره منه ضعف الطالب والمطلوب - تدخل فيها هذه المعاني كلها وأن الله أنزلها ليوقف الأمم لقراءة الذباب والحشرات وكل حيوان ونبات - فقلت نعم أنا أقول ذلك والله عز وجل لما أنزل الآية أراد هذه المعاني وأراد معاني لم فصل نحن إليها الآن وهذا فتح باب لرق الأمم التي تقرأ هذا الكتاب المقدس لأنهم متى علموا أن عناية الله بذكر هذه الحشرة موجهة لهم هم أخذوا يتنافسون ويبحثون في العلوم والحكمة ويستلذون بقرائتها ويفرحون بدراستها وأن الأمم التي حولنا في الشرق والغرب جميعا يقولون ﴿ إن الرجل لا يكون رجلاً نافعاً لأمتة فاضلاً إلا إذا درس هذه الدوالي وأشرب قلبه حب حكمها وأدرك بدائعها - فهناك يسمى بفكره إلى النظام العام في العالم ويرى قوته لأن عقله قد أشرب النظام والجبال فصار الجبال من طبعه بما اكتسبه من النظر في الجباب هناك يشرق من قلبه ولسانه ويده نور العرفان والعدل واسعاد أمة ﴿ والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم فقال صاحبي ومأمونية قوله تعالى - ماقدروا الله حق قدره - في مسألة الذباب والأصنام - فقلت هذا ظاهر واضح لأن قدر الله إنما يعرف بصنعه لا بصنع البشر أصناماً وليس الذباب أعجب شئ في صنعه وإذا كان الأدنى من صنعه فيه عجائب كثيرة فكيف بالأعلى - فاذن الناس لا يعرفون قدر الله ولا عظمتة ماداموا يحجبون صنعه وإبداع نظامه . انتهى

### ﴿ الدود والجنادب والذباب والحشرات والأصنام ﴾

لقد اعتاد الناس في القرى بسلاطنا المصرية أن يضعوا على اللبن ملحاً ويسمونهم (مشر) ويبقونه في القدور أسابيع وقد سدوها سداً محكماً وقد وضوا مع هذا المش جبناً فاذا فتحوها وجدوا هناك ذباباً كبيراً في جوف القدور ودوا في نفس المش فلا يفكرون في ذلك الدود ولا في الذباب من أين جاء وإذا سألتهم من أين جاء الدود قالوا لك بلسان واحد (دود المش منه فيه) وهذا مثل جرى على ألسنتهم وهو خرافة لا حقيقة لها وهكذا يجد الناس اللحم المتفنن فيه دود فيظنون أنه كالش أيضاً ودوده منه وهكذا

واعلم أن الله عز وجل أكثر من هذا الذباب وجعله كأنه سيات يضرب به أهل الأرض ليستيقظوا من الجهالة لأسباب المسلمين - إن هذا الدود هو الذي تقس من البيض الذي وضعه الذباب في المش المذكور وفي اللحم وفي كل متفنن من الطعام ثم يصير هذا الدود جنسداً أو (شرقة) ثم تصير ذبابة تامة (انظر صورتها في الصفحة التالية - شكل ٨)



(شكل ٨)

(١) الفراشة الناعمة (٢) والشرنقة التي تراها كأنها مخنطة ملفوفة في كفنها (٣) الدودة تتغذى وتعمل لعل المصريين القدماء اقتبسوا تخييط الحث من هذه الحشرات

إن الله عز وجل أرسل هذه الحشرات بين أيدينا ومن خلفنا تنغص علينا العيش وتذيقنا الأمراض الويلة لندرس هذه الدنيا كأنه يقول لنا أيها الناس هذه الحشرات خلقتها في الرمم وألمعتها أن تضع بيضها في طعامكم وشرابكم تشاهدونها كل حين فتعلمون أن القاذورات التي تعافونها وتأبون النظر إليها قد خلقت منها حشرات طائفت عليكم تطعمكم البروس وهي ذات اللون زاهية باهرة مابين أزرق زاهر وأبيض يقق وأخضر ناضر وأصفر قاقع وأحمر قان وذهي اللون وعقيقه و بنفسجيه . أفلا يبهرو عقولكم أيها الناس هذا الجلال . أنا اشتقته من الرمم البالية والقاذورات المنبوذة الكريمة الرائحة والطعم واللون وهذه الحشرات عوالم أعداد أنواعها أكثر من مجموع أنواع الحيوان وأنتم لم تعرفوا منها الآن إلا نحو (٢٠٠ . ٠٠٠) وربما تكشفون في المستقبل ألف ألف نوع وكلها تتقلب في الأدوار الثلاثة السابقة . فبينما ترونها دودة لدنة الملمس تنسل بين التراب والأعشاب إذا هي جندب صلب القشر يشب وثبا فإذا هي فراشة ذات أجنحة ذات لون بهيج والبود قد يأكل التراب ويهضمه ولكن الجندب والحشرات لا تهضم إلا الأعشاب . ومثل الذباب في نشأته بين القاذورات الجعلان والعناكب والخنافس والنحل وقد قسروا أنواع الخنافس وحدها (٨٠٠٠) نوع . ولما كان أمر هذه المخلوقات عجيبا بدعما رأى قدماء المصريين تديس الجعلان (جمع جعل) لهذا ولما لها من مزايا أخرى كأن تضع بيضها في كرة وتدحرجها مرار حتى تكمل العمل فيها ومنها يخرج صغارها وقد جعلوها رمزا للخصب ورسموها في كتاباتهم على (البابروس) وثقشوها على الهياكل وصنعوا لها النماثيل وكانوا يصلون لها . إذ كان المصريون أولًا يمجعلونها دلالة على جلال الحكيم المبدع وقدرته ثم تناسوا ذلك وعبدوها هي إذن هناك مناسبة بين ذكر الذباب الذي يمش في الرمم البالية وبين الجعل الذي هذا وصفه فكلهما دلالة على مبدع هذا الوجود حتى عبده قوم . ولا جرم أن الحشرات ومنها الذباب المذكور في الآية أبدع من الأصنام وأرق منها وكلاهما بالضعف موصوف ولكن أحدهما أضعف من الآخر فكيف عبدوا أضعف الضعيفين . إذن هؤلاء الذين يعبدون الأصنام أكثر سخافة من عبدوا الجعلان هؤلاء وهؤلاء في الجهالات سيان . فلتقرأ الأمم جميعها نظام الخلقه وبدائع الخلقه ليعرفوا الصانع بصنعه والحكيم بفعله . وفي ذلك فليتنافس المتنافسون . ولقد اطلعت على جملة في مجامع الحشرات فرأيتها توضح ما نحن بصددده أيضا من كتاب (علم الدين) فأحببت ذكرها لجالها وحسن نسقتها وهما هي ذه

﴿إن الحيوان يخلق أولاً في صورة ثم يتغير وينقلب إلى صورة ثانية ثم إلى ثالثة وليس التغير خاصاً بالصورة بل يهتري الطباع والأحوال أيضاً حتى لا يبقى فيه شئ من أحواله وطباعه الأولى فتراها يكون في أول مرة كدودة قلادة قبيحة المنظر راسية في قاع البحر مستورة بما في قراره من الوحل والطين فإذا انقضى الوقت المعين لهذه الحالة وأراد الانخراط في سلك الحيوانات الهوائية علا على سطح الماء وتعلق بفص من نباته فعند ذلك يتخلى عن ثوب الديدان ويتجلى بكسوة نظيفة الشكل وصورة بهية المنظر كثيرة الألوان ذات أجنحة كاللؤلؤ والمرجان فيطير بها في الهواء إلى حيث يشاء . فانظر كيف خرجت هذه الدودة المائية عن ذاتها الأولية إلى صفة الحيوانات الهوائية . وبتغير صورتها كما ذكر تتغير جميع طباعها وأحوال معيشتها واحتياجاتها وسائر حالاتها وبعد أن كان غذاؤها بما في قاع البحر من الحشيش ترعاه دائماً ولائله ولا تستغنى عنه صارت لانهواه ولا تفر به كما أنها بعد أن قضت مدة حياتها الأولية تحت الماء في الطين صارت لاحتجب إلا فضاء الجوّ ونسيم الهواء ترح فيه وتعيش به ولا تألف المسك تحت الماء بل لا تطيقه ولا تقدر عليه حتى لو كسفت أن تقيم تحته لحظة هلكت في الحال فلان مناسبة بين حالتها الثانية وحالتها الأولية وكذلك أمثالها من الحيوانات التي تتغير طباعها وأشكالها فإن الحيوان ذا الأجنحة الزمرذية الذي تسميه العوام (بالجعران) وكان المصربون يعظمونه أصله من دودة تدب في بطن الأرض لانسبة بينه وبينها بوجه من الوجوه وكان الأقدمون يجهلون ذلك إلى زمن (أرسطو) وهو أول من فتح باب البحث في هذه المسألة إلا أنه تكلم فيها بالظن والحدس واستمر الأمر على ذلك إلى هذه القرون الأخيرة فنظرفيها كثير من الحكماء ومشاهير الطبيعيين فظهر أن الحيوان من هذا القبيل حين تخلفه يكون مجرداً عن الأجنحة في هيئة دودة صغيرة ثم يأخذ في التكبير وازدياد الحجم يأكل بعض الحشيش وغيره من المواد الأرضية حتى إذا بلغ درجة معلومة من العمر ليس غير ثوبه وعدم الحركة بالكفاية وصار في مقبرة كأنه قد مات ودفن في قبر فيبقى كذلك مدة تعمد فيها جميع الأحوال الدودية بتدبير إلهي ليعمل لأحد به ثم يظهر بعد ذلك في صورة أخرى ذات جناحين كالحيوان المعروف عند العامة (بفرقع لوز) وقد شوهد أن الدودة في حال انقطاع حركتها ولينها يتغيرها تكون كقطعة عجينة ملتفة في مادة زرقاء تكون لها كالسكن لرمم الموتي التي ترى في قبور الأقدمين من المصريين فإذا جاء الوقت المعين خرجت هذا السكن وخرجت منه وصارت في الصورة الجديدة . ومن الغريب أن هذا الحيوان يخرج من بيته الضيق الذي صار قبراً له من غير أن يحصل لأعضائه الدقيقة أدنى خلل وكثيراً ما يكون هذا القبر مركباً من ثلاث طبقات ﴿الأولى﴾ مركبة من مواد موضوعة بحيث يزلقي المطر من فوقها ﴿والثانية﴾ من مواد ألطف من الأولى شديدة الامتزاج ببعضها وهي لواقية الجسم من العواض الجوبة ﴿والثالثة﴾ هي الثوب أو السكن الذي تقدم ذكره ومن نظري الحيوان المعروف بأبي دقيق وتنوع أحواله وأشكاله وجدته يتغير ثلاث مرات ينقلب فيها إلى ثلاث حالات ليس بين واحدة منها وبين الأخرى مشابهة البتة حتى يظن أنه يموت ويحيا ثلاث مرات معرانه في الواقع ونفس الأمر ليس كذلك وإنما يعتريه سكون تام يتعطل فيه عن الحركة الظاهرة مدة من الزمن تشغل فيها القوة الحيوانية بواسطة آلائها الخفية بالانتقال من الصورة الحالية إلى الصورة الجديدة فالدودة من أصل خلقها مشتملة على جميع ما يلزم للصور التي تتحول لها وتنقلب إليها فكأنما هي في ثلاثة أبواب مختلفة الهيئت بعضها فوق بعض فتنشئ الواحد منها وتخرج منه فتظهر بهيئة ماتحته فبقى فيه ماشاء الله ثم تخرج منه وهكذا حتى تظهر في الهيئة الأخيرة فبقى عليها إلى أن تموت بها وبعض الحشرات لا يظهر عليه عند تغير صورته ما قدّمنا ذكره من السكون وترك الحركة ولا يعتريه كل هذه التغيرات والتبدلات وإنما ينتقل من صورة إلى غيرها بتجدد أعضائه وكبرها مع القدم في السن وبعضها ينتقل إلى عدة صور يدخل فيها على التوالي من غير أن تظهر عليه حالة السكون المذكورة وإنما تعلم صورته الدودية بعدم وجود الأجنحة وذلك كالحيوان المعروف بأبي ق .



ومن البدان المائية ما يبق سنين عديدة على حالة واحدة و يتغذى بما في مستقر المياه من القاذورات ورم الأسماك فإذا تحول إلى الصورة الأخيرة وظهر في تلك الهيئة اللطيفة لا يعيش إلا زمنا قليلا لا يزيد عن نصف ساعة ثم يموت بعد أن تبيض الأنثى منه بيضا . فمن تأمل في هذه الحيوانات وهي في مستقرها أو رآها وهي مستورة بكفنها في قبرها ونظرت تعدد أشكالها وألوانها وصورها واختلافها في كبرها وصغرها وأنتم النظر فيما تظهر به وتنجلي فيه من المنظر الهيج والكسوة الفاخرة المطرزة بما يفوق وصف الواصف ويستوقف نظر الناظر ويزدري بروق الدر والجواهر من النقوش الغريبة بالألوان الحسية أذعن بالروية لحالها ومبدعها القادر العظيم للدر الحكيم وخضع لجلال عزه وعظمته وتبرأ من علمه وحوله وقوته فاما معلومات الانسان ولوامتد به الزمان بالنسبة لمعلومات الله سبحانه إلا كنسبة المعدوم إلى الموجود . فكيف يطلع على كنه هذه الأسرار أو يستخرج جوهر هانيك البحار إلا ان أمدته الله بأعانه وشده له بحسن عنايته . انتهى ما نقلته من كتاب ﴿ علم الدين ﴾

﴿ محاضرة على هذه السورة في قوله تعالى - يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له - الخ ﴾

في هذا اليوم وهو الثالث من جادى الثانية سنة ١٣٤٣ هجرية أى بعد إتمام السورة يوم واحد قابلنى أحد علماء الأزهر فسمع بعض هذه الأقوال في قوله تعالى - يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له - فقال اتنى أريد مناسبة بين المثل وبين ما ذكرته من العلم وكأك جعلت ذكر الذبابة موضوعا وكتبت عليه والا فالآية ليس فيها إلا شئ واحد وهو احتقار الأصنام التى كان أحقر الخلوقات يسلمها . وكانت تلك المحاضرة بجوار الجامع الأزهر بحضور الطلبة الجالسين . فقلت له إن فيها كسبته ما ينع أن ذلك مناسب للآية وإن أردت إلا الزيادة عليه فهناك ما به يتضح المقام

(١) قد قدمت هنا أن الله قال - فاستمعوا له - فاستمعنا وقلنا لا بد أن تكون هناك أمور وراء المثل المشهور وهذا كاف في البعث في الذبابة وما تبعها

(٢) اننا اذا سمعنا المثل فلنبحث في جميع أطرافه وهي هنا الأصنام والذباب . وصفت الأصنام بالقوة والذباب بالضعف فلما بحثنا عن الذباب الذى وصفه الله بقوله - وإن يسلمهم الذباب شئ لا يستنقذوه منه - دعانا ذلك الى البحث في تشريح الذباب وقوته وعميونه التى سيأتى ذكرها في (سورة النمل) وفي مهارتها في ذلك ثم في مضارها للانسانية ومنافعها وإيس ذلك بدعا فلما نقول إن عادة العرب أن يسترسوا في موضوع كهذا . ألم ترى امرئ القيس في معقلته كيف وصف القفر الذى قطعه فيه ذبابة وذكر في الذب بيتين ونصف بيت فقال انه يعوى وانه لما عوى قال له امرؤ القيس أنا وأنت شأنا قليل العنى وكل منا اذا نال شئ أقاته ثم ذكر الحصان ووصفه بصفات بلغت نحو ١٧ بيتا . وترى طرفه بن العبد وصف ناقته في ٢٩ بيتا في معقلته وماهى الناقة . يقول انى أمضى الهم عند احتضاره بركوبها ثم استمر يصفها . وترى لبيد بن ربيعة العامري في معقلته يصف الناقة التى بركبها بنحو ١٤ بيتا . ثم يوازن ما بينها وبين البقرة الوحشية بنحو ١٧ بيتا فهذه كلها (٣١) بيتا كلها مذكورة لأجل الناقة . وعمرو بن كاثوم يصف محبوبته في نحو عشرة أبيات وهكذا بما لاحصر له . فإذا كنا نرى العربى القمح صاحب اللسان النصيح يذكر الذب في عرض الكلام فيصفه ويذكر الناقة وهي ليست محبوبته ولا مقصوده فيصفها وصفا عجيبا وأكثره خيالى مبالغ فيه . ويصف البقرة الوحشية التى جعل ناقته أفضل منها جريا وأكثرى شرحها . لماذا . لأن لها علاقة بذنقه من حيث إن الناقة أفضل منها ومتى كان المفضل عليه أشرف كان المفضل أكثر شرفا وهكذا . فإذا كنا نجد اللسان على هذا التوال وقد وصفوا مجاهدا في عرض الكلام وأطنبوا وصفا ليس له فائدة إلا نية العقول وحسن القول وإذاعة الفصاحة وأن يقل إن الشاعر بارع وبراعته في اختراع المعانى الدالة على اطلاعه على أمور كثيرة

أفلا يسوع لنا أن نصف النبوة التي ذكرها الله وصفا لا مبالغة فيه وهو حق صادق وليس المقام مقام بلاغة خسب بل المقام مقام أم ترتقي وتعيش وتأخذ حظها من الوجود . فإذا كان أهل اللسان وهم أجنادنا هكذا يفعلون لجرد التسليية وودف الشاعر بالبلاغة وتحدث الناس في مجالسهم ليكون تسليية لهم ومضيعة لوقتهم فوانته لنحن أسمى بأن نطرح المجالس بغير الرحة الإلهية التي تفيض على من يقرأ هذا الكتاب وينظر فيرى آثار رحمة الله وليس يكون ذلك تسليية لمجالسهم خسب . كلا . بل هو انعاش لمدينتهم وترقيسة لأفهامهم وإخراجهم من النمل الى العز . علم الله قبل نزول القرآن أن أمم العرب من شأنهم في قوهم هذا فأرسل القرآن وضرب الأمثال وقال - ثم إن علينا بيانه - فلعلمك أن هذا من بيان القرآن فلنصف النبوة كما وصف امرؤ القيس ومن على شاكلته دوابهم لأدنى مناسبة . ثم قلت بعد ذلك ( على أنه لو لم يكن ذلك فرضا فليكن من الفكرة العامة في القرآن وهو التذكير في كل شيء كما قدمنا في هذا التفسير فالنبوة لم تخرج عن كونها مما أمر الله بالنظر فيه . أليست بما في الأرض . لهذا نظر وتفكر

### ﴿ نمط آخر في المحاضرة ﴾

ثم قلت وإذا كنا نرى النبوة تسليية ماعلينا وما بين أيدينا ونجعل الطعام الذي أمامنا قدرا ونضع بيوضها في عيون أبنائنا وفي لبننا التي نضعه في الجرار وهذا اللبن إذا غطيته مدة أشهر ورقعنا الغطاء عنه لنأكله كما هي عادة بعض الفلاحين في مصرنا ويسمونه (مش) فاما إذ ذاك نجد ذبابا كبيرا يعيش في جوف هذه الجرة وهو لم يسمع عن الدنيا ولا نظرها وما هذا الذباب إلا الذي أفرخ في هذا اللبن وأصله كان دودا والبود كان أصله بيضا والبيض كان من الذباب والذباب كان يزل على اللبن لتفريط الناس في متاعهم وانما أنزل على اللبن أوعلى أعين أولادنا لأن الله هو الذي علمه . علمه انه لا يضيغ البيض إلا في مكان صالح والمكان الصالح هو الذي فيه غذاء له فتخرج أولاده في اطمان وسلام في بيوتنا ومنازلنا أكثر من اطماننا نحن على أبنائنا فانا لاندرى ماذا تعمل الفريجة فيهم غدا ولا ندرى ماذا يرادهم ولم نعمل معاملته النبوة ولم نحافظ عليهم هذه هي القراءة التي يقرؤها المسلم في الذباب ويقرأ المسلم أيضا فوق ذلك فيقول إن (أبا دقنق) المتقدم ذكره والحمل والنحل والزناير لها صفات ولها منافع ولها أحوال وهكذا بقية الحيوانات وكذلك الحيوانات الدقيقة المسماة (بالمكروب) التي تسوط علينا فتقتلنا وتمرضنا وتعرض أبنائنا بالحي والجدرى وهي التي لم يعرفها الناس إلا في هذا الزمان . فكل هذه حكمها حكم الذباب لها منافع ولها مضار . فيالله وبالله وبالله وبالله يا رسول الله انظر أمتك انظر رسول الله بعد ألف وثلاثمائة سنة من الذي ينظر في شؤونهم . تنظر في شؤونهم أهل أوروبا فهم والله الذين يدرسون (علم المكروبات) وعالوم الأمراض ويقولون الطاعون له دواء كذا ويحلقون تلك الأمراض . ولقد جاء رجل ألماني الى مصر قبل الحرب وهو الذي نشرهذه العلوم فيها انتشارا مضيقا عليه لسيطرة الأجانب على البلاد . فهل يجوز في شرعة الأنصاف أن يجعل المسلمون هذه المضار . ليس الذباب وغيره انقياب يبعث بجائنا ويقتل المكروب أى الحيوانات الدقيقة التي لا ترى إلا بالمكروسكوب آلا وآلافا من أبنائنا ونحن لانعرف بل لاضدق أن العلم ينفع وأوروبا تفوقنا والله ما الفرق بين الأصنام وبين الأمم النائمة التي سلطت عليها الحوام والحيوانات الدنيئة . لم يسلط علينا الذباب فقط بل سلط ما هو أنقص من الذباب ونحن لاندرى أن الله خلق شيئا من ذلك . لا لا بل سلط علينا الحيوان ونوع الانسان فنحن تحت تأثير الحيوانات ولا ندرى انها تؤذي بنا بل لاندرى أنها خلقت . ولا ندرى أن الجدرى والحصبة والطاعون والحي كل ذلك بمجنود يرسلها الله من الحيوانات التي عرفها الناس والمسلمون نائمون . حيوانات حية تعيش وتلد وتموت وبالله تسليتنا الطبيب كما سلبت الأصنام ولكنها تسليتنا أبنائنا وزرعنا ولما ضعفتنا وجهتنا سلط الله علينا أوروبا لتقوم بأمرنا وتأخذ الخن أن تستعيننا . فهذا هو ما فهمت في قوله تعالى - إن

الذين تدعون من دون الله - وحاشا لله أن أقول إن معنى الآية هذا ولكن أقول إن هذه المعاني رمزية ولا غشاضة في ذلك . فالكثابة لفظ أطابق وأريد به لازم معناه قلتم في الآية على حاله ولكن بحجة بالمعنى الآخر تبعا ويكون هو المقصود والحمد لله الذي جعل في الأمتة علم البيان ليرجع اليه من لم يكفه ما نقول

فإذا بقي المسلمون مستسلمين للباس وقعة - دواعي العلم والعلم فهم (والعبادة بالله) باقون على التقليد وتكون آراؤهم العتيقة المحصورة كأنها معبودة لهم لعدم انحرافهم عنها . ولعمري ما دقت الأنصم إلا لأنها قيد للأفكار ولقد تقدم حديث ﴿ان عبادة غير الله عبادة للأهواء﴾ فتكون النتيجة أن من اتبع هواه فكأنه عابده . فعبيادة الأصنام ترجع إمادة إلهوى - أفرأيت من اتخذ إلهه هواه -

فإن المسلمين هم الذين قبدوا الدين وهم إذا سمعوا قوله تعالى - ومن أصولها وأوبارها وأشعارها أنا وبتاعا إلى حين - قالوا هذا حق وإذا قيل لهم انظروا في بقية المنافع فإن الله سخر لكم ما في الأرض جميعا ولما علم أن علمنا قليل قال - ويخلق ما لا تعلمون - يريد بذلك أن نعلم ما تجهل ويدل عليه - وقيل رب زدني علما . إذا قيل لهم ذلك يقولون لا لا هذا حرام هذا خارج عن الدين لا يبحث القرآن عنه وأشياخنا وكتبنا لم تقل ذلك . فنقل لهؤلاء . ﴿أما الناس إن الأم إذا طال عليها الأمد قست قلوبها والأمة الإسلامية المسكينة حصل لها اليوم ما حصل للأمم السالفة . إن القديسين في أوربا كانوا يهكمون تحكما أدى إلى التهلكة والقرآن ضربهم ضربة دوت رؤساء الدين وشملت تلك العقائد والتحكم في الأعراض والأشخاص والملوك كما تقدم في قوله تعالى - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - وأمتا المسكينة محبة لدينها ولكن طرا عليها ملوك وأم أدلواها من بنينا ومن خارجها وذلك في نحو سبعة مئة وهادي ذه تريد أن ترجع مجدها ورجوع مجدها بالاسلام أسرع من رجوع مجد أورب بالذي ظهر في نحو ثلثمائة سنة ونحن لا يعوزنا هذا الزمن كما هم سيكون رقي المسلمين في نفس هذا القرن لأنهم أقرب إلى الرقي . فقال أحد الحاضرين أوضح ما ذكرته من علم الحيوان في أواخر السورة بمناسبة التباب . فقالت اني قد ظهر لي العجب في هذه الآيات بعد تمام تفسير الآية . فقالوا وما هو العجب . قلت أرايت قوله تعالى - إقرأ باسم ربك الذي خلق ﴿خلق الإنسان من علق﴾ - قالوا هذه أول آية نزلت . قلت انظروا وتعجبوا . أستم تعلمون فيما ذكرته أن العلقة إحدى الحيوانات التي تقدم شرحها . قالوا بلى . قلت أولستم تعلمون أن الله يقول - وجعلنا من الماء كل شيء حي - . قالوا بلى . قلت أولستم تعلمون أن العلم الحديث جاء فيه أن جميع حيوانات البر على ما يظنون كانت في البحر ثم انتقلت إلى البر وإن كانوا لا يحسنون أن يعلموا كيفية ذلك . قالوا بلى قد فهمناها الآن . قالت نعم إن الضفادع تنحلق في الماء وتعيش فيه في صغرها فإذا كبرت خلق الله لها رئة وجعلها من ذوات الدم البارد وأخرجها إلى البر وتنزل الماء في بعض الأوقات إذا أحست بأدنى ضرور بما اختفت فيه نحو ساعة لا غير ولاتحمل أكثر من ذلك وقد تكون فيه أمدا طويلا إذا صارت خادمة في زمن الشتاء شبه الميتة فإذا جاء الربيع حيت . قالوا وما قصد بهذا . قلت أقصد أن حيوان البر على ما يقوله الطبيعيون كان في البحر فيكون قوله تعالى - وجعلنا من الماء كل شيء حي - أي انه كله كان من الماء وهو أشبه بالضفادع والضفادع تكون لنا مثلا ضربه الله لنا ليعرفنا انها كلها كانت في الماء ولكن هناك نواميس لانعامها قد عملها لتلك الدواب فأخرجها إلى البر كما أخرج الضفدعة . قالوا حسن هذا ولكن ماذا تريد بهذا القول الآن . قلت أريد أن أقول ان العلق من الحيوانات الأرضية الطينية وقد خلق الله الإنسان من علق فهو في أول نشأته يشابه نشأة الحيوانات في البحر في قديم الزمان لأن جميع الأرحام مائية كأنها حفظت أصل الخلق وانه كان من ماء . قالوا ثم ماذا بعد ذلك . قلت قال العلامة (قون بابر) حفظت جنينين صغيرين في الكحول ونسبت أن أكتب اسم كل واحد منهما عليه واليوم يتعذر علي أن أعرف من أي صنف

هنا آمن القواض أم الطيور أم ذوات الثدي نعم ان أطرافها لم تكن تكونت وهب انها كانت فوجوها في أول تكونها لايفيد شيأ لأن أطراف القواض وذوات الثدي وأجنحة الطيور وأرجلها متشابهة حيثذ ولايختلف إلا بعد ذلك كما يرى في مقابلة صورجنين الانسان والكلب والسجاجة والسحفاة . ويقول علماء العصرالحاضر ( ان كل جنين صادرأولا من بيضة أوبرة لايتختلف بناؤها الجوهرى ولايتختلف بعضها عن بعض إلا في الحجم والشكل وهذه الخلية تنمو بالانقسام وأجنة الحيوان التى تنشأ من هذه البيضة تكون متشابهة في الأطوار الأولى يصعب تمييز أجنة ذوات الثدي من أجنة الطيور بسائر أجنة الحيوان الفقريّة ) ويقولون أيضا ( ان أصل الماهية العضوية في نشو الانسان (علقة نووية) مستديرة الشكل يبلغ قطرها من ١٢٥ من الميكرات فإذا أقيمت عليها نظرة بعين مجردة رأيتها نقطة صغيرة جدا وانما تكون الخلية الأولى في حال تتاج البيضة أوفى حال اختلاطها بجنى المذكورة الخ )

فانظر رعاك الله الى قول علماء العصرالحاضر ان الانسان في أصله علقه صغيرة وهذه العلقه تطورت أطوارا شتى فانتقلت من حال العلق الى حال ذوات الفقار منتقلا في أحواله من حال الى حال أرقى حتى يصل الى حال الانسانية . وقد تقدم في سورة ( آل عمران ) أن الفيلسوف (هيكل) الألمانى حاول جمع جميع الصورالحيوانية المتتابعة من أدها الى أعلاها كما قدمناها لك فوجد أكثرها في صورالجنين ولم يجد باقيا وادعى انه وجدها كلها فأسقطه القوم . والمقام الآن هوأن الجنين يتطور في بطن أمه من أدنى حيوان كالعلق منتقلا في صور حيوانات أعلى من العلق الى أن يصل الى الانسان وان كان هذا لم يتم كشفه وهذا هو قوله تعالى - خلق الانسان من علق - فما ذكره الله منذ ألف وثلاثمائة سنة ذكر الله اليوم بنصه وفصه وقد علمت أن العلق يكون مبيدا لذوات الحلقات وتلك هى الحشرات وذوات الأرجل الكثيرة والعنكبوت . وهذا الخلق وارثقاء الصورة عن أصلها العلق الى الصورة الانسانية هو الذى سباه الله كراما إذ قال - يا أيها الانسان ماغرك ربك الكريم الذى خلقك \* فسواك فعدلك في أى صورة ماشاء ركبك -

عجبا للقرآن . يقول ان ربك أيها الانسان كريم . لماذا . لأنه - خالقك فسواك فعدلك في أى صورة ماشاء ركبك - . فالنسوية وتنظيم الهيكل الجسمى كرم من الله فالله كريم . لماذا . لأنه سوى صورنا لما خلقها في الرمح وجعلها متناسبة وقاسها بمقياس عجيب كما تقدم في هذا التفسير فهذا هوالكريم . ثم نرجع الى سورة (العلق) فنراه يقول فيها بعد أن ذكر خلق الانسان من علق - اقرأ وربك الأكرم -

عجب . هوهناك كريم . كريم لأنه خلق الانسان من علق فسواه فعدله في أى صورة ماشاء ركه ولكنه هو أكرم . لماذا . لأنه - علم بالقلم - علم الانسان ما لم يعلم - فالله كريم لأنه خلق الصورة الانسانية وخلصنا من الحيوانية التى مررت عليها العلقه التى لاتصل الى الانسانية إلا بعد مرورها على صور شتى من الحيوانات وهوا أكرم لأنه يعلمنا ويفتح المدارس ويفهمنا نظام الكون ويرفعنا الى أفق الملائكة . فهذا معنى قوله تعالى - الأكرم - فهو كريم لاختراجنا من الصورة الحيوانية وهوا أكرم لاختراجنا الى الصورة الملكية بالعلوم والكتب ( ملخص المحاضرة )

(١) سؤال من أحد علماء الأزهر « مامناسبة علم الحيوان لمسألة الذباب »

(٢) الاجابة « ان المناسبة تقدمت في السورة وافية »

(٣) وايضا ان ذكر المثلل يستلزم البحث في صفات المثلل به فلنبعث في صفات الذباب ومنها أعضاؤها وقواها وعيونها

(٤) ونذكر مايناسبها من الحيوان كما فعل شعراء الجاهلية في معلقاتهم

(٥) بل نحن أولى لأنهم كانوا يصفون لجرد الخيال واللهو بالقول والتفاخر به ولاينفعهم في سعادتهم

(٦) وأيضا الذبابة تسلبنا هي وحيوانات أخرى مانعنا من الصحة وتورثنا أمراضا كالجدري والحصبة وذلك بالمكروب . فهل نكون معها كالأصنام ونحن عقلاء

(٧) إن ذلك يقصد بطريق الكناية والكناية من علم البيان وهو يدرس في جميع المدارس في مصر وغيرها

(٨) والمسامون اذا امتنعوا عن البحث في هذا فقد قيدوا الدين

(٩) والتقييد بالتقليد أشبه بعبادة الهوى وحاشا لله أن أقول اننا كفار ولكن أقول اننا نتبع الأهواء وكفى بهذا ضلالا فانا عبدا أهواءنا وذلك فيه على الأقل كفر بالنعمة

(١٠) وكفر بالنعمة قبيح جدا من المسلم

(١١) إن في مسألة تشريح الذبابة واستخراج أنواع الحيوان منها سرا وذلك السر أن علماء الطبيعة يقولون ان الانسان خلق من علقه وتلك العلقه التي أطلقوا بها وكشفوها تساوى به من القيراط وليس من المعقول أن أحدا من البشر شاهد هذه العلقه وكونه عدلها ودواها في أى صورة هو انتقالها الى الانسانية في الرحم

(١٢) إن التعبير بالكرم في جانب نسوية الجسم . وبالأكرام في جانب الانعام بالتعليم بالقلم باب واسع لارتقاء الأمة الحمديّة وغيرها . يقول الله خالقكم في صور مختلفة مرتبة في الرحم فلا رفعمكم في صور روحية مختلفة في حال الحياة الدنيا بالعلم والمعرفة لتخرجوا من هذه الأرض كاملين وهذا أشرف

ولما أتممت هذا القول سأل أحد طلبة بلاد الحارث قائلا : فهل ترى أن العلم في الاسلام اليوم لا يكفي وهل علم الفقه لا يكفي المسلمين وعلم التوحيد . قلت اعلم أن علم الفقه قد نفع الاسلام وحفظه للآن ولولا البيوع والبراث والمبة والدعوى وما أشبهها وكذا الصلاة والزكاة الخ لم يكن للمسلمين جامعة ولكن هذه محافظة على الموجود . فقال مامعنى هذا . قلت يسمع الفقيه قوله تعالى - يوصيك الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين - الخ فيؤلف فيه علم البراث وقد أحسنوا صنعا . ويسمع آية البرين فيؤلف فيه ويستوفيه . ويسمع - وأحل الله البيع - الخ فيؤلف في الربا والبيع . ويسمع - الطلاق مرتان - فيؤلف . ويسمع قوله تعالى - حافظوا على الصلوات - الخ فيؤلف . حسن كل هذا ولكن هذا محافظة على الموجود . ومعنى هذا أن المال الذي تصادف أن الناس جموعه تكون عليه القضايا ومنه قسم التركات ومنه الصدقات ومنه بناء المساجد ومنه الدفاع عن البلاد الخ . ولكن اذا قيل لبعض العلماء (لاكمهم لأن علماء الاسلام اليوم غيرهم بالأمس بل لم يبق من تلك الطبقة إلا القليل) إقرأ - هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا - أوفيل له - وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون - واذا قيل له - وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون - الخ واذا قيل له - وجعل لكم سرايل تقيكم الحز - وسرايل تقيكم بأسمكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون - واذا قيل له - وعلمناه صنعة لبوس لكم لنحسننكم بأسمكم فهل أنتم شاكرون - أى ان الله علم داود عليه السلام صنعة البروع وهو يأمرنا بالشكر عليها لأنها تحمينا من الحرب وهذا يلزمنا أن نبحت في كل ما يصحنا من بأسمنا . اذا سمع هذا قال هذه أمور ليست في علم الفقه ولا تدخل في أحكامه وهذه ليس فيها شئ فهمى تقرأ للتعبد وبها تعرف الله ومعرفته الله حاصلة عندنا . ونسى هؤلاء أن هذه الآيات تحتاج الى علوم تشريحها ويعمل بها . وبالبحت في العالم المشاهد تزيد ثروة المسلمين وبزيادة الثروة تكون التركات والصدقات والزكاة وما أشبه ذلك . فالذى يحكى في النش وهو قليل الهوى الذى يحكى فيه وهو كثير والحكم على النش فرع عن وجوده . فالتعلمون في الاسلام أيام سقوط الدول الاسلامية أظلم الملوك حتى لزموا علوما خاصة واكتفوا بالفقه والتوحيد وتركوا الأمتة حبلها على غاربها حفظوا مائة وخمسين آية لأجل الأحكام ونسوا بقية القرآن الذى به انبئة لازدياد الثروة وارتقاء الشعوب وحفظ الأمم الاسلامية . فليكن بعض علماء

الدين علماء نبات وبعضهم علماء حيوان وبعضهم أطباء وبعضهم علماء السياسة وبعضهم علماء اقتصاد مع إلمام كل واحد بالعلوم التي في الدنيا الآن ومنها علوم الدين . وليصبح العلماء الأبحاث العميقة في هذه المقاصد لاقى المقتدات بالعلوم العربية فانه من العار أن يضع التلميذ زهرة حياته في مباحث وفي علل لا تنفع ويترك المسلمين أذلاء بين الأمم . هذا هو الذي سيخافه الله في الأمم الإسلامية في المستقبل والله هو الولي الجيد وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . فقال أحد التلاميذ اني أريد أن أعرف إضاح عبادة الهوى بطريق مختصر فاني لم أفهمها . فقلت الأصنام عبدة باهوى والتي <sup>عزرائيل</sup> قال لما قيل له حين قرأ - اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله - يارسول الله ما كنا نعبدهم انهم كانوا يشرعون لكم فقتبوعن شرعهم فجعل اتباعهم عبادة لهم وهذا بطريق المجاز فالعبود على كل حال الهوى . والمسلم اذا اتبع هواء وقد دله هذا الهوى على ترك ما في البحار من الأؤلؤل والمرجان وما على سطحها من السفن العظيمة وما على ظهر الأرض من المواليد الثلاثة وما في باطنها من المعادن وقد أحاطت به نذر الأمراض بصغار الحيوان فكان الطاعون والتيفوس والتفود الخ . وفوق ذلك الأمم القوية تفنك بالمسلم وهواه يقول له لا هم ذلك أفليس المسلم إذ ذاك كأنه عبد الهوى . فالهوى كالصنم والذباب وغير الذباب من العاقل وغير العاقل المؤذيات له كالذباب في مسألة الأصنام ومعانده من الأغذية والأموال كالطعام والطيب عند الأصنام . فهذا المثل منطبق تمام الانطباق . فالهوى في أنفسنا لا يدفع ما يطأ علينا من المصائب . فكل ما يؤذيها فهو ذابنا . وكل ما يقعد بنا عن النافع فهو معبودنا والهوى مطاع على مآزل بنا وهو لا يبدى حرا كالأصنام فصار معبودنا الصمى (لأننا مؤمنون بالله ورسوله وندخل الجنة اذا كنا صالحين) وهو الهوى . يرى الحرب في ديارنا فيوحى اليها أن نوكوا . ويرى خسارتنا يقول لا هم ذلك فلا يستحق الهوى الاتباع بل العبادة تكون لله وهو الذي ياهم العقول فتدفع الأذى عن الناس بالعلم . فكما أمر الكفار بنبذ الأصنام أمرنا بنبذ الهوى والتقايد الأعمى وكما أن الأصنام لا تقدر على دفع الأذى فهكذا آراءنا التقليدية لا تدفع عنا الأذى . وكما ان الكفار يجب أن يؤمنوا بالله ورسوله هكذا نحن يجب أن نوجه عقولنا للفهم من القرآن والقرآن يقول الله فيه - قل أعوذ برب الفلق - الخ - فستعبد بالله من شر خلقه . واذا استعذنا به واتبعنا الى فهم القرآن بعقولنا علمنا العلوم ومنى علمنا علمنا فأزال الله عنا شرنا وباد شر الحيوان وشر أنفسنا كما بيناه

فهذا انطبق للمثل تمام الانطباق من حيث جوهر المعنى وهذا هو المعنى المهم الذي نزل له هذا المثل وهو وأمثاله السبب في قوله تعالى - فاستمعوا له - . فالهوى عندنا يقول يامسلمون لا يهكم شيء وعلماء الفرنجة يقولون يهكم كل شيء . ألم ترالى العالم الفرنسى (بول برت) المذكور سابقا في كتابه السمى (العلوم الطبيعية) الذى ترجمته زوجته الى اللغة الانجليزية حيث قال في أوله (انك أيها القارئ سيمر بك هذا التاريخ الطبيعى وستعلم بأى طريق تفيدنا تلك الحيوانات وبأى طريق تضرنا وتحدث فينا خطرا وليس الأمر قاصرا على المضار والمنافع بل انك تعلم أننا نحن باعتبارات كثيرة نشبه الحيوانات لاسما اذا لاحظنا تركيبنا الداخلى فاننا نعلم أن لنا قلبا له ضربات في صدورنا ورتبتين بهما نتنفس ومعدة وحواس كالأذن التي بها نصبر والأذان التي بها نسمع . واذا صادف انك نظرت الى مشرحة الجزار أورايت مصادفة أرنبا مذبوحا مثلا فانك ترى أن الثور والحروف والخنزير والأرنب في نظامها وترتيبها الداخلى بينها وبين الانسان مشابة قليلة وكثيرة . وعلى ذلك اذا نحن درسنا الحيوان بتابع ونظام فما درسنا إلا أنفسنا وكلكم تعلمون كيف يكون ذلك لذيذا وسارا انتهى

هذا كلام العالم (بول برت) فقال بعض التلاميذ هذا كلام افرنجي وزوجته المترجة للكتاب بالانجليزية قلت نعم . قال فنى يكون المسلمون على هذا النقط . قلت فليشر في الاسلام أمثال ما يكتب في هذا التفسير

وغيره بطرق مناسبة . فقال آخر . هذا القول هو عين قوله تعالى - وفي أنفسكم أفلا تبصرون - وكأن قوله تعالى - والأنعام خلقها لكم فيها دف ومنافع - إلخ إذا درسناه فقد درسنا أنفسنا . قلت نعم . فدراسة هذه العلوم لدفع المضار ولجلب المنافع ولدراسة علم التشريع لأجسامنا . هذا ملخص ماضى حتى إن دراسة التوبة المتقدمة دراسة لأنفسنا . وأما بصفى مسلما أقول وهناك أمر رابع وهو حب الله والارتقاء والوصول إليه بالطريق العلمى وعلم التوحيد فيكون لما أرى من منافع بل خمس والخامس أن تترقى العقول الإسلامية كما تترقى عقول البشرية هذه العلوم ولذلك لما دخل القرنجة بلادنا المصرية منذ (٤٥) سنة منعوا هذه العلوم عن المصريين ليحصروها في الجهالة وقد كانت قبل ذلك في مدارس حين كنا مستقلين لأن علماءهم أفهموهم أن تعليم الأمم المحكومة يجعلها مدركة الحقائق فتطرد المستعمرين وهذا شأن الغاصب مع صاحب البلاد . وإني أنصح المسلمين جميعا أن يعرفوا هذه العلوم ويقرؤوها لينفعوا أنفسهم ويطردوا عدوهم ويرضوا ربهم والحمد لله رب العالمين . انتهت المحاضرة وبها تم تفسير (سورة الحج)

### ﴿ تذكرة ﴾

قد اطلع بعض الفضلاء على جملة في هذه السورة تحت عنوان ﴿ مسامرة في قوله تعالى - فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها - إلخ ﴾ فقال إن القول فيها قد طال جدا وكثر الأخذ والرد فاذا تقصد . فقلت إن القول هناك تام . قال ولكن في الاعتراض عليك أظهرت الجاسة وفي رد الاعتراض لم تظهر مثلها . قلت إن ملخصها أن بعض الحجاج أخبرني أنهم في أيام (منى) يذبحون قربان ولا يعطونه للفقراء وهذا يكون المرض فالمرت . فقلت لهم ما ملخصه إن هذا حرام في ديننا بدليل أن الله يقول - فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر . - إذن المقصود من القربان الإطعام لانه يرى فوق الجبل ويعفن الجوف . وبدليل قوله تعالى - كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون - وكيف يكون الشكر على رمى تؤذينا وسباها الله رزقا فهل الرزق هو الرم الملقاة وقال أيضا - وأطعموا البائس الفقير - فأمر سبحانه من تين بالإطعام والأمر للوجوب . إذن تركه على الجبل بدون إطعام الفقير منه حرام بنص الآية . فقال الآن فهمت انتهى

### ﴿ وبهذا تم الكلام على سورة الحج ﴾

## ﴿سورة المؤمنون مكية وهي مائة وثماني عشرة آية﴾

سنذكر مناسبتها لما قبلها في لطائف (المقصد الثاني) منها وهي ﴿ثلاثة مقاصد﴾  
 ﴿المقصد الأول﴾ من أوّل السورة الى قوله - وعليها وعلى الفلك تحملون - وهو في خلق الانسان ونظام  
 هيكله والنبات والحيوان  
 ﴿المقصد الثاني﴾ من قوله تعالى - ولقد أرسلنا نوحا الى قومه - الى قوله - الى ربوبه ذات قرار  
 ومعين - وهو قصص بعض الأنبياء  
 ﴿المقصد الثالث﴾ من قوله تعالى - يا أيها الرسل كلوا من الطيبات - الى آخر السورة وهو خطاب  
 عام للرسل ونتائج الرسالة وأدلة ونصائح مختلفة

### ( المَقْصِدُ الْأَوَّلُ )

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ \* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ \*  
 وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ \* إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ  
 أَيْمَانُهُمْ فَلَهُمْ فِيهَا مَوْلِينَ \* قُلْ أَتَنهىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ قُلُوبُهُمْ \* وَالَّذِينَ هُمْ  
 لِأَمْوَئِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ \* أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ \*  
 الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ \* وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ \* ثُمَّ  
 جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ \* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ  
 عِظَامًا فَكَسَّوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ \* ثُمَّ  
 إِنَّا كُنَّا بِكُمْ بِعَدَ ذَلِكَ لَئِيْتُونَ \* ثُمَّ إِنَّا كُنَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ نُبِعْثُونَ \* وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ  
 طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ \* وَأَوْرَثْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يُقَدِّرُ فَلَنُكْسِنَهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا  
 عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِنَّ لَقَادِرُونَ \* فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ تَحْتِهَا وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ  
 كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ \* وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصِينِ لَآ كِلَيْنِ \*  
 وَإِنَّا لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِيُزَكِّىٰكُمْ بِمَا فِي بُطُونِهَا وَأَكْلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا  
 تَأْكُلُونَ \* وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ \*

### ﴿التفسير اللفظي﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( قد أفلح المؤمنون ) أى قد نجا وفاز وسعد الموحدون الصديقون ( الذين هم في صلاتهم خاشعون )



مخبتون متواضعون لا يلتفتون بيننا ولا شمالا ولا يرفعون أيديهم في الصلاة وهم يجمعون الهمة ويعرضون عما  
 سوى الله بقولهم ويتدبرون فيما يجري على ألسنتهم من القراءة والذكر فهم على ذلك لا يرفعون أصابعهم  
 ولا يعشون فيها . ومن لوازم جمع الهمة وتدبر القراءة أن لا يعرف من على يمينه ولا من على شماله (والذين  
 هم عن اللغو معرضون) عن اللغو والحلف وعن كل ما لا يعينهم وعن كل كلام ساقط حقه أن يلقى كالكلذب  
 والشتم والمزلة منصرفون . ذلك لأن هؤلاء من الجند ما يشغلهم فهم في صلاتهم معرضون عن كل شيء إلا عن  
 الخلق وفي خارج الصلاة معرضون عن كل ما لا فائدة فيه متجهون للبعد والعمل الصالح فكانهم أخذوا من  
 جمع همتهم في الصلاة درساً بعدها وتحلقوا بأخلاق الله في النفع العام والآداب العامة التي هي تخلق باسمه تعالى  
 اقتدوس (والذين هم للزكاة فاعلون) مؤدبون مداومون (والذين هم لفروجهم حافظون) الفرج اسم لسواة  
 الرجل والمرأة وحفظه التعفف عن الحرام فهم لا يبدلون ما يملكون على كل مباشرة (إلا على أزواجهم  
 أو ما ملكت أيمانهم) أي إلا على ما أجاز لهم (فانهم غير ملومين) عليه . وقال الفراء إلا ما أزواجهم أي  
 زوجاتهم أو سيئاتهم فسيكون على متعلقة بحفاظين (فمن ابتغى وراء ذلك) المستثنى (فأولئك هم العادون)  
 الكاملون في العبادات (والذين هم لأمانتهم وعهدهم) لما يؤمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق أو الخلق  
 عليه (راعون) حافظون يحفظون ما اتهموا عليه ويقون بالعقود التي عاهدوا الناس عليها . فالأمانات إما  
 للحق كالعبادات وإما للخلق كأودائع (والذين هم على صلاتهم محافظون) تفسيرها ظاهر (أولئك) أي أهل  
 هذه الصفة (هم الراضون) فهم يرضون الأرض في الدنيا ويرون الجنة في الآخرة . أما ارئهم الأرض في الدنيا  
 فبصلاحتهم لما كانت تقدم في (سورة الأنبياء) أن الله كتب في جنس الكتب السماوية بعد كتابة اللوح  
 المحفوظ أن الأرض رزقها عبياده الصالحون لها . فبالدنيا بقيامهم بما يوجب حفظها ونحو خيراتها والقيام بنظامها  
 إلى آخر ما نقتضيه . ولا جرم أن هذه الصفات من رعاية الأمانة ومأمورها من أهم صفات الأمم التي تثبت سلطانها  
 وتعمد مدنها . ولما كانت الآخرة نتيجة للعمل في الدنيا ذكرها هنا فقال (الذين يرضون الفردوس) أي  
 البستان وهونها أعلى الجنة وهي مائة درجة ما بين كل درجة ودرجة كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها  
 درجة ومنه تنبع أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون العرش العظيم هكذا ورد في حديث الترمذي (هم فيها  
 خالدون) لا يخرجون ولا يموتون . ولما كانت الصفات المتقدمة صفات خلقية بها يتعالى المرء فيصلح لما يليق  
 إليه من الأعمال صدرت بها السورة التي عنوانها الفلاح . فالفلاح للمؤمنين متوقف على هذه الصفات وهذه  
 الصفات جليلة القدر عظيمة الأثر . ألا ترى إلى ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كان رسول الله  
 ﷺ إذا نزل عليه الوحي يسمع عند وجهه دوى كدوى النحل فأُنزل الله عليه يوماً فكش ساعته ثم سرى  
 عنه فقراً - قد أفلح المؤمنون - إلى عشر آيات من أولها وقال من أقام هذه العشر آيات دخل الجنة ثم  
 استقبل الثبالة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا . واكرمنا ولا تهنا . واعظنا ولا تحرمنا . وآثرنا ولا تؤثر  
 علينا . اللهم أرضنا وارض عنا . . ولقد كان ذكر الآيات الآتية من العلوم النفسية والتشريحية والمواسب  
 والجمال السماوي من الزيادة التي طلبها النبي ﷺ فإن هذه العلوم الآتية من تلك الزيادة فكانه يقول ﷺ  
 أُرئت علينا علوم الأخلاق النفسية والمعاملات الانسانية والعبادات الربانية فردنا من العلوم التي تقف بها على  
 مصنوعاتك وبديع مخلوقاتك فإن النفوس المتحيلة بالصفات الخافية مستعدة للإطلاع على جمال هذا العالم .  
 ولا جرم أن هذه العلوم الآتية زائدة على المقدمة في السورة من الصفات الانسانية . ويؤيد هذا أن الله أمره  
 ﷺ في سورة طه أن يقول - رب زدني علماً - فالزيادة هنا هي الزيادة في العلم أو تشمل الزيادة في العلم  
 وهذا قوله (ولقد خفنا الإنسان) آدم (من سلافة) خلاصة سلت من بين الكسدر (من طين) فتلك الخلاصة  
 المسالوة من طين هي الصفة المفعولة آدم ولا علم للناس بما كان من التطور الذي حصل لتلك الخلاصة الطينية



خلقناكم من ماء مابين والأنساب والمسببات متلاحقة منتظمة بحساب ونظام لا بالصادفة والاتفاق هكذا كانت  
الأسباب السابقة على خلقكم فأقول الأسباب عالم الملائكة والعقول التي تهيم على عالمكم وعلى هؤلاء عالم السموات  
ومنها الطرائق السبع التي هي أقرب اليكم من غيرها جمع طريقة وهي طرق الكواكب المعروفة عند البشر  
في هذه الأرض وهي سبعة وهناك طرائق أخرى عرفها الناس حديثا وتدمر الكلام على ذلك في سورة البقرة  
فالوضوح هناك مستوفى وكذا في سور أخرى . فهذه الطرق السبعة تدبر فيها الكواكب بحساب منظم متقن  
لاخلل فيها وهذا قوله (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) وقوله (وما كنا عن الخلق) أي الخلق وهي تلك  
الطرق وغيرها من جميع المخلوقات (غافلين) مهملين أمرها وكيف نهملها ولوانا أهلناها لحظة لاخلك الموازنة  
بأن يسير كوكب في غير مداره أو يزل نجم عن سبيل سيرة فيخلت النظام العام ويسير الكواكب ومنها الشمس  
تنتقل الحرارة في الأفطار الأرضية وهذه الحرارة تكون أوفرى خط الاستواء وينشأ منها بخار يهوى إلى طبقات  
الجو فيبرد تارة في خط الاستواء فيهبط هناك وتارة في المنطقتين المعتدلتين . ويتوقع الريح من موسمية  
وتجارية وتجارية ضدية ودورية تتنوع الأمطار وتهاطل في أماكن مختلفة فالجوى في أعلاه بارد وحرارة الشمس  
تؤثر في سطح الأرض فيرفع البخار وتتوج الرياح فإذا سارت من المنطقتين المعتدلتين إلى القطبتين  
قابلت هناك جوا باردا فأمطرت . فالأقطار الباردة والجو الأعلى سيان في البرودة فهناك تكون الأنطار وتنزل  
على الأقطار . ومتى قابلت الريح الباردة جوا حارا وفيها بخار تفرق ذلك البخار فان الحرارة تفرق والبرودة  
تجمع وتضم . وقد تقدم تفصيل الكلام في التفسير . وهذا المطار ينزل على الجبال وعلى السهول فيخزن في  
الجبال ويصير فوقها تاجا فإذا سلطت عليه حرارة الشمس ذاب الثلج من فوق الجبال قليلا قليلا فنزل على  
اليابسة لجمد الأنهار تسير لتسقي المزارع وهكذا باطن الجبل يبرد الماء فيه فيكبر حجمه عند صبروته فاجا  
فيكسرم ما فوقه من الأشجار فتتجرع الينابيع فيجري الماء فتزيد الأنهار . فالجبال مخازن تخزن الله فيها الماء  
لينزل في زمن لا ينزل فيه المطر وهذه المعاني هي التي في قوله تعالى (وأزلنا من السماء ماء بقدر) بتقدير يكثُر  
نفعه ويقل ضرره كما رأيت من أحكام الجبال واتقان عنصر الماء بحيث يكبر حجمه إذا برد . وجمع السوائل  
ليست على هذه الشاكلة وخص الماء بهذا الوصف ليكون كبرالجحم مفتاحا يفتح به خزائن الرحمة وبدائع  
الحكمة ويكون درسا للمسلمين ونبراسا للشبان ليفتحوا به خزائن الحكمة كما فتح به خزائن الماء المخزون في  
داخل الجبل المنصب من أعلاه في المغارات والكهوف والأماكن الواسعة في جوف الجبال (فأسكنه في الأرض)  
أي جعلناه ثابتا فيها فنه ما في الجبال ومنه ما يكون في مجاري تجري من خط الاستواء مارة باطن الأرض  
القريب والبعيد ويمر على معادن مختلفة فيتشكل بشكلاها ويتصف بصفاتها فنه النشادر ومنه الكبيريتي  
ومنه الملحي وهكذا من أنواع المياه وهذه المياه هي القريبة من سطح الأرض وهناك مياه بعيدة الغور بعيدة  
العق يقال لها المياه الارتوازية وهذه مياه في بلادنا المصرية صافية نقية جيلة خالصة لاتأثير لشيء عليها صالحة  
للشرب تبعد عشرات الأمتار عن سطح الأرض بل هو نيل آخره بر النيل الذي على وجه الأرض يأتي من  
« جبال القمر » التي منها ينبع نيل مصر ويمر كما يمر نيلنا من هناك إلى البحر الأبيض المتوسط وهذا المهر  
لايتوصل إليه إلا بمسحة لشدة بعده والماء الذي يخرج منه يكون مرتفعا جدا لأن منبعه من خط الاستواء  
في علو شاق . ومن محب أن ذلك النيل الباطني صالح للشرب والنيل الظاهر صالح للزراعة ولا يصلح للشرب  
في أيام النيل إلا بعد غليه وتصفيته مما فيه من المواد الغريبة لأن هذا الماء فيه حيوانات ضارة فغليه يقتلها  
فليكن صافيا من المواد وليكن مغليا . فهذه المياه كلها في ظاهر الأرض وباطناتها من ماء المطر النازل من السماء  
الذي كان بخارا من البحر الملح وغيره ثم صار سحبا فأجرتة الرياح وكل ذلك بسبب الشمس التي تجرى في  
طريقة من الطرائق المذكورة . فإذا كان هذا كله بتقديرنا فانا قادرون أن نغير الأسباب فنغير مجرى الشمس

عن الدار فيختل ذلك كله فلامطار ولأما (وإنا على ذهاب به لقادرون) أى على إزالته بإفساده بأن نجعل الماء كله مالحا بحيث نجعل الملح صاعدا من البحر مع البخار بطارق أخرى أو بأن نزيد الحرارة على أنهاركم فيصير الماء بخارا أو يفتح في الأرض فتحات عظيمة فيغور ذلك الماء وغير ذلك . لم نفعل ذلك بل أبقيناه (فأنشأنا لكم به) بلادا (جنات من نخيل وأعناب لكم فيها) في الجنات (فواكه كثيرة) تنفكون بها (ومنها) ومن الجنات ثمارها وزرعها (تأكلون) تترزقون وتحصلون معاشكم (وشجرة) عطف على جنات (تخرج من طور سيناء) جبل موسى عليه السلام بين مصر وأيلة وهو طور سينين . يقول الله وأنشأنا لكم به شجرة وهي الزيتون تخرج من طور سيناء وسيناء اسم للمكان الذى فيه الجبل المذكور (تنبت بالدهن) أى ملتبسة بالدهن ومضطجة به (وصبح للآكلين) معطوف على الدهن فهى تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنًا بدهن به ويسرح منه وكونه إداما يصغ به الخبز أى يغمس فيه لإلتئام به . وإعلم أن زيت الزيتون له مزايًا فلا ذكر منه ما بهم فاقول

تعلم أيها الذي أن الطاعون قد يحلّ بالبلاد أثر الحوادث الحربية والوقائع العظيمة وغير ذلك . ولقد كتب طبيب مصري في الجرائد المصرية يقول إن العلماء بحثوا في أهم الأدوية لتجنب الطاعون وما الطاعون إلا مرض والأعراض لها أدوية علمها من علمها وجهلها من جهلها . ولقد عرف الناس اليوم أن العامل الذى فيها يعمل الزيت المستخرج من الزيتون لا يستضر العاملون فيها بالطاعون بل يبرّ عليهم ولا يؤثر فيهم . هكذا الذين يعملون في الزيت الأخرى ولكن أهمها زيت الزيتون . ولقد شرح ذلك شرحا وافيا على صفحات الجرائد فأردت ذكره هنا ليعلمه الناس ويدرسوه . ولقد وصف ذلك الطبيب وغيره وصفا مؤقثا لم يعتد شرب الزيت أو اللاتئام به فغم على الطاعون أن يستكن في حجرة وبذلك له جسمه كله بصفات خاصة فيكون ذلك دواء له . ولكن الذى يهمنى أن الأكسين له المؤتمدين به لا يشاهم الطاعون وهذا من سر قوله تعالى - يوقد من شجرة مباركة زيتونة - فهذه الشجرة مباركة ومن بركتها النجاة من الطاعون لمن أكل زيتها بل كل من اعتادوا أكل أنواع الزيت الأخرى يتجنبهم الطاعون ولكن زيت الزيتون أهم منها وهذا لم يعرفوه إلا بالتجربة والمصادفة . إن في ذكر الزيتون وحده اختصاصه بالذكى لمزايات ومنها ما ذكرناه . إن أنواع الفواكه إما سكرية وإما مائية وإما حضية وإما عطرية وإما زيتية فالأولى كالتمر والعنب والثانية كالخيار والقثاء والثالثة كالليمون والرابعة كالنخاع والخامسة كالزيتون . فالفواكه يدخل فيها هذه الأقسام فلم يختص الزيتون وحده بالذكر - إن الزيتون يفضى ويؤتمد به وينبع الطاعون لمن أدام أكله ولما كان فيه منزلة الاشراق والإضاءة جاء ذكره بعد هذه السورة في التمثيل بقوله - الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة - الخ فليس في التمر ولا في العنب ولا في بقية الفواكه المعروفة ما يستضاء به فأفردنا بالذكر وكأنه يقول القارىء هذه السورة تأمل في شجرة الزيتون فقد أفردتها بالذكر وتنبه لها فإن أهم ما في حياتكم الدنيا أن تكون نفوسكم مشرقة ولا فائدة في تخلصكم ولا عنيكم ولا بقية الفواكه ولا حياتكم من الطاعون فكل هذا قليل في جانب اشراق قلوبكم وخلوصكم من هذه الأرض المملوءة من الظلمة والرجس وانلث قننه أيها القارىء اكتسبني لهذه الشجرة فإنها ستأني في المثل الذى ضربناه في سورة النور بعد هذه وسيت السورة كلها بالاسم الذى جاء به من الضوء الذى يوقد من الشجرة المباركة التى ذكرناها هنا وحدها وأفردناها بالذكر وذكرناها في (سورة التين)

ولما كان الماء به يخرج الشجر والنبات وهما مقدمتان لخلق الحيوان كما هو مقر في الحكمة وكان هذا كله مقدمة لخلق الإنسان شرع يذكر خلق الحيوان كما تقدم في السور السابقة الحجر والنحل وطه والأنبياء والحج فقال (وان لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها) أى إن لكم في الأنعام آية تعسبون بها وذلك أن

الابن يكون خلاصته من الدم المستخلص من الغذاء كالابن وأوراق الشجر والحلب الذي يزرعه الحيوان فبهضم فيكون كيموسا ثم كيلوسا ثم ينساب دما وما يبقى بعد الخلاصة انى تكون دما يصير قرنا يخرج من منفذه وما زاد من الماء يفرز فيخرج من منفذه . فالقرن والدم كلاهما في جسم الحيوان . الأول في الامعاء الغلاظ والدقاق والثاني في العروق بقسميها وهي الشرايين والأوردة . ومع ذلك لا يختلط القرن بمجارى اللبن ولا الدم ولوشاء الله لغير الوضع فلم يخلص لكم اللبن كإلوشاء لغير وضع الكواكب والرياح فلم يكن الماء على الأوضاع المتقدمة فشر بنحوه ثم قال (ولسكن فيها منافع كثيرة) في ظهورها وأصوافها وشعورها وغير ذلك مما يعرف بالبحث ومتى تركتم البحث فيها وفي غيرها من منافع خلقى حرمتمكم منها وسلطت عليكم غيركم لأنى لأعطي النعمة إلا لمن يشكرها وأيضا جميع العلوم فرض كفاية . فليقيم فيكم من يعرفون ويخصص لكل علم طائفة ثم قال (ومنها تأكلون) فتنتفعون بأعيانها (وعليها وعلى الفلك تحملون) أى وعلى الأنعام التى منها الإبل تحملون والإبل سفائن البر \* قال ذوالرمة \* سفينة برت تحت خدتي زمامها \* يقول الله - وعليها على الفلك - أى سفن البحر تحملون فأنتم تحملون في البر وفي البحر . انتهى التفسير اللفظي للمقصد الأول وفيه ( ثلاث لطائف )

(١) في قوله تعالى - ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين -

(٢) في قوله تعالى - سبع طرائق -

(٣) في قوله تعالى - وإن لكم في الأنعام لعبرة - الخ

( الملاحظة الأولى في قوله تعالى - ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين - )

قد قال لك ان قديما نكلماء كتب ( اخوان الصفا ) كانوا يقولون إن أصل الحيوان تولد في خط الاستواء ومن عجب أن يكون لهذا القول شبه دليل وإن كانت الحقيقة لا تزال خافية . فانظر كيف جاء في جرائدنا المصرية في يوم الاثنين ٩ مارس سنة ١٩٢٤ في أثناء تفسير هذه السورة مافيه ( رأى جديد في مهد البشرية وحضارة ما قبل التاريخ )

كتب (الكولونل جيمس شيرشوار) الضابط بالجيش الانجليزى ومن المشتغلين بعمل الآثار يقول انه عثر في الهند على (١٢٥) لوحة عليها كتابات قديمة وأنه ترجم هذه الكتابات بمساعدة كثيرين من علماء البوذيين واستخلص مما حوته أن مهد البشرية لم يكن في (العراق) ولا في (الأناضول) بل في قارة كانت قائمة على خط الاستواء اسمها (مو) قارة في الاوقيانوس الساسيفيكي قبل (١٥) ألف سنة وزاد على ذلك أن الكتابات التى عثر عليها تشير الى أن جنة عدن كانت في هذه القارة قبل ١٣ ألف سنة . وعما قاله (الكولونل جيمس شيرشوار) في مقالته الفصلية عن هذا الاكتشاف ان حضارة سلطنة (مو) كانت أعظم من جميع الحضارات التى عرفها البشر فبعد فقد كان لأجدادنا قبل (١٣) ألف سنة اختراعات ذهب سرتها مع الزمن وكانت جيوش سلطنة (مو) مجهزة بطائرات كثيرة تسع الواحدة منها (٣٠) جنديا وتسير بمحركات بسيطة مستخدمة لقوى الطبيعة التى يسى العلم الآن الى الاستفادة منها في هذه الأيام . وقد جاء في الكتابة المكتشفة أخيرا أن قائدا اسمه (رمسنسر) من قواد سلطنة (مو) طار من عاصمة سيلان الى الهند الشمالية دفعة واحدة وأن جنوده كانت مجهزة بأسلحة نارية وأن البارود كان معروفا في ذلك الحين ولكن وقعت زلزلتان قبل (١٣) ألف سنة دمرتا قارة (مو) فابتلعت مياه الاوقيانوس سكانها وقصورها ومدنها وآثارها . أما أسباب الزلزال فقد وصفت في الكتابات القديمة التى كشفها (الكولونل جيمس شيرشوار) كما يلى

كانت قارة (مو) تحوى على تجاوىف ملوثة غازا وحدث أن ظهر بركان فيها فانفجرت البار في هذه التجاوىف ونسف التارة إلا بعض أنحاء تعرف اليوم باسم (جزر هاواي) انتهى

واعلم أن هذا القول يشهد لما يقوله علماء الهند ونقله (إخوان الصفا) أن العالم يحصل له انقلاب في كل (٣٦) ألف سنة فيصير البر بحرا والبحر برا والحراب عامرا والعامر خرابا فإذا صح هذا التبا يكون مايقوله القوم له آثار لأنه منقول عن علماء البوذيين وهذه المدة تسمى مدة تقدم الاعتدالين وقد حسبها علماء العصر الحاضر فوجدوها ٣٥ ألف سنة والله أعلم بالحقيقة . والذي يهمني في هذا المقام أنهم ذكروا أن هناك جنة عدن وأن القارة تحت خط الاستواء وجعلوها منشأ الجنس البشرى وهذا القول بعينه هو المنقول في (إخوان الصفا) عن الهنود والله يعلم والناس يتعلمون

### ( هداية نجت من هذه الآيات )

أيها العلماء . أيها الأذكاء في الأمة الاسلامية . انظروا الى هذه الآيات كيف ابتدأ الله بخلقنا من طين وأخذ يتدرج في الخلق طبعا عن طبق وحالا بعد حال الى أن انتهى الى إنشائنا خلقا آخر ثم أمثنا ثم بعثنا أليس هذا هو التاريخ الطبيعي للإنسان . طين ارتقى فصار حيا ثم ارتقى فصار روحا تقابل ربه . يظن صغار العلماء وجيع الجهلاء أن هذه مسألة قاصرة على خلق الإنسان وعلى ظواهر القول . كلا . إن القرآن نزل هداية للناس . يقول الله تعالى - وإنك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض - ويقول - أدع الى سبيل ربك - الخ ويقول - إن ربى على صراط مستقيم - ويقول - كتب أنزلنا اليك مبارك ليتبروا بآياته وليذكروا آيات الألباب - ويقول - وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون - فها هو ذا هنا سبحانه قد فصل لنا آيات الخلق الإنساني وأرانا سبيله وطريقته في نظام التعليم الإنساني وكيف نسير فيه . يقول الله على لسان رسوله ﷺ - هذه سبيلي أدعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعن - فسبيل الله وسبيل النبي ﷺ هي أننا نقرأ تاريخ العالم . فكما أنه مر على أدوار الإنسان من النطفة الى العلقه الى أن يكبر ومات وقابل ربه . هكذا نفعل في جميع العالم أى أنه يستحسن أن نسلك فيها هذا المسلك بعينه فإذا أردنا تلقين علم من العلوم كالنحو والصرف واللغة وعلم الهندية والتاريخ والجغرافيا وعلم النبات وعلم الحيوان وعلم النفس وعلم الفلك وعلم الموسيقى وهكذا وجب علينا أن نجمع تاريخ هذا العلم من مبدئه الى مثناه فإذا درسنا علم الفقه فلنورد للطلاب تاريخ الفقه مختصرا وكيف كان أصله من الأصول الأربعة الكتاب والسنة والاجماع والقياس وتدرج ونسير معه من عصر الصحابة الى الأئمة المجتهدين الى من بعدهم من العلماء الى وقتنا الحاضر ونستخلص الزبدة ليكون القارئ على بصيرة . وهكذا إذا درسنا علم النبات نبعث في أصل تكوينه من الحلية الصغيرة ونكاتها ثم أنواع النبات من أدناء الى أعلاء . وهكذا ندرس تاريخ علمه من حيث المباحث النظرية من مبدئ التاريخ المعروف الى الآن والاشارة الى أهم الكتب وأهم العلماء الذين ألفوا فيه . هذه هي الطريقة والسبيل الوحيد الذى به يكون في الاسلام رجال مثقفون عقلاء علماء وحكماء وممثل العلماء في ذلك إلا اكمل الفلاحين لا ينالون حظا من حقوقهم ولا يكسبون غلة من زروعهم إلا إذا حرثوا الأرض حراثا جيدا وقلبوها قلبا تاما فغنى وضعوا الحب ونزل عليه الماء نبت وزدهى وزرع هكذا الطالب لا يتزعم شمس معارفه ولا يزهر إلا اذا بحثنا له عن تاريخ العلوم وفقشناها وأثرا ما كمن فيها فهناك يكون نبوغه وظهوره لأنه نبت في أرض العلم الصالحة للإنبات المتخلخلة الأجزاء فيتوغل فيها بقله ويدرسها ويمتد في أعماقها بعقله فيزكو فرعوه ويزهو زهره ويحصد ثمرة فيكون خيرا لأئمة

هذه سبيل الله في التعليم وهذا هو الصراط المستقيم . وإذا كنا نرى الامام الشافعى مثالا رضى الله عنه بدق في مسألة الوضوء ويأمر أن نغسل الوجه أولا كما ذكرها الله أولا ويجعل اتباع ترتيبه واجبا فأغسل وجهي ثم يدي ثم أمسح برأسي ثم أغسل رجلي . لماذا هذا . لأن الله ذكرها هكذا مرتبة . اذا كان هذا رأى أكابر الأمة في مسألة الوضوء الذى لا يضر فيه أن تؤخر وجهها عن يده ولأن تقدم رجلا على رأس فان

المقصود من النظافة حاصل على كل حال . فكيف تكون حالنا في العلوم التي هي واجبة وجوبا كفائيا على القادرين من الأمة . أقول كيف تكون حالنا فيها . أفلا نهج النهج الذي سنه الله وزجج دائما على تاريخ كل العلوم فندرسها لأبنائنا أولا حتى يكونوا قد اطاعوا على ملخص تاريخها ليكونوا أقرب الى الحقائق وأكثر استعدادا للاجتهاد

هذه هي الحياة الاسلامية وهذه سبيل ربك وهذا هو الصراط المستقيم صراط الله . يأمرنا الشافعي رحمه الله أن نبدأ بما بدأ الله به . أفلا يجب علينا أوعلى الأقل ينبغي لنا أن نهج ما نهجه الله في تعليمنا فنلخص تاريخ العلوم كما لخص الله تاريخ خلق الانسان . ولقد قام بنوع من هذا العمل صاحب « كشف الظنون » التركي المتوفى في القرن الحادي عشر الهجري فانه ذكر تاريخ العلوم وذكر الكتب المؤلفة في كل علم . وهذه طريقة أوروبا في تعليم العلوم جميعها ولذلك نسميهم يقولون « التاريخ الطبيعى . التاريخ البشرى . التاريخ الأثرى . التاريخ الرياضى » وهكذا

بهذا فاقونا وازدروا بالشركيين لجهالتهم ونومهم العميق . أوروبا نهجت نهج القرآن واتبعت سبيله في التعليم ولكن لانظر الى أقوال انها اتبعتة فعلا . كلا . لأنها تجهله وانما هي سارت على السبيل الذي في القرآن وإن لم يعلموه فلما اطلعنا على طريقتهم رأيناها هي التي يرشد لها القرآن . فعلى المسلمين أن يسلكوا نفس هذه السبيل

إنك أيها الذكي سواء أ كنت من ذوى المال أو الجاه أو العلم مسؤول عما أكتبه الآن فككن خبر هاد ومرشد للعلماء والطلبة وجاهد في ذلك حتى الجهاد واحذر أن تضن بموهبتك فائتة سائل كما فى مسؤول وقد قمت لك ما أقدر عليه فلنقم بما وجب عليك شكرا لربك وتعلما لأمتك وإزديادا لعقلك وعلاوا لشرفك وعظمة لقدرك فسيك لرق أمثك نافع لك فى الدارين اه

﴿ جوهره فى قوله تعالى - نخلقنا الخفة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر

فتبارك الله أحسن الخالقين - ﴾

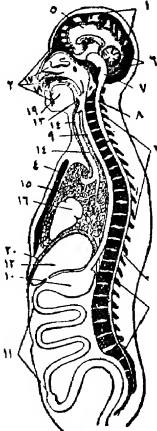
اعلم أن الله عز وجل لم يكرّر خلق الانسان فى مواضع من القرآن إلا لما فيه من العجائب والبدائع واتقان الصنع وابداع التركيب . ولقد تقدمت سورة ( آل عمران ) عند قوله تعالى - هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء - بدائع من تركيب جسم الانسان وبيان طبقات العين والأذن ورسمهما وبحجاب نظامهما وكيف كان فى الأذن تعاريج فى الداخل مشروحة هناك بعد رسمها وكيف كان هناك ما يسميه علماء الطب الحديث ( عصى كورنى ) جمع عصاة وهى عبارة عن شعرات دقيقة لا ترى بالعين وانما ترى بالآلات المصوّرات ووظيفتها على ما يظن اليوم انها تؤدى صور الأصوات المختلفة بحيث توصل كل واحدة منهم نوعا من الصوت الى القوة الحافكة فى الدماغ . فمنها ما توصل صوت الابرّة مثلا عند وقوعها . ومنها ما توصل صوت قلة المدفع عند انطلاقها ومنها ما توصل الصوت الهادى . ومنها ما توصل الصوت المرتفع وهكذا مما لا يمكن إحصاءه وتلك الشعرات قد خلقت فى مادة سائلة فى الأذن الداخلة وهذه وظيفتها فارجع الى ما هناك تجد شرحا وافيا . وهكذا ترى العين ووظائف طبقاتها طبقة طبقة وكيف كانت سبع طبقات وثلاث رطوبات وما وظيفة كل منها . وهناك أيضا تجد أجهزة الجسم الانسانى مفصلة موضحة مبسطة أيما ابداع بحيث تجد بينها وبين ما فى المدن من الصناعات موافقة تامة . فكما ان فى المدن من يصنعون اللبن ويحرقونه فيصير أجرا هكذا جسم الانسان فيه قوى أودع مبدع الكون الحكيم بها ما يصور من المادة الدموية عظاما صلبة . فهذه ذى العظام المتينة قام بها الجسم الانسانى كما يقوم البيت بالأجراد بنى به ولكن أجرا لبيت قد صنعناه بطرق معروفة مشاهدة فاننا خلطنا اللبن بالتراب ومن جناهما بالماء ووضعناهما فى قالب خاص ثم جففنا ذلك فى الشمس فصار لينا جمع لينة ثم وضعنا

ذلك اللبن بعضه على بعض بهيئة حاصة وأوقدنا عليه النار أياما وليالي حتى احترق ثم بنينا به المنزل . أمّا العظم في جسم الإنسان فأننا ألفيناها صلبة بلاعمل منا ولا نار أوقدناها بل الأمر فيها عجيب فأنها صارت صلبة منقمة مرة واحدة فينبى لبن فاتجر منى منظم . ففي المنازل نرى الأعمال يتبع بعضها بعضا ونرى الصانع كذلك . اما هنا فالأثرى من يضرب اللبن ولامن يجعله أجرا ولامن يبنه ولامن يهندس البناء . ومع اننا نرى العمال التي فعلت ذلك نجد أن هذه الصناعات كلها تصنع في آن واحد فيكون البناء مصاحبا صنع آلاته بنظام تام واتقان في العمل . وأيضا كما اتنا نرى في المدن الكنائس والرباين نجد في الجسم الانساني أجهزة لاخراج ما في الجسم من بقايا الأطعمة التي اذا بقيت فيه أضرت به ( مثال ذلك . الكليتان والحالبان والثانة ومجرى البول ) فهذه وضعت لاخراج الفضلة المائية وهكذا وضعت الامعاء وما يليها لاخراج الفضلات الغليظة . وأيضا كما أن في المدن من ينسجون الحرير والرقيق من الثياب هكذا نجد في الجسم الانساني تلك الطبقات الرقيقة والأعمال الدقيقة في العين التي لو خلقت خشنة لأضرت بحاسة الابصار . وان أردت استيفاء هذا المقام فأقرأ هناك فانك تجد جدولا فيه صناعات المدن وازنة بالجهات التي في جسم الإنسان بهيئة منظمة وعدد تلك الموازنات ٢٣ نوعا وقد شرحت هناك نظام العقل الانساني بعد نظام الجسم ليكون العاقل على بصيرة من أمر جسمه وأمر عقله وان كان ذلك بطريق اجالى

هذا ما ذكرته هناك فأقرأ إن شئت ثم اسمع ما أتلو عليك الآن من عجائب صنع الله وبدائع حكمه في أجسامنا فوق ما تقدم ولعمري اني حينما قرأت ما نسسمعه الآن خطري ( خاطران متباينان ) خاطر العظمة والمجد والشرف والعلو لأنى رأيت هذا الجسم الانساني متقنا اتقانا لاحتد لجلاله ولانهاية لكسائه وهو مسكن أرواحنا . وقد اعتنى صانعه به عناية تفوق العناية بتركيب الماء والهواء والمعدن والنبات وكل حيوان فأجسامنا مبدعة إبداعا غريبا بديعا عجيبا . فمن هذا الوجه قلت في نفسى « نحن معاشر بني آدم فوق متناول الوصف وأرواحنا بهيئة جيلة بديعة ودليل على ذلك هذه المساكن التي أعدت لها قبل هبوطها الى عالمنا الأرضى لاني قد خطر لنفسي هذا الخطر وصارت بنا قويا وما أشبه هذه الروح الانسانية لإبلاط عظيم الشأن رفيع المنزلة أراد ان يزور قرية من القرى أو مدينة من المدن فأعدوا له منزلا شريفا ومقاما كريما على مقدار منزلته ولقد رأينا من طبع هذا النوع الانساني أن يعد لتقدمين من الاكرام ما يوافق منازلهم ويناسب مقاماتهم . فعلى هذا القياس اذا قرأت ما سأكتبه لك الآن مفصلا ورأيت أن روحك قد حلت في هذه المدينة البديعة المنظمة التي لانظير لها في مدن الأرض وهي جسمك أيقنت لأحالة أن أرواحنا عالمة الشأن وعلو شأنها على مقدار اتقان أجسامنا . هذا هو الخطر الأول . أما ( الخطر الثاني ) فهو يناقض الأول على خط مستقيم . ذلك اني قد غنجلت واعتراى الأسف والأسى . ذلك أن هذا النوع الانساني كله لإقليلا يعيشون ويموتون وهم يعيشون هذا الهيكل كما يعيشون نظام أرواحهم وأنا واحد منهم فكن نعيش ونموت ونحن نجعل بدائع التركيب في أجسامنا ولا نجرم أن هذا مما يجعل له الانسان فكيف نعيش روحى في هذا الجسم وتستعمله وهو مركب تركيبا أبع من كل تركيب في أرضنا وهي لا تعقل منه شيئا واذ اعقلت شيئا كالذى ستقرؤه في نظام اليد الانسانية أيقنت أن ما جعلته هو كل شئ وأن ما علمته هو لا شئ . فالانسان كله غافل عن نفسه يعيش ويموت وهو ظولوم كفار . ولعلك تقول ما الذى تريد ذكره الآن مما أثار فيك هذين الخطرين من تشريح جسم الانسان أقول لك بعض ما جاء في كتاب ( قانون الصحة المنزلى ) تأليف الدكتور ( جون سايكس ) الذى عربته فلم صحة المعارف المصرية المطبوع سنة ١٩٢٤ م وهذا نصه

( الفصل الثانى في تركيب جسم الانسان . يجب معرفة تركيب الجسم بالاختصار ليسهل معرفة وظائفه )  
يتربك الجسم الانساني من الرأس والعنق والجذع والأطراف . فالرأس فيه المخ وجزء من التخاع وعضو





(شكل ٩)

قطاع عمودي لجسم الانسان وفيه مجاورة الأعضاء بعضها لبعض

الابصار والسمع والتكلم والذوق ومنافذ جهاز الهضم والتنفس (انظر شكل ٩) والعنق فيه الحنجرة (وهي عضو الصوت) وفتحة القصبة الهوائية وهذه عبارة عن أنبوبة توصل الهواء من البلعوم الى الرئتين وفتحة المريء وهو عبارة عن أنبوبة خلف القصبة الهوائية توصل الغذاء من البلعوم الى المعدة وفيه أيضا العروق التي يصعد فيها الدم الى الرأس وفيه الجزء العلوي من العمود الفقري المحتوي على جزء من النخاع

والجذع مركب من جزأين علوي وسفلي فالعلوي هو الصدر وهو يتجوف مخروطي الشكل محدود من الخلف بالعمود الفقري ومن الجانبين والأمام بالأضلاع وعظام القص والصدر يحتوي في الجهة اليسرى المقدمة على القلب والشرايين الكبيرة وعلى الرئتين. وينتهي الصدر من الأسفل بالحجاب الحاجز الفاصل بين جزأي الجذع. ويخترق هذا الحجاب شريان عظيم (الأورطي) والمريء والوريد الأجوف السفلي والقناة الليفافية والسفلى هو البطن المكون من الأمام والجانبين من عضلات ومن الخلف منها ومن العمود الفقري وينتهي من أعلى بالحجاب الحاجز ومن أسفل بعظام الحوض. ويحتوي على الأعضاء الآتية وهي (الكبد والمعدة والأمعاء الدقيقة والغليظة والبنكرياس والطحال والكليتان والمثانة)

فالكبد يشغل الجهة اليمنى العليا من البطن تحت الحجاب الحاجز مباشرة.

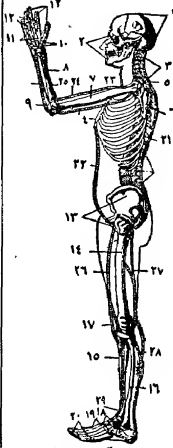
والمعدة معظمها في الجهة اليسرى العليا. والأمعاء الدقيقة تملأ الفراغ أمام المعدة وأسفلها وطولها نحو ستة أمتار. والغليظة تبدأ من أسفل الجانب الأيمن للبطن ثم تصعد نحو الكبد ثم تنحدر الى الشمال مارة أسفل المعدة ثم الى الأسفل مخترقة الحوض وتنتهي بالمستقيم وطولها نحو مترين وعشرون سنتيمترات. والبنكرياس محله خلف المعدة. والطحال محله في الجانب الأيسر تحت الحجاب الحاجز. والكليتان مجاورتان للعمود الفقري واليمنى تحت الكبد واليسرى تحت الطحال. والمثانة موجودة في أسفل البطن أمام المستقيم. والأطراف أربعة الذراعان والطرفان السفليان ولا حاجة لشرح أجزأهما وأجهزة الجسم هي

- (١) جهاز الحركة ويدخل تحته العظام والمفاصل والعضلات الإرادية وأوتارها
- (٢) الجهاز الدوري وأعضاؤه ثلاثة (القلب والأوعية الكبيرة والأوعية الشعرية)
- (٣) الجهاز التنفسي وأعضاؤه أربعة (الحنجرة والقصبة والشعب والرئتان)
- (٤) الجهاز الهضمي وأعضاؤه تسعة (الفم والأسنان وغدد اللعاب والبلعوم والمريء والمعدة والبنكرياس والكبد والأمعاء)

- (١) عظام الجمجمة (٢) عظام الوجه مع الأسنان (٣) العمود الفقري (فقرات العنق والظهر والبطن)
- (٤) القص (عظام الصدر) (٥) قطاع المخ (٦) قطاع المخ (٧) اتصال الدماغ بالجزء العلوي للنخاع
- الشوكي (٨) النخاع الشوكي (٩) المريء (١٠) المعدة (١١) الأمعاء (١٢) الكبد (١٣) لسان المزمار
- (١٤) القصبة الهوائية والحنجرة (١٥) الرئتين (١٦) القلب (١٧) الحفرة الأنفية (١٨) تجويف الفم
- (١٩) اللسان (٢٠) الحجاب الحاجز

- (٥) الجهاز الليفاني وأعضاؤه عروق الدم الأبيض والأوعية اللمبية والطحال وبعض الغدد  
 (٦) الجهاز البولي وأعضاؤه الكلى والحالبان والثانة ومجرى البول  
 (٧) الجهاز الجلدي وأعضاؤه غدد العرق والغدد الدهنية والشعر والأظافر وطبقات الجلد  
 (٨) الجهاز العصبي وأعضاؤه المخ والنخاع والأعصاب بأنواعها وأعصاب الحواس الخمس

### { جهاز الحركة }



يتكوّن هذا الجهاز من الهيكل العظمي الذي يتصل عظامه بعضها ببعض بواسطة المفاصل ومن العضلات التي تحركها وتحرك العظام الأطراف السفلى تحمل الحوض الذي يتصل بها وتحمل العمود الفقري الذي يحمل من أعلاه الجمجمة ويتصل به في جزئه الخلفي اثنا عشر زوجاً من الأضلاع وبذلك يتكوّن الصدر المتصلة به الأطراف العليا (انظر شكل ١٠) ولما نقلت ما تقدم من الكتاب المذكور واطلع عليه أحد الفضلاء قال لي هذا كلام الأطباء وهو مقل مجمل والاجال غير التفصيل فاذكر لنا مثلاً بين تلك الأجهزة وعجائبها ثم بعد ذلك اذكر أبداع مآثره في هذا المقام . فقلت سأجعل ذلك في { فصلين } الفصل الأول { في عجائب تلك الأجهزة بضرب مثل { الفصل الثاني } في أبداع مآثره في هذا المقام

### { الفصل الأول في ضرب مثل لعجائب هذه الحسك في جسم الانسان }

تصور أيها الذي انك في حديقة فيها من كل فاكهة زوجان ورأيت ضروب الثمار تحيط بك ونظرت عينك تلك الأنواع فاخترت منها فاكهة التفاح . فإذا حصل . اقتطعت منها تفاحة وقشرتها وأكلتها . فهذا هو المثل الذي أضر به لك . وبيانه اننا نرى أن في بيوتنا أزرار كهربائية وتلك الأزرار متصلة بسلك الكهربياء واصله الى داخل بيوتنا منتهية بأجراس فاذا ضغط الزائر على الزر

(شكل ١٠)

الكهربياء سمع أهل البيت صلصلة الجرس فأرسلوا خادماً يفتح الباب ويدخل الزائر في المنزل . هكذا يحصل في أجسامنا . ألا ترى أن أعيننا لما رأيت التفاح وصلت الصورة المرسومة على شبكة العين الى أعصاب الحس وعرفتها القوة الحاككة في الدماغ فأوعزت الى أعصاب الحركة فحركت اليدين فاقطعنا هذه التفاحة فالزائر في مثل المنزل أشبه بنفس التفاحة هنا وارسل صورة التفاحة من شبكة العين الى القوة الحاككة في الدماغ أشبه بمرور انتيار الكهربياء عند الضغط على الزر الكهربياء ونفس العين أشبه بنفس الزر الكهربياء وأهل المنزل في الداخل أشبه بالقوة الحاككة في الدماغ وارسل الخادم لفتح الباب أشبه بما تفعله القوة الحاككة في الدماغ

- (١) عظام الجمجمة (٢) عظام الوجه (الفك السفلي والعلاوي) (٣) الفقرات (٤) القص (٥) الفقرة الأولى الظهرية (٦) عظام اللوح (٧) عظام العضد (٨) عظام الزند (٩) عظام الكعبرة (١٠) عظام الرسغ (١١) عظام المشط (١٢) عظام الأصابع (١٣) الحرقفة (١٤) عظام الفخذ (١٥) و (١٦) عظام الساق (١٧) الرضفة (١٨) عظام القدم (١٩) عظام المشط (٢٠) سلاميات القدم (٢١) عضلات العمود الفقري (٢٢) العضلات المستقيمة للبطن (٢٣) العضلات المقدمة للعنق (٢٤) عضلات النراع (٢٥) عضلات الساعد (٢٦) عضلات الفخذ المقدمة (٢٧) عضلات الفخذ الخلفية (٢٨) عضلات الساق الخلفية (٢٩) عضلات الساق المقدمة

من تحريك أعصاب الحركة فتحرك اليد لأخذ التفاحة ووضع التفاحة في الفم وأكملها أشبه بدخول القادح منازلنا هذا أول عمل من أعمالنا في هذه التفاحة . ولقد تم هذا العمل بقوة الجهاز العصبي والجهاز المعدل للحركة أما الجهاز العصبي فان الدين لما رأت التفاحة وعرضتها على القوة الحاكمة لم تجد لها سبيلا إلا لأعصاب الحس وأعصاب الحس متصلة من العين وبقية الحواس بالخناجر والمخ . فلو لا هذا الجهاز وأعصابه ما أمكنتنا أن نعرف لون التفاحة وشكلها ووصفها ولذاتنا ما بل كنا لا نفرق بين اللبن والأجر والتفاح والحجر . فالجهاز العصبي المذكور به أدركنا مزينة تلك التفاحة . اللهم إنك أدهشنا بصنعك في أجسامنا وأخجلتنا بجملتنا العظيم حتى إن كثيرا من الأطباء يا الله لا يجيبون من ذلك لعدم إحساسهم ببهجة الجبال وإن كانوا يبصرون نظامه

أما الجهاز المعدل للحركة وهو الذي تقدم انه يدخل تحته العظام والمفاصل والعضلات الإرادية وأوتارها فان عمله في التفاحة لا يكون إلا بعد تمام عمل الجهاز العصبي . ألا ترى رعاك الله أن صورة التفاحة لما وصلت الى القوة الحاكمة في الدماغ أسرع تلك القوة الى تحريك أعصاب الحركة المتصلة بالعضلات وأوتارها في اليد فاقظفتها . فأعصاب الحس وظيفتها علمية وأعصاب الحركة وظيفتها عملية . سبحانه اللهم قد جعلت عمل أعصاب الحس متقدما على عمل أعصاب الحركة كما جعلت قراءة العلم مقدمة على العمل . فلا عمل إلا بعد علم كما لا اقتطاف للتفاحة إلا بعد إحساس بها . ووظيفة هذا التفسير علمية كوظيفة أعصاب الحس وسيكون العمل بعد العلم كما كان اقتطاف التفاحة بعد العلم بمنفعتها . فتعجب من صنع الله وأعلم أن لهذا التفسير رجالا سيقومون برقى هذه الأمة فهم كأعصاب الحس ويتبعهم رجال العمل كأعصاب الحركة . فهذان جهازان من الأجهزة الثمانية المتقدمة قد استنبات أعمالهما في هذه التفاحة . هنالك يأتي عمل ﴿ الجهاز الثالث ﴾ وهو الجهاز الهضمي فالقائم بناقها والأسنان تضعها وغدد اللعاب تفتتها وتهضمها والبلعوم يدرجها والمرى يزلقها والمعدة تطبخها والبكر يسريدها هضمها كما فعل اللعاب في الفم . والكبد والأمعاء يقسمان مواد هذه التفاحة فالكبد تأخذ الخلاصة الغذائية التي صارت دما والأمعاء تأخذ الفضلة التي لا تصلح للغذاء تنفذها الى الخارج بعد تمام دورتها . هنالك يأتي عمل ﴿ الجهاز الرابع ﴾ وهو الدورة الدموية وعمل ﴿ الجهاز الخامس ﴾ وهو الدورة التنفسية فزرى القاب والأوعية الكبيرة والأوعية الشعرية التي تحمل الدم الوريدي وهو الأسود والدم الشرياني وهو الأحمر تقوم بإدارة الدم في الجسم . وما هذا الدم إلا خلاصة تلك التفاحة فتعطي تلك العروق الشريانية لكل عضو من أعضاء الجسم قسطه وحظه وما يناسبه من خلاصة تلك التفاحة . وأما الدورة التنفسية التي تقبل الهواء الجوى في الحنجرة وفي القصبة الهوائية وفي الشعب وفي الرئتين فانها هي التي بها يطهر الدم الذي يديره الجهاز الدموي فان الهواء حينما يصل الى الرئتين تلتقطان منه الاكسوجين وتغيطانه المواد الناقصة للجسم السوداء للدم التي هي أشبه بالفحم المسماة (المادة الكربونية) فيأخذها الهواء ويحملها الى الخارج بطريق الزفير . فالجهاز التنفس مساعد للجهاز الهضمي . أما الجهاز الليفاني فهو أشبه بتابع لجهاز الدورة الدموية وهو الجهاز السادس . فاذا رأينا لبن أنث الحيوان ولبن المرأة التي أكلت هذه التفاحة فاننا نقول إن هذا الجهاز الليفاني قد قلب الدم الى مادة لبنية . وهكذا المواد التي في الطحال وبض القدد . فهذه كلها من العوامل التي تعمل في الدم وتضع منه مواد تغاير الدم لمنافع خاصة . وأما الجهاز البولي المتقدم فهو الذي يأخذ من الدم المادة المائية الضارة بجسم الحيوان وينفذها الى الخارج بطريق المثانة ويمجى البول وذلك في الماء الباقي من ماء التفاحة الذي لا يلائم تركيب الدم . وهناك (الجهاز الثامن) وهو الجهاز الجلدي فان ما فيه من الغدد الدهنية والشعر والأظافر وكذا الطبقات المختلفة يأخذ كل منها حظه من خلاصة التفاحة الجارية في العروق الشريانية . هذا هو المثل الذي طلبته أيها الذكي وجعلت له الفصل الأول من الفصلين اللذين أردت ذكرهما في هذا المقام

( الفصل الثاني في أبدع ما رأته في هذا المقام )

اعلم أيها الذكي اني في هذه الأيام أى في شهر أغسطس سنة ١٩٢٨ قد أحاطت بي عواقي وموانع منزلية وخارجية فكدت تحول بيني وبين الأفكار الجلية البهجة التي أضعها في هذا التفسير . فلما رأيته قد أحاطت بي رفعت طرفي الى السماء ليلا ورأيت الجمرة السالوية التي يقول علماء عصرنا في آخر كشف كشفوه إن عرضها عشرون مليون سنة نورية وطولها مائة مليون سنة نورية . فأخذت أسأل مبدع هذا النظام المدهش ذلك الذي جعل عيني وأنا في هذه الأرض الصغيرة ترى وتدرك ادراكا طليعا لاحدا انهاء تلك الجمرة . يقول علماءنا ان هذه الجمرة فيها مئات الملايين من النجوم وتلك النجوم أكثرها أكبر من شمسنا ولكل منها سيارات وأرضون وللسيارات أقمار . وإذا كان عرضها (٢٠) مليون سنة نورية فغناه أن اتساعها يخرج عن دائرة الفكر الانساني فمابالك بالطول ومابالك بالجرات الأخرى . ففكرت في هذا كله ليلا وشكوت الى الله ما أخافه من انقطاع الفكر الذي أنشره في هذا التفسير . فانظر ماذا جرى . اللهم إنك أنت اللطيف الرحيم الرؤف . فإذا حصل . فت صباحا يوم السبت أى يوم ١٨ أغسطس سنة ١٩٢٨ متوجها الى عملى الدينوى وقابلت لأجل هذا العمل صديقا لى بضواحي القاهرة وكان ابنه قادما من أوروبا وهو يتعلم علم الطب ففرح إذ رأى فدار بيننا الحديث على الطب والتشريح فتذكرت في نفسى ما كان يحطرى كثيرا في فترات من الزمان في أمر تركيب اليد ونظامها وعجائنها (انظر نمرة ١٠ و ١١ و ١٢ في شكل ١٠ المتقدم) وتذكرت انه بخيل للناس أن أمر اليد سهل وأن تحريكها بالحركات المختلفة ليس يعوزه أكثر من أن يكون هناك عظم وعلى العظم عصب ولحم وعروق وأوتار وهذه الأوتار تفعل كل ما يطلب منها . ومعنى هذا أن العضلات والأوتار الموضوعة في أيدينا تفعل القبض والسط وجميع أنواع الحركات الكثيرة وهي بعينها في الجيع ولكن ظهر أن الأمر على خلاف ذلك وأن كل حركة منهما صغرت ودقت لها أعصاب غير أعصاب جميع الحركات . ومعلوم أن عظام اليد تبلغ (٢٧) عظما منها (٨) في الرسغ وهي صفان و (٥) في راحة اليد و (١٤) في الأصابع في كل أصبع ثلاث وفي الإبهام (عظمان \* أحدهما) أكبر (والثاني) أصغر فتكون العظام (٢٧) وهما بخيل لأكثر الناس أن الحركات بهذه العظام أمرا لاحتياج الى عناية أكثر من ارادة الانسان ولكن هذا خطأ فان هذه العظام مرتبطة ببعضلات في النراع وهذه العضلات متصلة بأعصاب توصلها الى المركز العصبي وهو المخ والعمود الفقري . فبني أراد الانسان تحريك إبهامه وأصبع من أصابعه أوجعها أو اثنين أو أكثر مجتمعة أو منفردة قبضا أو بسطا أو بينا أو شيلا أو أوقف أصابعه بهيئة زاوية قائمة أو ضغط عليها الى الخلف أو أوقف يده بفعل إبهامه أعلى والخنصر أسفل أو بالعكس أو جعل يده أشبه بالمعلقة أو المجرفة ليشرب الماء مثلا أو وضعها ضما مصمتا جامعا الأصابع للوكز بها أو وضعها ولها فراغ من الداخل بحيث يمكن تحته شئ فيها أو جعلها بهيئة بحيث يمكن أن يكتب بها أو جعل الإبهام مع السبابة بهيئة حلقة وهكذا مع بقية الأصابع . فهذه هيئات تعد بالعشرات بل ربما تصل المئات لأن الهيئات المذكورة كثيرة جدا . فانظر ماذا يقول علماء التشريح . هاأنذا الآن أنظر أملى للعضلات التي في النراع التي بها تتم هذه الحركات المختلفة أنواعها والرسوم التي أراها الآن أملى التي رسمها الاستاذ (تشرين) وأراها لي هذا الشاب تبلغ (١٢) رسما أولها رسم الجلد أى جلد اليد وقد وضع على ورق شفاف ثم رفع هذا الرسم فظهر تحته رسم ماتحت الجلد مباشرة وفيه الدهن وفيه الأعصاب الجلدية مباشرة والأوردة وهذه الطبقة وظيفتها إعطاء الاحساس بحيث يصل ما يحس به الانسان الى دماغه فإذا ن هذه الطبقة الثانية لمساعدة الجلد والطبقة الثالثة تحت الأولى وفيها عضلتان بهما يقدر الانسان أن يبني يده من عند رسغه وكذلك عضلات لثنى الأصابع كلها مجتمعة أو منفردة بواسطة أوتار تفعل ذلك فلكل أصبع عصب محرك يحركه الى الامام وبوتره كما قلناه فيما تقدم والرابعة تحتها فيها الشرايين المغذية وهي تغذى هذه العضلات والجلد ولوظيفتها للتغذية العامة

في اليد وفيها أعصاب فصل الى مافوقها والى ماتحتها والخامسة تحت الرابعة وفيها الأعصاب الواصلة لعضلات أخرى غير المتقدمة وهي العضلات العميقة الغائرة وهي تساعد على القبض بأنواعه المتقدمة كلها والسادسة الهيكل العظمي المتقدم ذكره . ثم ننقل الكلام الى الناحية الثانية وهي جلد ظهر اليد وأظافره وشعره وهي الطبقة الثانية عشرة ثم الطبقة الحادية عشرة فيها أعصاب الحس والعروق الوريدية كاللحم وفالديتها مساعدة الجلد على الحس كما تقدم في الناحية الأخرى والطبقة العاشرة العضلات التي فيها هذه الحركة البسط كما أن الثالثة فيها تقدم حركة القبض وتنوع الحركات هنا كتنوعها هناك ولكن تلك للقبض وهذه للبسط وتحتها الطبقة التاسعة وفيها الشرايين المغذية والرابعة كاللحم والخامسة كاللحم . وأما السابعة فهي نفس الهيكل العظمي المتقدم من ناحية ظهر اليد

فلما سمع صاحبي ذلك قال لازال طبقات اليد غامضة غير واضحة . فقلت إن جميع العقلاء من المسلمين وغير المسلمين يعيشون ويموتون وهم يحلون خواص جسم الانسان كله إلا قليلا وهذه اليد مثل من أمثاله والسلم لا يعرف من أمر اليد إلا أنها تقطع في السرقة وأنه يأكل بها ويدافع العدو ولكن التفكير في عجائبها قليل والله يقول - وفي أنفسكم أفلا تبصرون - ويقول - فكسونا العظام لحما ثم أنشأناها خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين - . فإذا نظرنا الى اليد نظرا علميا كالذي نظرته الآن في هذه الصور التي رأيتها أمامي وهي ١٢ صورة رأيناهاست طبقات من جهة باطن اليد وستا من جهة ظاهرها وطبقتان من هذه الست في الوسط وهي عظم الساعد . فالعظام له (وجهان) وجه يلى باطن اليد ووجه يلى ظاهرها . فهذان وجهان من الأوجه الاثني عشر . وهناك جلد على باطن اليد وجلد على ظاهرها وهذه يسمونها في الطب (بالناحية الانسية) و (الناحية الوحشية) فهاتان طبقتان أيضا . فبقي أربع طبقات من جهة الباطن وأربع طبقات من جهة ظاهرها . فبها طبقتان كل واحدة منهما في جهة من الجهتين هما تحت الجلد المدكوريين . وهاتان الطبقتان فهما قوة الحس ولولاها لم تحس بما يس جلودنا من نفع أو ضرر . وهناك طبقتان أخريان في كل ناحية طبقة تحت السابقتين بهما جهاز الحركة كما تقدم في أمر التفاحة فالحس أولا والحركة ثانيا . فهكذا هنا حس فحركة والحس أولا والحركة ثانيا وتحتهما طبقتان في الناحيتين أيضا للتغذية بواسطة الجهاز الدموي ثم طبقتان في الناحيتين فهما عضلات أخرى غير العليا للحركة أيضا

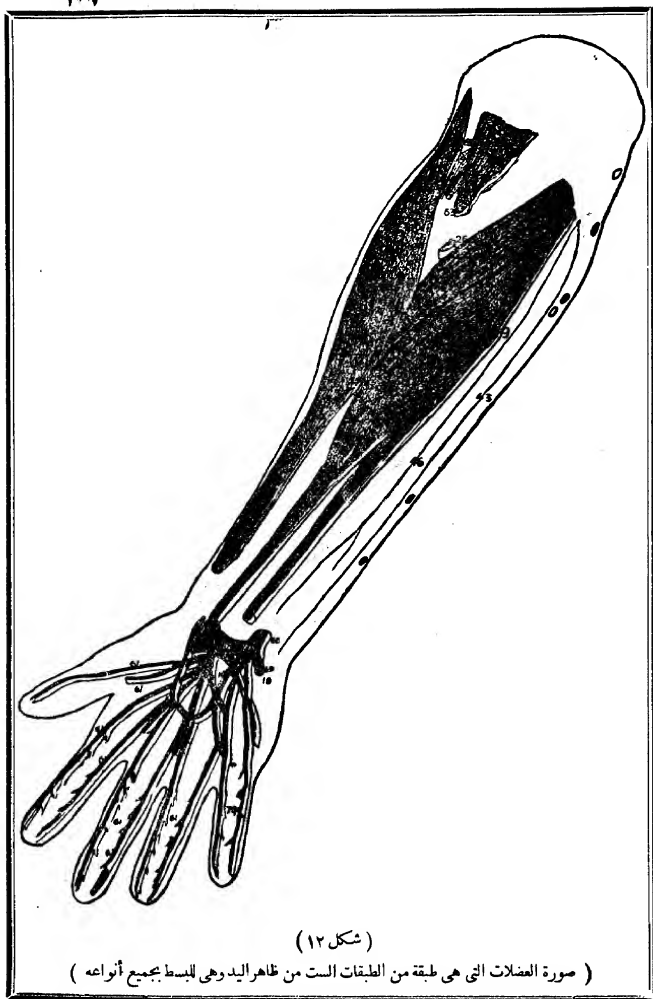
هذا ملخص ما رأيته في الصور الاثني عشر المذكورة . ولقد اصطفيت من هذه الصور (صورتين اثنتين) وهما صورتان اللتان فهما عضلات الحركات التي للقبض والحركات التي للبسط . فالاولى موضعها من جهة باطن اليد والثانية موضعها من جهة ظاهرها . فأما التي للقبض فانظر صورتها في الصفحة التالية (شكل ١١) ولقد تقدمت قريبا في (سورة الحج) عند قوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - الخ إيضاح أجل لهذا المقام فأقرأه هناك إن شئت



(شكل ١١)

( صورة العضلات التي للقبض من جهة باطن اليد وهذه طبقة من طبقات ست )

وأما التي للسط فصورتها في الصفحة الآتية (انظر شكل ١٢)



فقال صاحبي الآن فهمت الفصل الثاني وعجبت من الصنع كما عجبت أنت ولكنني أريد كلاما عاما على ما تقدم لبسيتين جال الله عز وجل وبدائع حكمته . فقلت إن الأجهزة الثمانية في الجسم الانساني السابقة قد اتحدت على العمل لجهاز الحس وجهاز الحركة وجهاز الهضم وجهاز التنفس وجهاز البول وغيرها بما تقدم كلها متعاونات متحدات متصبات . فاعجب لسورة دمية متحدة مع دورة تنفسية . فاحداهما تنظف الأخرى مما على بها من المضار وثانيتهما تبين الأخرى وتغذي أعضائها . فهذه تغذي وهذه تنظف وهما متجاورتان متحابتان وقد ظهر أثر تلك الأجهزة في كل عضو منها اليد فانتا ترى جهاز الحس وصل الى ماتحت الجلد في الناحيتين وجهاز الحركة وصل أثره الى ماتحت جهاز الحس في طبقات اليد . إن دوائر هذا الجسم الانساني متحدات متعاونات علامت كلها تحت اشراف مسيطر واحد هو المدير العام للجسم الذي نسميه روحا . هذا النظام العجيب المدهش قد وضع في جسم هذا الانسان . يظن الانسان من أى طبقة كان أن عضلات القبض عين عضلات البسط فوجدنا في الصورتين المتقدمتين أن عضلات القبض من جهة الباطن وعضلات البسط من جهة الخارج ومعنى هذا أن لكل حركة عضلات خاصة وقس على ذلك جميع الحركات في اليد صغيرة وكبيرة . ومماثل اليد إلا كمثل القسطاط المثبت بالأوتاد قدر يثبت فيها الاطناب المشدودة المثبتة ولكن لكل ناحية أوتاد وأطناب غير الناحية الأخرى فهكذا اليد لها أوتار وعضلات في كل من الناحيتين هذه للقبض وهذه للبسط . ثم إن هذا الانسان الذي أنعم الله عليه بهذا الجسم المنظم المحكم هو الذي سكن هذه الأرض ولم زمن أعماله ما يدل على كماله الخلق المشابه لكمال الجسمي . فيأيت شعري أين المناسبة بين نظام هذا الجسم والنظام المحكم في طبقاته وبين نظام كثير من نوع هذا الانسان . انظر ما تقدم في أول سورة (طه) من ذكر الأئمة التي تعيش بالقرب من ساحل الذهب التي ذكرناها عند قوله تعالى - الذي خلق الأرض والسموات العلى - فانظر لنظام تلك الأمم التي كله قلق واضطراب واهلاك وتدمير وعيوب نظامية اجتماعية . فيأيت شعري أين نظام العمران ونظام جسم الانسان . يظهر لي أن هذا العالم الذي نسميه انسانا لا ينال الدرجة الرفيعة والسعادة الحقة إلا اذا تعاونوا جميعا بحيث تكون هيئة نفوسهم في تعاونها كهية انتظام جهاز الحس وجهاز الحركة وجهاز الهضم وجهاز التنفس وهكذا فهي تعمل منتظمة متبادلة المنافع . يعجبني ما قاله بعض الأرواح التي أحضرها في أوروبا وهذا نصه ( إن الأرواح العالية تكون آراؤها كلها واحدة فلا يحظر لأحدهم الا ما يحظر للجميع فالأرواح التي أحضرها في أوروبا ويجب عليكم في الأرض أن تعرفوا هذا من الآن ) وهذا القول عجيب فهو مطابق لنظام جسم الانسان وهو المطابق لقول الله تعالى - وزعنا مافي صدورهم من غل إخوانا - فهم إذن أشبه بالأجهزة المتعاونة في الجسم الانساني . ألت بهذا تعرف معنى قوله تعالى - لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم - وأى تقويم أحسن مما رأينا في هذا المقام ثم عقبه بقوله - ثم رددناه أسفل سافلين - وهذا حق لأنه اذا كان جسمه على أحسن نظام فان نظامه لا يلى على أسوأ نظام

ويظهر لي حقا أن النوع الانساني في مدينته كلما كان أقرب في التعاون الى تعاون الأجهزة الجسمية كان أقرب الى السعادة وكلما كان منكك العرى غير منتظم في هيئة حكومته كان أبعد من السعادة التي توجب على هذا الانسان أن يكون جميع طوائفه في الشرق والغرب أشبه بنظام جسم الانسان بحيث لا يكون في صدورهم حرج من النظام العام الذي يعيشون فيه والله هو العليم الحكيم

فلى أم الاسلام بعدنا وعلى قراء هذا التفسير خصوصا أن يجدوا في رقي أنهم وأن يقتبسوا كل علم وكل فن بحيث تشعب الأسلاك البرقية والبريدية والطرق الحديدية في جميع أنحاء المملكة كما رأينا أعصاب الحس والحركة متشعبة في جميع أعضاء الجسم . وعليهم أن يربوا الشعب كله تربية اجبارية بحيث يعرفون المنافع والمضار كما ويكون منهم نواب للآثم يتعاونون تعاون الأجهزة المنتشرة في أقطار الجسم . هذا أمر واجب على المسلمين



فعلينهم قراءة علوم الأمم ثم الزدياد فيها . فهذا يفهمون قوله تعالى - فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين - . اللهم إني أجدك على نعمة العلم وعلى أنك لم تجعل العوائق المادية مانعة من ازدياد العلم بل أنعمت على بالعلم والفهم أثناء هموم الحياة وأوصابها ولجده رب العالمين  
( نور على نور في قوله تعالى - ثم أنشأناه خلقا آخر - الى قوله - ثم إنكم يوم القيامة تبعثون \* ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق - )

اعلم أن هذا الانسان علم أشياء كثيرة ونسى نفسه . يفرح الناس بكشف الكهرباء والمغناطيس والجاذبية وقوة البخار وأشعة الراديو والطيارات الطائرات في الجو . يفرحون بذلك وفاتهم جميعا أن ذلك أشبه بفرح الفارس بقوة فرسه وكره وفره وحسن طاعته وهو خالو في نفسه من الكمال . وأى فرق بين الفرس الفاره وبين هذه القوى التي كشفت حديثا لراحة الانسان . كل هذه القوى والعلوم خارجة عن نفس الانسان . يفرح الناس بذلك وهم غافلون عن أنفسهم إلا قليلا . يجلس الانسان في خلوته ساعة ويتفكر في نفسه ويحصي فكره في وجهة خاصة أو ناحية من الأرض فيجد الفكر بأسرع من لمح البصر انتقل من الغرب الى الشمال ثم الى الجنوب ثم الى الشرق ثم الى أعلى الأفلاك ثم مداب السلك ثم الى داخل الأرض ومأوى البحار ثم يطير في الجو ثانية . يعرف الانسان ذلك من نفسه فلا يحرك له ساكنا ولا يبق له بالا . ينظر المرء في نفسه فيجدها أسرع من جوى القطار بل من الكهرباء في الأسلاك ولع اليه الخافط فلا يهبجه ولا يحركه ويظن أن ذلك كله أمور لا قيمة لها وإنما كانت لا قيمة لها لأنها حاضرة عنده لم يتجشم المشاق في تحصيلها كأن ماله في مهبذب وما لا تعب فيه مطروح فهذه القوة لما لازمت الانسان من صغره عندها من سقط المتاع ولم يعرها التفاتا مع انها قبس من الأنوار ونور من عوالم الجبال وشهاب ثاقب . النفس بسرعة حركة خواطرها تجري حيثما الى عوالم الكواكب وتسرع في خطاها الى الملا الأعلى وتود لو تعرف كل كوكب دخل في حساب علماء الفلك وتطلع (بتشديد اللام) الى أن ترى سكانها وتفرح بالعروج اليهم والاطلاع عليهم . النفس تجري لاستقر لها إلا اذا استوعبت العوالم علما علما وعرفت بجائنها . هنالك يقول شاعرها فالتقت عصاها واستقر بها النوى \* كما قررت عينا بالإياب المسافر

الانسان خلق من الأرض وربى بالنور والواصل من الكواكب والهواء المحيط بالأرض فهو إذن ربيب العوالم العالوية والسفلية وهو مركب من جسم وروح جسمه أشبه الأجرام المملكية والكواكب الدائرة ومنها الأرض . تلك الكواكب تتحرك في دوراتها جميع الحركات الممكنة في الدوران . هكذا الانسان يحرك الى أعلى وإلى أسفل وإلى الجهات الأربع وذلك في صناعاته المختلفة فيحرك الانسان يده الى أعلى وإلى أسفل وإلى الجهات الأربع مشكلة للكواكب وللأرض في أتمام سائر الحركات الممكنة . هكذا نجد نفوسا لها حركات فكرية الى هذه الجهات عينا وتزيد على ذلك بأنها تود استيعاب جميع العلوم ومعرفة العوالم كلها . إذن النفس من عالم له هذا السلطان وهو المسمى (النفس السلكية) التي استمدت منها نفوسنا

إن شوق نفوسنا الى معرفة كل شئ دليل على أن النفس التي استمدت منها نفوسنا تعلم كل شئ ولها الاحاطة والتصرف . ولولا ما فيها من هذه القوة العلمية والعملية ما اشتاقت نفوسنا الى حوز جميع العلوم وجميع النعم . فاذا قال قائل . من هذا الانسان وماهى الأرض التي يسكنها . لقد ثبت أن هذه الأرض بالنسبة للعوالم التي نعيش فيها أشبه بجوهر فرد بالنسبة لآلاف مليون أرض فلو صغر العالم كله بحيث صار ألف مليون أرض كأرضنا كانت أرضنا جوهر فردا ومعلوم أن هذا لا يمكن رؤيته فكيف يكون سكانها أمثالنا لهم قدرة على الاطلاع على العوالم كلها وهم والعدم سواء وكيف يشتاقون لما لا يصلون اليه . فاذا قال قائل هذا قلنا حقا اننا من عوالم ضعيفة ونحن بهذا المقدار بالنسبة للعوالم ولكن هذا العالم الذى نعيش فيه مملوء رحة مشمول بالحكمة

فإنك ترى الجوهر المادى إذا أطلق ما فيه من القوى والكهر إلى الخارج اشتعلت الأرض كلها نارا . وأيضاً أن الجواهر الصغيرة مركبات من ذرات كهر بائنة بدور بعضها على بعض كدوران السيارات حول الشمس . إذن عالمنا الذى نعيش فيه جعلت صغائر فيها مافى عظمائه من القوى كل بقدره . فالجواهر الفرد فيه نور وحركات سريعة كمنوار الكواكب وحركاتها

فإذا كان هذا في العوالم المادية فليس عجيب أن تكون أرواحنا مستعدة من عوالم نسبة أرواحا إلى تلك العوالم كنسبة الجواهر الفردة للكواكب . فإذا كانت النفوس العالية مطلة على عوالم عظيمة واقفة على أسرارها فهل كان بدعا أن نتخذ أرواحنا حذو تلك الأرواح العالية فنشتاق إلى ماملكك تلك وتقلدها هذا هو السر في ولوع نفوسنا بالعوالم والاطلاع عليها فهي أبدا لا تلهي ولا تسكن مشرقة مغربة متجبهة شمالا وجنوبا باحة بالفكر عن العوالم علويها وسفليها . اتجهت الذرات الجسمية في العوالم إلى ما تنجبت إليه كواكبها من الحركات وانصفت بما انصفت به من الأنوار . هكذا اتجهت أرواحنا إلى ما تنجبت إليه النفوس العالية المحيطة بعالمنا فقلدتها بالقطرة في اشراقها والولوع بمعرفة العوالم كلها . هذه هي فطرة الإنسان المستقرة فيه . وليس ما أقوله لك الآن مجرد رأي رأيت أو خاطر خاطري . كلا . فما من أمة من الأمم أو جيل من الأجيال إلا سمع بحوادث تدل على ما أقوله لك بحيث تكون حركات النفس الفكرية التي يحس بها كل امرئ ( وانه بينما يفكر في بقعة في الشرق اذا فكره قد انتقل أسرع من البرق إلى بقعة بينها وبين الأخرى ألف ميل غرب الأولى ) تصبح حركات فعلية لا مجرد خاطر خطر أو فكر عرض وذلك في علم الأرواح وان فيما نقلته في هذا الكتاب من علم الأرواح لدليلا ساطعا وبرهانا قاطعا . ولكن أذكر حادثة تلك الفتاة التي توهمها العلامة شارل فقلت له ( إنك نائم وأنا يقظانه ) فانك ترى الأشياء خشة غليظة وأنا أرى بلونها وأسمع ما لا تسمع وأبصر ما لا تبصر وأدرك ما لا تدرك وأسمع من يتكلم من بلدة أخرى . وقال المعلم ذاته . ان ابنة كان يحصل لها في السبات الطبيعي نوع من الانخفاف فقلت انها كانت تحس بأن جسمها يتجدد شيئا فشيئا إلى أن تفارقه وتراه بعيدا باردا كأنهميت ثم قالت وأرى نفسي كبحار نوراني أرى وأدرك ما لا أقوى على ادراكه كفي بأهولة كنت عليها ولاتقي هذه الحال إلا بضع دقائق وقد تصل إلى ربع ساعة ثم يجمي الجسم البخاري إلى الجسم الغليظ فأفقد الشعور ويزل عن الانخفاف . وهناك أناس انتقلوا إلى محال بعيدة بفعل أرواحهم وهذا ليس مطلب النفوس الانسانية . إن مطلب النفوس الانسانية ادراك كل شئ والاحاطة بالعوالم كلها وهؤلاء الذين انتقلوا في لمح البصر إلى ما كن بعيدا عما انتقلت أرواحهم بأجسامهم الروحية الأثرية وفي قدرة كل امرئ هذا الانتقال متى وجه نفسه وجهة خاصة ولكن ليس هذا دالا على سمو هذه النفوس فسوق النفوس شئ وطبعها العام شئ آخر وهذا المذكور من طبعها العام لا من سموها . وأنا أذكر حادثة أيام تعلني بالجامع الأزهر وهايهذه كنا منصرفين من الجامع الأزهر إلى قرانا للترجع إلى أهلنا وركبنا سفنا شرابية ففقت ليلا من المركب لأطلع إلى البر وقت الفجر فوقع في البحر بين السفينة والشاطئ وكان البرد شديدا فلما وصلت إلى قريتنا فاجأني والقي قائلة يا بني رأيتك وقت الفجر في جنة البحر مرتعدا ففقت من فوري فزعة فأخبرتني الخبر فتعجب الناس من ذلك . وهذه حاصلة في كل زمان ومكان ولكن الناس لا يميئون بما تنكته نفوسهم احتقارا لسانها وجهلا بعلمها . وقصاري القول وحجاده أن النفوس الانسانية مقبلة على مستقبل علمي عظيم في العوالم الروحية وهذا المستقبل يدل عليه أحوالها الحاضرة من حب استطلاعها وكشفها ومن سرعة خاطرها وجولانها الفكري في كل زمان ومكان وفيما لا يتناهي من العوالم - والله من ورائهم محيط - والمجد لله رب العالمين

﴿ بهجة العلم في قوله تعالى - وما كنا عن الخلق غافلين - ﴾

اعلم أيها الذكر أن هذه السورة مبتدأة بفلاح المؤمنين المتصفين بما يأتي

- (١) يصلون (٢) يخشعون في الصلاة
- (٣) يعرضون عن اللغو في الأقوال والأفعال
- (٤) يعرضون عن اللغو في المال بأخراج ما فضل عن الحاجة إلى المستحقين وعلى الأقل الزكاة
- (٥) وعن الشهوة الأخرى في النوع الانساني
- (٦) يعيشون بأمان مع الناس بإبقاء العهد الخ
- (٧) يحافظون على صلاتهم
- (٨) ونتيجة ذلك انهم يرثون الجنة
- (٩) وعقب ذلك يذكر العلوم التي هي مفتاح الجنة فذكر خلق الانسان وتطوره ثم خلق السموات
- (١٠) ثم ذكر عدم الغفلة عن هذه الخبوات

ههنا يبدئ للعقل . ما المناسبة بين تلك الفضائل وهذه العلوم . ولماذا كررت الصلاة مرتين مرة مع الخشوع وأخرى مع المحافظة عليها . اعلم أن الانسان لا يستقيم له علم إلا بصرف الشواغل والذي يشغل الانسان بطنه ولسانه وفرجه وأمور عاته . فالزكاة للأول وترك اللغو للثاني وحفظ الفرج للثالث وإبقاء العهد ونحوه للرابع . فإذا اكل الانسان في هذه فعلية إذن أن يتعلم ضبط النفس وضبط النفس لتوجيهها إلى المطالب فان المطالب العلمية ان لم يتوجه لها الانسان توجهها تاما لم يدركها وهذا الضبط جعلت له الصلاة . إن المسلم حين يتخشع في الصلاة وبوجهه تمت كبريا للعبود ينال ﴿ آمين ﴾ الأول ﴿ الاعتقاد على حفظ الحواطر في توجيهها لأمر واحد ﴾ الثاني ﴿ توارد العلوم على قلبه . فها أنا ذا أذكر ما ورد على قلبي في صلاة في يوم من الأيام . ذلك أن المصلي يقول ﴿ الله أكبر ﴾ في أول الصلاة وهذا التكبير مع التسليم قد شرحت الكلام عليها في (سورة الاسراء) عند ذكر المعراج . وههنا أقول ما انشرح له الصدر في مقام هذه الآية وهي - وما كنا عن الخلق غافلين - فأقول

الله أكبر . جل العلى وجل الله الذى علم وألهم ووفق وأحسن . يكبر المسلم في أول الصلاة فلا يقول الله كبير . كلا . بل يقول إنه أكبر . فاذن كل ما علمناه من علم وحكمة فإن الله أكبر مما علمناه وعليه نزيد في الرقي والتعلم وكلما ازدادنا علما قلنا الله أكبر . فاذن العلم لانهاية له لأن الله بعد ما علمناه أكبر من هذا كله . الخلاه لا ينهائى والمخاوفات جهل الناس نهائيا . أفليس الله إذن يكون لانهاية له فهما ارتقينا فانه لانهاية له بعد ما علمناه

- (١) يوجه المسلم وجهه للذى فطر السموات والأرض فيقال هناك ما هو أعظم لأن الله أكبر
- (٢) يحمده لأنه ربي العوالم العروفة فيقال له الله أكبر من هذا كله فهناك عوالم سنكتشف
- (٣) يقول المسلم نحن نعبدك فيقال له وهناك عبادة أعظم لأن الله أكبر
- (٤) يستعين المسلم بربه في أموره فيقال له وهناك مواهب أعظم فيعبد فيها تطلب فوق هذا لأن الله أكبر
- (٥) يهتدى الله المسلم الصراط المستقيم فيقال له وهناك هداية أعظم لأن درجات الرقي لاحصر لها فإن الله أكبر

إذا علمت هذا فانظر في قوله تعالى - وما كنا عن الخلق غافلين - . هذه الآية تتدخل في العلوم كلها وكلما ازدادنا علما ازدادنا طلبا . فهل تفكر في نبات أم في حيوان أم في معدن أم في كوكب . حفظ الله هذه العوالم ليس يعرف البتة إلا بالعلوم ودراستها

إن عدم غفلة الله عن خلقه لن تدرك حق ادراكها إلا بالنظر في كل علم وهذا أمر لا آخر له وكما زدنا علما يقال لنا الله أكبر . إن هذا التفسير قد مزجت فيه العلوم المعروفة وفصلت تفصيلا . إن فيه من كل علم زهراته ومن كل فن ثمراته فاقتطف تلك الثمرات فيما تقدم ولكن يقول المسلم الله أكبر ويقول الله لنايبنا عليه السلام - وقال رب زدني علما - فهناك ما رأيت وأشرت إليه في (سورة هود) التي اطلعت على عجائب لا تحيط بالبال في كتاب يسمى (علوم للجميع) باللغة الانجليزية مؤلفه الاستاذ (روبرت براون) فقد جاء في صفحة (١٢٨) وما بعدها من المجلد الثاني ماملخصه تحت عنوان (الألوان الحافظة للحيوان)

(١) إن المفكر العادي يرى أن ألوان الحيوانات وزعت عليها بلامنعة ولا علم وإنما هي مصادفات عمية إن كل شئ في المناطق الحارة بهيج لونه حسن شكله حيوانا كان أم نباتا

(٢) إن أكثر الناس لا يدرون لماذا كان هذا الحيوان أبيض وهذا أسود ولماذا تكون دودة الفراشة خضراء تارة وسمراء أخرى وآونة ذات خطوط وبقع من ألوان مختلفة موضوعة بلا نظام . إن أكثر الناس لا يدرون أن هذه المباحث عقيقة النتائج قليلة الثمرات بل هي عندهم وهم باطل

(٣) وسنذكر هنا أن حيوانات كثيرة ألوانها نافعة لها بل كثير منها لا تعيش إلا بحماية ألوانها الخفيفة

### (الحيوان فسان)

قسم يعيش على غيره وقسم يأكله غيره (وبعبارة أخرى) آكل ومأكول . والقسم الثاني لا بد له من الحرب من عبوه وإلا مات وهذا الحرب (أ) إما بسرعة الطيران (ب) وإما بقوة الملاحظة (ج) وإما بأن يخفي نفسه عن الناظرين (د) وإما بأن لا يظفر ليلا (هـ) وإما أن يخفي تحت الأرض (و) أو تحت الأوراق (ز) أو قشور الأشجار (ح) أو الأجار .

فهذا كله يفر من الموت . أما القسم الأول وهو الحيوانات المفترسة فانها أيضا إن لم تكن مخفية عن أعين فرائسها حل بها البلاء . فإذا كانت الأولى يعترها العطب إذا لم تكن مخفية فهذه أيضا يقتلها الجوع إذا رأتها فرائسها ففرت منها . إذن الألوان التي تنصف بها الفريسة يجب أن تكون غير واضحة حتى تزي أولادها وتحصل قوتها باختفائها عن الحيوان المفترس . وهكذا الحيوان المفترس يجب أن لا يكون له لون ظاهر ولا هلك وتكون النتيجة هكذا : كل لون ظاهر في الحيوان مهلك له أكلا كان أو مأكولا ، فاللون إذن يجب أن لا يكون واضحا بل يجب أن لا يكون له وجود ألبسة مع أن اللون شائع وجوده في الحيوان فضلا عن مجرد وجوده حتى يصح القول أن الزائد والناقص يتأحيان في علم الحساب . إذن لا معنى للون يحمي الحيوان

### (الجواب عن ذلك)

هناك أجاب المؤلف قائلا إن امتحانات عظيمة جليلة أظهرت أن الألوان حتى ما كان منها أظهر وأبهج وأنضرحامية للحيوان حافظة لحياته

(١) إن الأرض والسماء والأوراق والأزهار كلها براقه مؤثرات في حياة الحيوان حامية له  
(٢) إن جبال الحيوان وبريقه قد يكونان انذارا للحيوانات الأخرى بما يحمله الحيوان من سلاح أو ماني طعامه من كراهة . وفي أحوال أخرى توجد حيوانات كثيرة تحمي أنفسها بدون الاختفاء وهذه تصحبها الألوان وتلازمها . فلنلاحظ هذا الموضوع ولنفكر فيه فهنا مزرعة وأسعة فيها ظهور الألوان وجمالها وبهجتها من وجه (ومن وجه آخر) هناك ألوان خفيفة ووجدت كلها لتحمي الحيوان على حسب يشته الحيوان وعادته وغرائزه

(أمثلة الألوان التي تحمي الحيوان \* المثال الأول)

حديقتي التي اعترهاها نوع من الحشرات المسمى (سلاق) بسبب رقة الشتاء سنة ١٨٧٧ ورطوبة الربيع بعده . ففي مساء ليلة أخذت أحمي تلك الحشرات عن أحسن النبات بالبراءة لأسقطه في جرة فيها ماء ملح شديد الملوحة وحين أنفعل ذلك كثير منها تنقلص وتنقع على الأرض وهي (مع أنها تقع على الأرض أممي) أراها تصير شبيهة بالحصى التي تكثر في تلك الأرض وهي مختلفة الألوان أبيض تقريباً وأصفر وأسود تقريباً وهي حيناً تنقبض وتنقلص بشكل يضاوي تكون أشبه بالخصوات الميتة المختلفة الألوان ثم إن حشرة من هذه سوداء كانت صفراء زينة تحت ظاهرها فلما تقلصت كان من العجب أنها أصبحت كحصى سوداء من الصوان منشقة شقين صفراء من الداخل وهذه حال الحصى الصواني هناك تماماً وهذه ربما يقال إنها حال خاصة إذ لا برهان على دوامها ولكن مرّ زمان تبعه زمان وأنا لم أعد أرى هذه الحشرات ألبتة بنظري ولا واسطة لذلك عندي إلا أنني أئس الخصوات المنشورة على الأرض بطبعها بالبراءة ولازلت أئس حصى بعد أخرى حتى عثرت بما لان منها . هنالك أناني اليقين أن هنالك غاية مقصودة حقاً والذي يغشني بأنه أحد الخصوات قادر أن يفش الطيور وغيرها التي تعشب على هذه الحشرة . أقول حقاً إن هذا قوله تعالى - وما كنا عن الخلق غافلين -

#### ﴿ المثال الثاني ﴾

في المناطق الاستوائية الحارة كنت أضيف حاسة اللمس الى حاسة النظر أيضاً لأميز بين حشرة تسمى (حشرة العصا) وبين نفس العصا فتج من هذا أنه من المسلّم به أن المعائمة تكون في بعض الحشرات لوقائها لأنها تحميها من المهاجمة التي تتأهبها من الطيور الآكلة للحشرات . وعليه تكون هذه الحشرة وهي (سلاق) قد جيت من الطيور الآكلة للحشرات بهذه المعاملة وكذلك (حشرة العصا)

#### ﴿ المثال الثالث ﴾

التي يعي بعض (السوس) في بلاد الانجليز أنه أعطى قوة الانكماش عند مسه وهو إما أسمر وأما منقط وهذه لها عادة أن تسقط على الأرض عند مسها أو ازعاجها بحال خاصة وحينئذ لا يعرف الفرق بينها وبين كتل الطين والحجارة

#### ﴿ المثال الرابع ﴾

وهناك نوع آخر يوجد دائماً أخضر جيل ويجري ويطير حيناً بمس

#### ﴿ المثال الخامس ﴾

هناك نوع غريب ص. غير من الخنافس أسمر يحفر في الأرض يصير أشبه بحبوب بعض النبات المسمى (بالنبات الصواني)

#### ﴿ المثال السادس ﴾

الخنافس الجلية الشكل المسماة (مسك بيتل) التي تقع دائماً على أوراق الصفصاف تكون خضراء

#### ﴿ المثال السابع ﴾

الحشرات المسميات (سبردس) والتي تسمى (رقميس) التي تلازم الخشب والأعمدة تكون سمراء أو تئيل الى الصفرة

#### ﴿ المثال الثامن ﴾

إن أحسن مثل يضرب للحيوان الذي برز وظهر بولونه والفرش الذي لا وقاية له تقيه في بلادنا الانجليزية

#### ﴿ المثال التاسع ﴾

الفرش المسمى (اقر بوس) الأخضر اللون والآخر المسمى (أكرونيكتابسي) الرمادي اللون يقعان على جذوع الأشجار نهاراً ويختفيان اختفاء تاماً بمشابهتهما للنبات المسمى (لينشب) الذي يحيط بهما

( المثال العاشر )

الفراش المسمى ( ليتموث ) حينما يقع مظهرًا جناحيه الأسمرين الكبيرين يشابه الورق الجاف في شكله ولونه ( انظر شكل ١٣ )



( شكل ١٣ - صورة حشرة ليتموث )

( المثال الحادى عشر )

بينما ( يفتب موث ) أى فراشة ( يفتب ) تقبض أجنحتها حتى تصبح تمامًا مثل قطعة من عصا مكسورة وفى نهاية الجناحين رقعة صفراء مشابهة لطرف عصا مكسورة حديثًا ( انظر شكل ١٤ )



( شكل ١٤ - صورة حشرة بفتاب )

ولاجرم أن هذه الحال تبين لنا إذا نظرنا هذه الحشرة في خزانه كيف يستحيل علينا أن نثبث أن هذا لون فراشة جاء لحمايتها أم لا . فليت شعري من ذا الذى يجول بمخاطره أن هذا الجبال ولون الفراشة واضح قد جىء بهما مشابهيين لقطعة من عصا مقطوعة ليغشى على أبصارنا فلا نعرف أن ذلك سبب في حفظ الفراشة من أعدائها . هذا قول المؤلف . وأنا أقول باليت شعري هل يعلم المسامون بعدنا أن هذا هو معنى قوله تعالى - وما كنا عن الخلق غافلين - وانهم بعد ما بينا في هذا التفسير يجب عليهم التبحر في هذه العلوم فهم أولى بها من الفرنجة

#### ( المثال الثاني عشر )

انه من الامور التي يكثر وقوعها في الأقطار الحارة أن تجد خنافس وفراشا تشبه زرق الطيور وهذا أيضا يحصل في البلاد الانجليزية كما قاله الاستاذ (سيد قويك) و لقد وقعت في الخطأ أكثر من مرة إذ كنت أرى فراشة ذات لون مختلط السواد بالبياض قد أشبهت زرق الطير واقعا على الورق (و بعبارة أخرى) رأيت الفراشة تشبه زرق الطير

#### ( المثال الثالث عشر )

وهناك نوعان من الفراش يشبهان الحيطان المصنوعة من الطين التي يقعان عليها

#### ( المثال الرابع عشر )

وفي بلاد (السويسرلند) كنت أسلى النفس في بعض الأزمان بملاحظة فراش يقع قريبا مني إذ يقع على حائط من الحجارة في ذلك الاقليم موافقا لها وهو لا يتميز عندي على بعد بضعة (باردات) مني

#### ( المثال الخامس عشر )

لقد لاحظ الناس أن اللون العام الخفيف الذي للفراش على أجنحته في الخريف وفي الشتاء يوافق لون

الطبيعة العام في ذنك الفصل . قال العلامة (يوسف جرين) ان أكثر الفراش الحرفي مختلف لونه ما بين الصفرة والسمرة وذلك يشبه الأوراق الحريفية بينما نجد الفراش الشتوي في نحو (هيبيريا) و (كبانونيا) ذا لون لطيف أشيب فضي

#### ( المثال السادس عشر )

إن دود الفراش لونه الواضح قد أعد لحايته على وجه العموم . ألا ترى رعاك الله أن الجم الغفير من هذه المخلوقات أعطى لون الخضرة مشاكمة للون الورق الذي هو يعيش عليه ويتغذى منه ويعطى لون السمرة حينما يكون وقوعه على قشر جذوع الأشجار أو الأغصان وكثير من هذه المخلوقات من أنواع أخرى مثل (جيومتريدا) أو (لوبرز) قد أعطى عادة أنه يغرس نفسه غرسا تاما مثل ماتنرس العصا التي هو يشبهها في الشكل واللون

#### ( المثال السابع عشر )

كل امرئ يعلم أن هناك جبا غفيرا من دود الفراش ولكنه يسأل قائلا . لماذا رأينا بعض تلك الأنواع قد حبت من الهلاك . ولماذا نرى أنواعا أخرى تحتاج إلى حاية ، ذلك لأنها قد فقدت ما يحفظها . والجواب على ذلك سيكون بالاستدلال والاستنتاج البرهاني . ذلك أنه ثبت بالملاحظة والامتحان أن كل دود الفراش الأخضر والأسمر يكون طعاما هنيئا لديدنا بلا استثناء للطير والضفدع والضب والعنكبوت . فهذه تسعى لتختفي من جوع هذه الأعداء بأنها تاكل في الليل وحده أما في النهار فانها لاتتحرك وتبقى على الأوراق والأغصان وقشور الجذوع التي شابهتها في الألوان . ومن جهة أخرى هناك نوع آخر منه لامع اللون يأتي من أكله الطير اذا عرض له وكذلك الضب والضفدع والعنكبوت فليس أحد هذه المخلوقات بقادر أن يلبس دود الفراش المذكور (انظر شكل ١٥)



( شكل ١٥ - صورة دود الفراش المحفوظ بكرة طعمه )

وقد يقتصن الطائر ونحوه ذلك الدود بقفه ولكنه حالا يلقيه من فمه لما أحسن منه بالطعم الكريه . وهذا



القانون يسرى على دود الفراش الذى له شعر يعطى جلده والذى نسج غزلا يحيط به . والذى يزيد في الجعب أن هذه المذكورات لها طابع مختلف ما تقدمها من تلك الفراش الحضر والسمر وهوان هذه تأكل ثمارا ولا تخفي أنفسهن كالسباقت وتأكل علنا كأنها - حفظتها حكومة نظامية وكأنها أعطيت علما بنجاتها من سائر أعدائها هذه الرابطة التي بين اللون المبهج السار وعادة الأقدام والشجاعة . الفراش تنثرلورا وتضيء لنا كثيرا من أحوال الضوء اللامع الذى إن لم يكن كذلك فإن وجوده يكون معارضا لفكرة الحماية والحفظ وعلى ذلك نقول إن بين خفافسا طائفة ساطعة اللون كالمداية (الطيور السيدات) والجنود والساحين بين الطائفة منها المسماة (ملسكودرس) وهذه الأنواع المذكورة حشرات مكشوفة ظاهرة ولواقية بقبها وهي لم تخف أنفسها يوما ما ولم تبحث عن ملجأ تلجأ إليه ولم تظهر بالموت كما تفعل الخنافس الأخرى . إن السبب في ذلك قد وجد الآن . ذلك أنها أشبه بدودة الفراش التي لوئت تلويها بغير اتفاق وهي لاتصلح طعاما لآكلات الحشرات الآن .

#### ﴿ المثل الثامن عشر ﴾

وهذا الايضاح يصح أن يعطى للبياض الذى يظهر في فراش مخصوص . إن أحد ذلك الفراش المخصوص هو المسمى (سيلسانسترى) وهو فراش عادى جدا ولما وضعه في طعام الفراخ الرومية الأستاذ (استانتون) في جلة مئات من الحشرات الأخرى التي لا قيمة لها رفضه ولم يأكله . وهكذا اكل الطيور بالتعاقب النقطة ثم رمت لما رآته كرهه الطعم . وهذا نفسه قد حصل مع حشرة أبى دقيق الزاهية اللون المزخرفة التي تنكون الطائفة المسماة (دندسا) وقد لاحظ الأستاذ (بات) الطيور الآكلات الحشرات في جنوب أمريكا إن رأها قبضت حشرة (أبى دقيق) وأضرمتها إلى أعشاشها لتطعم بها أفراخها الصغار . وبعد نصف ساعة لم تحضر تلك الطيور أحد هذه الطائفة التي تغير في كسل بلا وجل مرث كثيرة

#### ﴿ المثل التاسع عشر ﴾

وهناك طرق أخرى للحماية غير كراهة الطعم وبها يكون الاختفاء غير ضرورى . إن أسلحة الطير تقوم لها بحق الدفاع عنها متى كانت تامة في نوعها لتجعل هذا النوع غير نافع لعدوه أو خطرا عليه إذا هوجم عليه وأحسن مثال لأسلحة الحشرات (النحل والزناير) فإن بين هذه ألوانا زاهية عامّة بينها هي تغيرها وهناك لتبحث عن غذائها من غير أن تحاول الاختفاء وهناك حشرات أخرى لها غطاء قوى أو غزل متلبك بالانظام وذلك وضع عليها لأجل أن لا تؤكل . إن من بين الحشرات التي في الأقطار الحارة كثيرا من هذه الحشرات الظاهرات اللون المزخرفات تزويها غير منظم . خذ مثلا من أمثلة هذه الطائفة وهو الزنبور الياقوتى الذيل الذى ليس له حجة تكون سلاحا له وإنما أعطى قوة بها يدحرج نفسه فيصير كرة صعبة قوية وهو ملون بلون زاه بهيج يسمى حسن حتى يظهر انه جوهرة غريبة نادرة الوجود . وهناك نوع آخر يال الحماية بالطين السريع باقى شدة ممكنة من يخفى نفسه في ثقب أو بين أزهار حينا يسكن . وهذه دائما تظهر بلون لامع قنتشه (رورزشعر) المعتاد . هذه الأمثلة القليلة تفيد أنه لا حجة تقاوم استعمال اللون للحماية في بعض الحيوان مثل أن يقال ان هناك حيوانات لها ألوان مضيئة وليست للحماية . هذه أحوال أدوات أن الحيوان أعطى عوضا يجعله يعيش ويبقى نوعه . هذا العوض تقدر على فهمه في بعض الحيوان وفي بعض آخر نحن جهلاء بالعادة وبما يحيط بالتنوع لنحقق هل اللون يحى أم هناك أمر آخر للحماية وإذا لم يحم اللون فالحال الخاصة التي تقوم بالحماية بدل اللون

#### ﴿ المثل العشرون ﴾

دود الفراش لأمبراطور الفراش (أى تبع الفراش) جسمه على بالخضرة مع نقط وردية اللون في جبال فائق منظم وبأكل في مرعى ولونه متلأم تلاؤما موسيقيا مع براعيه الخضراء وأزهاره الوردية حتى أنه يصعب كشفه بين تلك المراعى

### ﴿ المثل الحادى والعشرون ﴾

لنتنقل للصحراء . هناك لا أشجار ولا مراعى تجمع الحيوان بمساكنه لها . إذن نجد تغيرا فى اللون لبشاكل الحيوان ماحوله . فترى القبر (بتشديد الباء) وأنواعا أخرى من الطير وكل ماله فروة من الحيوانات الصغيرة ذوات الأربع وجلد الحيات والضب . كل ذلك بلون الرمال . وليس هذا خاصا بصحراء بل هكذا كل الصحارى والجبل والأسد لهما لون لطيف رملى أو صخرى رملى

### ﴿ المثل الثانى والعشرون ﴾

لنبحث فى الجهات التى فى القطب الشمالى فهناك اللون الأحمر المصفر اللطيف هو المطلوب ولكن اللون الأبيض الصانق وفى بعض الأحيان الأسود الأسمر أو الأسود (حيثما يكون اللون الواضح الملامع يكون أكثر فائدة من لون الاختفاء) . كل دب فى الأرض أسمر أو أسود إلا دب القطب فهو أبيض وكذلك أرنب القطب والصائد الثلجى والبومة الثلجية كل هذه بيضاء أو فريضة من البياض . والعلب القطبى والأرنب الذى يسكن (جبال الالب) فهذان يتغيران الى البياض زمن الشتاء . وهناك طائر يسمى (بسترمجان) فى الأرضى المرتفعة وهذا خير مثال للحماية بالألوان فريضة فى زمن الصيف موافق لألوان الأشجار التى يجب أن يقع عليها ولا يقدر الانسان أن يميز سرياً منها بدون أن يرى واحدا منه وهو يلوّث بالبياض زمن الشتاء لأجل حمايته بمشاكل الثلج هناك التى تغطي الجبال . يستثنى من البياض الشامل الحيوانات فى المنطقة القطبية (غنىم مسك) أو (ثيران مسك) وهذه تسمى معتادة هناك خطأ لأنها أسمر مسود ويرى فى أثناء الثلج والجليد وليس سبب هذا صعبا انه يعيش أسرياً لحماية باتكاله على الجماعة والحيوان المنفرد هو الفريسة للذئب القطبى أو الثعلب القطبى ويمكنه أن ترى جاعاتها فيلتحق الواحد منها بها على أى مسافة فهو خير من اختفائه من العدو. انظرالى (السمور) فهو يحفظ فروته السمراء اللينة فى أثناء شتاء سيريا القاسى وفى أثناء ذلك الفصل يلزم الأشجار ويأكل من ثمارها وهو نشط فيقتصص الطيور من وسط الأشجار . والغراب يكون فى أقصى الأقطار القطبية الشمالية لكنه دائماً أسود لأنه لا عدو له وهو يأكل من الجيف وهى لا تحتاج الى الاختفاء من فرائسها . هذه أسباب ثلاثة (غنىم خاصة تكون سمراء لأنها تكون سرياً والسمور لأنه يعيش وسط الأشجار والغراب لأنه لا عدو له) ذات قيمة من أجل وجهة نظرية . لقد برهنت هذه الثلاثة على عدم صحة الفكرة العادية التى يقال فيها أن الحيوان يتغير للبياض فى الأقطار الشمالية إما من تأثير البرد المباشر أو من تأثير انعكاس البياض من الثلج . فهذه الثلاثة علمتنا أن البياض إنما اختص بهذه الحيوانات البيضاء لأنه حافظ لها بينا تلك التى إما لا تحتاج الى الحماية وإما أن لون السواد نافع لحفظها لم تلون بالبياض . إذن سبب التغير لا يرجع عقلا الى الامور الخارجية بل هو راجع الى قوانين مختلفة مختارة بحث تغير صفات الحيوان فى طرق نافع لها

### ﴿ المثل الثالث والعشرون ﴾

الحيوانات الليلية تبرهن على فكرة الحماية اللونية . خذ مثلا لذلك الفيران الصغيرة والكبيرة والوطايط واخذللكها رمادية اللون أو سوداء اللون . إذن لا يمكن رؤيتها ليلاً إذ هى إذ ذلك تسمى لجلب الزرق وفى النهار تخفى أنفسها فى منافذ أو تحت الأرض . وإذا كان لون الاختفاء لابد منه مثل ما هو حاصل فى (البوم) فانتاجد لونه أرباباً ذا بقم ملونه كثيرة لونا خفيفا ليحصل التشابه بينه وبين قشر الشجر أو الأرض أثناء النهار ولا يكون كثير الوضوح أثناء الليل

### ﴿ المثل الرابع والعشرون ﴾

بعض الحيوانات الليلية لها لون زاه وهو (سكانك) الذى هو فى أمريكا الشمالية وهو أبيض اللون وذيله طويل أبيض غاية البياض ولكن هذا يلك واعتقهولة كريمة تنتشر فتجعله مخوفاً من عجا وذيله الزاهى إنما هو علم مفرد لسلك حيوان أكل اللحوم مندرله لأن لا يفتك به كما يحصل فى (الفراش) الذى تعاماه الطيور لطعمه الكريمة

كما تقدم وهي تأكل غيره لاهو

### ﴿ المثال الخامس والعشرون ﴾

(أ) ومثل ما تقدم في التأثير البرهاني أن اللون يحى ماذ كرهنا وكذلك في وسط الغابات التي عمتها الخضرة بكثرة في المناطق الحارة وما يقرب منها فانا نرى هناك طيوراً لون ريشها بلون تلك الجهات فصار أخضر مثل (البغاة) الذي يسكن تلك الأقطار فهو أخضر على وجه العموم مع بعض رقع ذات لون برّاق بهيج (ب) وفي الجزائر الاستوائية الشرقية أنواع كثيرة من الحمام خضراء كالبيغاء وكثيراً أيضاً من أصناف غيرها بنفس هذا اللون

(ج) ومثل هذه فضيلة الطيور الآكلة الفاكهة وهي تستكثر في الأغاب في الأقطار الاستوائية الأسبوية . وهناك طير (١) أخضر يسمى (بلبل) (٢) وآخر يسمى (آكل النحل) (٣) والذي في أفريقيا لاستوائية (٤) وذو العين البيضاء الصغيرة الذي في الأقطار الشرقية الاستوائية وأنواع أخرى كثيرة . كل هذه الأنواع تلازم الأفنان المورقة المشبكة الأوراق المشاكلة لونها مشاكلة موسيقية منتظمة بحيث لا يقدر الانسان أن

### ﴿ المثال السادس والعشرون ﴾

يجز بين المساكن وساكنيها ونوازن بين هذا وبين الألوان العادية في الطيور بالأقطار التي هي مثل بلادنا . ليس هناك لون يقرب من الأخضر فذلك ليس بوجود بينا الزيتي والأسمر هما العالمان في ريش الطيور . هذا لون خفيف وهو أقل مظاهر اللون بين الأشجار التي لا أوراق لها والادغال والأشجيرات التي هي كثيرة في جزء كبير من السنة وعند الاحتياج إلى الوقاية تكون الألوان أشد خضرة ﴿ المثال السابع والعشرون ﴾

إن للزواحف ألواناً خفيفة وأقوية لها . فانظر إلى الضب والحية فانهما يكونان أسمرين قليلاً أو كزيتراً أو زيتيين خفيين اللون بينما هما في الأقطار الاستوائية وحدهما يكونان شديدي الخضرة البراقة ليعين ليشاكل النباتات في تلك الأقطار . وهناك نوع من الضباب مسطح مشاكلي لجذوع الأشجار والأشجار التي يعيش عليها ولونه أخضر أو أشب مشاكلي للسطح الذي يعيش منه

### ﴿ المثال الثامن والعشرون ﴾

بعض الحيات الليلية هي وكل ما كان ليلاً من الحيوانات التي تحتاج إلى الاختفاء تكون ألوانها ذات سواد أو سمرة أو زيتية ﴿ المثال التاسع والعشرون ﴾

كثير من السمك قد اتضح فيه الحفظ بواسطة اللون فترى الذي يسكن في قاع البحر له لون نفس القاع فهو مقشوش نقشاً كثيراً ليوافق الرمال والحصى . فأما الذي يعيش قريباً من سطح الماء فانه يكون من فوق أزرق مثلاً لاخضرة وهو من أسفل أبيض لأجل الفرار من العدو الذي في الهواء ومن العدو الذي في الماء تحته . والسمك اللامع في البحار الدافئة كثيراً منها تخفى حيناً تكون مغطاة بالأعشاب البحرية الزامعة . والمرجان والشقائق وأنواع من الحيوانات البحرية التي تجعل قاع البحر في بعض الأوقات يشبه حديقة مزهرة خيالية والسمك الذي كالانابيب وخيل البحر هي أحسن أمثلة لأساليب اللون والاحتباء به فبعضها تخفى مشبهاً للحشائش البحرية العائمة . ولكن في استراليا هناك نوع عظيم مغطى بطبقة ورقية وكلها ذات لون أحمر وهذه تعيش وسط الأعشاب الجراء البحرية وبهذا تخفى عن أعين الناظرين

### ﴿ المثال الثلاثون ﴾

في الأقطار الاستوائية حشرات قد حفظت صفات عجيبة غاية العجب من حيث ألوانها وخطوطها الهيئات وأحسن ما علم منها (حشرات الورق) التي هي حشرات كبيرة عجيبة أجفعتها وأغطيتها أجفعتها بضة مسطحة مشكلات بأوردة وعروق مثل ما للأوراق وأرجلها ورؤوسها وصنوبرها لها اتساع مسطح على هيئة ماحولها

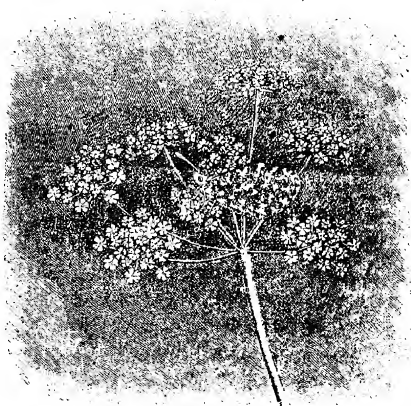
من النبات وعلى هيئة كل موجود من النباتات ذات الأوراق الخضرة لطيفة وهي التي تعيش عليها تلك الحشرة . انه لا يمكن كشف تلك الحشرات وتمييزها عما حولها اذا لم نعرض

### ﴿ المثال الحادى والثلاثون ﴾

الحشرات (العصوية) فيها غرابة وهي انها أشبه با-طوانة طويلة والمخالب طويلة وهي تماما كقطعة من عصا سداها أو مخضرة فاذا كان لها جناحان فانها تضمهما معا وتخفى تحت غطاء أجنتها كأنها عصا ممدودة بينا الرأس والرجلان موصولان إما مثل هيئة العصا أو كهية فرع غصن يتعلق على الشجيرات . وهذا المخلوق فى الغابات لا يميز من الفروع والأغصان التي تتدلى من الأشجار فوق رؤسنا . وهذه لازال ساكنة لاحتراك لها أثناء النهار فاذا جاء الليل أخذت تأكل وهي تعلق أنفسها بأطراف أرجلها بفصنين أو بثلاث وبقية الشجرة ملائمة لأبدانها وعلى ذلك تظهر بمظهر غير متناسب كأنها أغصان مكسرة اتفاقا . و بعض هذه الحشرات تجمعها مادة خضراء عجيبة منتشرة على جميع جسمها واذن تظهر كأنها هي قطعة من غصن مغطاة بطحلب بضى لطيف أخضر قد عجم من جميع جوانبه . وهذا المنظر قد ظهر لكاتب هذه المقالة فى الكتاب الانجلىزى فى بلاد (بورنيو) فأيقن لما رآه أن الطحلب قد نما وترعرع على الحشرة وهي حية ولكنه لما امتحن ذلك تين له أن الذى ظنه طحلبا إنما هو من مظاهر نفس الحشرة

### ﴿ المثال الثانى والثلاثون ﴾

ومن عجب حشرة (أبى دقيق) ذات المنظر الجليل الساحر الذى يجعل تلك الحشرة ظاهرة جليلة . فانظر كيف كان نفس مابه ظهورها يكون به اختفاؤها وأول من كشف ذلك الاستاذ (وود) فانه قال « ان حشرة أبى دقيق الجيلة برتقالية الرأس فان هذه الحشرة وان كانت ظاهرة وهي على الأغصان تخفى اختفاء تاما وقت المساء اذا جثمت فى مكانها الملائم لها وهو أطراف الأزهار فى (شجر البقدونس) . ألا ترى أن ما تحت ظاهر هذه الحشرة فى غاية الجمال منقوش بخضرة مصحوبة ببياض لتمام البياض والخضرة فى أطراف زهر ذلك النبات انتهى ما قصدته من ذلك الكتاب (انظر شكل ١٦)



( شكل ١٦ - صورة حشرة أبى دقيق البقدونسى )

وهنا يتجلى ﴿أمران﴾ الأول ﴿ان ما انتشر بين المتعلمين في مصر وسوريا والعراق وجميع بلاد الشرق وكثير من بلاد الغرب أن العلوم الطبيعية ومذهب (داروين) و (لامارك) تافى وجود منظم الكون انما هو من العلوم التي أداها القوم في القرن الثامن عشر ومعظم القرن التاسع عشر. أما علماء أواخر القرن التاسع عشر وعلماء القرن العشرين في أوروبا فانهم بما حققوه لم يصبحوا مؤمنين بحسب بل هم موقنون قانظرون الى ما تقدم في (المثال الأول) كيف يقول المؤلف «هناك آتاني اليقين أن هناك غاية مقصودة حقا» وأن الحشرة قد أدخلت الغفلة على هذا الكتاب فربما من الحصادات حولها فهي على غش الطيور الآكلات لها أقدر. وهذه مسألة واحدة من الأمثلة الاثنتين والثلاثين المتقدمة المألوذة من الحكمة والايمان والعلم وانظر ثم انظر في (المثال الثاني والعشرين). انظر الى الثعلب القطبي كيف يتغير الى البياض زمن الشتاء والى الطائر الذي يكون ريشه في الصيف موافقا لألوان الأشجار التي يقع عليها ولألوان الثلوج زمن الشتاء ثم تأمل كيف اهتدى العلماء في أوروبا للحقيقة إذ كذبت تلك النظرية العتيقة التي علقت بأذهان الطلاب في جميع مدارس العالم قاطبة وهي أن الألوان انما جاءت بتأثير البيئة والوسط. فاجب كيف يقول في نفس هذا المثال ان (السمرور) و (الغراب) و (غنم مسك) هذه الثلاثة قد كذبت النظرية المعتادة القائلة ان الحيوان يتغير للبياض في الأقطار الشمالية إما من تأثير البرد وإما من انعكاس البياض من الثلج وأثبت أن البياض يوجد اذا كان نافعا للحيوان وغيره يكون عند الحاجة أيضا ﴿وبعبارة أخرى﴾ ان متأخري القرعة اليوم يبرهنوا على هذه الآية - وما كنا عن الخلق غافلين - وأى برهان أعظم من هذا. اللهم إني قد أرتنا وعلمتنا الحكمة وأرى أننا من أبداع العلوم والحكم. هذه هي العلوم والحقائق التي هي بعض ملكوت السموات والأرض التي أراها الله لآبراهيم الخليل عليه السلام وبها أيقن بربه. وهما هي أمالك في هذا المقام وهذا التفسير طافح بها وقد حشيت هذه العلوم عن كثير من المتعلمين في بلادنا. يقرؤون العلوم واللغات ولكنهم لم يوفقوا للاطلاع على ماعلمت أوروبا في هذا القرن وأواخر القرن الذي قبله. فهم يقرؤون صدى صوت علماء القرن الثامن عشر تقريرا بل يصلوا نهاية العلم في هذا القرن. فهذا إذا أرى أنك نهاية علم القوم حتى تعلم علما ليس بالظن أن أولئك الذين يلحدون ويكفرون متظاهرين بأنهم تابعون لعلماء أوروبا قد غرهم في عقلمهم ما كانوا يكذبون. فهو لا جهلهم جهل مركب والله في خلقه شؤون. هذا هو الأمر الأول

﴿الأمر الثاني في هذا المقام جلال العلم ومحاسن الطبيعة وموسيقاها﴾

اعلم أن التوغل في معرفة هذه العوالم كأنها - جنة عالية - قطوفها دانية ﴿تسمع فيها لآنية - انظر الى ماسمعتها الآن. انظر الى هذا الجبال وأى جبال أبدع وأى حسن أبهج من هذا. يعيش الناس ويموتون وهم مغمورون في الجبال والموسيقى ولكنهم لا يعلمون انهم في جبال وموسيقى. ومماثل الناس في هذه الحياة وقد غفلوا عن الجبال الذي رأته الآن لا اكتمل العمى أمام الغايات القاتنات أو كتمل الصم أمام المغنين والمغنيات جلست هذه الدنيا وكلت وتعالى الله فطمس الحقائق وأبعدها عن الاستحقاق وأبرزها لمن يقفون

﴿حكاية من رسالة القشيري المؤلفة في القرن الرابع الهجري﴾

حكى أن الجنيده رجه الله جاءت له امرأة تشكو زوجها فقالت ياسيدي لماذا يتزوج زوجي على ووالله لولا أن كشف الوجه حرام على الأجانب لأزيتك وجهي حتى تعلم انني جيلة. فلما سمع ذلك الشيخ أغشى عليه فليل له لماذا. فقال لأن الله يخاطبني على لسان هذه المرأة انه لا يرى وجهي إلا المستحقون وهم المطيعون وسواهم محرومون. فهكذا هنا تقول ان وجه هذه الدنيا كجبال ولا يخاطب به إلا المفكرون وسواهم غافلون انظر كيف رأيت أكثر المتعلمين في الشرق والغرب جهلوا هذا الجبال لأنهم لم يصلوا لغاية علم القوم الذين

أدعوا انهم قلدوهم . ويجمع هذا المقام كله قوله تعالى - وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون -  
ولعلك تقول أين الموسيقى في هذا العالم ونحن لانعرف الموسيقى إلا المسموعات من الأوتار والغنيين .  
أقول إن الموسيقى على (قسمين) قسم خاص وقسم عام . أما القسم العام فهو ما يعله الجهلاء والعلماء على حد سواء من الحركات والسكنات التي تؤثر في الهواء فتصل للأذان وهذه إنما تسر القلوب لأنها على نسب هندسية كما تقدم في (سورة يوسف) عند الكلام على جاله وكذا ذكرته في كتابي (الموسيقى) وملخص ذلك أن الموسيقى ترجع إلى النظام والنسب الهندسية والحسابية (بحكى) أن الفيلسوف (فيثاغورس) مرّ بذكران حدّاد فسمع وقع أربع مطارق فأطربته لأنها موزونة فوزنها إذا هي على نسبة ٦ إلى ٨ إلى ٩ إلى ١٢ فأثّر بأوتار أربعة متساوية في الطول والتخنّ وربطها أثقالا على النسبة المتقدمة ففقرها فكانت كتوقع المطارق الأربع . واعلم أن جميع علم الموسيقى يرجع إلى سبب ووند وفاصلة وهكذا علم الشعر . والسبب مثل (من) والوند مثل (على) ومثل (بعد) والفاصلة مثل (فعلت) ومن هذه الثلاث تتركب جميع الألحان وتلك الألحان يحملها الهواء فتدخل الأذان فيفرح الإنسان بها . ذلك لأنها على نسب هندسية مثل خفيف الثقيل الأوّل الذي على هذا النمط فعولن مفاعيلن . فهذا في الموسيقى أشبه بعصر الطويل في علم الشعر وهذا الوزن نفسه هو الذي تصيح به الفاختة وهذا صورته (ككوه كوه ككوكوكو) فهذا الوزن نفسه هو في بحر الطويل إذا كررناه أربع مرات وهو نفسه موسيقى وهو نفسه صياح الفاختة وإنما استلذه السمع لأن نسبتها مكررة هكذا (٧) متحركات إلى (٥) ساكن كنسبة (١٤) متحركا إلى (١٠) ساكن كنسبة (٢١) متحركا إلى (١٥) ساكن كنسبة (٢٨) متحركا إلى (٢٠) ساكن وهذا هو نفس بحر الطويل . ومعلوم أن هذه النسبة حاصل ضرب الطرفين فيها يساوي حاصل ضرب الوسطين أي أن (٥) إذا ضربت في (١٤) فأنها تساوي (٧) مضروبة في (١٠) وعلى هذا أبدا فقس فيا لايتأهيه مهما تكررت هذه النسبة المتكررة المنتظمة وهي التي عرفتها آذاننا وآذان الطير وآذان الجبال منا والعلماء . عرف آذاننا هذه النسبة ففرحت بهذا الجبال ولكن بعد هذا كله نقول إن هذه الموسيقى عرفها الطير وكثير من الحيوان وجميع نوع الإنسان ويمكن هناك موسيقى أرفع مقاماً هي الموسيقى العلمية أي النظام والابداع في هذه الدنيا فهذه الموسيقى هي التي يحبها الله عن أكثر هذا النوع الإنساني بل أكثر المتعلمين في الأمم محرومون منها وهي الموسيقى التي تظهر في علم الفلك وعلم الطبيعة . انظر ونهجم إلى نظام الأفلاك وحسابه كما تقدم في هذا التفسير وتقدم بعضه في (سورة يوسف) عند ذكر الجبال وأن هذه النسبة التي قرأتها في الشعر والموسيقى تقرأها في حساب سير الشمس والقمر والكواكب وتعرفها في نظام العناصر عند تركيبها وأبعد من ذلك ما رأيته الآن في هذا المقام الذي نحن بصدده . انظر ثم انظر إلى الغراب كيف خالف لونه لون الثلج في الأقطار القطبية . لماذا . لأن فريسته جيفة لا تفرمته . وانظر كيف ترى الله عز وجل جعل حياة الحيوان متنوّعة الأشكال بهجة المناظر . فتارة يحميه بقذارة شكاه ومشاكلته لزرق الطير الذي يأكله . وتارة يحميه بمشاكلته لونه لما حوله . وتارة يحميه بالريح الكريمة التي يؤذي بها من يقصده . وتارة يحميه بشدة العدو . وتارة باختفائه ليلا . وتارة بسلاحه وهكذا من ضروب الابداع والانتان . قل لي رعاك الله . ألم تكن هذه الأجسام كلها من عناصر معلومة والعناصر كلها هي المواد الحامدة والغازية والسائلة ثم بعد ذلك يكون الضوء والحرارة . فهاذا جرى . جرى أن هذه المواد الثلاثة تنوّعت أشكالها فكان منها صور حيوانية وأخرى نباتية والحيوانية تنوّعت الحماة فيها إلى صور بدعية مختلفة . فانظر . أليست الموسيقى ترجع إلى ما ذكرت لك من السبب والوند والفاصلة . فهذه الثلاث كان منها جميع الشعر وجميع الموسيقى في العالم . وما الشعر والموسيقى إلا حركات وسكنات هذه أصولها إذن لا فرق بين الموسيقى العامة في أن لها أصولا ثلاثة والموسيقى الخاصة في الطبيعة فإن أصولها أقسام الأجسام

المتقدمة فكما تنوع الشعر والموسيقى الى مالا يتناهى من الصور المفرحة للعلماء في الهواء وللجهال على حد سواء هكذا تنوعت اقسام الأجسام الثلاثة الى مالا يتناهى من الجمال في هذا العالم كما رأيت في أنواع حياية الحيوان وهذا لا يكون في الهواء بل في العوالم الطبيعية كلها . يظهر أن هذا العالم مبني على أمرين حركة مستمرة ونظام جيل . فالحركة في الموسيقى والشعر معروفة والحركة في الطبيعة لا يعقلها إلا المفكرون فيها  
ففر بعل تمش حيا به أبدا \* الناس موتى وأهل العلم أحياء

﴿ ايضاح ما تقدم . بعض أسرار القرآن تظهر في هذا الزمان ﴾

هذه الأسرار هنا ترجع الى نظام الحيوان ونظام الحساب العام . أما نظام الحيوان الذي رأيته فهو السرّ المصون والجوهر المكنون والعرفان والنور . نعم هو المذكور في قوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء - فهذا هو ذا ذكر سبحانه اختلاف ألوان الثمرات وألوان أجزاء الجبال والدواب والأنعام ثم ختم ذلك بأنه لا يخشى الله إلا العلماء . الله أكبر . ياليت شعري أى علماء هؤلاء . نعم هم علماء النبات والحيوان والجماد الذين يعقلون سرّ الألوان وهل سرّ الألوان غير ما جاء في هذه المقالة ونحوها . أليس هذا هو الذي جاء لأجله القرآن . جاء القرآن لهذا . القرآن نزل وانتشروا ثم خلف بعد ذلك خلف ورثوا الكتاب وحفظوه عن ظهر قلب ثم نادوا بخلقنا الله اليوم فراينا انه وان أمم المسلمين في القرون المتأخرة قد أبقت أئمة أخرى فأظهرت ما كن القرآن من أن لكل حيوان لوبايخصه نفعه أولبقاته إذن عرفنا الآن أن الألوان المذكورة في الآية ليست مظاهر جلال بل منافعها الحقيقية المتقدمة إذن هي تفسير للقرآن إذ أن الله الذي أنزل القرآن قال - ثم إن علينا بيانه - وقال - سيركم آياته ففهموها - هو نفسه الذي أمر علماء أوروبا فاستخرجوا منافع الألوان وهو الذي أتمم مؤلف هذا التفسير وأمثاله أن يصيحوا في المسلمين قائلين لهم تعلموا هذه العلوم فإن ألوان الحيوان مثلا النافعة له هي المقصودة في الآية والعلماء بها هم الذين يخشون الله وهم الذين قال الله لأمتهم - ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين - جمع عالم . الآياتان على نظام واحد . ذكر الله فيهما أن هذه الألوان لا يعقلها إلا العلماء أى العلماء بها ونظام هذه المخلوقات . إن هذا التفسير قد جاء قبيل ظهور حكاء في أتم الاسلام لم يحل بهم الدهر . انظر الى الآيتين السابقتين هل يعقل أن أحدا يقال له (عالم) بنظام و بألوان المخلوقات) إلا من يبرعون في هذه العلوم ومتى برعوا يعقلون بعض جلال بهم ويكون العالم أمامهم جنة عرضها السموات والأرض أو موسيقى تصح لأولئك العلماء العالمين . انتهى الكلام على نظام الحيوان أما نظام الحساب العام فإن الله لم يقف نظامه عند حدّ الحيوان نفسه ومراعاة حياته وحفظه بل تعدى ذلك الى أصواته وخسبها ونظمها ولم يذر طيرا على شجر ولا إنسانا في بدو أو حضر إلا نظم أغانيه وموسيقاه . وهذا كله تفسير لقوله تعالى هنا - وما كنا عن الخلق غافلين - وعدم الغفلة يلزمها أن لا يصح سبحانه لونا إلا لفائدة والا لكان ذلك اللون عبثا - ولكن أكثر الناس لا يعلمون . يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا - الى قوله - أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق - ومن الحق المذكور أن يكون لكل عرض ولون فائدة والا فكيف يسبح الناس ربههم ويقولون ﴿ سبحان الله ﴾ والتسبيح تنزيه عن كل مالا فائدة فيه . إن الناس لا يصلون الى المقام الأعلى إلا بعد فهم هذا الوجود حتى يقولوا عمل ربههم . وكما أن عدم الغفلة عن الخلق يلزمه أن لا يكون لون بلا فائدة هكذا يلزمه أن تكون الأصوات أيضا منظمة كما قال تعالى - وكل شيء عنده بمقدار - وقال - وان من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - نخذ ايضاحا لما تقدم نقول الفاخرة





﴿ فصل في أصول مذهب داروين و بيان أقوال العلماء في نقضه من أهل أوروبا وأن أصوله أربعة ﴾  
اعلم أن هذا المذهب لما انتشر في بلادنا المصرية فشا الاتحاد وسمت الرشوى ودام الزيف وتفاخر كثير من العظماء وأر باب السطوة والنفوذ بخلع العذار واتهك الحرمات وتبارى كثير منهم في شرب الخمر والقمار وبنوا الدين ظهريا وذلك عقب ظهور مؤلف الدكتور (شيل شميل) الذي هو ترجمة كتاب بغتر الألماني وكان المترجم والمترجم عنه يميلان إلى الاتحاد وانكار الخلق فكان ذلك داعيا لنقض ذلك وتقليدهما تقليدا بلا جدال . كل ذلك في أوائل هذا القرن العشرين . وبينما نحن كذلك في مصر وفي بعض بلاد الشرق كان علماء أوروبا قد نقضوا هذا المذهب غفر على المؤمنين به السقف من فوقهم وانهارت دعائمه وأصبح هشيا تذروه الرياح كأن لم يكن بالأمر . ولأذكر لك أصوله ثم بيان أقوال العلماء في نقضه

﴿ فصل في أصول هذا المذهب ﴾

بني (داروين) هذا المذهب على ﴿ أربعة أصول ﴾ الأصل الأول : ان الحياة ذات أطوار وتغيرات بها ترتقي من حال إلى حال ﴿ الثاني ﴾ ان هذه التطورات تنتقل بالوراثة إلى النسل ﴿ الثالث ﴾ ان الأحياء جميعها بينها تنازع في البقاء ﴿ الرابع ﴾ إن ما كان أتم وجودا وأقوى وأكل فهو الأصلح للبقاء وأما الأضعف فانه يحكم عليه بالقضاء . فالحيوانات والنباتات كلها سلسلة واحدة أعلاها مشتق من أدناها بالارتقاء . ومن ذلك أن الانسان مشتق من القرد وهو أعلى الحيوانات بمقتضى هذه القواعد . ولما كان الأكل هو الباقي ظهر الشره والطمع في عالم السياسة وأنشئت في أوروبا المملكات الحربية بناء على هذه النظرية وسيادة القوة الأسدية ونقضت اليهود وخرت الدم بين الأفراد في بلادنا . وما عجت لشيء عجبي منا معاشر الشرقيين كيف نقس مذهباً تقضه أهل أوروبا . وسيعترك الحجب حين أتوا عليك من آراء حكمائهم وبرا هين علمائهم ما يذيب هذا المذهب ويجعله هباء منثورا . إن آسف أشد الأسف . إن العقلة مستحكمة في أنحاء الشرق عند المتعلمين منهم . آمنوا بالمذهب البروني كاشروا الخرافات لأهل أوروبا ولم يعملوا بأنبياء العلماء هناك إذ أبطلوا ذلك المذهب بطلاناً تاماً كما بينوا أن الخرسام نافع حتى حرمته دولة أمريكا وأنكرته بلاد السويد والترويج . فالعزلازيون بشر بونه والاتحاد في الدين باق كان المذهب لم ينقضه أولو الألباب

﴿ فصل في نبد مما قاله العلماء في نقض هذا المذهب ﴾

(١) قال (جوستاف لوبون) : إن المادة ليست أبدية بل هي خاضعة للتأثيرات التي يقضي على جميع الكائنات البقاء . وهي مركبة من مجموعات شمسية مؤلفة من عناصر يدور بعضها حول بعض بسرعة عظيمة جدا وهي لا ترى ثابتة في حسان إلا بسبب تلك السرعة المفرطة . انتهى وأنت تعلم أن مذهب (داروين) مبني على المادة وهي أمه

(٢) قال الأستاذ (هنري بوانكاريه) العضو بالجمعية العلمية الفرنسية ﴿ إذا نظرنا في ناموس خاص أيا كان فانا نستطيع أن نؤكد أنه لا يمكن أن يكون إلا تقريبا لأنه مستنتج من تحقيقات تقريبية . وهذه التحقيقات لم تكن ولا يمكن أن تكون إلا تقريبية ﴾ . وقال الدكتور (ج . جيليه) : ﴿ إن النواميس يمكن أن تتغير بعرض من العوارض وأن يطل عملها أيضا ﴾ . أقول ولا جرم أن هذا من أكبر أساس مذهب (داروين) المبني على النواميس الطبيعية

(٣) قال الأستاذ (جوستاف جوليه) ﴿ إن العوامل التي ذكرها (داروين) تخرج عن تعليل ذلك الثابت التام لصفات الأصلية للأشياء التي تتكون حديثا وتخرج أيضا عن تعليل نشوء الإلهامات الجديدة فيها ﴾ وقد أثبت أن أنواعا جديدة لا تزال تخلق جديدا كما استراه

ثم قال الأستاذ (جوليه) ﴿ إن مذهب لامارك ومذهب (داروين) يستويان في التصور فاهما لا يفسران

التحول عن الحياة المائية الى الحياة الأرضية ولا التحول عن الحياة الأرضية الى الحياة الهوائية فكيف استطاع الحيوان الزاحف وهوسلف الصفوران يناسب البيئة التي ليست له ولا يمكن أن تكون له إلا بعد أن يتحول من صورة حيوان زاحف الى عصفور وكيف يستطيع أن تكون له حياة هوائية قبل أن تكون له أجنحة نافعة وأن مسألة الحشرة أشد استحالة . وهل هناك أى علاقة من جهة علم الحياة بين البودة وبين الحشرة الكاملة التي تنقلب اليها . إنها حشرة تعودت الحياة البودية تحت الأرض أوفى المياه فكيف تصل شيئاً فشيئاً الى إيجاد أجنحة لجسمها تصلح لحياة هوائية بعيدة عنها بل مجهولة لها ) انتهى باختصار

(٤) قال العلامة (دوفرى) (إن التحولات الفجائية هي القاعدة في عالمي الحيوان والنبات وقد أعلن هذه الحقيقة (جوفر) و (اسان هيلير) و (كوب) وثبت أن الظهور الفجائي للأنواع الكبيرة الرئيسية كالزواحف والطيور وذوات الثدي كان في الأراضي الجيولوجية ومتى ظهرت حصلت على صفاتها كاملة (٥) قال الدكتور (جوستاف جوليه) (إن الحشرة ظهرت من أقدم عهود الحياة الأرضية وثبتت أنواعها في جميع الأحوال فهي تناقض ما ذهبوا اليه من التحولات المستمرة البطيئة وتناقض التطور بفعل الفواعل الخارجية فانها تنقلب داخل الشرفة من حال البودية الى حشرة طائرة ولا تأثر كثر عليها من الخارج كما ان الهوة عميقة بين الحال الأولى وهي البودية والحال الثانية وهي حل الحشرة وهي هوة تضيق فيها كرامة جميع النظريات الدروينية واللاماركية فالخشرة أدت شهادة حسية ببطلان مذهب (داروين) كما أثبت بحجزه عن تفسير غرائزها الأولية السجبة المحيرة للعقل )

(٦) رأى (فون باير) في مذهب (داروين) وهو العلامة الألماني الكبير مؤسس علم الامير بولوجيا (علم الأجنسة) ومن أقطاب الفزيولوجيين والحفرين قال (إن للرأى القائل بأن النوع الانساني متولد من القردة السنيانية هو بلاشك أدخل رأى في الجنون قاله رجل على تاريخ الانسان ) (٧) قال العلامة (فبركو) الألماني من علماء (الانثروبولوجيا) أى (التاريخ الطبيعى للانسان) وكذلك العلامة (الانثروبولوجي) الفرنسي (دوكارفر فاج) يقولان ان القرابة في التاريخ الطبيعى للانسان من القرد منعملة . ان الانسان في العهد الحفرى الرابع وجد مشابها لنا كل المشابهة مع انه كان يجب أن يكون أقرب الى أسلافه القردة بل ان نقص الحلقة في رجال العصر الحاضر أو فرمها في تلك العصور . ثم قالان اننا نستطيع أن نعتبر ولادة الانسان من القرد أو من حيوان آخر من الامور العلمية

(٨) رأى العلامة (ايلي دوسيون) ذكر في كتابه (الله والعلم) في الطبعة الصادرة سنة ١٩١٢ م ما يأتى (ان الفرضين اللذين يقوم عليهما مذهب (داروين) هما الانتخاب الطبيعى وانتقال الصفات المكتسبة وقد أثبت (هربرت سبنسر) هدم الفرض الأول من أساسه . ونقص (ويدهمان) إمكان انتقال الصفات بطريق الوراثة . وبرهن على أن هذه المشاهدات المزعومة لا تقوم إلا على حكايات مختزعة ولا تعاقبها العلمية عن قيمة حكايات المرضعات )

(٩) قال الاستاذ (جورج بوهن) مدير معمل (البيولوجيا) و (البيسيكولوجيا) ما يأتى (إن نتائج كثير من المباحث البيولوجية والبيسيكولوجية الحيوانية قد ظهر بطلانها بسبب القيمة العظيمة التي كان أصحاب هذه المباحث يعطونها لنظرية الانتخاب الطبيعى )

(١٠) كتب العلامة (ادمون برينه) في مجلة (العالم الحى) سنة ١٩١٢ م قال (إن ثقة الاستاذ (جينو) بنظرية البيئية (الوسط الخارجى) ضعيفة جدا فان هذه اليبات على ما يقول لا تصلح لإيجاد أى تغيير درائى ثابت فالطيور المائية ترى متمتعة بأرجل ذات أصابع متصلة بغشاء فيظن أن هذه الأغشية قد أوجدتها نوع معيشتها ولكن الأمر على العكس من ذلك في مذهب السيو (جينو) فانه يقول بأنها

وجدت لها مقدما بدون تأثر من الخارج وأخذ (البط) يعوم لأنه وجد لنفسه أرجلا مغطاة تصلح للعوام. فهذه الحيوانات قد أعدت من قبل للعوام أى انها خلقت لتعوم قبل أن تستفيد تركيب أرجلها في العوم (١١) قال العلامة (بابوسج) الألماني (لم أجد واحدة من هذه المشاهدات تثبت انتقال الصفات بالوراثة) (١٢) قال الفزيولوجي الكبير (دوبواربند) (إذا أردنا أن نكون مخلصين وجب علينا أن نتعرف بأن وراثة الصفات المكتسبة قد اختلفت لمجرد تعليل الحوادث المراد تعليلها وأنها هي نفسها من المفترضا الغامضة)

(١٣) رأى (دائرة المعارف الكبرى الفرنسية) في مذهب (داروين) (إن النظرية البرونية لسوء الحظ محتلة من أساسها لأنها تفرض أن جميع الصفات النافعة حدثت بالمصادفة وبالتالى جميع الحيوانات حدثت على ما هي عليه اتفاقا (مصادفة) وهو فرض يلاشى المسألة نفسها) (١٤) قال الدكتور (ادورد هارتمان) (إن وجود هذا الرأى عند البرونيين (رأى عدم وجود القصد) هو من المسلمات التي لا يقوم عليها دليل ومن الأوهام التي لا أساس لها . وعلى ذلك بأن الطبيعة ذات نظام ميكانيكي ولا يمكن النظام بالقصد كما لا يمكن القصد بالنظام . وكل ما لا نظام له فهو مهمل في فوضى كالبرهان الهائجة والطبيعة التي يعلنون بها ليست كذلك)

(١٥) قال العلامة (لويز بوردو) مانصه (يجب أن يعترف بأن هنالك قصدا مقصودا وروحا مدبرة لأنه بدون ذلك تفقد وحدة المجموع رابطتها فان قصد يظهر في تلازم الحوادث ويثبت به) (١٦) رأى الاستاذ (فون باير) الألماني في القصد قال (إذا كانوا يملكون الآن بصوت جهورى بأنه لا قصد في الطبيعة وأن السكون لا يعوزه إلا ضرورات عجيبة فأنا أعتقد أن من واجباتي أن أعلن عقيدتي في ذلك وهي انى على العكس أرى جميع هذه الضرورات تؤدى الى أغراض سامية)

(١٧) قال (كاميل فالمريون) (إن درس الوجود يجعلنا ندرك أن له نظاما مقمرا وغاية دفع بها اليها وأن المقصود بهما ساكن هذا الكوكب وحده وانهما يتعاليان عن أن نلجأ في حقارتنا . إن التبصر الذي يظهر في النباتات والحشرات والطيور الخ وهي غافلة عنه مما يقصد به حفظ ذرياتها وامتحان المشاهدات في التاريخ الطبيعى يستنتج منها أن في الطبيعة عقلا مدبرا)

(١٨) قال العلامة (لوجيل الفرنسى) مانصه (انه لصق فلسفة عالية أن تعتبر كل القوى صادرة من قوة أولية أبدية واجبة الوجود مصدر كل حركة ومركز كل عمل) (١٩) في دائرة معارف القرن العشرين الفرنسية ما نصه (ان لكل من الكائنات المتنوعة للطبيعة الحية غاية وضع لأجلها ومركزا يدور عليها)

(٢٠) قال الاستاذ (ميلن ادوارد) في جامعة السريون بفرنسا (إن الحيوان المسمى (اكسيوكوب) من المغيرات للافكر . ان هذا الحيوان يرى طائرا في الربيع منفردا ويعيش ويموت بعد أن يبيض مباشرة فلم ير صفارها أمهاتها ولا تعبش حتى ترى أولادها الآتية يخرجون دودا يعيش ستة في مسكن مقفل وهدوء تام فترى الأم متى حان وقت يبيضها تعمد الى قطعة من الخشب فتحفر فيها سردابا طويلا فإذا أتمته على ما ينبغي أخذت في جلب ذخيرة تكفي صفارها سنة وهي طلع الأزهار وبعض الأوراق السكرية فتعشوها في قاع السرداب ثم تضع بيضة وتأتى بنشارة الخشب تكوّن منها بحجة تجعلها سقفا على تلك البيضة ثم تأتى بذخيرة جديدة تضعها فوق ذلك السقف ثم تضع بيضة أخرى وهكذا فتبنى بيتها مكونا من جلة طبقات ثم تترك الجميع وتموت ثم قال يدهش الانسان حين يرى جلال هذه المشاهدات المتكررة رجال يدعون لك أن هذه الهجاب نتائج للمصادفة وأن إلهامات الخلل مثل أسمى مدركات الانسان نتيجة عمل الطبيعة من تجمد الماء واحتراق الفحم

وسقوط الأجسام - إن هذه الفروض الباطلة بل هذه الأضاليل العقلية التي يدترونها باسم العلم الحسى قد دحضها العلم الصحيح دحضا تاما فان الطبيعى لا يستطیع أن يعتقد بها أبدا . وإذا أطلت الانسان على وكر من أوكار بعض الحشرات الضعيفة يسمع بغاية الجلاء والوضوح صوت العناية الإلهية ترشد مخلوقاتها الى أصول أعمالها اليومية ﴿ انتهى كلام العلامة (ادوارد) ملخصا

وهذا عجب عجاب . كيف كان مذهب (داروين) فى الغرب قد أصبح كشيا مهيلا وهباء منشورا وقولا هراء ولغو الحديث وكلام الرضعات وخرافات الجبائز وأساطير الأولين كما عبر عنه علماءهم بذلك وهو فى بلادنا المصرية وفى البلاد الشرقية معتمد عليه موثوق به فهو الحجة القائمة عندهم على دحض جميع الاطيات والنبوات . ترى الرجل يتبع عجايبه انه أعلم العلماء وأعظم المفكرين فاذا تحققته علمت انه يدعى العلم بمذهب (داروين) على أن أكثر هؤلاء لا يعلمونه مع بطلانه . إن العلم الناقص ضلال مبین فإما علم تام ولا فلا - وإن قطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الفتن وإن هم إلا يخبرون -

فلما سمع ذلك صاحى . قال لقد كثرت الدعاوى فى المجالس فلا أسمع إلا انهم يقولون (فلان فيلسوف يتعالى عن الديانات ويتعاطف على أداء الصلوات اكشف بما علم من الطبيعيات ومادرس من الرياضيات) أما الآن فاني اذا قابلت أحدهم أقول له \* أطرق كرا إن النعام فى القرى \* ثم أقول ففض الطرف إنك من نمير \* فلا كعبا بلغت ولا كلابا

ولقد تمادى الناس فى تسمية كل متطع فى كلامه متفهب فى حديثه انه فيلسوف فعرفت الآن أن هذا كله حديث خرافة وقد تمادوا فى طغيانهم يعمهون حتى سمو ضلالة وجهالة كل مكذب للديانات مكذب بالروحى فيلسوفا حتى إن أحدهم سأل فى ﴿ مجلة المقتطف ﴾ هذا السؤال (هل المعلن يسمى عبقرى) فأجابه . كلا بل المدار على التبوغ العلمى فكأن هذا الجاهل ظن أن انكار الأنبياء كاف فى التبوغ أو الفلسفة وهذا غاية الحق والجهالة وما أسهل الكفر وبالتالى ما أسهل الفلسفة فليجلس المرء على كرسىه وليقذف كلمات الاستزاء والازدراء من لسانه وليصب جام غضبه على علماء الدين والأنبياء والمرسلين وليكرها صباحا ومساء ثم ليشر بأن اسمه يكتب فى ديوان الحكماء المفكرين والأسانذة المحنكين والعقلاء المجريين والنظار العبقريين ولامدرسة ولا تعلم بل يأتيه العلم هنيئا مريئا فيكون بطلا وبالسحابة شجاعا وبالعابوة نابعة فأف وف لقوم لا يفقهون صم بكهم عجمي فهم لا يرجعون

### ﴿ فصل فى ذم المتفلسفين والمتبذلين والمغلغلين ﴾

ولما جاء صاحي فى اليوم التالى قال هل كان المتفلسمون فى الأعصر الفائرة مبتلين بأمثال هؤلاء المتفلسفة فقلت نعم قال العلامة محمد بن عمر الرازى فى شرحه على الاشارات للرئيس ابن سينا صفحة (٤٧٣) ماضه ﴿ العوام حتى لجزمهم بالنبوت لا لدلالة هؤلاء التفلسفة حتى أيضا لجزمهم بالثنى لا لدلالة بل الحق الأول أقرب الى السلامة من الحق الثانى لأن الأول بوجب الاثبات لأنبياء والشرائع وذلك سبب للنظام فى الدنيا والسعادة بوجه تام فى الآخرة ﴾ الى أن قال ﴿ وأما الحق الثانى فهو سبب الفساد والخساعة والشر فى الدنيا والشقاوة فى الآخرة . فالأحق الأول جاهل سليم والأحق الثانى شيطان رجيم . ثم قال والغرض من هذا الفصل منع لقاء هذا الكتاب وما يجرى مجراه من العلوم النفيسة فى أبهى اقوام مخصوصين . فالأول الجاهل المتبذل المستخف بالعلم كما قيل \* ومن منح الجهال علما أضاعه \* والثانى البليد الذى لا يفهم فانه لا يقف على الحقيقة فر بما صار سببا لخروجه عن رتبة الشرائع وصار أشقى الأشقياء والثالث المقلدة فانهم لا ينتفعون بثنى من العلوم وإن كانوا فى غاية الذكاء لأن جهلهم المفرط لما عليهم من المذاهب يعمهم ويصممهم عن الوقوف على الحق وأحسن الناس وأرؤسهم هؤلاء المتفلسفة فانهم ينظرون الى أصحاب الشرائع والأديان

بعين الاستخفاف مع كونهم أحسن الناس درجة وأرذلهم مرتبة واستحقاقهم اللعن في الدنيا والعذاب في الآخرة) انتهى

هذا شرح الامام الرازي لفقرتين من كلام الامام الرئيس (ابن سينا) وهما آخر الكتاب موصيا قارى كتابه أن يصون العلم عن هؤلاء وهذا تفصيل ما أجله الرئيس وهو منطبق على متسلسلة هذا الزمان انتهى تفسير المقصد الأول من (سورة المؤمنون)

### ( المَقْصِدُ الثَّانِي )

وَأَقْدَأَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ \* فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ \* إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ يَدْعِيهِ جَنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ \* قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُون \* فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا ووَحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تَحْطِطْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعَذِّبُونَ \* فَلَمَّا اسْتَوْثَقَتْ أَنْتَ وَمَنْ مَّتَكَ عَلَى الْفُلْكَ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ \* وَقُلْ رَبِّ أُنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ \* إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ \* ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ \* فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ \* وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا الْآخِرَةِ وَأَنْزَلْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ \* وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا خَلَسْتُمْ عَنْ أَنْفُسِكُمْ إِذَا مِثُّكُمْ إِذَا مِثُّكُمْ وَكُنْتُمْ ثَرْبًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ تُخْرِجُونَ \* هَٰئِلَاتِ هَٰئِلَاتِ لِمَا تُوعَدُونَ \* إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ \* إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ \* قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُون \* قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِّیُصْبِحَنَّ نَادِمِينَ \* فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبَعَدَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ \* ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ \* مَا تَسْبِيحُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ \* ثُمَّ أَرْسَلْنَا نُوحًا تَتَرَا كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةٌ رَسُولَهَا كَذَّبُوهُ فَأَتَيْنَاهُمَا بِبَعْضِهِمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعَدَ الْقَوْمِ لَا يُؤْمِنُونَ \* ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ

وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ \* إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ \*  
فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ بِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ \* فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ \*  
وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ \* وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى  
رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ \*

### التفسير اللفظي

قال تعالى (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال) لهم (يا قوم اعبدوا الله) وحدوا الله (مالككم من إله غيره) مالككم معبود سواه (أفلا تتقون) أى أفلا تخافون عقابه اذا عبيتم غيره (فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم) يطلب الفضل عليكم ويسودكم (ولواشاه الله) أن يرسل رسولا (الأزل ملائكة) بأبلغ الوحي (ماسمعا بهذا) الذى يدعون الىه نوح (فى آياتنا الأولين) \*  
إن هو) ماهو يعنون نوحا (الارجل به جنة) جنون (فتر بصوا به) انتظروا (حتى حين) الى حين يموت (قال) نوح (رب انصرنى) أعنى بالعذاب واهلاكهم (بما كذبون) بالرسالة (فأوحينا اليه) أرسلنا اليه جبريل (أن اصنع الفلك) أى أن خذ فى صنع السفينة (بأعيننا) بمنظرنا (ووحينا) أمرنا وتعليمنا إياك صنعها (فأذا جاء أمرنا) بالركوب أوزول العذاب (وفارالتور) أى طلع الفجر أوبع الماء من التور وهو وجه الأرض أوأشرف موضع فيها (فاسلك فيها) فأدخل فيها من كل أمى الذكر والأنثى واحدين مزدوجين أو من كل بالثوبين أى من كل نوع زوجين واثنين للتأكيد لأن زوجين مفردة زوج والزوج هو الفرد الذى له مقابل مقارن له . ويقال للزوج الذى هو ذكر فرد وللزوج الذى هو أنثى فرد وهذا قوله (من كل زوجين اثنين) وقوله (وأهلك) أى وأهل بيتك أوومن آمن معك (الامن سبق عليه القول منهم) أى القول من الله باهلاكه للكفرة . ويقال سبق عليه فى الشر وسبق له فى الخير (ولا تخاطبني فى الذين ظلموا) بالدعاء لهم بالانجاء (لأنهم مغروقون) لاجالة لظلمهم بالاشراك والمعاصى (فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين) \* وقل رب أنزلنى فى السفينة أوفى الأرض (منزلا مباركا) بالنجاة من الفرق وكثرة النسل (وأنت خير المنزلين) فان الله يحفظ ويكلم من ينزل عليه النعم ولكن غيره ينزل النعم وليس قدبرا على حفظ من أنزلها عليه (إن فى ذلك) الذى ذكر من أمر نوح والسفينة واهلاك أعداء الله ونجاة أوليائه (آيات) دلالات على قدرتنا (وان كنا لملتبين) أى وانه أى الحال والشان كنا لخالج والالام هى الفارقة أى واننا كنا متمتعين عبادنا بهذه الآيات (ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) هم عاد وثمود (فأرسلنا فيهم رسولا منهم) يعنى هوذا وصالحا (أن اعبدوا الله مالككم من إله غيره) أى قلنا لهم على لسان الرسول - اعبدوا الله - الخ (أفلا تتقون) عذاب الله (وقال الملأ) الاشراف (من قومه الذين كفروا وكذبوا بآلاءه) بآلاء الآخرة) بقاء ما فيها من الثواب والعقاب (وأترفاهم) نعمناهم (فى الحياة الدنيا) بكثرة الأموال والأولاد (ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) أى من مشربكم (ولئن أطعتم بشرا مثلكم) فيما يأمركم به (لأنكم إذن لخاسرون) حيث أدللتم أنفسكم وجواب القسم هو المذكور دل على جواب الشرط المحذوف (أبعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما) مجردة من اللحم والأعصاب (أنكم مخرجون) من الأجداث أو من العدم الى الوجود وأنكم تكرر للأول تأكيذا (هيهات هيهات) بعد التصديق وقوله (لما توعدون) اللام للبيان كما تقول هيت لك فهيت أى تهيأت فيقال لماذا فيجواب

لك وهنا يقال بعد بعد فيقال لماذا هذا فيقال لما توعدون ويقال هيات أى بعد وهو مبتدأ خبره - لما توعدون - (إن هي إلا حياتنا الدنيا) أى ما الحياة إلا حياتنا الدنيا فإن معنى ما (توت ونحيا) يموت بعضنا ويربوا بعضنا (وما نحن بموعدين) بعد الموت (إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا) فبما يدعيه من إرساله وفيما يدعي (وما نحن له بمؤمنين) بمصدقين (قال رب انصرني) عليهم وانتقم لي منهم (بما كذبون) بسبب تكذيبهم إياي (قال عما قليل) عن زمان قليل ومأصلة لتأكيد معنى القلة (ليصبحن نادمين) على التكذيب إذا عاينوا العذاب (فأخذتهم الصيحة بالحق) صيحة جبريل صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فيكون القوم قوم صالح . ويقال المراد بالصيحة الهلاك فيكون ماقلناه هو مايشمل قوم هود وقوم صالح (فجعلناهم غثاء) هو ما يحمله السيل من حشيش وعيدان وشجر والمعنى صيرناهم هلكى (فبعدا) مصدر بعد أى هلك منصوب بفعل محذوف واللام لبيان من دعى عليه (للقوم الظالمين) \* ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين) قوم لوط وشعيب وغيرهم (ماتسبق من أمة أجلها وما يستأخرون) الأجل (ثم أرسلنا رسلنا تدرى) متواترين واحدا بعد آخر من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو وهو إما مصدر وقع حالا أى متواترين أو الألف للتأنيث لأن الرسل جماعة (كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا) فى الاهلاك (وجعلناهم أحماد) لم يبق منهم إلا حكايات يسمر بها وهم اسم جمع للحديث أوجع لأحدونة (فبعدا) لقوم لا يؤمنون \* ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بأيتنا وسلطان مبين) وحجة واضحة مفرقة للخصم والآيات هى الحجج العقلية والسلطان المبين هى العصا واليد ونحوها والعصا انقلبت حية وبها انقلى البحر وتفتحت العيون وابتلعت سحرا الساحرين حين صارت حية وصارت أيضا شجرة ثمرة ورشاه ودلوا وقد تقدم سرت ذلك فلانكن واقفا عند هذا الحد (الى فرعون وملائته فاستكبروا) عن الايمان والتابعة (وكانوا قوما عاقلين) متكبرين (فقالوا أنؤمن لبشرين مثلن) ففى البشر لأنه يكون واحدا وجعا (وقومهما) أى بنو اسرائيل (لنا عابدون) خاضعون مطيعون وكل من دان لملك فهو عابده له (فكذبوها ففكنا من المهلكين) بالفرق (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (لعلهم) لعل بنى اسرائيل (يهتدون) الى المعارف والأحكام (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) أى دلالة على قدرتنا لأنها ولدت من غير مسيس فالآية جاءت بهما معا (وآتيناهما الى ربوة) الربوة المكان المرتفع ولا يعلم أى هو أ فلسطين أم مصر أم أرض بيت المقدس (ذات قرار) مستقر من أرض منبسطة أودات ثمار وزروع لأن أهلها يستقرون فيها (ومعين) ماء معين ظاهر جار . يقال معن الماء اذا جرى فآوهم جامع لأسباب التزء والتعيم ويقال معين أى معين اسم مفعول من عانه اذا أدركه بعينه لأنه لما ظهر على وجه الأرض أدركته العيون فهو إما صفة مشبهة على الأول وأما اسم مفعول على الثانى هذا هو آخر المقصد الثانى . ولتحقق به من المقصد الثالث بعض آيات لاطهار نتيجة ما تقدم قال تعالى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم) هذا خطاب عام لجميع الرسل ومنهم سيدنا محمد ﷺ خاطب كل نبي وحده بهذا الخطاب وجاء لحاتمهم الذى أرسل لجميع أهل الأرض وقد دخل فى دينه فعلا من جميع الأديان من البوذيين والمسيحيين واليهود والمجوس . فاذن هو مخاطب سيدنا محمد ﷺ ونحن معه والخطاب لأن لنا نحن أى أهل مصر وسوريا وبلاد الفرس والترك ومسمى الصين والهند وجزائر الهند الشرقية بل أقول أيها المسلمون اسمعوا قد خاطبكم الله بما خاطب به الأنبياء يقول لكم أيها المسلمون فى جميع الأقطار - كلوا من الطيبات - أى الحلال الصالح القوام . فالحلال ما لا يعصى الله فيه والصالح ما لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل - واعملوا صالحا - فانه النافع عند ربكم - إني بما تعملون عليم - فأجاز بكم (وإن هذه أمتكم أمة واحدة) ملتكم ملة واحدة أى متحدة فى العقائد وأصول الشرائع وأمة منصوب على الحال (وأنار بكم فانقون) فى شق العصا ومخالفة الكلمة (فقطعوا أمرهم بينهم) أى قطعوا أمر دينهم (زبرا)

قطعا جمع زورأى تفرقوا وتحزبوا فرقا فلزبور بمعنى الفوقه \* وقرئ - زبرا - بضم ففتح جمع زبرة أى قطعوا أمرهم بينهم حال كونه قطعا (كل حزب بما لديهم فرحون) محبون معتقدون انهم على الحق (فدرهم في غمرتهم) في جهالتهم شبهها بالماء الذى يضر القائمة لأنهم مغمورون فيها (حتى حين) أى الى أن يموتوا ولتقف هنا

ولعلك تقول كيف تقول ان الله خاطبنا نحن الآن مع انه خاطب الأنبياء . أقول لك الأنبياء الآن عند ربهم بل سيدنا محمد ﷺ بل أصحابه وتابعوه والقرآن يقرأ لنا وما دام المسلم يقرأ قولا ولا يجحد انه موجه له لا ينفعه وان أردت إلا نص النبوة فهالك الحديث \* روى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال ﴿ إِنْ أَلِهَ تَعَالَى طَبِيبًا لَيَقْبِلَنَّ الْإِطْيَاءُ وَإِنَّ اللَّهَ أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَهُ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ - يَا أَيُّهَا الرَّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ - وَقَالَ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ - ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَأْرِبُ يَأْرِبُ وَمُطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمُشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغِذَى بَيْتِهِ حَرَامٌ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ ﴾ أخرجه مسلم . ولقد تقدم الكلام على هذه الآية قربا في (سورة الأنبياء) وأن الله أعرض عنهم كانه يخاطب غيرهم لما تفرقوا . خاطب الله أئمتنا بنص الحديث أن نأكل حلالا ونخاطبها فوق ذلك أن نتعد وجهتها وأعرض عنها قائلا - فقطعوا أمرهم بينهم - قطعا وتفرقوا جاعات وأصبح كل فريق محبا بنفسه فرحا بما عنده من المال والرجال . خوطب الأنبياء بذلك وأخبرنا الحديث بأننا خوطبنا بما خوطب به الأنبياء فأتباع الأنبياء تفرقوا مع ان الدين واحد والله تعالى أرسل محمدا في آخر الزمان بنى على القوم يقول يا أتباع الأنبياء أين عقولكم أين أخلاقكم يا أيها الجهال الغافلون أنا أرسلت رسلي اليكم فأنتم لا تتفكرون . أرسلت عيسى . أرسلت موسى . أرسلت فلانا . أرسلت فلانا وقصدت بذلك هدايتكم فأتيتكم جعلتم أنبياءكم محل الشقاق ومحل الخلاف ومثار النزاع . ولم هذا . وهل اختلاف الشرائع مع اتحاد الاصول ينافي المودة والمحبة . ما أشأمكم يا بني آدم . ندع هذا وننظر فأنتم يا أتباع محمد مالمكم أيضا كيف تفرقتم أحزابا . وهل مذهب الشافعي ومالك وابن حنبل ومذهب الزيدية والشيعة والسنوية وغيرهم وتفرق الطرق الصوفية واتباع زيد وعمر ومن هؤلاء الشيوخ وأتباع بعض آل البيت من الرؤساء في الممالك المختلفة . هل شئ من هذا يفرق العقيدة فيالجهالة العمياء وكيف يكون هذا سبب التفرقة وهل تغير الدين وهل تغير القرآن وهل تغيرت القبلة وهل تغير الرأب وهل حصل اشراك . كلا . ثم كلا . واذا كنت أعيب على الأمم المختلفة الأديان أن تتناذب فيها أناذأ أعيب عليكم أيها المسلمون تناذبكم وأنتم أهل دين واحد . نعم أيها المسلمون قل المصلحون ينسبكم وكثير من الرؤساء لا يريدون منكم إلا خبزكم وأكل أموالكم بلامقابل . ليقم في الاسلام مرشدون . ليقم في الاسلام علماء مصلحون . ليقم فيكم محدثون يقولون لكم . لماذا التخاذل . الدين واحد . هلاقرأتم أول هذه السورة . ألم تنظروا كيف ذكرنا فيها أولا علم الأخلاق وعلم العبادات ثم نبينا بعلم التشريع وعلم النفس وعلم الطبيعة . كل هذه تذكرة بأعمالي وجمالي وحكمتي في خليقتي . كل هذه تذكرة لكم أيها المسلمون انظروا في هذه العوالم . انظروا في جبالها . انظروا في الشمس والمشرقات والكواكب الساطعات والنجوم البازغات والطرائق المدورات والأقمار الباهرات وتأملوا في الثواب البديعة وكيف كانت المجرة والمجرات وراءها قد تجلت فيها آلاف الآلاف مما لا تحصونه عدا . كل هذا وضعه وزينته به سبحانه . وهلا نظرتم ذلك السحاب الجميب والهواء اللطيف وضوء الشمس الجليل ووجه الأرض المطيع الذى كسوته الجلايب السندسية والأشجار الطرية والأزهار البهية والأثمار الجنية وجعلت من ذلك الغذاء وخلقت منها الدواب وكسبت في بعضه الفناء وفي بعضه الداء ولوته ألوانا وجعلته أفنانا وهكذا الحيوان اختلف صفرا وكبرا ولونا وقسرا وشكلا وبرأ وعجرا وهوا



هذا هو الذي أنزلته عليكم في هذه السورة وكرهته لكم في أكثر من سورة . هذا هو النظر العقلي والعلم الاسلامي والعالم العقلي والحكمة الاشرافية والآيات الربانية والعبر الصمدانية والبدائع الاسلامية فهل أنتم ناظرون وهل أنتم تعقلون

أيها المسلمون . أتدرون لم تخاذلتم ولم تقاتلتم ولم اجتماع الناس واقتربتم لأنكم جهلاء جهلاء . حقا جهلاء جهلاء لا يطاق . أيها المسلمون . الجهل قد خيم فوق ربوعكم وضرب أطنابه بين طهرانيكم وعشش في مصر والشام والحجاز والعراق واليمن والمند والصين وشمال افريقيا . لماذا ، لأنكم فرطتم في كتاب ربكم فرطتم في دينكم . ظننتم أن الدين ليس فيه شيء سوى مسائل القضاء والعبادات فتركتم الأخلاق ظهرياً وعلوم هذه العوالم . فالأخلاق جعلتها في أكثر من (٧٥٠) آية وهكذا علم التوحيد وعلم جلاله وجلالي جعلته في نحو (٧٥٠) آية وبقية الكتاب وهو ستة آلاف آية بنحو منحي هذين القسمين . وأنتم ما فكرتم إلا في مائة وخمسين آية وهي آيات الأحكام فمنعتم نوم الجاهلية وظن كل فريق أن الهبة اختصت به . أنتم حصرتم عقولكم في قليل من الدين ولو أنكم قرأتم هذه العلوم العصرية والآيات الربانية لرأيتم انكم على شريعة واحدة وآية قيمة ففراة السموات من دينكم وقراءة الأرض من دينكم وقراءة النبات والحيوان والتشريع من دينكم وقراءة علوم النفس من دينكم وقراءة سير الأمم وأخلاقها قديماً وحديثاً من دينكم . هذا هو دين الاسلام فلم ينزل الله هذه السورة بلا فائدة وهي المسماة ﴿سورة المؤمنين﴾ فلذلك جعل الايمان فيها كاملاً فتي عرفتم هذه العلوم فتفتحت بصائرهم فأيقنتم انه دين واحد فتصالحتم . عجبا لكم يا أئمة الاسلام بل ألف عجب لكم . كيف ترون الأمم المسيحية قد اتحدت عليكم والخلاف في دينهم ودنياهم شديد ثم أنتم مع اقتراب دياركم واتحاد دينكم تتنازبون وتخصمون . ألف لكم أفلا تعقلون . ألف لعالم لا ينصح وجاهل لا ينتم . حرام على علماء الاسلام أن يتركوا العلوم الكونية . حرام عليهم أن يحرموا الأمة من جلال دينها وأصول شرعها ومجانب ربه . حرام على أمة الاسلام أن تبقى متأخرة عن الأمم وهي التي جعلت رجة العالمين وكيف تكون رجة لهم وهم أعلم منها وهي الآن أجهل الأمم . إن العذاب واقع على كل عالم وعلى كل أمير وعلى كل ذي جاه وعلى كل ذي قدرة اذا هم لم يذيعوا ما نقوله ويقولوه أمثالنا في أئمة الاسلام . فليشروا هذه المبادئ والافان أوروبا لهم بالمرصاد وعين الله لانتم وسينتقم الله من المقصرين والغافلين وماله بغافل عما تعملون وهو الغفور الرحيم وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وهنا ﴿ ثلاث جل ﴾

(١) في مناسبة هذه السورة لما قبلها

(٢) وفي ايصاح الطرق التعليمية للأئمة الاسلامية

(٣) وفي بيان قوله تعالى - وان هذه أممكم أئمة واحدة وأنا ربكم فاتقون -

(١) ﴿ مناسبة هذه السورة لما قبلها ﴾

إن هذه السورة جاءت عقب سورة الحج لأن (سورة الحج) جاء فيها البعث والجهاد الخي . بهذه لتتبع القول أي لذكر الخصال التي بها يكون الانسان كاملاً منعوتاً بلفظ المؤمنين واللكمال وسيت السورة بالمؤمنون ثم وصفهم بصفات العبادة والأخلاق ودرس العلم والحكمة . وأيضاً ابتدأ (سورة الحج) بذكر علم التشريع استدلالاً على البعث وذكره هنا لترقية العقول البشرية مع البعث فهناك استدلال وهنا تكميل

ذكر الله في أول السورة فلاح المؤمنين وأتبعه بذكر الصلاة والخشوع فيها ونرى الحديث يحثنا على أن لا نرفع أبصارنا في الصلاة وأن نعبد الله كأننا نراه وأن تفكر في القراءة . ويقول العلماء ببنى أن لا تفكر في شيء وقت الصلاة إلا في هذا ثم تفكر في هذه الصلاة فتجد ماذا تجتهد فيها أي الصلاة تفسير لسورة المؤمنين ثم تفسير لها . ألم تراؤا إلى قول القارئ . الحمد لله رب العالمين - فانه ذكر العالم بمجلا كنهه وانه وسعه كله

بأرجة وإلى قوله - إياك نعبد وإياك نستعين \* اهتدنا الصراط - الخ فإنا نستعين بالله أن يهدينا الصراط  
الذي لا موعج فيه وهو صراط المنعم عليهم غير المغضوب عليهم . ولما كان قوله - العالين - مجعلاً غير مفصل  
شرع بقضائه بعض التفصيل في الركوع فيقول المصلي ﴿ خضع لك سمي و بصري ومخي وعظمي وعصي ﴾  
أليس هذا التفصيل هو المذكور في هذه السورة أي أليس هذا هو علم التشريع الذي جاء فيها إذ قال - ولقد  
خلقنا الإنسان من سلاله من طين - الخ يقول الله في هذه السورة - قد أفلح المؤمنون - وذكر خشوعهم  
في الصلاة وأنعمها بصفات ثم ختم الصفات بنفس الصلاة بعد أن وصفهم بأنهم حافظون للفروج لبقاء النسل  
وكرثته وحفظ الأمانة ليعيشوا عيشة هنيئة ويحبوا بعضهم بأنهم يتفوقون للمال الفاضل عن حاجتهم كما يذيعون  
العلوم بفعل الصلاة في أول الصفات وفي الآخر إشارة إلى أن في الصلاة ما به يكون المؤمن كاملاً . وأعقب ذلك  
بعلم التشريع الذي يخاطب به المسلم ربه في ركوعه . وذكر بعد التشريع في هذه السورة علم الفلك كطرائق  
النجوم التي يعرفها علماء العصر الحاضر القائلون ﴿ إن العالم الذي نعيش فيه هو الأثير المائي للقضاء وفيه طرائق  
النجوم وهي المدارات ﴾ وهو تصريح بعلم كان مجهولاً عند الأمم قديماً فظهر في هذه السورة كما ظهر في العالم  
الإنساني أن النجوم لها طرائق في بحر الأثير . وأبان سبحانه أنه غير غافل عن خلقه وأنعمه بعلم النبات  
والحيوان وهذا بعينه هو ما يقوله المسلم بعد الركوع فهو في الركوع يدرس علم نفسه لأنه مطأطئ رأسه فإذا رفعها  
إلى أعلى قال ﴿ ربنا لك الحمد ﴾ فهو كما يقول - الحمد لله رب العالمين - في قراءة الفاتحة يقول هنا مقسراً  
لذلك ﴿ ملّ السموات وملّ الأرض وملّ ما بينهما وملّ ما شئت من شيء بعد ﴾ هذا هو الذي يقوله المسلم بعد  
الرفع من الركوع أي يرفع رأسه فيخاطب ربه بأن جدي لك على قدر علمي بالسموات والأرض وما بينهما  
وهذا هو الذي ذكر في هذه السورة بعد علم التشريع الذي يتبعه علم النفس والفلك والنبات والحيوان والأرض  
هي العلوم التي يخاطب المسلم بها ربه . فأما الاكتفاء بالسموات والأرض وما بينهما بدون علم بها فهو كما  
يكتفي الحمار بنظره البصري وكما يقرأ العامة هذه الطبيعة بعيونهم . وإذا أتبع الله ذلك كله بذكر قصص  
الأنبياء إجمالاً وذكر بعضهم تفصيلاً فذلك تفسير لقوله - اهتدنا الصراط المستقيم - والاصراط مستقيماً إلا ما كان  
عليه نبينا والنبون وهم المنعم عليهم . فيأجبا . هل المنعم عليهم نعماً دينوية وأخرية يكونون مجهولين عندنا  
ونحن نهتدي بهم وإلّا لهداية لطرفهم إلا بمعرفتها فلم يقل المسلمون - صراط الذين أنعمت عليهم - لمجرد  
اللفظ . والنعم ﴿ قسبان ﴾ دينوية وأخرية ولا أخروية إلا بعد الدينوية . ومستحيل أن تكون آخرة إلا  
بعد الدنيا . وإن شئت برهاناً فلا سمعك ما جاء في تفسير (سورة البقرة) عند قوله تعالى - ربنا آتانا في  
الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار - إذ ورد أن هذا كان دعاء نبينا ﷺ وأنه ﷺ لما رأى  
رجلاً قد ضعف من المرض سأله قائلاً هل كنت تدعوا الله قال نعم كنت أقول اللهم إن كنت تريد معاقبتي في  
الآخرة فعاقبني في الدنيا فأمره أن يدعو بهذا الدعاء - ربنا آتانا في الدنيا حسنة - الخ فدعا الله فشفي من  
المرض . وقد فسر العلماء الحسنة في الدنيا بجميع النعم من صحة ومال وراحة قلب وولد وهكذا حتى قالوا « إن  
الإنسان بلا طمأنينة في الدنيا لإعادة له »

فن هنا عرفنا النعم وإنما دينوية وأخرية ولا أخروية إلا بعد الدينوية . فإذا قال الله - الذين أنعمت  
عليهم - فلنفس كل علم يوصل إلى دنيا وكل علم يوصل إلى الآخرة لذلك ذكر الله هنا الأنبياء . وقد تقدم  
تفصيل الأنبياء في (سورة الأنبياء) وقد عرفت هناك العلوم الدينوية التي أنعم الله عليهم بها . ولعمرك ما  
هذا إلا فتح باب لذكر أننا بدين والنابئين والكاشفين وعلماء الأمم أجعين بحيث ندرسهم أي أننا ندرس كل  
نعمة دينوية وكل نعمة أخروية . ندرسها لتتناول نفس النعمة الدينوية والأخروية . فإذا قرأنا - ولقد خلقنا  
الإنسان من سلاله من طين - فها هنا أننا ندرس علم التشريع كأن ندرس علم النفس واذن نكون فهمنا ﴿ خضع

لك سمى و بصرى في ركوعنا . واذا قرأنا - ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق - فمضى هذا دراسة العلوم المذكورة واذن نكون درسنا قول المصلى ﴿ ربنا لك الحمد ﴾ وكان ذلك تفصيلا لقولنا في الصلاة - الحمد لله رب العالمين - واذا قرأنا - اهكذا الصراط المستقيم - وذكرنا النعم عليهم والمغضوب عليهم فعنه دراسة الأنبياء الذين شرحنا علومهم في سورتهم ودراسة كل نعمة في الدنيا ونعمة علمية للعقول وارقتها أي علوم الآخرة هذا هو المقصود من ذلك واذن نكون درسنا بقية ﴿ سورة المؤمنون ﴾ التي ذكرت هؤلاء الأنبياء وشرحت النعم عليهم والمغضوب عليهم المذكورين في الفاتحة هذا هو معنى المؤمنون ومعنى خشوعهم في الصلاة تخشوعهم في الصلاة ليتفكروا ومتى تفكروا عقلوا مافى الصلاة ومافى الصلاة هو نفس مافى هذه السورة علوم تشريعية وعلوم نفسية وعلوم فلسفية وعلوم نباتية وعلوم حيوانية وعلوم طبيعية وعلوم كيميائية وعلوم رياضية لأنه لا يمكن دراسة ما ذكر من هذه العلوم الطبيعية ولا الفلسفية ولا علم التشريع الذى هو منها إلا بعد التضرع من العلوم الرياضية . هذا هو دين الاسلام وما عاده جهل وغرور وندامة

هاأنا قد بينت ماوجب على وأنت أيها الذكى مسؤول عن نفسك وعن أمكتك . أنت مسؤول بين يدى الله تعالى . بين لأمتك ماسمعت وتصرف بعقلك وفكرت في أمرهم فلاسعادة لك في دنياك ولا في آخرتك إلا بسعادتهم ولذلك أسمعك تقول - إياك نعبد - فالعبادة مشتركة ونحن كلنا لابد أن نعبد معا وهكذا أسمعك تقول ﴿ السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ وأسمعك تقول ﴿ اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ﴾ فأنت في صلاتك تدعو لنبينا ﷺ ولأمته وتسلم عليه وعلى أمته وتضم الأم التي تبعته ابراهيم . فأنت في صلاتك مع هؤلاء جميعا بل أنت في صلاتك مع أعظم من ذلك فأنك تقول ﴿ وعلى عباد الله الصالحين ﴾ والصالحون أهم من المسلمين ومن أمة ابراهيم بل هم كل صالح من كل أمة بل كل الملائكة بل وكل ملك في كل سماء وأرض . هذا هو الذى تدعوه في صلاتك فأنت لست وحدك لافى الدنيا ولا فى الآخرة فاسع لارتقاء أمة الاسلام على الأقل وبلغهم ماسمعت الآن واسلك طريقا رآه لهم نافعا والله هو الهادى الى سواء الصراط ﴿ طرق علم التوحيد ﴾

هاأنت ذا قرأت علوم الاسلام في سورة المؤمنون وفي الصلاة وعرفت أن (سورة المؤمنون) قد فسرتها الصلاة وأدعيتها وأن الفاتحة المجملة قد فصلت في الأدعية وفسرنا جميع هذه السورة وهذه السورة تسلمها سورة الأنبياء وقلت لك ان النعم عليهم في الدنيا كثيرون فليدرس المسلمون علوم جميع الأمم ليعرفوا كيف حل غضب الله على الجاهلين وكيف أنعم على المتعلمين . كل هذا عرفت ولكن انظر أيها الذكى . انظر وتجب معي . انظر لأسلافنا الكرام . انظر كيف كانوا رحمهم الله يبراس الأمم . ماذا فعلوا . رأوا قوما درسوا شيئا من علم الطبيعة شيئا يسيرا حقيرا فافتخروا بأنهم قرؤا الفلسفة وما هم بفلاسفة بل هم جهلاء فشككوا الناس في الدين . فإذا جرى . قام هؤلاء الأكابر فألقوا علما سموه ﴿ علم الكلام ﴾ لأن مسألة كلام الله اللفظي والنفسى كان آثارها المأثور ومن معه وتعمدوا القوم فأثروا تأليف هذا العلم وتكون به مجموعة العقائد في خسين مسألة كصفات الله النفسية وصفات المعاني والصفات المعنوية وصفات التنزيه والتقدس وصفات الرسل وما يجب لهم من الأمانة والفظانة الخ واليوم الآخر وما أشبه ذلك وأمروا الناس أن بدرسوها . ولما شاع ذلك قام العلماء أبونا خرم هذا العلم قوما لأنه يهوش على أذهان الطلبة وقال قوم منهم . كلا بل ننحس به طائفة لاحكام الخسوم وبقية الأمة لاتدرسه ويستترط في البارسين له أن يكونوا ذوى صفات جيدة قالوا لأنه ربما ضاوا السبيل بسبب الشكوك التي ترد في أثناء قراءة هذا العلم وانتهى أمر الأمة بأن جعله علما عاما يقرؤه كل طالب ويحفظه العقائد عن ظهر قلب أو يفهم ويقول الله قادر عالم حي الخ والأنبياء كذا وكذا . هذا كل ما حصل في الاسلام وبهذا انصرف للمسلمون عن فهم أركان الصلاة وأدعيتها وانصرفوا عن دراسة جلال الله

وعن تصريح أنفسهم وعن معرفة ماحولهم وذلك لأنهم اكتفوا بتلك القشور وظنوا أن هذا كاف إلى يوم  
التشور وأن هذا هو النور والكتاب المسطور في الرق المنشور

أليس هذا أشبه بما قصه الله إذ قال - ففقطعوا أمرهم بينهم زبرا - . أليس كل حزب من المسلمين  
أصبح فرحا بما عنده من العلم ونسى الناس علوم القرآن . أليس هذا هو التقطيع . بل ويحنا إذا فرطنا في  
تعالم ديننا وأبائنا . ألم يبين ذلك رسول الله ﷺ فأخبرنا بأننا سنقطع هذا القطع ونفترق هذا الفترق  
الذي بيننا وبين الله ﷻ نفسه هو الذي قال ذلك فتمزقنا علما وتمزقنا علما فلنجتمع كاتفرقنا ولنعلم كل العلوم كما قرأناها  
فانظر كيف انصرف الناس عن القرآن ، انظر كيف كان أول هذا العملर्ड الشبه ثم اختصر وجعل كلمات  
يتلقفها التلاميذ ثم نام الناس عليها وعكفوا . انظر وأبك على أمة الإسلام . أبك على أمة الإسلام . يكرر  
المسلم صفات الله فيقول « قادر مريد وعالم وحى » ويقول بعد تمام صفاته « ان كاله لا ينهائى »

يا محبا . وما فائدة القدرة لنا بدون أن نقرأ آثارها الظاهرة . انظر كيف كان هذا العلم قد حجب الناس  
عن نفس القرآن مع ان القرآن ينظر في نفس العلوم التي هي آثار صفات الله . فانظر الى أمة تحفظ الصفات  
ولانقرأ آثارها . انظر الى الكتب المصنفة كيف منعت الناس عن القرآن . هاأنذا أبنت لك كيف كان آباؤنا  
يدفعون عن الدين بهذا العلم وحسنا فعلاوا . ثم انظر كيف جاء الخلف فظنوا أنه هو المقصود وتركوا القرآن  
( وبعبارة أخرى ) تركوا عجائب الله في الأرض وفي السماء ( وبعبارة أصح ) نسوا الله فأنساهم أنفسهم  
فأذلم الفرنجة وهم ثائمون أوهاثيون في أودية الجهالة . وسيؤيد الله هذه الأمة ويخرج فيها رجلا يبجاهدون  
في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم - ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم -

( بالجهل تفرق المسلمون وبالعلم اجتمعت الأم )

( نبيان قوله تعالى - وإن هذه أممكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون \* ففقطعوا أمرهم بينهم زبرا

كل حزب بما لديهم فرحون - )

لقد تقدمت تفسير هذه الآية وعرفت من نفس الحديث الشريف . ومن كلام المفسرين إن هذا القول  
يقصد به أمة الاسلام وأقول الآن إن هذا مجيزة . فاذا أورد بعض العلماء حديث افتراق الأمة نيفا وسبعين  
فرقة ورد الحديث بعضهم لعدم ثبوته فنقول ولكن هذه الآية لاراد لها فقد أخبر الله بتفرق أمة الاسلام وقد  
حصل هذا فعلا ولم يكن المقصود مجرد الاخبار إنما المقصد أن يكون هذا القول موجها للاحتراس من التفرق  
فقد أخبر بذلك وأراد أن يحترس من ذلك

( التفرق في العصر الأول وكيف تلافاه الخلفاء الراشدون )

لقد كانت الأمة العربية قبل بعث الرسول صلوات الله عليه لاتتقى كثيرا بالقراءة والكتابة وكان جل  
اعتنادهم في قيد أشعارهم وخطبهم ونحوها على حفظها في أوعية صدورهم وكان الورق الذي بين أيدينا اليوم  
لم يشتهر بينهم ومهاثهم إذ ذاك جلد أو حجارة رقيقة يضاء وكلة ( كتاب ) تطلق على كل صحيفة مكتوبة من  
هذه الأنواع والكتابتون فيها قليلون . فلما كان القرآن ينزل نجوما وأقساما كان النبي صلوات الله عليه يعلى  
عليهم ما ينزل وفته فيكتبونه على ما ينسرون جلد ونحوه وخصص لذلك العمل من كان يحسن القراءة والكتابة  
وأطلق عليهم ( كتاب الوحي ) . أراد رسول الله ﷺ أن ينشر في الأمة فكرة حفظ القرآن واستظهاره  
فخضعهم على تلاوته آتاء الليل وأطراف النهار ورغبهم في حفظه ولم يترك وسيلة للوصول الى ذلك إلا استعملها  
فكانت عشرات الآيات والصور الطويلة بل والقرآن كله يحفظه كثير منهم . وأعانهم على حفظه سريعا قوة  
حافظتهم وسرعة خاطرهم وصفاء ذاكرتهم . فالعروف عنهم استظهار ما يقرأ سمعهم بسرعة محبة مع الضبط  
بل فيهم من اذا قرئت عليه القصيدة الطويلة حفظها من أول مرة . وفي أخبارهم شواهد على ذلك كثيرة .

لم يقف صلوات الله عليه عند هذا الحد في حفظه بل أمرهم بكتابه وتدوينه . ولذا رغبهم في تعلم القراءة والكتابة ومدحه وبالف فيه حتى ان الأسير الذي بأسروته في حرو بهم اذا عجز عن الاقتداء بالمال وهو متعلم جعل فداءه تعلم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة فثلاشت بينهم الأتية وتسارعوا الى تسطير القرآن على ما تبسر مع ضبطه إذ كانوا يكتبونه عند سماع قراءة الرسول وهو يسمع منهم ما يكتبون . ومن اشتهر من كتب الوحي ( زيد بن ثابت ) فقد شهد عرض القرآن في المرة الأخيرة على رسول الله ﷺ وكتبه له وقراه عليه وأقرأ الناس به . وذلك أن جبريل عليه السلام كان يلقي الرسول ﷺ في كل سنة في ليالي رمضان يعرض عليه القرآن كله مرة وفي العام الذي قبض فيه الرسول ﷺ عرضه عليه مرتين وما ذلك إلا ليعرضه كذلك على قومه حتى يحفظ مضبوطا . ومن كتاب وحيه أيضا ( أنس بن كعب ) و ( الزبير بن العوام ) و ( خالد ) و ( ابن سعيد بن العاصي بن أمية ) و ( حنظلة بن الربيع الأسدي ) و ( معيقب بن أبي طامعة ) و ( معاوية بن أبي سفيان ) و ( علي بن أبي طالب ) وغيرهم وأشهرهم ( زيد بن ثابت ) فلم يقتل الرسول ﷺ من هذه الحياة إلا والقرآن كله محفوظ في الصدور مكتوب على رقاع متنوعة من جلد وحجارة مع الضبط والتدقيق وإقرار الرسول ﷺ على ما كتب بعد تلاوته عليه

ولما ولي أبو بكر الصديق رضي الله عنه الخلافة أصيب الاسلام بارتداد بعض القبائل وإدعاء بضعة كذا بين ودجالين كالأسود العنسي ومسيلمة وسجاح للنسوة . ولكن تداركت تلك الحوادث حكمة أبي بكر الصديق وثلاث سياسته وحزمه فبعث بالجيش الى المرتدين والمتنبيين وأرسل اليهم كتب يدعوهم الى الهدى والرشاد وان أبوا فالتقت لما كان لإلحاق القتال فظفرت جيوش المسلمين وثاب الناس الى رشدهم وعاد المرتد وانحسر المتنبي إلا أنه قتل جمع كبير من قراء القرآن وحفاظه في واقعة ( البجامة ) إحدى هذه المعارك فاستفزعهم هذا الفرع الى المبادرة والأسراع الى جمع القرآن على الطريقة التي وجدوا عليها غيرهم من الأمم في تدوين معلوماتهم في صحف من نوع واحد خشية أن يضيع القرآن ويندرس بقتل كثير من حفاظه ووجوده في رقاع متنوعة سرعان ما تمهد اليها يد التبديد فأرسل أبو بكر الى زيد بن ثابت فقال له ان عمر بن الخطاب قد أشار على بأن أمر بجمع القرآن لأن القتل قد استحر ( يوم البجامة ) بالقراء ونحش أن يستعرق القتل بهم من مواطن أخرى فيذهب كثير من القرآن فقال زيد لأبي بكر وعمر كيف فعل شيئا لم يفعله الرسول فقالا هذا والله خير وما زالا يراجعه حتى قرأهم على جمعه فقال أبو بكر زيد إنك رجل شاب عاقل لا تهتمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله فتنبع القرآن فأجبه فتألفت لجنة من الحفاظ والقراء والكتاب يرأسها زيد بن ثابت فأخذ ينفع القرآن بجمعه من الجلد والحجارة التي كانت تكتب في عهد الرسول ومن صدور الرجال الذين تلقوه عن الرسول وكانت اللجنة لا تكتفي بحفظها ولا بما وجدته مكتوبا عندها إلا اذا راجعوا ما عند الغير مما كتب بين يدي الرسول وبما له وان وجد عند أكثرهم واحداً ويشهد عليه شاهدان عدلان منهم . وهكذا استمرت اللجنة تعمل وجعب أعضائها من أكبر الحفاظ وأدق القراء وفهم أشهر كتاب الوحي فسطروا القرآن جميعه في صحف من نوع واحد وقد أقرها وأجمع عليها جميع الصحابة لم يخالف واحد ثم أودعت هذه الصحف عند أبي بكر حتى توفي ثم عند عمر في حياته ثم عند حفصة بنت عمر بعد ذلك

وفي خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه قدم عليه حذيفة بن اليمان وكان يغازي أهل الشام في فتح ( أرمينية ) و ( أنز بيجان ) مع أهل العراق فقال يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يخلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . وسبب ذلك أن هذه الجيوش كانت من قبائل متعددة من أصقاع مختلفة فسمع حذيفة كل قبيلة تقرأ على وجهه لم يسمعه هو من الرسول ﷺ وظن أن القراءة التي سمعها وقراها هي الوحيدة وأن الرسول لم يقر جميع الوفود والقبائل بها مع ان الرسول صلوات الله عليه كان يقرى المسلمين

على أحرف مختلفة حسب لهجة كل قبيلة من العرب وكأها لا تخرج عن المقصود والاعجاز ولم يفعل ذلك إلا بإحياء من الله تعالى \* في صحيح البخارى انه عليه السلام قال ﴿ أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة أحرف ﴾ وكان الكثير منهم لا يعرف إلا وجهها واحدا من القراءة وهو الذى سمعه من الرسول حسب لغة السامع ولهجته ويدل لذلك ما رواه البخارى في صحيحه من أن عمر بن الخطاب يقول ﴿ سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله فاستعنت لقراءته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله فكنت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلم فليته برأه فقلت من أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرأ قال أقرأنيها رسول الله فقلت كذبت فان رسول الله قد أقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به أقوده الى رسول الله فقلت انى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئها فقال رسول الله أرسله فلما جاء قال أقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التى سمعته يقرأ فقال رسول الله كذلك أنزلت ثم قال أقرأ يا عمر فقرأت القراءة التى أقرأني فقال كذلك أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأقروا ما تيسر منه ﴾ وهذا بعينه الذى حل حذيفة وغيره على اتهام القراءات المتعددة من القبائل المختلفة في هذه الفتوح والحروب فلما أفضى الى عثمان بمقالته خشى من اشتداد النزاع بين القبائل لهذا الخلاف اللغوى فكتب بينهم نارا للحرب والمخاصمة فتذهب ربهيم وتضعف شوكتهم وتنفرق كلمتهم فرأى رضى الله عنه بعد مشورة من كان في عهده من الصحابة أن يجمع المسلمين على مصحف واحد مكتوب بقراءة قرش ورسما الكتابي فبعث الى حفصة بنت عمر أن ترسل بالمصحف التى كتبت في عهد أبي بكر فأرسلت بها ورجع الحفاظ والقراء وكتاب الوحي الذين في خلافته من بينهم سعيد بن العاصي وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فتألفت لجنة رئيسها زيد بن ثابت وقال لهم عثمان اذا اختلفتم في عربية من عرابة القرآن فاكتبوها بلسان قرش فان القرآن نزل بلسانهم . أراد بذلك أن يجمعهم على وجه واحد فلا يجد الخلاف بينهم سبيلا ففسرت اللجنة في عملها بالتحرى والتدقيق كما في خلافة أبي بكر سيما وأن رئيس اللجنتين في العهدين واحد فنسخوا منه عدة مصاحف أرسلت الى الأمصار وردت مصحف حفصة اليها وأمر بأحراق ما عدا ذلك وأجمع جميع المسلمين من قراء وكتاب وحفاظ على اعتماد هذا المصحف وأنه كما نقلوه عن الصادق الأمين فصار هو المعول عليه والمعمول به في جميع الأقطار ولم يطل بهم العهد في ذلك الحين على انتقال الرسول عليه السلام

وبهذا العمل الجليل قد انحسم ما كان متوقعا من النزاع . وبهذا حفظ الله كتابه من الضياع والتحريف والتبديل وتحقق قوله تعالى - إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون - . وهذا الواقف على أطباع العرب من شدة تحسكهم بدينهم وحرصهم على ضبط ما ينقلونه عن الرسول وغضهم وسخطهم لأقل شئ يخالف ما كان عليه الرسول ونوامر به أعظم عظيم . والعارف بما جبل عليه الخلفاء الراشدون من الخلق الكريم وعدم الاستبداد بالرأى وسرعة نزولهم على ما يجمع عليه الأمة . إن العالم بذلك كله يحزم بأنه لو اختلفت حروف واحد من القرآن عما تلقوه من رسول الله لاشتعلت بينهم نار الحروب وتاروا على الخليفتين بل لارتدت شعوب بعلمها ولطعن عليهم أعداؤهم وعابوا كتابهم وهم مخالفون لهم يرقبون أى عيب يشنون به الغارة عليهم ولا تخلوا هم أيضا في قبول هذه المصاحف ولظهرت عدة مصاحف متغايرة متناقضة ولكن شئ من ذلك لم يكن وأن ذلك ليدل دلالة واضحة وبقطع قطعا يقينا أن هذه المصاحف هي عين ما تلقوه عن رسول الله والذى نطق به - وما ينطق عن الهوى \* إنا هو إلا رحي يوحى -

لبث القرآن عهدا كبيرا تنافله الأمم والأجيال بالكتابة اليدوية من هذه المصاحف العثمانية المجمع عليها في خلافة سيدنا عثمان وكانت الكتابة تزداد تحسنا شئاً فشيئاً على مقتضى تطورات العصور الى عصر اختراع آلات الطباعة فكانت عاملا قويا في نشر المعلومات وبث المؤلفات وأول مصحف طبع سنة (١٦٩٤) ميلادية بمدينة

(مسيورغ) بألمانيا ثم انتشرت بعد ذلك انتشارها المشهود . هذا ما فعله الخلفاء رضى الله عنهم قتلوا الأمر ولم يفرطوا فبقى القرآن محفوظا الى الآن

### ﴿ كيف يتحد المسلمون الآن ﴾

لقد عرفت أيها الذكي أن انحصار العقول الاسلامية في ألفاظ علم التوحيد وفي العلوم الفقهية هو الذى أدى بهم الى التخاذل . إن انطلاق العقول الى علم مافى السموات والأرض يفتح لهم ﴿ بابين ﴾ (الباب الأول) باب نظام هذا العالم ومنه يعرفون جلال الله وحكمته ﴿ الباب الثانى ﴾ أنهم يرون أن علم الفقه وعلم التوحيد المصطلح عليه ليس إلا شياً يسيراً جداً من دين الاسلام ويرون أن الاسلام هو كل هذه العلوم . فيرى المسلم الشئى والسنى أن الخلاف بينهما شئ يسيراً جداً لأنهما لا يختلفان في علم التشريع ولا علم النفس ولا علم النبات ولا علم الحيوان ولا علم الكيمياء ولا علم المعادن ولا علم طبقات الأرض ولكن الخلاف جزئى يسير واذن يتعارفون ويتقابلون ويرون أنهم اخوان على سرر متقابلين وأن انحصار الأفكار هو الذى منعهم وأضل الأمم الاسلامية . وان شئت بيانا أكثر فقل للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها . لماذا نرى ألمانيا أماما كثيرة وبملاك تعد بالعمترات ومع ذلك تكونت منها أمة واحدة . ونرى الولايات المتحدة تكونت منها أم تبلغ فوق مائة مليون ومع ذلك هم من أم مختلفة وعقائد متباينة حتى أنهم فيهم اليهودى والمسلم والصنترانى والبرزى وكلهم يعيشون عيشاً هنيئاً . وكيف كان الانجليز أماما مختلفة وقد اتحدوا وهامهم أولاء بضر يروننا في الشرق

أيها الذكي . إن المسلمين مافهمهم إلا الجهل . إن هذه الأمم لما قرأت العلوم وعلمت كل واحد من أبناء البلاد مبادئ العلوم وارتقت أغنيائها في العلم عرفوا أن الفارق بينهم في الديانات قليل بالنسبة لما اتحدوا فيه من العلوم والحياة . اذا كان ذلك في أم مختلفة فكيف يكون أمرة الاسلام . هذه الأمة المتحدة التى ما فرقها إلا الجهل وسوء سلوك الرؤساء والأمراء . أفلا ترى أن قراءة العلوم بين الأمم الاسلامية تجمعهم كما جعت الأمم المختلفة . ولعمري إن أهل دين واحد أقرب الى الاتحاد من الأمم المختلفة . فكيف إذن يدين الاسلام الذى هو دين علم وحكمة . يا حسرتا على مافهم المسلمون . إنى ليحزننى وأيم الله أن أقول انظروا الى أوروبا ولكن ما العمل وهم سبقونا . هلاقم قائم بين المسلمين وجدد عهد عثمان وأنى بكر رضى الله عنهم وقال أيها المسلمون ادرسوا العلوم كما درسها الغربيون لتعرفوا دينكم وربكم وسر صلاتكم وتكونوا مؤمنين حقيقيين . ياليت شعري متى يقوم فيكم ذلك القائم . متى يقوم فيكم من يقول لكم كفى كفى لقد شعبنا جهالة فأين العلم أين العلم . أيها المسلمون انظروا كيف ترون التفرق والتخاذل . لا تفرق ولا تخاذل إلا بالجهالة فبلاد العرب على قلة عددها فيها عمالك متفرقة تتقاتل وتتحارب وليس يدبر أمرها إلا القرىحة . لماذا . لأنهم جهلاء لا يعرفون أمور الدنيا فيصلحونها ولا يؤدونها بينهم التى لا تكون إلا بالعلم ولا علم اليوم فالعلم في أوروبا واحد . وأما أمرة الاسلام فانها أصبحت في برائن أوروبا . فبالعلم ملكونا وبجهلنا يديننا فترقتنا أى بالعلم ديننا أى بجمال الله وآياته وحكمه ونظامه . نسبنا الله فسبنا . أفليس هذا هو الفسق . أفليس الفسق أن تكون مصر وتونس وطرابلس والجزائر وصرا كش وسوريا والعراق كل هؤلاء أمة عربية لفنتها واحدة ودينها واحد وأصلها واحد ومع ذلك لا يعرف بعضهم بعضا . أليس ذلك إلا لأنهم جهلاء جهلاء جداً لا يعرفون ماذا يصنعون . أليس ذلك حاصل في الاسلام لأننا جعنا كتابنا بيتنا - زبرا كل حزب بما لديهم فرحون -

### ﴿ حكاية ﴾

قال لي يوما الأستاذ المستشرق الانجليزى (ادوارد برلون) اننى قابلت تلميذا من تلاميذ الفرس وقد كنت موفدا من قبل أمتنا الانجليزية لأعرف طبائع هذه الأمم . أتيتهم المسلمون أم هم في المستقبل لا يتحدون

قال فدرست الأمم التركية والفارسية والعربية وعلمت من أمة الفرس أنهم يستحيل أن يتحدثوا مع أهل السنة فقد قال لي ذلك التبليغ الذي قابلته أنني حاربت الترك مع الروس لما كانوا يحاربونهم لأنني اعتقد أن السكاب أفضل من المسلم السني فلذلك فضلت أن أحارب الترك مع الروس . قال الأستاذ (براون) وأنا عالم علم اليقين أن هذا التمايز لم يذبح دجاجة مدة حياته لجبهه ولكن عرفت أن تعاليم هذه الأمم قد قضت عليهم - فأصبحوا في ديارهم جاعين - . انتهت الحكاية

أقول وكان ذلك منذ نحو (٢٠) سنة . أما الآن وأنا أكتب هذا التفسير فإن الفرس والترك اقتربوا وتحابوا وظهر خطأ نظرية الأستاذ (براون) وأن الامور قد تغيرت وأقول الآن كل هذا كان للجهالة العمياء العالمة في الاسلام

### ﴿ سورة المؤمنين وعالم الحكمة ونشرها في الاسلام ﴾

هل أحدثك عن تقسيم الحكمة عند أسلافنا . وهل تحب أن أقول لك ان الحكمة كلها قد نقلت الى أوروبا وجاء (بيكون) الانجليزى ورتبها ترتيباً آخر ونشرها في أوروبا وكل ذلك ملخص هذه السورة فانظر الآن لما قاله (بيكون) المذكور الذي كان في حدود المسألة السادسة عشرة من التاريخ المسيحي فانه عند ما رأيت من العلوم المذكورة في هذه السورة التي سطرها آباؤنا باسم الفلسفة وقسمها على أهم القوى التي في الدماغ وهي ثلاثة (القوة المتخيلة . والقوة المفكرة . والقوة الدائرية) فلقوة المتخيلة التي مقرها في مقدم الدماغ عند القدماء علم الشعر ويقسمه الى ثلاثة أقسام (الشعر الوصفي . والشعر الذي ذكر فيه الروايات والشعر للأمثال) . وللقوة الدائرية علم التاريخ والتاريخ قسمان طبيعي وبشري والطبيعي يشمل علوم الطبيعة كلها من العلويات والسفليات كالجيولوجيا والجغرافيا والسماء والعالم والكون والفساد الى آخر ما تقدم والتاريخ البشري يشمل التاريخ الديني والتاريخ الاجتماعي وتاريخ الأدب والفنون . وللقوة المفكرة علوم الفلسفة وهي ( ثلاثة أقسام \* فن معرفة الله . وفن معرفة نظام الطبيعة . وفن معرفة نظام الانسان ) كعلم النفس وعلم المنطق وعلم الأخلاق وعلم النظام الاجتماعي وعلم الجبال . وقد اعتادوا أن يقرؤا مع ذلك المذاهب الفلسفية . فهذا هو تقسيم المحدثين

فانظر الآن . أليس معرفة الله هي المذكورة في أول سورة المؤمنين . أليس علم النفس هو اللازم لعلم التشريع المذكور في أول هذه السورة . أليس علم نظام الطبيعة هو مجموع تلك العلوم التشريعية والفلسفية والحيوانية والنباتية في أول السورة . أليس علم النفس يتفرع عنه علم المنطق وعلم الأخلاق وعلم الجبال وعلم النظام الاجتماعي فهذه فروع له . فأما المنطق فما هو إلا ميزان واللبزان لا يصح شيء بدونه . وأما علم الأخلاق فهو مفهوم من أول السورة في الوفاء بالعهود والزكاة ونحوها . وأما علم الجبال فهو ما يخص نظام الطبيعة وحسنها وجعلها وبهاؤها . وأما علم الاجتماع فيشار اليه بقصص الانبياء في هذه السورة وأمثالها وأن ندرس نظم الأمم وتحللها وتأخذ بأحسنها

### ﴿ الفروس التي تلقى الى المسلمين ﴾

- (١) دروس العبادة والأخلاق للأطفال عملاً لا مجرد علم كما في أول سورة المؤمنين
- (٢) دروس علم الأشياء بحيث يذكر فيه أحاسن الجبال في الطبيعة والبدائع والنظم المتقنة في هذا الوجود وغرائبه ليعشق التلميذ درسه وربه . كل هذا في التعليم الأولي مع ذكر الله وصفاته
- (٣) دروس العلوم الطبيعية في التجهيز درسا منظما فيقرأ الحيوان والنبات والتشريع وطبقات الأرض والفلك وتلك القراءة المقصود منها اللامع بهذه العلوم بهيئة منظمة كما في هذه السورة
- (٤) ذكر سائر الملوك والأمراء والعلماء وأخلاقهم وأعمالهم وما يتبع ذلك ليكون في الأمة مصلحون كما



جاء في هذه السورة من ذكر المنعم عليهم من الأنبياء ويكون ذلك نبذاً صالحاً جيلة في كتب متقنة جيلة شارحة  
للمدور مهية الطفل لدراسة العلوم بانشرح صدره لدينه ولأمة الاسلام  
ليقيم في الاسلام مجدّون فليشرحوا هذا في مختلف الأصقاع فإذا درسوا ذلك فليدرسوا معه مايزم من  
علوم الدين ثم ليخصصوا في القسم العالي كلا فيما هو أهل له . فهذا للعلوم العربية وهذا للحديث والتفسير  
وهذا للكيمياء والطبيعة وهذا للهندسة وهذا للطب الخ  
هذا هو الذي يجب أن يكون عليه المسلمون في مستقبل الزمان وأن الله سبحانه هو الذي ألهم بكتابه  
هذا في التفسير وسيلهم كثيراً من المسلمين بنشر هذه الآراء وهو الذي سيهدي المسلمين فيسيرون على صراط  
مستقيم والحمد لله رب العالمين

﴿ جوهره في قوله تعالى - وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناها إلى ربوة ذات قرار ومعين - ﴾  
لقد تقدّم في هذا التفسير في موضع غير هذا أن التثليث عند الأمم السابقة قبل المسيح لم يكن بالمعنى الذي  
يتعارفه المسيحيون إذ قلت عنهم أنه كان هكذا الله والمادة والعقل المدبر لها بادن الله والمادة والعقل  
يدلان على الله . ومعنى هذا أن الانسان اذا نظرفي هذه الدنيا لا يرى إلا المادة وهذه المادة يراها في غاية الانتظام  
وهذا الانتظام يدل على عقل نظمه وهو المعبر عنه عندنا بالملائكة الذين يدبرون العوالم وهؤلاء الملائكة الذين  
عرفناهم باتّباعهم في السموات والأرض يدلون على أن لهم لها خلقهم . إذن المادة والقوة المدبرة يدلان  
على الله . إذن الموجود إما مادة محسوسة وإما عقول مرتبطة بها وإما موجود مجرد من المادة مدبر للقسمين  
أى الموجود إما مادة وإما مختلط بها وإما مجرد عنها مدبر للقسمين . هذا ما كان يقوله فلاسفة الأمم لهم  
ثم تمادى الزمان فصار الثلاثة آله وقد جعلت لهم أصنام في الهند وعند البابليين والآشوريين وقدماء المصريين  
ولما قتل النصارى هذا التثليث عن الأمم لم يحسنوا النقل فبدل أن يقولوا (الله والمادة والعقل) المعبر  
عنها بالأب والأم والابن قالوا (الأب والابن والروح القدس) وجعلوهم جميعاً آله وكلامهم إله واحد  
أفلا تعجب لما أسمعك الآن وكيف يظهر الله عز وجل الأسرار في كلام المسيحيين أنفسهم . فانظر لما  
جاء في ﴿ مجلة البريد المصري ﴾ في أكتوبر سنة ١٩٢٨ وهي المجلة الشهرية الدفينة الأدبية في سنّها الخامسة  
عشرة عدد (٩) صفحة (١٣٩) وهي التي يدبرها المسيحيون بمصر فقد جاء فيها ما نصه ﴿ ولولا تجسده ما عرفنا  
الأب بالابن كما في متى ١١ : ٢٧ ويوحنا ١ : ١٨ (٢٥) انتهى ﴾

أفلا تعجب مى . بجلّ الله . أليس هذا هو عين ما أسلفته نقلاً عن أصول ديانات القدماء وهو عين هذه  
الآية التي نحن بصدد الكلام عليها إذ يقولون ﴿ ولولا تجسد المسيح ما عرفنا الأب ﴾ إذن الأمر ظهر وهو أنه  
لولا العالم ما عرفنا الله والعالم هو المادة والقوة العاقلة المنظمة لها . فهذه لولاها لم يعرف الناس ربهم فجاء  
المسيحيون وحصر ما عرفوا الله في ظهور جسم المسيح ونور عقله ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ أن الرجل العالم يدرك  
جمال الله من كل حشرة وكل كوكب وكل نبات وهكذا ولكن طائفة من الناس اكتفوا برجل صالح ذى نور  
من الله فدلهم على الله تعالى . فجسم المسيح بعض جسم الأرض وعقله بعض العقل العام الذى خلقه الله في  
العوالم كلها . ففي هذا اكتفاء بالبعض عن الجميع . وما للمسيح إلا آية واحدة من آيات الله التي منها الشمس  
والقمر وحيوان الأرض وغيرها . أفلا تعجب أن ترى المسيحيين ينطقون بالسّر وإن كان أكثرهم  
لا يستفهمون به إذ يقول النجيل متى والنجيل يوحنا المتقدمين ﴿ أن تجسد المسيح يدل على الله ﴾ أليس هذا هو  
عين التوحيد وعين قوله تعالى - وجعلنا ابن مريم وأمه آية - فعبسى آية لاغير في القرآن وعبسى يدل على  
الله في النجيل متى والنجيل يوحنا والمادة والعقل والعالم يدلان على الله في أديان القدماء . إذن اتفق القرآن  
والنجيل متى وأصول الأديان القديمة على شئ واحد وهو أنه لا تثليث بل هو توحيد حتى دين المسيح عند (متى)

و(يوحنا) الذين جعلوا وجود المسيح يدل على الله واذن أصل التثليث استدلال بمقدمتين على نتيجة المذمتان (الجسد والروح) والنتيجة انه لا بد من موجود أوجد الروح وأوجد الجسم وضمهما الى بعضهما ونظمهما هذا هو معنى قوله تعالى - وجعلنا ابن مريم وأمه آية - وذلك كما تقول إن البرهان يحتاج الى مقدمتين وتكون لما نتيجة . فكما تقول العالم حادث وكل حادث لا بد له من محدث تقول هنا العالم مادة وهي مدبرة بعقل منظم وهذان لا بد لهما من موجد منزّه عن المادة منظم لهما معا لأن الموجود إما مادة وإما منزّه عنها وأما ملتبس بها لا غير والحمد لله على نعمة العلم والحكمة

﴿ تذكرة في أن ألوهية المسيح منقولة عن الأم السابقة التي خلت ﴾

جاء في كتاب ﴿ المنهج الروحاني ﴾ صفحة (٤٢٢) ما نصه

﴿ ولاتنوه من أن النصرانية وحدها اخترعت أن الإله صار بشرا فإن الهنود نسبوا الى (فشنو) وهو الاقوم الثاني من ثالوثهم تسعة تجسّدات وفي ثامنها ظهر باسم (خريستا) وكذلك (ابولونيوس) الثاني ظنه معاصروه إلها لأنه علم معلمه (يسوع) وعمل أعمالا عظيمة وروى عن أمه انها لما كانت حاملا به ظهر لها في الرؤيا (برونيو) أحد آلهة المصريين وقال لها انه حلّ في أحشائها . ومثله (ليوتسو) الصني ظنوه إلها صار انسانا وقد حلت به أمّه بنظرها الى رجوم ساقطة من السماء . وأما ألوهية المسيح فلم تنشأ إلا بعد خراب (أورشليم) وتشتت اليهود في مصر والفرس والهند وبعد أن استتب الأمن عاد هؤلاء الى وطنهم وهم متشربون بمبادئ أديان الشعوب الذين عاشوا بينهم بضع سنين فقامت عندهم دين عالة النصراني المجادلات والمنازعات الى أن قرّر (المجمع النيقاوى) هذه العقيدة بحكم سلطان أجني هو الملك (قسطنطين) الذي عضد المجمع المذكور لأغراض سياسية . ثم قال ومن العجب أن أرباب النصرانية تنازعوا حتى سفكوا الدماء في مسائل وهمية لا طائل تحتها وقد تناشوا الشيء الجوهري الوحيد الذي جاء المسيح لأجله وهو محبة الله والقريب هذه هي المحبة التي قال عنها عليه السلام انها الناموس كله وجاء من بعده فاستبدلوا بالعبادة والحرمان وإحراق بعضهم حتى أصبحت النصرانية بعد عشرين جيلا في حالها الحاضرة مشتملة على عقائد تافهة ينكرها العقل ويأياها العلم ﴾

وجاء في صفحة (٤٣٠) من هذا الكتاب أيضا ما نصه

﴿ جاء في الإنجيل مرقس انه لما أتى يسوع الى مدينته احتقره آله فقال « لا يكون نبي بلاكرامة إلا في وطنه وبين أقاربه وفي بيته » ولم يستطع أن يصنع هناك شيئا من القوّات ﴾ (مرقس ٦)  
فيسوع يقرّ ههنا عن نفسه بأنه نبي بسيط وأنه يحجز عن صنيع آية فكيف يتأتى منه العجز وهو (الله رب العالمين) وسأل يوما تلاميذه قائلا وأتم من تقولون أنى هو فأجاب بطرس أنت المسيح (مرقس ٨)  
ومعنى المسيح رسول مسوح بالدهن كما كان اللاويون وملوك اسرائيل فلم يقله هنا بطرس أنت هو الله ولا نهى يسوع على غلظه بقوله له « أنا الله بالذات انحدرت من السماء ) متجسدا بينكم لأتقذك من خطيئة آدم وأعوض عن الإهانة العظيمة التي لا تنتهي التي لحقت بعزّي الإلهية بل قال فقط عن نفسه « إني رسول يعمل بإرادة مرسله » انتهى المقصود منه

وقال في صفحة (٣٥٥) وما قبلها ما يأتي ﴿ لقد تفرّغ علماء أجلاء من أوروبا للبحث عن أصل الأنجيل وأدوار تقلباتها فقالوا إن المسيح اختار رسله من الشعب البسيط وكانوا صيادي سمك من بحيرة طبريا وأراد بذلك أن تعالجه للاحتياج الذي كاه خارق للعادة . قال وبعد رفعه الى السماء أخذ الرسل يشربون بما رأوا يقولون بوحدة الله ومحبته لعباده ووجوب ارتباط الناس بالمحبة لأنهم إخوة وورثهم واحد وقالوا بالتوبة والتكفير عن ذنب الانسان نفسه لا ذنب آبيه آدم وورثوا للتوبة بماء المعمودية الذي أخذوه عن (الأسونيين) بواسطة

(يوحنا المعمدان) الذي كان من مصافهم . والقصد منه التنبيه به على التوبة من الذنوب . ويقولون بخلود النفس والقيامة فدخل الناس في الدين أفواجا . ولكن بعد ذلك جاء رجل يسمى (بولص) وهو فرنسي ومعلم بالناموس وباللغة اليونانية فاحترق الرسل أولا وهو مع انه ما عرف المسيح ولا آه قط ولا سمع كلامه ادعى بأنه رسول وبه وحده خست معرفة الحقائق واعلانها (غلاطيه ١) وأخذ يخاصم بطرس ويوبخه (غلاطيه ٢) فتألف عندها أي بعد دفع المسيح (١) بعشرين (٢) صنفان (٣) من النصارى (٤) الأول (٥) تابع لمن بقي من الرسل في اورشليم (٦) والثاني (٧) تابع لبشارة (بولص) الذي ادعى بأنه أخذها عن إيماء المسيح نفسه و بعد حين تمرد اليهود على (نيرون) فانشب الحرب في اليهودية بقيادة (فسباسيانوس) الروماني ثم ابنه (طيطس) وانتهت بافتتاح اورشليم عام (٧٠) وخرب الهيكل وتفرق اليهود أشتانا في انتهى الكلام على (المقصد الثاني) من سورة (المؤمنون)

### ( المَقْصِدُ الثَّالِثُ )

يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ \* وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ \* فَتَقَطُّوا أَرْهَمَ يَبِيْهِمْ زُبْرًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُوْنَ \* فَذَرَهُمْ فِيْ عَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ \* أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ يَدَيْهِمْ \* نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ \* إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ \* وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَّةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ \* أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ \* وَلَا تَنَكَّلْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ \* بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي عَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَهُمْ أَعْمَلُ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ \* حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَلُونَ \* لَا تَجَارُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصِرُونَ \* فَذَٰكَاتِ آيَاتِي تَنْتَلِي عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَغْفَاكُمْ تَنَكِّصُونَ \* مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ \* أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ \* أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ \* أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ \* وَلَوْ أَنَّبَعِ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ \* أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا نَفَرًا رَبَّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ \* وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ

(١) المذكور في الكتاب المنقول عنه بعد موت المسيح لأن هذا اعتقاد الافرنج . واقدم بعض هذه العبارة في سورة (آل عمران) وقد سهونا أن نبذل الرفع بالموت وستصح في الطبعة الثانية فليتبه

مُسْتَعْتِمِينَ \* وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَا كِبُونَ \* وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ \* وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ \* حَتَّى إِذَا فَتَخْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْسَلُونَ \* وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ \* وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ \* وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ \* بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ \* قَالُوا إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ \* لَقَدْ وَعدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ \* قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ \* قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ \* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ \* قُلْ مَنْ يَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ \* بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ \* مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لِلدَّهَبِ كُلِّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ \* عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ \* قُلْ رَبِّ إِنَّمَا تُرِيتُنِي مَا يُوعَدُونَ \* رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ \* وَإِنَّا عَلَى أَنْ تُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ \* أَذْفَعُ بِاللَّهِ هِيَ أَحْسَنُ السَّبِيحَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ \* وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ \* وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ \* حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ \* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ \* فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ \* فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ \* وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ \* تَلْفَحُ وَجُوهُهُمْ النَّارُ وَمِنْ فِيهَا كَالِحُونَ \* أَلَمْ تَكُنْ آتَايَ تُنْشِئُ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ \* قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ \* رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ \* قَالَ اخْسَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ \* إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ \*

فَاتَّخَذُوا لَهُمْ سِغَرًا حَتَّىٰ آنَسُوا أَنَّ دَرَكِيَّ وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ \* إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَاقِرُونَ \* قَالَ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ \* قَالُوا أَلَيْسَ يَوْمَئِذٍ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ آيَاتِنَا وَقَدْ آتَيْنَا لَكُمْ آيَاتِنَا أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا هِيَ زُنَاجَرُنَا وَوَهَّابُنَا \* قَالُوا إِن لَّبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* أَهَئِن مَّ نَحْنُ آتِيكُمْ إِنَّا بَعَثْنَا فِي هَؤُلَاءِ مِنْ قَبْلِكُمْ أَهْلًا مِمَّنْ يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مِنْ دُونِهِمْ وَإِنَّا لَجَاعِلٌ لِّظُهُورِكُمْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَقُولُوا إِنَّمَا دُخَانٌ مِّنْ غَدِيرٍ وَإِن نُّبْدِلُ الْآيَاتِ لَبَدَّلُهَا آخَرًا وَلََّا يُؤْمِنُوا بِهِ إِلَّا هَؤُلَاءِ الْفَاسِقُونَ \* وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ \* وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ \*

### ﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى - يا أيها الرسل كلوا من الطيبات - الى قوله - فذرهم في غمرتهم حتى حين - تقدم تفسير هذه الآيات في آخر المقصد الثاني وقوله (أحسبون أنما نعذبهم به من مال وبنين) أي نعطيهم ونجعلهم مددا لهم وقوله - من مال وبنين - بيان لما أي أحسبون أن الذي نعذبهم به (نسارع) به (لهم في الخبرات) فيها فيه خيرهم وكرامتهم (بل لا يشعرون) بل هم كالبهائم لافطنة لهم ولا شعور ليتأملوا فيه فيعلموا أن ذلك الامداد استدراج لاسماعة في الخبر والمسارة التجميل (إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون) خافون (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) يصدقون (والذين هم بربهم لا يشركون) شركا جليا ولا خفيا (والذين يؤتون ما آتوا) يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات (وقلوبهم وجله) خافقه (أنهم الى ربهم راجعون) في الآخرة فلا يقبل منهم (أولئك) أهل هذه الصفة (يسارعون في الخيرات) يبادرون في الأعمال الصالحة (وهم لها سابقون) وهم سابقون بالخيرات لا أولئك الذين أمددناهم بالمال والبنين فظنوا أن ذلك أكرام فلما غرِبَ حق فالمال والبنون ليس اعطاؤهما والامداد بهما مما يؤهل للسريعة بالخيرات . فأما خشية الله والإيمان بالله وعدم الاشراك به والتصديق مع الخوف من الله فإن ذلك هو السبق للخيرات . وملخص ذلك أن النعم ليست هي السعادة وإنما النعم راجعة الى العلم والعمل فالعلم رمز اليه بالإيمان بالله والعمل رمز له بالصدقة وأحاطها بها بالخشية والخوف . وهل لك أن اسمعك ما أرسله أرسطاطاليس الى الاسكندر في رسالته السياسية ترى كيف نطق بهذه الآية قبل القرآن بنحو تسعة قرون . أذكر لك جلا تناسب المقام فأقول

### ﴿ أرسطاطاليس والاسكندر والسياسة ﴾

قال « يظن الناس أن الاستمتاع بالخيرات منهل عذب سهل سائغ شرابه وأن مقاساة الشدائد لا يقوى عليها أحد . ولست أرى هذا صوابا بل الصواب عندى خلافه وذلك أن الناس إذا جرت بهم الشدائد تحنوا لما فيه مصلحتهم فإذا أظلمت الأحوال تحركوا فيها يدفع ذلك عنهم وإذا صاروا الى الامن والدعة مالوا الى الشره والفساد وخلعوا عذار التحفظ . وما أعسر أن تكون مع رخاء البال صيانة العقول بل قد يذهب ذلك بالعقل كثيرا ويذهله . فأحوج ما يكون الناس الى التأديب إذا صاروا الى الخفض والبعة فانه ان كانت الحروب قد تحدث فيها الأحداث فإن ذلك يحدث والناس متصفطون حذرون . فأما في حال الخفض فتحدث أحداث كثيرة والناس قارون مهملون لأمرهم وعند ذلك يحتاج العاقل الى الأدب والسنة »

ثم قال « وليس الاستمتاع بالهدوء والخفض مما يحتمله كل أحد كما ظن هؤلاء ولوانه كان ذلك كذلك لوجب على الآباء أن يملكوا أبناءهم أموالهم من أول نشئهم . فكما انه لا ينبغي أن تفوض الأموال الى

الصبيان كذلك لا ينبغي أن تفوض الأمور إلى العامة فإن أخلاق العوام أشبه بأخلاق الصبيان وكلا الصنفين يحتاج إلى الرقابة والمديرين والعبرة في ذلك أيضا قد ترى من تصرف الأحوال وتنقل الدول غالبال الرياضات لا تثبت ولا يندم على حال لصنف واحد وفي مدينة واحدة كالذي رأينا من نقلها في بلاد آسيا وفي بلاد أوروبا وفي غيرها من المدن فقد ملك (أشور) حينئذ لأهل الشام وسوريا ثم خلف بعدهم أهل (ماه) ثم خلف بعد هؤلاء أهل فارس وكذلك نجد في سائر الأمم فالعامة في هذا كله واحدة هي التي ذكرنا من أن التقاب في الخيرات أصعب من مقاسات الشرور وكذلك نجد الذين نالوا الرئاسة بنصب ومشقة ثم زيلوا فيها شيئا بعد شيء قد حكتهم وتفقتهم التجارب أكثر ذلك ما تطول مدتهم ويؤول إلى السعادة وحسن العاقبة أمرهم . وتجند الذين نشأوا في الخفض ووافهم الأمور عفا فلم تصبهم شدة ولم يسهم خوف يصيرون إلى ضد ذلك . وكذلك ترى المدائن تعمر وتعظم بالمشقة والنصب وتصير إلى الخراب بالرعاية والخفض داعية إلى البطالة والناس في أكثر ذلك ماثلون إلى البطالة مستلذون بها وذلك أنهم يكرهون الأدب والسيرة الحسنة هربا من المشقة ويؤثرون الفراغ والبطالة طلبا للتودع ويفنون أعمالهم في طلب اللعب واللهو صارتون إلى الشقوة . وليس يكون مع البطالة تعطيل الأدب بقاء ملك ولا ذب عن حريم ولا صلاح عامة .

وبما قاله أيضا : « وكذلك المدائن التي دخلها الخلل والفساد إنما أتيت من سوء أثر الرؤساء والمديرين فصرفوا همهم إلى اللذات الزمنية فأهملوا التدبير الباقي أثره وذكره على وجه الأرض أبد الدهر فقد يبنى للدبر أن لا يتخذ الرعية مالا ولا مأكل ولا قنينة ولكن يتخذهم أهلا وإخوانا والأرغب في الكرامة التي من العامة كرها ولكن في التي يستحقها بحسن الأدب وصاب التدبير »

ثم قال بعد كلام : « واعلم أن الأليم تأتي على كل شيء فتخلق الأفعال وتحول الآثار وتبني الذكر إلى المراسخ في قلوب الناس محبة تتوارثها الأعقاب فاجتهد بالظفر بالذكر الجليل الذي لا يموت . واعلم أن المدائن التي دخلها الخلل والانتشار أتت ذلك إليها من سوء رسوم الرؤساء والمديرين وذلك أنهم أتروا جر المنافع إلى أنفسهم على تفقد أمور العامة وتقويم سنن المدن وصرفوا همهم في تهجيل اللذات الزمنية وأهملوا التدبير الباقي أثره وذكره على وجه الأرض والدهر . وقد رجوت أن تكون عواقب أمورك إلى سعادة وأن تجتمع لك الخصال الحمودة عند اليونانيين لأنك حقيق بها . واجتهد أن تظفر بالذكر الذي لا يموت بأن تودع قلوب الناس محبة تبقى بها ذكر من أقبك وتشرف بها مساعيك على الأبد والسجود للذكر والتجوع لفضلك والسلام إليك وعليك » اهـ

أيها الذكر انظر في كلام (ارسطاطاليس) وانظر إلى (الاسكندر) كيف سارع إلى هذه الطريقة وانظر فيما هو أهم من ذلك كيف جاء هذا كله مختصرا في الآية . يقول الله إن إمدادكم بالمال والولد ليس مسارعة بالخيرات بل أنتم لاتشعرون . والتعبير بعدم الشعور قد أطال في وصفه (أرسطاطاليس) فقد جعل النعمة والمال والولد والخفض والبدعة وما أشبه ذلك من أبواب الشقاء . جعلها مدعاة للبطالة . مدعاة لغراب البلاد مدعاة للدم . مدعاة لتشتت الدول . مدعاة لتشتت الرئاسة . مدعاة للذل الأبدى . فوهاي لعل وواها للحكمة انظر أيها الذكر وتجب . يقول الله هنا المال والولد ليسا خيرا ويقول إنما الخيرات تعطوا المال لمستحقه هكذا يقول الله في هذه الآية ثم يري أن هذا القول قد شرح قبل القرآن بنحو (٩٠٠) سنة . وأين شرح . شرح في « رسالة السياسة » من أكبر فيلسوف إلى أكبر ملك فأصبحنا ونحن نفسر في القرآن لا ندري نحن في دين يقرؤه العامة والجهلاء كما هو شأن سائر الديانات أم في حكمة وفلسفة وسياسة وعمارة مدن . اللهم إن هذه المعاني تتعالى عن أنظار العامة ولا يتناول إليها إلا المتعلمون . اللهم إن العامة يسمعون مثل هذا الكلام فيقولون إن القرآن يصبرنا وينكرون ذلك في قلوبهم وعلى ألسنتهم ويقولون كل ذلك ليساونا نحن الجهلاء والحقيقة غير ذلك . وأرى الطبقة المتعلمة بعضهم ينفر من مثل هذا ويعده كما يعده العامة . فمن لي بأن يعرف

الناس مرامى دينهم ويفقهوه ويرقوا شعبيهم ويفهموا قوله تعالى أيضا - كلا إن الإنسان ليطغى \* أن رآه استغنى - وقوله - فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن \* وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن - ثم بعد ذلك أخذ يذم الإنسان بأنه إذا أخذ في الزرع اعتراه القم بأنه لاتصدق ولاصلى كأنه ظن أنه خلق إيهمل في الوجود وهو جاهل نشأته فعاش مهملًا الأخلاق والعلوم فخبس المال وجعل تركيب جسمه ويفهموا أيضا قوله تعالى - إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد - الخ وقوله - فلانجيبك أموالهم ولأولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا - وهكذا من الآيات التي شرح معناها أرسطاطاليس . فانظر كيف جعل الله المال والولد عذابا وجعله أرسطاطاليس لايحتمل أى ان الناس يتحملون النعم ولايتحملون النعم فكأن النعم تزيدهم الى مهابى الخسران والحروب ترفهم الى الملا . ومقالة أرسطاطاليس قد ذكرت في غير هذا المكان وأعدناها هنا لمناسبة الآية . وللشرح الذى رأيته . وبهذا نفهم هذه الآيات ونعرف أن المسلمين لم يفتنوا لهذا الكتاب ولم يذبحوا معانيه حتى فقهه الأمة وحتى بتأديب الخاصة به ولم يرد الله أن يكلفنا ما لاينطبق بهذه العلوم . كلا . فقد قال (ولانكاف نفسا إلا وسعها) فإذا حرض على اتفاق المال فلم يرد أننا نعيش فقراء . كلا . بل الله يعلم كل نفس من نية الخير والاصلاح وغير ذلك (ولدينا كتاب) وهو المألوخ المحفوظ (ينطق بالحق) بالصدق (وهم لايظلمون) فلا زيادة في عقاب ولا نقص في ثواب . (بل قلوبهم) قلوب الكفرة (في غمرة من هذا) في غفلة عماوصف به هؤلاء المؤمنون وهكذا كثير من المؤمنين غافلون مثلهم لايعرفون ولايعقلون . إن المنصديق الذى أبقى له ذكر فى الدنيا وثوابا فى الآخرة سعيد وأن الغنى المترفع للمع بالمال والولد وهو غافل شقى في هذه الدنيا معرض لزوال النعمة كما شرحه أرسطاطاليس (ولهم أعمالهم) خبيثة (من دون ذلك) متخضية متجاوزة لماوصف به هؤلاء المؤمنون (هم لما عملوا) معتدون فعلها فيجعلون المال للهو واللعب والتعاطم على الأقران فقتب ذريتهم على لعب القمار والجهالة والبطالة فتخرب الديار وتزول الممالك (حتى إذا أخذنا مترقبهم بالعذاب) عذاب الأتقى وعذاب اللين وخواب القري ويحتل البلاد غير أهلها كما حصل في مصر لما اسرف القوم وعاشوا عيشة البنخ في أواخر القرن الثالث عشر الهجرى ودخل الفرنجة البلاد وكان عليه مالوك الاسلام تخلفاء الترك الذين أوردوا الأمم الاسلامية موارد التهلكة . وكما كان عليه كثير من شيوخ الطرق الصوفية من جمع المال وكثره وأخاره وهم قد احتالوا بأخذه من الأمة جهارا نهارا وقد ظهروا لهم بمظاهر الصلاح فانقلب ذلك في أعقابهم الى الأثرة بالأمر وهم أذلاء للفرنجة - والله لا يهدى القوم الفاسقين -

فها أنت ذا ترى كثيرا من الممالك الاسلامية طعمة للفرنجة كما حصل لأهل مكة إذ شدد الله عليهم لما دعا النبي ﷺ وقال (اللهم شدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف) فقتحطوا حتى أكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة . وهأنت ذا ترى الأمم الاسلامية التي دخلها الفرنجة لايعيشون إلاعيشة البهائم فالفرنجة يسومونهم سوء العذاب يأخذون أموالهم ويذلونهم ويمعنون العلم عنهم . كل ذلك لضلال الأمراء الذين كانوا يدبرون شؤونهم وأول مصيبة تنزل من الفرنجة تنصب على أولئك الرؤساء فيقيدون أعمالهم في الأثرة ويذلونهم في صورهم وبدسون لهم اللسان ومن لم يوافقهم في أعمالهم ورغباتهم طرده . فن هؤلاء المترفين من يصرخ بالاستغاثة ولامغيث بل يقال له بلسان الحال أو بلسان المقال قد فرطت والعبرة تتلو العبرة والآية تتلو الآية فكنت تعرض مدبرا . فلم تدبر القرآن . ثم قال تعالى (إذا هم يجأرون) يصيحون مستغيثين قيس لهم (لا تجأروا اليوم) فانه لاينفكم (إنكم منا لاتنصرون) أى لاتمعون منا أولايلحقكم نصر من جهتنا لأننا جعلنا النعم والبطالة حاطا بالانسانية ومرجعها الى الحيوانية وهذا تليل لما قبله لقد علمناكم فلم تسمعوا (قد كانت آياتى تنلى عليكم) أى القرآن (فكنتم على أعقابكم نكمسون) أى ترجعون القهقرى وتعرضون عن الايمان (مستكبرين به) أى بالبيت الحرام أى مستعظمين بالبيت الحرام إذ كانوا

يقولون نحن أهل حرم الله وجيران بيته فلا ينظر علينا أحد ولا يخاف أحدًا فيأمنون فيه وسائر الناس في الخوف يقول الله تعالى مستكبرين بالبيت الحرام مستعظمين حال كونكم تسمرن (سامرا) هو مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعاقبة أي حال كونكم سامرين متحدثين حول البيت مجتمعين وكان عامة سمرم في القرآن فتقولون هو سحر أو شعر (تخرجون) بذلك السمرأى حديث الليل من الحجر بضم الهاء وهو الهذيان أو من الحجر بفتحها أي القطيعة . يقول الله كنتم حين سماع الآيات تعرضون عنها مستعظمين بأن البيت الحرام لكم وأنتم جيرانه فلا تضامون وأنتم تتحدثون ليلا في أمر القرآن وذمة قاطعين الرحم (أفلم يذروا القول) أي القرآن ليعلموا أنه الحق من ربهم وقد أتى لهم بحكمة عالية وسياسة منظمة (أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين) من الأمن من العذاب فلم يخافوا كما خاف آباؤهم الأقدمون كما سمعوا وعاقبوا فقد خافوا الله وآمنوا بكتبه ورسله ولم تطهرهم النعم كما أبطرت هؤلاء فالقانون المسنون واحد . ان ترادف النعم والناس آمنون العواقب يعقبا الخطر والهلاك فهؤلاء قد جهلوا (أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون) أي أليس عرفوا محمدا ﷺ صغيرا وكبارا وعرفوا نسبه وصدقه وأمانته ووفاءه بالهود وهذا توبيخ لهم على الاعراض عنه بعد ما عرفوا من صدقه (أم يقولون به جنه) أي بل يقولون وهكذا ماقبله وجنة أي جنون وليس كذلك (بل جاءهم بالحق) بالصدق (وأكثرتهم للحق كارهون) لأنه يخالف شهواتهم وأهواءهم (ولما نزع الحق أهواءهم) بأن كان هناك آلهة شتى (ففسدت السموات والأرض ومن فيهن) فالعالم قائم بالحق وهم يكبرونه والحق يكون من جهة الاولية فاذن يكون الإله واحدا ومن جهة النظام وحسن النسق فهو إذن منتظم فلو كان الآلهة متعددا لم يكمل النظام وتشتت . ولو كان العالم على غير نظام لم يثبت ولم تقم له قائمة (بل أنبأهم بذكرهم) صبيهم وهو القرآن كما قال تعالى - والله لذكر لك ولقومك - أو وعظهم (فهم عن ذكرهم معرضون) لا يلتفتون اليه (أم تسألهم أجرا على أداء الرسالة (نفرج ربك) رزقه في الدنيا ونوابه في الآخرة (خير) لست ودوامه . والنفرج يغلب في الضرائب على الأرض وهو عادة يكون كبيرا ولازما . أما الخرج فهو مقابل الدخل وهو كل ما تخرجه لغيرك وليس ما تخرجه لغيرك في الزورم والموام كالخراج ولذلك عبر به وقوله بقوله (وهو خير الرازقين) فهذا تقوية لكون خراج الله خيرا . وإنما كان الله خير الرازقين لما نراه في عمله في هذه الأرض . ولقد تقدم في سورة ﴿آل عمران﴾ عند قوله تعالى - ووزق من تشاء بغير حساب - ولقد مر في هذا التفسير من حسن التلطف في تربية الطير والوحش والخشرات والأنعام وما أفادها من غرائز وعواطف وحسن سعي في سبل المعاش ولو أنك قرأت كل ماضى في هذا التفسير بما أشتعنا به العقول فيه لفهمت قوله تعالى - ولو أن مافي الأرض من شجرة أقلام - الى قوله - ما نفدت كلفة الله - وكيف تنفذ وأنت لودست حشرة واحدة لاستنفدت الحياة فضلا عن آلاف بل مئات الآلاف . ولقد بدشك عين أصغر حشرة إذ تجد لها أي للعين الواحدة جهة عيون كل عين مستقلة ترى وحدها مستقلة عن العيون التي حولها أي ان عين الحشرة أو النحلة ليست كأعيننا فعين أحدنا واحدة ولكن عين النحلة مثلا مركبة من عيون كعيون الغراب كل عين لها أعضاء خاصة بحيث تستقل بالنظر عن جارائها ولو فقت واحدة لبقيت الثلاث حولها ينظرن وهن كثيرات نحو مائتين . ومنها ما تحتوي على أكثر وذلك سيوضح لك في ﴿سورة النمل﴾ فإذا كانت العين الواحدة لحشرة صغيرة على هذا الخط والعين لم تخلق إلا لهدايتها لطعامها وشرابها فما بالك ببقية ما يلزم لحياتها من أعضاء داخلية وخارجية وما أعد لها من رزق تحصله في هذه الأرض - وما كنا عن الخلق غافلين - فهذه نبذة صغيرة من كونه تعالى خير الرازقين

أعمرى إنما المجد والحكمة هذه الحكمة . انه لا حكم إلا الله - إنه هو الحكيم العليم - ثم قال تعالى (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) ولما نفي تدبرهم القول ومناقاة القول لما جاء به الأولون وأن رسولهم



غير معروف لهم وجنون رسولهم وسؤالهم الأجر . لما نفي هذا كله لم يبق إلا أنهم هم غير فطنين وقد دعاهم الى صراط مستقيم (وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط) السوى (لناكبون) لعادلون عنه . ومعلوم أن خوف الآخرة أدعى الى عدم العبدول عنه (ولو رجناهم وكشفنا ما بهم من ضرر للجوا) لثبوا واللجاج التهادى (في طغيانهم) افراطهم في الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول (بعمهون) عن الهدى \* ولقد جرت عادة المفسرين في مثل هذه الآية أن يذكروا أن أهل مكة خطوا حتى أكلوا العلهز جاء أبو سفيان الى رسول الله ﷺ فقال أنشدك الله والرحم . أأنت تزعم أنك بعثت رجة للعالمين . قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع فزلت (ولقد أخذناهم بالعذاب) أى القتل يوم بدر (فما استكانوا اليهم وما ينصرون) بل أقاموا على العتو وعادوا على الباطل (حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد) يعنى الجوع فانه أشد من القتل والأسر وألقتل والأسر يوم بدر وألوت أوقيام الساعة (إذا هم فيه مبلسون) آيسون من كل خير واعلم أنى لم أجد لذلك أثرا في كتب الصحاح الستة عند تفسيرهم هذه الآية فهذه أمى كتاب (تيسير الوصول لجامع الاصول) فلم أجد فيه ذكر شيئا من ذلك في تفسير هذه السورة وأيضاً هذه السورة مكية والنبي ﷺ في مكة كان بين ظهرانيهم - وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم - فاذن كان العذاب بعد خروجه من مكة وبعد الخروج من مكة كيف تكون السورة مكية . وأيضاً كيف يؤمن أبو سفيان أن محمداً ﷺ مقبول عند الله فيستجاب دعاؤه فيأتى اليه فيستغيث به . كل ذلك في حاجة الى تمحيص . ولما فرغ من الآيات التي تخيف العباد شرع فيها هوأهم وهو ما ينعمهم من طريق العقل فقال (وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة) لتسمعوا ولتبصروا وتعلموا (قليل ما تشكرون) أى لم تشكروا هذه النعم (وهو الذى ذرأكم في الأرض) خلقكم (والله يحشرون) تبعثون (وهو الذى يحى ويميت وله اختلاف الليل والنهار) تدير اختلافهما فيزيد في أحدهما ما ينقص من الآخر بنظام كما تقدم في سورة الحج والبقرة وهو فيها أظهر وكذا في غيرهما من السور (أفلا تعقلون) بالنظر والتأمل ولكم أفئدة وأسماع وأبصار وما خلقناها لكم إلا لتستبصروا وتشكروا في خلقكم وتصويركم ورزقكم وحياتكم وامتنكم (بل قالوا مثل ما قال الأولون) أى قال كفار مكة كما قال أبائهم الأولون (قالوا أنذا متنا وكنا ترابا وعظما أننا لبعوثون) محشورون . قالوا ذلك على وجه الاستبعاد (لقد وعدنا نحن وآبائنا هذا من قبل) أى وعد قوم آبائنا هذا وذكروا أنهم رسل الله فلم تر له حقيقة (إن هذا إلا أساطير الأولين) أكاذيب الأولين (قل) يا محمد لأهل مكة (لئن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون) ان كنتم من أهل العلم (سيقولون لله) لأن العقل يأتى غير ذلك (قل) يا محمد لهم (أفلا تدرون) فاعلموا أن من خلق هذه العوالم المحيية لايخلقها سدى بل إنما يخلقها لغاية ولاغاية إلا بقاؤها بعد هذه الحياة والا كان عمله بلا فائدة (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم) سيقولون لله قل أفلا تدرون) عقابه وكيف تشركون به شيئا وهو باعترافكم خالق تلك العوالم العظيمة أم كيف تشكرون بعثه للخلقين وذلك يستوجب أن يكون عمله عبثا فهل صاحب هذه العوالم المحيية العظيمة بفعل العبث (قل من يبدد مملوكات كل شئ) أى خزائنه ومملكه غايه ما يمكن . وهذه (درجات ثلاث) للملك (١) الأرض ومن فيها (٢) والسموات السبع والأرض الخ (٣) ومملوكات كل شئ أى ما هو أهم من السموات والأرض فلذلك ناسب أن يقول (وهو يحى ولا يحى عليه) أى يغيب من يشاء ويحرسه ولا يغيب أحد ولا يمنع منه وذلك لأنه ليس في العوالم كلها ما هو خارج عن قبضته فهو يغيب ويلبس أحد في ذلك كله بقادر أن يمنع منه (لئن كنتم تعلمون) فاجيبوا (سيقولون لله قل فأتى تسحرون) تخدعون وتصرفون عن توحيدكم وطاعته فاذا كان هذا معتدكم برأيكم فلماذا تشركون به بعض الأولان أم كيف تقفون عقولكم على مخلوق عاقل أو غير عاقل وهو قد دراجع فاذن يكون المعرضون عنه المغرمون ببعض البشرار بعض الأصنام قد سحرت عقولهم كأنها قد نومت ذلك التنويم المغناطيسى فغاب عنها عقلها وتصورت الشئ على خلاف ما هو عليه كما

يعطى المتوهم (يفتح الوارد) السكر ويقال له هذا حنظل فيلفظه حالا . فهاهوذا قد سحر وأخذ عقله ولوى  
عن مراده وضل . وهذا شئ أصبح مشاهدا كما ذكرته في سورة البقرة فان التنويم الغناطيسى المذكور سار  
في جميع الأمم . ومعنى هذا أن القول وتكراره على الأفتدة بخدع العقل والحواس حتى تنصرف النفوس  
عما تعرفه وتتوهم صدق مايقال لها . ولذلك كثرت الفرق في الأمم الاسلامية وابتدع الرؤساء الدينيون  
والسياسيون من الأساليب ماخدعوا به عقول الشعوب ومن الخدع كثرة التكرار على العقول والحث والحض  
فان ذلك يخدع الناس ويصرفهم عن الحقائق وأوروبا قد استعملت ذلك فتخدع أبناء العرب الذين فتحوا  
العالم قديما وتوهمهم انها تفعل لخيرهم وهي تقتلهم وتغيب عنهم شمس العلوم وتقول لهم أنتم لاتصلحون  
للحياة الحرة ودينكم لم يكن دين مدنية ولعنتكم لاتصلح للعلوم وجنسكم لاتصلح للرق وهكذا ونحن أبأؤ كم  
الرجاء وما أشبه ذلك . فهذا وتكراره على الأذهان ستة فئسة وجيلا لجيل يصرّف الناس عن عقولهم وعن  
مجددوهم ويسحروهم . هذا سر من أسرار القرآن إذ عبر بالسحري مقام الانصراف عن الحقائق الملموسة فان  
قوما يعترفون بالله خالق العالم كله وبعد الاعتراف يقولون إن له شريكا فلامعنى لهذا إلا أن العقول مسحورة  
والعالم كله اليوم قد قام بنظرية السحر . فأتم أوروبا ساحة وأتم الشرق مسحورة إلا من فطنوا وقام فيهم  
مجددون فانهم نهضوا بقومهم . ولفظ السحر هنا قد جمع علوم السياسة الأوروبية الاستعمارية وأزلهما في  
القرآن ليتدبرها المسلمون وليعلموا أن الناس قد تكون لهم أسمع وأبصار وأفتدة ولكنهم يتركونها مكتفين  
بما سمعوا والمسلمون اليوم مسحورون إلا من رحم ربك . مسحورون عن علوم الدنيا . لماذا . لأن  
الاستاذ قال في اللرس لايجب عليك إلا علم الفقه وعلم التوحيد . فاذا نظر التلاميذ المسكين العوالم المحيطة بنا  
من شمس وقر وكواكب ومعادن ونبات وحيوان وقال أى أستاذ هذه مخلوقات ربى أفلا أدرسها فيجبى هل  
تعرف صفات الله وصفات الأنبياء فيقول نعم فيقول له كفى لايجب عليك شئ فيقول يا أستاذى إن الله ذكر  
هذه العلوم كثيرا في القرآن فيجبى نعم ولكن المدار على انك تعرف الله بالأدلة التى في كتب التوحيد  
فيكرر هذا القول على مسامع التلاميذ فيسحرون ويذهب الدين والمواهب التى وهب الله لهم وهكذا الأوروبيون  
يأتون بلاد الشرق فيسحرون أعين الناس ويستربونهم ويحبسون بسحر عظيم وذلك بالمدايع والرشاشات  
فيدهشون الشرقيين ويقولون لهم نعطيك الشهادة الثانوية في علوم ليس فيها شئ من العلوم التى حولنا فلا  
نبات ولاحيوان ولاشريح ولافلك ويوهمونهم انهم علماء فيصحبون مسحورين وهذا هو السحر الحقيقى الدائم  
الذى يصرّف العتول عن المواهب والأبصار والاسماع . والله لقد تعاون بعض رجال الدين قديما وأهل أوروبا  
حديثا على سحر الأعين فسحروها . فمن للمسلمين اليوم إلا نصرالله - ألا إن نصرالله قريب -

هذا هو السحر الذى سحر به المسلمون . فأتين سحر الكفار بعبادة الأصنام فقد سحرت أبصارنا نحن  
المسلمين عما أبدعه الله وزين لنا الجهل في صورة العلم والخيبة في صورة النجاح . هذا هو الذى فهمته  
في قوله تعالى - فأنى تسحرون - فلم ينزل الله مثل هذا القول لنسمع فنقول هذا أمر مضى وانقضى وأنا  
الآن لست أعبد الأصنام وأناخير من أبى جهل وأمثاله فقد عرفت وهم جهلوا . نعم نحن خير لأننا آمنّا ولكن  
لنؤمن بالجهل معذب في الدنيا والآخرة ، وعبراته بالسحر ليفتح لنا باب التفكير في ضحك الغرب على الشرق  
سياسة . وضحك رؤساء الطرق على تلاميذهم وحينما وضعك العلماء الرسميين في كل أمة على تلاميذهم  
ليصرفهم عن عجائب الله تعالى وجماله وبهائه وبهجة صنعه وإتقانه وحكمته فيقولون لهم كفاكم الإيمان أو  
الكتباتى وضعها فلان وفلان أوالناسايح والذكي والتلثة البليدة العاقبة ونحو ذلك فكل هذا من السحر  
وكل هذا من مقصود قوله - فأنى تسحرون - ثم قال تعالى (بل أنيدناهم بالحق) من التوحيد والوعد  
بالنشور (وانهم لكاذبون) لانكارهم ذلك لأنهم سحرت عقولهم بخدع الآباء وتكرار القول والعادة التى

هى طبيعة خاصة (ما اتخذ الله من ولد) وكيف ذلك وهو لا مثل له (وما كان معه من إله) يشاركه في ألوهيته (إذن لنذهب كل إله بما خلق ولعل بعضهم على بعض) أى لو كان معه آلهة كما يقولون لنذهب كل إله بما خلقه وحارب الإله الآخر وتعالى كما ترى في مالوك الدنيا فلم يكن إذن يسده ملكوت كل شئ وقد أقررت بذلك (سبحان الله عما يصفون) من الولد والشريك ثم وصف نفسه تعالى بصفة العلم بعد القدرة العامة فيما تقدم للاستدلال على الوحدة فقال (عالم الغيب والشهادة) وهم موافقون على ذلك لأنهم أقرتوا بأنه له ملكوت كل شئ إذن فهو عالم بما غاب وما شوهده (فتعالى عما يشركون) ولما كان ذلك يوجب وقوع العذاب في الدنيا والآخرة قال تعالى (قل رب إما ترينى ما يوعدون) ما وعدتهم به من العذاب في الدارين (رب فلا تجعلنى في القوم الظالمين) قرينا لهم في العذاب فإن شؤم العذاب قد يم كثرى النار قد تحرق ثوب الناسك الذى لا ذنب له \* قال الحسن \* أخبر نبيه <sup>عليه السلام</sup> أن له في أمته نعمة ولم يطلعه على وقتها فأمره بهذا الدعاء \* ثم قال تعالى (وانا على أن ترك ما نعدهم لقادرون) وانما نؤخره عنهم لأننا نعلم أن بعض أعقابهم وبعض سيؤمن (ادفع بالتي هي أحسن السنة نحن أعلم بما يصفون) أى ادفع السنة بالإحسان في مقابلتها وأصفح عنها وانما يكون ذلك اذا لم يظن ذلك وهنا في الدين نحن أعلم بما يصفونك به فنجاز بهم عليه فكل أمرهم اليانا (وقل رب أعوذ بك من هزات الشياطين) وسأوسهم وزغاتهم ونفجهم ونفهم ودفعهم بالاغواء الى المعاصي والهملز النخس ومنه مهمال الرأض فرسه \* شبه حنهم الناس على المعاصي بهملز الرأض الدواب على الشئ والجمع للرات (وأعوذ بك رب أن يحضرون) ويجوموا حولى في شئ من أمورى لأن الشيطان اذا حضره يوسوس له وأهم ما يطلب ذلك في حال الصلاة وقراءة القرآن وحضور الأجل فإن الشياطين تلهى القارئ عن المعاني وتلهى المتحدث عن تذكربه وتلهى المصلى عن التفرغ لتذكره \* يقول الله \* نحن أعلم بما يصفون - أى فهم لا يزالون يشركون (حتى اذا جاء أحدهم الموت قال) تحسرا (رب ارجعون) ردتنى الى الدنيا والوالوتعظيم الخطاب وجسلة قوله \* وقل رب أعوذ بك - الى قوله \* يحضرون - اعتراض لتأكيد الاغضاء بالاستعاذة بالله (لعلى أعمل صالحا فيما تركت) أى في الايمان الذى تركت وفي المال وفي جميع أحوال الدنيا (كلا) ردع (إنها لك) أى قوله - رب ارجعون - الخ والسكامة الطائفة من القول المنتظم بعضها مع بعض (هو قائلها ومن ورائهم برزخ) أى ومن أمامهم ومن بين أيديهم حاجز عن الرجعة وهو القبر (الى يوم يبعثون) منه وهو اقاط لهم عن الرجوع الى الدنيا وانما يرجعون الى حياة أخرى غير حياة الدنيا \* ثم أخذ يشرح تلك الحياة الجديدة وأحوالها فقال (فاذا نفخ في الصور) جع صورة \* وقرئ \* - الصور - بضم ففتح وهو ظاهر في هذا المعنى (فلا أنساب بينهم يومئذ) تنفعهم فإن العاطف زال للدهشة والحيرة (ولا نساء أولاد) ولا سأل بعضهم بعضا كما يكون ذلك في الدنيا إذ ينفع الأرحام بعضهم بعضا يسأل بعضهم بعضا فأما كون بعضهم يقبل على الآخر فبسأله فذلك بعد الاستقرار في الجنة واستقرار أهل النار ويكون ذلك بعد النفخة الأولى وبعد النفخة الثانية أيضا إذ يؤخذ بيد العبد يقال من كان له حق فليأت الى حقه فيفرح المؤمن أن يكون له الحق على أقرب الناس اليه فيأخذه منه فأصبح النسب غير مانع من ذلك وأيضاً لا يتفاخرون ولا يتساءلون سؤال تواصل لأن الأنساب إذن لا تنفيذ وانما تفيد الأعمال (فمن ثقلت موازينه) موازين عقائده وأعماله وأخلاقه (فأولئك هم المفلحون) الفائزون بالنجاة (ومن خفت موازينه) أى ومن لم يكن له أعمال وأراء تستحق الاعتبار فتوزن (فأولئك الذين خسروا أنفسهم) غبنوها فأضاعوا كمالها الذى كانت مستعدة له (في جهنم خالدون \* تلفح) تحرق (وجوههم النار وهم فيها كالحون) عاسون أو متقلصو الشفتين عن الأسنان من شدة الاحتراق ويقال لهم (ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون \* قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا) أو شقاوتنا على وزن سعادة ووزن كتابة أى ملكتنا الأخلاق والعادات غلبتنا في سجنها

الظالم فلم نزال نور ولم نعرف الحقائق (وكنا قومًا ضالين) عن الحق ذلك لأن الخلق متى ثبت في الإنسان وأحاط به منعه التجاوز عنه كما يرى في شار في التبغ والخمر والمواد المخدرة والمولعين بالعظيمة والكبداء والغمرمين بالاسراف فهؤلاء قد يعرفون الحقائق ولكن الاعتقاد والرياء وخشية الناس ملكتهم فلا يقدرّون على التخلص من ذلك (ربنا أخرجنا منها) من النار (فإن عدنا) إلى التكذيب (فأنا ظالمون) لأنفسنا (قال أحسوا فيها) استكروا سكوت ذلة وهوان أو أعبدوا كما يقال للكلب إذا طرد أحسأ (ولانكلمون) أي في رفع العذاب أو لانكلمون أصلا وذلك لأنه لامناسبة بيني وبينكم لأنكم ماديون وأنا فوق المادة وإنما يكلمني من صفى نفسه من المادة وتقرب مني باحتقارها وبالتبحر في العلم والحكمة . ويقال إن هذا آخر كلام يتكلمه أهل النار ثم لا يكون منهم بعدها إلا الزفير والشهيق وعواء كهواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون فأنهم أو لا يدعون مالكا خازن النار - يا مالك ليقتض علينا ربك - فلا يجيبهم ثم يقول - انكم ما كنتم - ثم ينادون ربهم - ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فانا ظالمون - فيدعهم مثل عمر الديناريتين ثم يرد عليهم - أحسوا فيها ولا تكلّمون - إلى آخر ما تقدم وهذه ليست في الصحاح ثم قال تعالى (إنه كان فريق من عبادي) أي المؤمنين كأهل الصفة (يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحنا وأنت خير الراحمين) \* فالتخذتموهم سخرى تسخرون منهم وتستهنئون (حتى أنسوكم ذكري) من فرط اشتغالكم بالاستهناء بهم (وكنتم منهم تضحكون) قد كان كفار قريش يستهزئون بالفقراء من أصحاب رسول الله ﷺ كبلال وعمار وصهيب وخباب (إلى جزيتهم اليوم بمأصبروا) على أذاكم واستهزائكم (أنهم هم الفائزون) أي فوزهم بمجامع ما يطلبون (قال) الملك المأمور بسؤال الكفار لهم يوم البعث (كم لبثتم في الأرض) في الدنيا وفي القبور (عدد سنين) \* قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) لأنهم نسوا مدة لبثهم في الدنيا من الهول والشدائد (فأسأل العاذين) أي الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم وهم خالصون أصالة من المادة فلا عذاب عليهم ينسبهم الحساب (قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون) أي ما لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون قدر لبثكم في الدنيا فهذا تصديق لهم (أفسمتم) أيها الناس (أنما خلقناكم عبثا) أي عابثين فنحن لم نخلقكم تلهيا بكم وإنما خلقناكم لتهذيبكم ونعلمكم فترتقوا بأنفسكم وبمجرد اختياركم مع سابق علمنا وبتربيتنا إلى عالم أرقى مما أنتم فيه فلم نخلقكم عابثين وقوله (وأنكم إلينا لارجعون) معطوف على - أنما خلقناكم - (فتعالى الله الملك الحق) أي التام الملك لأملاك الأرض الذين ملكهم معرض للزوال (لإله إلا هو رب العرش الكريم) الحسن وتقدم معنى العرش في ﴿هود ويونس﴾ (ومن يدع مع الله إلها آخر) يعبدّه (لإبرهان له به) أي لأجحة ولا يثبت له به لأن ذلك مستحيل (فإنما حسابه عند ربه) فهو يجازيه وهذا جواب الشرط (إنه لا يفلح الكافرون) انه أي الشأن . ابتداء الله السورة بفلاح المؤمنين وختمها بعدم فلاح الكافرين ثم علمنا كيف نسأل المغفرة والرحمة فقال تعالى (وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين) فرحة الله تغني عن رجة غيره \* روى انه عليه الصلاة والسلام قال ﴿لقد أنزلت على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ - قد أفلح المؤمنون - حتى ختم العشر﴾ انتهى التفسير اللفظي للتصديق الثالث من السورة . وهنا ﴿أربع جواهر﴾

(الأولى) في قوله تعالى - يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم \* وإن هذه أمّتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون -

(الثانية) و(الثالثة) في قوله تعالى - كل حزب بما لديهم فرحون - وفي قوله تعالى - وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة -

(الرابعة) وهي جوهرة في نور الأنوار وسر الأسرار في قوله تعالى - فمن هتلت موازينه فأولئك هم المفلحون -

﴿ الجوهرة الأولى في قوله تعالى - يا أيها المرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم ﴾  
 \* وان هذه أمستكم أمة واحدة - الخ \*

قد تقدم الكلام على اتحاد الأمم المنتظرة في أول (سورة الحج) وتقدم أيضا في (سورة الكهف) كلام عام في الذي حل بالمسلمين من الخلاف في الخلافة وكيف تقطعوا فرقا وذاقوا بعضهم بأس بعض. وهاتذان الآن أشرح هذا المقام بشرح أوسع وأهمج وأجل فاعلم بإصلاح أن هذا التفسير جاء في زمان ظهور انشقاق وانتشار الروح السعيدة في هذا النوع الانساني . ولقد كنت ألفت كتاب ﴿ أين الانسان ﴾ قبل الحرب العظمى بأربع سنين ونشر إذ ذاك وما كنت أعلم أن ما أكتبه إذ ذاك أنى منذ ثمانى عشر سنة وذلك سنة ١٩١٠ م سيصح فكرة عامة عند الأمم الشرقية والغربية إذن أنا أجد الله عز وجل جدا كثيرا على ما ألهم وعلم وزرع في الأفئدة الشرقية والغربية الآن فكرة كانت ضئيلة قبل الحرب العظمى فساد ذكر لك الآن ملخصا من كتاب ﴿ أين الانسان ﴾ ثم أتبعه بما ألقاه محفظ (كابول) ببلاد أفغانستان في شهر يونيه سنة ١٩٢٨ ثم ما تلاه بعد ذلك في شهر أغسطس من هذه السنة أيضا بعنوان « ميثاق السلم وبناء الحرب بين الأمم » ثم أتبعه بفكرة عامة في الموضوع . فهنا ﴿ أربعة فصول ﴾  
 ﴿ الفصل الأول ﴾ فيما جاء في كتابي ﴿ أين الانسان ﴾

﴿ الفصل الثاني ﴾ في خطاب محفظ كابول بمصر

﴿ الفصل الثالث ﴾ ميثاق السلم وبناء الحرب

﴿ الفصل الرابع ﴾ فكرة عامة في هذا الموضوع

﴿ الفصل الأول في ملخص ما جاء في كتاب أين الانسان ﴾

أخلص لك أيها النكبي هنا (الفصل العشرين) من كتاب ﴿ أين الانسان ﴾ فيه استخراج السلام العام في الأمم من النوايس الطبيعية والنظم الفلسفية والفطر الانسانية وبيان السبابة على أساس الطبيعة وأن مدينة اليوم حيوانية ودعوة الناس للانسانية الحقيقية . وبيان أن الانسان لم يفهم انسانيته وخطاب موجه لفلاسفة الأمم ثم أقامها وملكها يدعو الأولين لبحث هذا الموضوع والآخريين للتعاون على العمل . وهناك جاء ما ملخصه

(١) لأن عدد الذكران والنساء في المواليد على سطح الكرة الأرضية يكادون يتساوون وهذه قاعدة لم تخطئ إلا نادرا لعارض

(٢) وكما حصل ذلك في الذكورة والانوثة حصل في القوى والملكات فلا يكون الجمال المفرط ولا الذكاء المفرط ولا القوة المدهشة إلا نادرا على مقدار الحاجة لذلك

(٣) الأمم الوحشية لم تفقد الذكران أو الأناث حتى تقتربهم من أم أخرى فهكذا هي لانفقد العقول الكبيرة المستعدة لإدارة شؤونها وارتقاؤها علما وعملا

(٤) إذا تركت تلك العقول في الأمم الضعيفة خسر الانسان العام خيرات من الأرض ومن الهواء والماء على مقدار تلك العقول المتروكة

(٥) الأمم القوية خسرت من ربح الأرض على مقدار ما خسرت من عقول الأمم الضعيفة وفي صفحة (٢٣٢) و (٢٣٣) من الكتاب في الفصل العشرين المذكور ما نصه هذه أهم مباحث هذا المقام

(١) هل قوى نوع الانسان موزعة عليه توزيعا حسب الحاجة كما في الذكورة والانوثة

(٢) هل المنافع موزعة على سطح الكرة الأرضية توزيعا على العقول

(٣) أيهما أفع للأمم الرشيدة أنسير على منوالها الرسوم ولا تتجاوز في سياستها أصغر الحيوانات كالنمل أم تعدل عنها الى شرفها وأساعدتها وصدقها

- (٤) إذا كثرتعداد أمة أفلاتعلى أرضا من بلاد أخرى بمقدار نحوها  
 (٥) أحسن أن تحصى أراضي الأمم العامرة والغامرة  
 (٦) أوليس من الجهل الفاضح أن تصرف قوى الأمم إلى قتال أنفسهم ويذرون محاربة الطبيعة لاختضاعها  
 أوليس من الواجب أن يوضع ناموس عام لاصلاح الأرض في كل أمة وتدين الشعوب التي هي نصف رشيدة  
 والتضافر بعد ذلك على اصلاح الباقي من الأمم طوعا أو كرها ثم يبين مقادير ثمرات العقول الخادمة ان أوقفت  
 من غفلتها وما فوائد التحل الأمم الرشيدة منها  
 (٧) أليس سعادة الانسان في أن يكون ذا ملكة في فن خاص تضارع غرائز الحيوان كنسج العنكبوت  
 وهندسة التحل . فاذا وصل النوع الانساني الى هذه الملكات فما مقدار الفوائد إذ ذاك  
 (٨) الدول اللاتي ترجع من أضعاف غيرها وجهله فما الذي يجب أن يستعصوا به عن الرجح بدل ما  
 فقدوه . هذا هو الذي أردت تلخيصه من هذا الفصل في كتاب «أين الانسان» الذي نشر قبل الحرب  
 العظمى وبه انتهى (الفصل الأول)

﴿ الفصل الثاني في خطاب محافظ كابول في فندق الكنننتال بمصر في شهر يونيه سنة ١٩٢٨ ﴾  
 ألسنت تجب أيها الذكي أن ماكنت أكتبته منذ ثمان عشرة سنة بصفة رأى خاص لي أصبح الآن يخطب  
 به على المنابر في بلاد الغرب وفي بلاد الشرق على رؤس الأشهاد . اللهم إني أجدك على نعمة التوفيق وعلى  
 نعمة العلم وعلى انك أنت أقيمت حياتي حتى رأيت أهل الشرق عاقمة والمساعين خاصة يجهرن بمثل ما كنت  
 استنبطه استنباطا عقليا . فانظر الى انتشار هذه الآراء بين الأمم بعد الحرب العظمى وانتقالها من أمة الى أمة  
 فيها كصورة الخطبة التي ألقاها على أحد خان محافظ كابول بذلك الفندق بمناسبة إبرام معاهدة الصداقة بين  
 مصر وأفغانستان . فيها قوله «إن يقطعة الشرق ووحدة مشاعره ليست وليدة المصادفة بل أنها ثمرة الصبر  
 الطويل والتكبير وقد شملت الشرق جميعه من جبال طوروس الى أرزلبنان لجبال البامير بالهند الى سهول  
 أفغانستان فالبادي العربية فالعراق ففارص فالهند فالصين فسيبريا فاليابان . إن ممالك الشرق القديم قد  
 استفاقت اليوم من رقادها الطويل فنهضت وتقدمت طالبة للحاق بمن تقدمها يقودها زعمائها الذين بثوا في  
 سواد شعوبها مشاعر الاخاء والاتلاف والتعاون على الاتحاد والامطمع لهذه الشعوب غير عقد روابط الصداقة  
 والولاء ونشر السلام العام وشعارها (الناس اخوة) . إن الأمم كالأفراد يسودها الشعور بمحاجتها أينما حلت  
 وكيف وجدت تمحدها الى نشدان الاتحاد والاتلاف بقطع النظر عن الجنس والمذهب ومتى توفرت لها  
 البوابة للروابط والانضمام أمكنتها إذ ذاك بلوغ مقاصد النجاح والهناء ففصل الى درجة من التمدن الصحيح  
 الذي يعينها على الوحدة التي تتركها بها اتقوة ومتى أدركتها تسنى لها أن تحل راية السلام التي ينطوي فيها  
 الهناء ونعومة المال وبها تمكن من ادراك وحدة التصورات والأفكار وبلوغ المطالب الرفيعة وتلك هي غرض  
 شعوب الشرق كيفما تنوعت المقاصد . فلولاء تلك الجبة المضرة في صدور تلك الشعوب المتباينة أجناسا  
 للقيمة في متعدد البلدان والأوطان لم تكن لتوجد تلك المشابهة التامة والعلاقة في ميولها ومشاعرها باجتذابها  
 الأمم المتباعدة والأقوام المتباينة وتقرّب مجموعها بعضها الى بعض باطفاة القرى والاخاء . وليكن معلوما  
 أنه ليس لممالك الشرق في تحالفها واتحادها وجهادها في سبيل السلم ونشدان الحرية من غرض وقصد سوى  
 الاتصال والتقرب الى أمم الغرب كي يتمكن الطرفان المتباعدان من الاشتغال وبذل الجهود في توفير الخير  
 والهناء والسلام لبني الانسان . وأقوى برهان نقيمه على ماقتنانه من الكلام في هذا الصدد شعورنا بالمرسة  
 والارتياح وهما دليلا التضامن والاخاء الذين جمعوا شعب هذه البلاد في دائرة واحدة بفضل زعمائها القديرين  
 وهي لارجو من وراء ذلك التضامن والاخاء سوى الاستمتاع بثمرات السلم ونعومة البال ومتى أدركتها بلغت

الى انعام التفاهم مع الأمم التي تتواصل وياها في المعاملات ومبادلات الأفكار . وما يؤسفني أن أجدر رجال  
 جعية الأمم على خلاف ما ينبغي أن يكونوا عليه لأنني رأيتهم مختلفين فيما يجب اتخاذه من خير الوسائل والطرق  
 لتوطيد السلام العام بين الأمم وأراهم الى الساعة لم ينجزوا شطرا واحدا من مهمته العظمى لخير البشرية .  
 وأحب أن أكون متفائلا لقلت ان جعية الأمم الشرقية المنتظرة تكون يوما خير معاون لجمعية الأمم الأوروبية  
 لأنها تشد أزرها في اكمال تلك المهمة الكبرى واتى قوى الرجاء في أنه لا يمضي زمن طويل حتى أسمع صوتا  
 من جمعية الأمم الشرقية مناديا بلزوم اكمال تلك المهمة الانسانية العظمى الساعية لانعامها جمعية الأمم الأوروبية  
 ويظهر لي أن أقول انه كان من أثر زيارة جلالة الملك أمان الله خان لهذه الديار انعقاد روابط الود والتعارف  
 مع حكومات بلجيكا وفرنسا وجمهورية سويسرا وعقدنا معاهدات صداقة ووداد مع حكومة بريطانيا العظمى  
 وجمهورية السويد وحكومة إيطاليا وجمهورية فرنسا وألمانيا وتركيا وحكومة إيران . نعم ليس لنا في القارة  
 الاخرى بقية أصدقاء ولست لنا فيها علاقات . وإن كان من حسن حظي انني نذبت الى مهمة عقد معاهدة ود  
 وولاء مع حكومة مصر . ويسرني انما عقدت وأمضيت على أحسن ما يكون ﴿

ثم قال ﴿ واتى لأرجو أن تعقد معاهدة صداقة بيننا وبين جمهورية الولايات المتحدة وأود أن لا يهتفي مطلب  
 جدير بالنظر ألا وهو ان قصدنا تلك المعاهدات مع الحكومة المصرية هو ضرورة توثيق صلات الود  
 والتعاون بين شعوب قارتى افرىقية وآسيا ﴾

يا حضرات الأصدقاء ﴿ تعرفون أنه ليس في وسع شرقي يحترم ذاته أو يكرم وطنه أن يكتم سروره أو  
 يضمر شعوره حتى يذكره تقدم اليابان ووثبة الترك ونهضة أفغانستان وبقعة إيران وتقدم مصر وما أصابته من  
 الغزاة والنجاح أولادكم ثورة سورية وأولادكم بمخيلته نهضة الشرقيين بالاجماع . كيف لا يفرح الشرقي وبهت  
 طربا حين يتلى على سمعه ما تقدم من البيانات . الباعث الذي يحسه ويتأكد من أن الشرق أصبح قويا  
 لأنه عرف بأن جاءت الساعة التي أمكنت شعوب الشرق أن تقف وجها لوجه أمام أمم الغرب فتنظرها القول  
 مخاطبة لها قائلة (أن ليس من همي وفصدي التنافس والسباق ولكن مقصدي أن أقل عنك كل ما يحسن  
 اقتباسه من مدنيك ولا أترك شيئا مفيدا) وهذا ما يجب أن يكون صالحا لكلنا القارتين العظيمتين . ليس  
 ما شمل الأمم الشرقية من عوامل الجدل والسرور إلا لكونها من رقت غواشي الجهالة والتعصب وانقبضت  
 أيدي أهلها عن انتداج والتقتيل وأدركوا الواجبات المفروضة نحو مواطنهم واخوانهم في الانسانية ذلك لأن  
 مشاعر التعاطف والاخاء قد أوجبت عليهم هذه الفريضة نحو شركائهم في البشرية . هلا كان ذلك لداعي انهم  
 نبذوا الخلاف والشقاق واطرحوا النزاع أولان كل أمة منهم كفت عن محاربة جارتها . كلا . ولكن لأنهم  
 اتحدوا واجتمعوا أمة واحدة وبهذا الاتحاد أمكنهم أن يقوموا بنصيبهم من العمل ويستعتبوا لخبر الانسانية  
 جمعا ناظرين الى جميع الأمم وأوطانها قاصدا ودانها كأخلاف واخوان صدق بقطع النظر عن اختلاف اللسان  
 وتباين العقيدة . ولا أكون مبالا اذا قلت ان مصر جادة في هذا السبيل فاننا نراها باذلة منتهي الجهد في  
 توثيق عرى الصداقة والسبي الى محافة أكبر الدول وهو مأخذ لا ينشده إلا أعظم الرجال والأمم وهو الغرض  
 الأسمي الذي تسعى اليه بلادى المحبوبة وهي بلارب سترك ضالها المنشودة . إن بلاد أفغانستان تبذل  
 أقصى جهدها لتحقيق روابط الصداقة مع شعوب العالم أجمع وتفرغ بمجهودها لتوطيد قواعد السلام  
 العام والاتحاد بين أبناء البشرية . انني في هذه اللحظة أطرب في سماء الخيال وأرى بعين البصيرة كما لو أن  
 أجدادنا الذين رحلوا عن هذا العالم منذ مئات وآلاف السنين يخاطبوننا ففضل علينا أصواتهم عن طريق  
 (اللاسلكي) منادية لنا قائلة (إن أرواحنا تخاطبك بلهجة الصديق والاخلاص وانها لتزأ بك وتسخر من  
 مدنيك الكاذبة المصطنعة فانكم وسمتمونا بالخشونة والبربرية ولكن واحرقوا بنا منكم فانها لثممة كاذبة

وهي مردودة عليكم ولا يلحقنا شيء من عارها) . هم يقولون لنا (إننا كنا محمد بن لذة العالوم الحديثة والمخترعات الجديدة والعلماء المتبحرين ولم يكن لدينا شيء من جبال وكلال الأشياء والمواد التي هي اليوم بين أيديكم ولم يكن عندنا نافيون ولا تانغراف ولا (لاسلكي) ومع ذلك تعودنا على أن يقتل الواحد منا الآخر. انما كان يحدث ذلك نادرا عند ثورات الطبع وفي أحوال الجوع أو الغضب أو في أحوال كان الإنسان لائلاكم شوره . وجهد ما كنا نعرفه من أساليب القتل هو استعمال أداة من شجر أو خنجر من حجر ولكسكم أنتم قتلتم جبال مدنيكم وعلمتم كمال مخترعاتكم . فبدلا من أن تكون هذه المخترعات وسائل خير وفضل هارت سبة وعارا على العصر الذي وجدتم فيه . لقد تعمدمت القتل على أهون سبيل بلا اكتراث ولا اهتمام واختزتم العازرات الساقة للهلاك واستفصل بنى الإنسان . واستخدمتم لسكر بانية وطرق الاختراعات لتقصير الأبعاد وتقريب المواصلات لأجانبفع بنى النوع الانساني بل لفنائهم وقطع دابرهم من على وجه البسيطة. أما نحن فلم يكن في وسعنا لماقتل فوق الأرض وتحت سطحها وفوق صفحة البحر وفي أعماقه وفوق صفحة السحب وفي جند السماء . وقد يأخذنا الاشتفاق عليكم لأنكم أجهدمت أذهنتكم وقواكم العقلية وتفكيركم وبذتم المال والبلالين من الأفسر الزمان لاستزادة مخترعات الهلاك والتمثال النفوس البشرية التي حرم الله قتلها (إلا بالحق) ولم يخلقها إلا لاستمتاع الحياة وخدمة الآخرين . نعم انكم لانتلون أفرادا ولكنكم تفرغون جهودكم في استئصال بنى نوعكم وأخوانكم في البشرية . إننا وغرة جبين خلق نهرنا بمخترعاتكم ونسخر بأفعالكم وبحزننا أن نقول لكم إبقوا على حياة أخوانكم . لاثيروا النزاع ولا تقووا أسباب الخصام والصراع . دعوا أخوانكم في البشرية يعيشون في سلام. ويهتؤن بدعة الحياة . دعوهم يشغلون خيرا أنفسهم ولخير البشرية ولنفع وأوطانهم . نعم إننا ارتكبنا ذنوبا ولكننا نبت الى الله عنها وسألناه رحمة ومغفرة . أما أنتم فتصوؤوا كيف تكون حالكم وبأى شيء تمثل مشاعركم وعواطفكم حينما تسألون لتعطوا جوابا عن كبريكم وشروكم التي استفعل أمرها واستطارضررها . فكيف إذن يقارن موقفكم بموقفنا والفرق بيننا وبينكم عظيم . إن جعية الأمم التي نظمت موهالم تجر شيا كما كان يجب أن تفعله على الحقيقة . ومن الواجب أن ترتبط بجمعية الأمم الشرقية وكنانا الجمعيتين تعملان بدا واحدة لخير وتقدم بنى النوع الانساني وكان حقالزاما على جعية الأمم أن تصدر الأوامر التي كان يجب على دول الأرض المتعددة أن تمتثل أوامرها وتقوم باتمائها . مافائدة مصالحة أخوانكم في الانسانية بينما قلوبكم بعيدة عن استشهارةضع العواطف اعتدادا بأن السياسة تقضى بذلك . ألا تعلمون أنه يجب علينا أن نكون مخلصين وصادقين في جميع مشاعرنا وعواطفنا حتى في السياسة فلا نستخدمها بطرق عوجاء لتكون سياسة المداينة والتدليس . إن بعضا منكم يوافقني والبعض الآخر يخالفني ولكني أرجو أن يحمل ففرومنكم أقوالى وأفكارى على محل العطف بحسن النية والصدق . ويقضى انكم توافقون على مبادئ وتعاليم السل والإخاء البشرى فتتملوا مقالى هذا بقصيدة من الشعر أو مقال من التريديدو فيه جبال المطلع ولطف الأسلوب والقصيد من سلامة الذوق . واني لأناشدكم السى الى وجدان الوسائل لبث الدعاية لذلك الغرض الأسمى الذى أعتقد انكم توافقون على الغاية المنشودة من ورائه بروج الإخاء العام . وانه ليسرني ويطر بنى أن أقول ان مليكتنا المحبوب جلالة (أمان الله خان) وجيع مواطنى وشخصى الضعيف لاشأن لهم ولاغاية في مشاعة أو مناصرة دين على دين أو طائفة على أخرى بل اننا وبمجن الحق نرعى دمة كل فرد من الناس ويسرنا أن نكون أصدقاء وأخوان جميع الأمم والأشخاص ونعد أن نأنا إخوانا لكل دولة وأمة تحت أديم السماء مصافين أولئك الأخوان بيد الصداقة الخاصة وشعارا يفصح عن قصدنا بهذا القول . كونوا خالصا وأمناء لجميع أخوانكم . انتهى



( الفصل الثالث في ميثاق السلم ونبذ الحروب الذي أرسلته الحكومة الأمريكية الى الأمم كلها ونشر في مرسوم المجلس ٣٠ أغسطس سنة ١٩٢٨ )

فما جاء فيه من أنه : إن رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية ورئيس الجمهورية الفرنسية و جلالة ملك بلجيكا ورئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا و جلالة ملك بريطانيا العظمى و ارلندا والأملاك البريطانية فيما يلي البحار وأمبراطور الهند ورئيس جمهورية الأرجنتين و جلالة ملك إيطاليا و جلالة أديراطور اليابان ورئيس جمهورية بولونيا نظرا لما يشعرون به من الواجب الملقى على عاتقهم لزيادة خير الانسانية . ونظرا الى ايمانهم بأن الوقت قد آن للعمل على نبذ الحرب نبذا صريحا باعتبارها أداة لسياسة قومية توسلا لدوام بقاء العلاقات السلمية القائمة الآن بين شعوبهم . ونظرا الى اقتناعهم بأن كل تغيير في علاقاتهم بعضهم ببعض يجب أن لا يعمل له إلا بالطرق السلمية ولا يتحقق إلا بوسائل السلم والنظام وبأن كل دولة من الدول الموقعة تدعى من الآن فصاعدا لتتبع مصالحها القومية يجب حرمانها الانتفاع بمزايا هذه المعاهدة (كذا) ، ونظرا الى أنهم يرجون أن جميع الدول الأخرى بحذرة مثالهم لا تلتفت أن تشتبك في هذه الجهود الانسانية وأن تلك الدول بانضمامها الى هذه المعاهدة بمجرد العمل بها تمهد لشعوبها سبيل الاستفادة بما احتوت نصوصها من المزايا فتجتمع بذلك كلمة شعوب العالم المنتمدين على نبذ الحرب باعتبارها أداة لسياساتها القومية نبذا عاما قد قرروا فيها بينهم إبرام معاهدة وعينوا لهذا الغرض المفوضين اللازمين . وبعد أن تبادل هؤلاء المفوضون وثائق تفويضهم التام وبعد أن تبينوا صحتها اتفقوا فيها بينهم على المواد الآتية

(المادة الأولى) تعلن الدول المتعاقدة في صراحة وتأكيد باسم شعوبها المختلفة أشد استنكارها للاتجاه الى الحرب لتسوية الخلافات الدولية كما تعان نبذها إياها في علاقاتها المتبادلة باعتبارها أداة سياسية قومية (المادة الثانية) تقر الدول المتعاقدة بأن تسوية أو حل المشاكل والمنازعات أيان كان نوعها أو سببها يجب أن لا يعالج أبدا إلا بالوسائل السلمية

(المادة الثالثة) تصدق الدول المتعاقدة المبينة أسماؤها في الديباجة على هذه المعاهدة وفقا لثقتين دستيرها وتصبح المعاهدة نافذة بينها متى أودعت جميع وثائق التصديق في (وشنجنطون) وعند ما تصبح هذه المعاهدة معمولا بها على الوجه المشار اليه في الفقرة السابقة يباح لسائر دول العالم الانضمام اليها طوال الزمن اللازم لذلك وتودع الوثيقة الدالة على انضمام كل دولة في (وشنجنطون) وبمجرد هذا الإبداع تصبح المعاهدة نافذة بين هذه الدولة وبين الدول الأخرى المتعاقدة . وعلى حكومة الولايات المتحدة أن تقدم الى كل من الحكومات المبينة في الديباجة ولكل حكومة تنضم الى هذه المعاهدة فيما بعد صورة طبق الأصل من المعاهدة المشار اليها ومن كل وثيقة من وثائق التصديق أو الانضمام . وعلى حكومة الولايات المتحدة أيضا أن تحظر تغرافيا تلك الحكومات بكل وثيقة من وثائق التصديق أو الانضمام بمجرد ايداعها . واشهادا بما تقدم وقع المفوضون ورضعوا أختامهم على هذه المعاهدة باللغتين الفرنسية والانجليزية على أن يعتبر كلا النصين مرجعا يعتمد عليه . وقد صدر بباريس في اليوم السابع والعشرين من شهر أغسطس سنة ألف وتسعمائة وثمانية وعشرين

كل ما يتعلق بالتصديق على هذه المعاهدة والانضمام اليها من الأحكام مبين (كما تلاحظون معاليكم) في (المادة الثالثة) الأخيرة . فهذه المادة تنص على أن المعاهدة تصبح نافذة بمجرد ايداع تصديق جميع الدول للمبينة أسماؤها في الديباجة في وشنجنطون وعلى أن باب الانضمام اليها سيظل مفتوحا لجميع دول العالم كما أن وثائق الانضمام تودع أيضا في وشنجنطون . وكل دولة ترغب في الاشتراك في هذه المعاهدة لها حق الانضمام اليها . وعلى ذلك فإن حكومتى تسكون سعيدة بأن تتلقى في أى وقت مناسب اعلان الانضمام من الحكومات

التي ترغب في الاشتراك في نجاح هذه الحركة الجديدة لسل العالم بإدخال شعوبها في دائرتها المباركة . وبما تجبر الإشارة إليه في هذا الصدد أن هذه المعاهدة تنص بكل وضوح على أنها عند ما يعمل بها تصبح نافذة بين الدولة المنضمة وبين باقي الدول المتعاقدة على وجه السواء وعلى ذلك فمن الواضح أن كل حكومة منضمة مشتركة اشتراكا كاملا في المزايا منذ الوقت الذي تصبح المعاهدة فيه نافذة . انتهى الفصل الثالث

### ( الفصل الرابع فكرة عامة في هذا الموضوع )

سبحانك اللهم تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك أنت الذي خلقت هذا الانسان وقلت له بعد أن قطع أجالا طويلة تبلغ آلاف مؤلفة - وأن هذه أنتمكم أمة واحدة وأنار بك فائقون - ثم ذكرت انهم أعرضوا فتنقطعوا أمرهم بينهم زبرا - . اللهم إنك علمت هذا الانسان معاملة الرق والتربية الحسنة . فأولا قلت له إني ربيتك والتربية تشمل جميع العلوم الجملة في الفاتحة في قوله تعالى - الحمد لله رب العالمين - وهي تشمل العلوم كلها ثم أمرته بالعبادة والعبادة ترجع إلى ( أمرين ) العلاقة بين العبد وربّه . وبينه وبين نفسه وبني الانسان . فالأولى يرمز لها بنحو الصلاة لأنها صلة بين العبد وربّه والثانية يرمز لها بنحو عمل الأخلاق وبنحو الزكاة . فعمل الأخلاق يطهر النفس والزكاة وأمثالها لتجلب نوع الانسان والمودة معهم . أما هذا الانسان فإنه قد سها كثير من نوعه عن العلوم التي أمر بها في قوله تعالى - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - مثلا وكثير منهم أيضا ضلوا السبيل في معاملة بعضهم بعضا فهم في حرب وضرب أمدا للحياة . أمرهم ( كونفوشيوس ) في الشرق الأقصى قديما بالحببة العامة والمودة وكذلك المصلحون من المهند مثل ( خريستا ) ومثل ( بوذا ) ثم جاء المسيح ابن مريم وأمر بالحب العام . كل ذلك جاء لنصح الناس أن يكونوا أمة واحدة . وجاء القرآن الشريف بالسلام وأن يكون الناس أمة واحدة بالدخول في الاسلام وهناك لا يكون حرب فلم يمكن ذلك ألا نتجهوا أن القرآن الذي جاء فيه محاربة الكافرين هو الذي جاء فيه آية تقيده أن الحرب ستنتهي يوما ما إذ قال تعالى - حتى تضع الحرب أوزارها - وقال علماءنا ( ذلك يوم لا يبقى في الأرض إلا مسلم أو مسلم ) فانظر ماذا فعل الله ذلك اليوم أي يوم السلام العام . ألهم علماء الكيمياء والمهندسة ذوى العقول العبقريّة فاخترعوا آلات الحرب والدمار وكثرا استعداد للحرب وآلات الهدم والتخريب . سبحانك اللهم أنت الذي سلطت على قطن الولايات المتحدة ( كما تقدم في سورة الأنبياء عند قوله تعالى - ونبلوكم بالشّر والخير فتنة - ) دودة اللوز ففتكت بنفس القطن داخل غلافه الذي يسمى باللوز . فهذه الدودة التي أرسلتها إليهم ففتكت بقطنهم هي التي علمتهم كيف يقتصدون في زراعته وكيف ينتفعون بأرضهم في زرع أخرى وكان ذلك الشرّ الناجم من الدود هو عين الخير الذي نصحت به الحكومة هناك والعلماء والخطباء فلم يند يا الله نصح الناصحين هناك ولا خطب الخطباء ولكن الذي أفادهم إنما هي دودتكم التي وعظتهم بالعمل لا بالقول فقم الخطيب خطيبك ونعم المعلم معلمك . فهكذا يرب علمت الأم كلها معاملتك لأهل أمريكا في قطنها . أرسلت الأنبياء وألهمت الحكماء فقالوا للناس عيشوا بسلام فأبوا وتحاربوا وتقاتلوا ولم يجد في التاريخ الحديث ولا القديم أمة من ام الأرض إلا وقد اقتضرت بالحرب والمقتل وجعلته أهم فضائلها ومناقبها . هناك أرسلت لهم خطباء غير الخطباء السابقين وماهم إلا تلك الدمرات . وهاك أيها الذكرى ما قالته جريدة (منشستر جارديان) تحت عنوان ( الحرب القبيّة )

تبين من التمرّنات الحربية الجوّية الأخيرة أن الدفاع عن لندن غير مستطاع حتى في أربعة النهار من هجمات الطائرات الحربية . فما تقول عن سائر المدن الانكليزية الأخرى . ماذا تقول عن (برمنجهام) و (مفستر) و (لديس) و (لنر بول) والجهات الشمالية (واسكوتلند) . ولربّ معترض يقول ان (لندن) يمكن اخلاؤها ولكن أين تذهب ملايين السكان وإلى أين يلجؤون . إلى المعسكرات والمضارب حيث يكونون

أكثر استهدافا للمخاطر مما لو كانوا في مدينة ذات مبان عالية تفهم شر الغارات الساتمة وأقية أرضية تخفف عنهم فتك القنابل الهائلة الانفجار . ربما كان هناك بعض الانصاف في ما طرأ على حالة الحروب الحديثة من التغيير والتبديل فالملكيون لا الجنود هم الذين يصنعون الحرب فمسؤولية الحروب ليست على الجيش بل على الحكومات والبرلمانات والتأخيين وكان الجنود فيما مضى هم الذين يقاسون وبلاء الحرب . نعم ان الملكيين قد قاسوا وبلاء الحرب العالمية الأخيرة أيضا ولكن ذلك كان في انكثرا أقل منه في فرنسا وفي فرنسا أقل منه في ألمانيا وفي ألمانيا أقل منه في روسيا . ففي روسيا عانى الجميع أهوال الحرب سواسية فقد سقطت قنابل من الجوعى لندن وباريس ومدن ألمانيا الغربية وفتكت بالرجال والنساء والأولاد . وقد شرع جميع السكان بهول الهجمات الجوية وتولاهم الرعب ولكن سرعان ما نسى الناس المخاوف . وقد كان عدد الذين قتلوا وأصيبوا في الحرب العالمية كبيرا جدا ومع هذا كان باعتبار البشر من الأمور الطفيفة وكاد يصبح نسيا منسيا ولكن كل أوروبا الوسطى حوصرت وكاد الناس في ألمانيا والنمسا يموتون جوعا ولم تكن حالة الملكيين غير المحاربين أفضل كثيرا من حالة الجنود المحاربين في الصفوف الأمامية . ولهذا السبب بات الألمان والنمساويون يكرهون الحرب أكثر مما نكرها نحن في انكثرا . ولكن في الحرب المقبلة سينال الملكيون في انكثرا نصيبهم من الأهوال إذ من المؤكد أن الجنود في الصفوف الأمامية (ان كان هناك صفوف أمامية) والبصرة في السفن الحربية والطيارين في الجو سيكفون أكثر طمأنينة من أهالي لندن أو منشستر وأغبرهما من المدن عند ماتكون طيارات العدو في جوها . وقد بدأ الانكليز يدركون الآن أهوال الحرب الجوية ويعلمون أن مخاطرها فوق ما يتنبأ للعقل البشري تصوره والفضل في معرفة ذلك للتعمرات الحربية الجوية . فهل تفهم الحكومات هذا الفهم . ففي اليوم العشرين من شهر يونيو عام سنة ١٩١٨ وقف المستر (بلفور) وقال في مجلس العموم البريطاني مايلي

« من يشعر بأهوال الحرب أكثر من الذين كانوا السبب في اضرار ما رآها وعلى من تقع تبعه السماء المسفوفة والأموال الضالعة ومن الذى يزرع تحت عبثها . وكيف يمكن أن يشعر رجل أوطافقة من الرجال أكثر مما يشعر بها الجالسون على هذه المقاعد »

إن أقوالا كهذه جعلت الجنود في الخنادق يدركون بعد الشقة السحيقة بينهم وبين الحكومات التي في أيديها مصيرهم ولكن في الحرب المقبلة سيكون الأهالي في مدنتهم وولاية الأمور في دوايرهم والجنود في خنادقهم رفاق حرب سواسية أكثر مما كانوا في الحرب الأخيرة . ولكن هل يزيد التقارب بينهم إلى حد التفاهم المتبادل . لا ريب أن الأهالي للملكيين والجنود سيتفاهمون ولكن أعضاء الحكومة يتسنى لهم أن يلتجؤوا إلى ما كن بعيدة ويقتصروا في معاقل مأبونة . ولكن في الحرب المقبلة سوف لا تكون هناك أما كن بعيدة أو ملاجئ منيعة . ورب معترض يقول انه مع هذا تكون الحكومات ولاسيما حكومتى انكثرا وفرنسالى والجنود . فهل هذه الفكرة أو الافتقار إلى سعة التصور ماحدا بالحكومات ولاسيما حكومتى انكثرا وفرنسالى التلكؤ في الموافقة على تحريم الحرب والتخوف منه . إن ميثاق تحريم الحرب الذى هو أفضل مشروع قام به البشر حتى الآن قد أضعف رط من شأنه بالتحفظات والتعابير حتى بات شجعا مما كان يقصد منه . ان الدوائر المتعقلة ذات الروية والتفكير العميق في انكثرا غير مرناحة إلى ماحل يمشى تحريم الحرب من البتر والانهك ولا يتسنى لأية حكومة أن تزدري آراء هذه الطبقة ولاسيما عند ما ترى مساعي أمريكا الساعية ونشاهد ألمانيا تقبل الميثاق بلا قيد ولا شرط . ليس في ذلك ما يحجل حكومتنا وحكومة فرنسا حليفنا السابقة . كان من الواجب على انكثرا أن تكون هي الساعية إلى تحريم الحرب ليس لما لها من النفوذ العظيم والمكانة العالية في المدينة غسب بل لأن عليها أن تهتم براحة رعاياها ومستقبلهم . لقد كان أهالي انكثرا في القرون

الغابرة مطمئنين الى سكنى هذه الجزيرة آمنين هجمات الأعداء بفضل أساطيل دولتهم الضخمة وحصولها المنفعة . أما الآن فانهم معترفون بالمخاطر كغيرهم بل أكثر من غيرهم . نعم إن طيارات انكفرتا بقسنى لها مهاجمة (باريس) و (كولون) ولكن الدفاع الجوى عن لندن غير متطاع إلا بطريقة واحدة وهى صد الطيارات قبل وصولها الى جوق (لندن) ولكن لندن أكبر المدن وأقربها الى مطار قواعد الطيران الأجنبية فهى والحالة هذه أسهل تدميرا من سواها وباريس وكولون معرضتان لهجوم الطيارات مثل (منشستر) وليتصور القارى كيف يكون منظر (ميدان البرت) لو أقيمت فيه قنبلة واحدة من القابل الضخمة (وهى تعد جسيمة جدا اذا قورنت بالقذائل التى استعملت فى الحرب العظمى) التى ستمتعمل فى الحرب المقبلة . إن (ميدان البرت) يصبح إذ ذاك حفرة هائلة محوطة بأطلال المنازل المدمرة تقطعها أشلاء الناس المعزقة ثم تصور أيها القارى ماذا تكون حالة (لندن) اذا أقيمت عليها مئة قنبلة من هذا النوع (وايس ذلك بالعدد المستحيل) وانظر الى ذلك الدمار الهائل وانصت الى صياح المصابين من الأدييين الذى لا يعرفه إلا من خاض غمار الحرب . إنه أرفع صوت يصدر من أى حيوان . اذا كثرت إحدى الحكومات ولم تتأ أن تفهم ماذا يفكر الناس وماذا يخافون فيجربها أن ترجع بذكرتها الى الحوادث التى نجمت عن الحرب العالمية منذ عشر سنوات . ولتعتبر بما أصاب حكومات (روسيا) و (ألمانيا) و (النمسا) و (بلغاريا) وكيف قلبت واستهدفت لمخاطر الثورات والفتن حتى ان روح الثورة لم يقصر على الدول المقهورة بل تعداها الى غيرها . فهل غاب عنا أن فرقة فرنسية ولت ظهورها للبدان وشرعت فى الزحف على باريس عام ١٩١٧ م وهى تهتف بسقوط الحكومة وأقامة حكومة جديدة ذات نظام جديد . ففى الحرب المقبلة سيقاسى الغالب أكثر مما قاسى المغلوب فى الحرب الماضية . وقد لا ينسئ للحكومات المنتصرة التخلص من انتقام رعاياها . نعم يجب على حكومات هذا العصر أن لا يعزب عن بالها ما حدث فى الحرب الأخيرة فان ما حدث فى روسيا لا يبعد أن يحدث فى كل مكان . فتجريم الحرب والحالة هذه هو أول واجبات الحكومات . ويجب أن يكون محكاً لتأييدها أو اسقاطها وأن يكون أساس جميع أعمال وزارات الخارجية وأهم برامج مرشحي الانتخابات اهـ

(حكمة الهية ونور على نور ونبصرة وذكري وشكر لله تعالى)

هاهو ذا خطاب محافظ كابول . فهو يقول ان أوروبا لم تقم بالأمر حتى القيام ويقول إن الشرف سيقوم بأمر السلام العام . وأنا أقول . أليس هذا من العجب . لقد كتبت فى سورة (الأنفال) حين طبعها منذ سنتين فى صفحة (١٣) فى تفسير قوله تعالى - وأصلحوا ذات بينكم - مائه

(الأم الإسلامية وجميع الأمم . انظر رعاك الله نحن أولاء فى عصرنا الحاضر كيف نسعى أن أوروبا لها جميعية أم وان لم تقم بواجبها بل ظهر لها تريد ابتلاع الشرق وهضمه وأهم بلاد الشرق بلاد الاسلام ، فلماذا لانرى ثم الاسلام لارابطة بينها ولا قوة تحفظ توازنها ولوصورية بجمعية الأمم الصورية فان هذه الجمعية وكذلك محكمة لاهاى ربما تأتينا بالفرص على طول الزمان وهم الآن يلجئون اليها عند الخصام . فلماذا نرى المسلمين ليس بين دولهم مثل هذه الجمعيات ) ثم قلت فى صفحة (٢٠) ماملخصه ( ان قوله تعالى فى سورة الحجرات - انما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم - الخ وقوله فيها أيضا - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا - ويضم لهاتين الآيتين آية - وأصلحوا ذات بينكم فى (الأنفال) فينتج من ذلك صلح بين المسلمين وتعارف بينهم وبين غيرهم . وقد قدم لله الصلح بينهم فى الذكر على التعارف مع الأمم كترتيب العمل إذ لا يتعارفون مع الأمم إلا اذا أصلحوا فيما بينهم )

هذا ملخص ما ذكرته هناك . انه لم يرض على كتابة هذا وطبعه سنان اثنان . أفلا نجب اننا الآن نسعى محافظ كابول جاء من أقصى البلاد فى الشرق الى مصر وهو يحطّ بالقائلا نحن الذين نقوم بالسلام العام

وأظهر تباطؤ أوروبا . اللهم إنك أنت المعلم الملهم الحكيم العليم . لقد وضع واستبان السبيل وأظهر لي أن هذا زمان الإصلاح والافاء هذا الاسراع في ظهور الحقائق . أنلف على « جعية أم شرقية » فلا يعنى زمن حتى أسمع من أفواه رجال السياسة في الشرق الذين كانوا عندما كتبت الموضوع السابق لا يسمع لهم صوت . صدق الله إذ قال - اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها - . إن نهضة الشرق اليوم مجدة في الاسراع حينما والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم - اهـ

هذا الذي ذكر قبل الحكمة الالهية المذكورة هنا هو ما جاء في تلك الجريدة الافرنجية وهو بين صفحة من أحوال الأمم التي تعيش معها اليوم وأن الله فعل معهم ما يفعله الأب الشفيق بأولاده والاستاذ الصالح بتلاميذه فأولا يأمرهم وينهاهم ثم بعد ذلك يعاقبهم لا انتقاما بل تعليما - فهنا علم الله الأمم السلام العام الذي أشار له بقوله - حتى تضع الحرب أوزارها - بالهام المفكرين اغتراف آلات جهنمية فأجفلت الأمم من الحرب وقالوا كلا . كلا . نضطلع يا الله . نضطلع ونسمع قولك - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا - فهنا نحن يارب جئنا لتعارف بصوت الرهبة لا للرغبة لأننا بالرغبة ما أطعناك ولكننا بالرغبة أتبعناك . هذا هو الذي ظهر في الأمم الآن من الآية التي نحن بصدددها وهي قوله تعالى - وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون - وقد قلنا إن السلام العام من أحد شقي العبادة وكفيل الله عز وجل مع الأمم في أمر السلام العام هكذا فعل معهم في أمر العلم الذي تضمنه قوله - وأنا ربكم - فان الناس لما قصروا فيه لاسيا المسامحة منهم سلط عليهم أنواع المؤذيات ومنها الحشرات انسوقهم الى العلم لأنهم إذا رأوا أنهم تنتابهم الحى بلا سبب يعرفونه لإحشرة صغيرة تسمى (الكولاكس) فهذه هي التي تضع في أجسامهم الحى فانهم لا محالة يجتدون في علم الطب وعلم الطب يحتاج الى أكثر علوم الحيوان والنبات والمعادن والهواء والماء وأضواء الكواكب والحرارة والبرودة وما أشبه ذلك . إذن هذه الحشرة وأشباهها رسلها لله (لأمرين) تعليم الناس جميع العلوم واتحاد الأمم في مطاردتها . إذن المدمرات على (قسمين) مدمرات طبيعية تتحرش على معرفة العلوم وعلى الاتحاد العام في مطاردتها . فلما لم يفهم النوع الانساني ذلك سلط عليه المدمرات الصناعية المتقدم ذكرها . ولعلك تقول في أى وقت جاءت هذه الحشرة . أقول قد جاء ذكرها في آخر شهر أغسطس سنة ١٩٢٨ فان المرض فشى في اليونان فأت كثير من الأطفال والشيوخ وأصيب به مائتا ألف وقال الأطباء إن هذه التاموسة هي التي تنقل هذا المرض وليس ينقل بالملازمة . إن الله لم يرسل لنا ذلك إلا للالحض على علم الطب كما قمتنا والطب لا تقوم به إلا طائفة في الأمة وبقيتها لهم أعمال أخرى والأمم متجاورة وكلهم يجب أن يتعاونوا على درء هذا الخطر وكل وباء عام - إذن هي تعليم لهم الله لاغير وهذا كله داخل في قوله تعالى - وأنا ربكم فاتقون \* فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون - ثم قال تعالى - فذرهم في غمرتهم حتى حين - ثم أشار سبحانه الى أن ما يعتهم به من المال والبنين ليس مسارعة لهم في الخيرات بل هم متحنون . هذا ما فتح الله به في تقدير هذه الآية ومصادقها في زماننا ولست أقول ان ما ذكرته الآن سيمنع الحرب حتما ولكني أقول ان العجب أن يكون ما ذكرته قبل الحرب فكرا أصبح اليوم منتشرا بين أمة الأرض والمستقبل لله وحده هو علام الغيوب والحمد لله رب العالمين

( الجوهرة الثانية في قوله تعالى - كل حزب بما لديهم فرحون - )

( القيل والعيان الست )

اعلم أن هذا النوع الانساني مجبول على الخلاف . مقصور على الشقاق . تنوعت البصائر فاختلفت الآراء . الحقيقة واحدة والآراء شتى ولا يحصى عنها ولا فرار منها . وهل أنك نبأ العيان الست في كتب الانجيل الذين يقال انهم كانوا في بلاد الهند وقد أغرموا بالعلم والبحث غراما وأولعوا به هيما فأجبعوا أمرهم بينهم أن يدروا

(الفيل) دراسة تامة فقام (أولهم) وتقدم الى الفيل فاصطدم به حتى كاد يسقط على الأرض لأنه قابله من جانبه فصاح قائلا (أيها الاخوان إن الفيل أشبه بالخطاف)

(الأعمى الثانى)

فاقترب الثانى منه وقد عثر بنابه اذا هو مدور وناعم وحاد فصاح قائلا (إن الفيل أشبه بالخرقة)

(الأعمى الثالث)

فاقترب الثالث منه وقد عثر على خرطوم فصاح قائلا (إن الفيل أشبه بحية تسمى)

(الأعمى الرابع)

فاقترب الرابع منه وقد عثر بركبته فصاح قائلا (ما أقوى هذا الحيوان إنه كالشجرة)

(الأعمى الخامس)

فاقترب الخامس منه وقد عثر بأذنه فصاح قائلا (ما أشد عماكم أيها القائلون . وكيف تقولون ما لاتقولون . إنما الفيل أشبه بالمرحمة)

(الأعمى السادس)

فاقترب الأعمى السادس منه وقد أمسك بذنبه فقال (إنما الفيل كالخيل . وهذا قول الحق الذى فيه تختلفون) . إن هؤلاء العميان الست المهندسين قد تناقشوا وكل أدلى برأيه وكل منهم مصيب فى رأيه من وجه ومخطئ من وجه آخر . هذا تمام الحكاية الانجليزية . ولقد رأيت نفس هذا المثل فى كتاب (الحياة علوم الدين) للغزالى . وليس المقام مقام البحث عن أصل هذا المثل من الذى قاله ولكن اذا كان الانجليز قد كتبوه فى كتبهم ونقطنها الآن عنهم وقبلهم الغزالى فى الاحياء دلنا ذلك على أن هذا المثل من وضع الهند لأن الكتاب الانجليزى يقول انهم من الهند واتفق الغزالى وعلماء الانجليزية على أن موضوع المثل هو (الفيل) والفيل يعظمه الهند . إذن فلنشرح فوائد هذا المثل . إن هذا المثل ينطبق على أحوال هذه الدنيا فالتناس فى ما كلهم ومشاربهم وملابسهم ولذاتهم ودياناتهم وعلومهم يختلفون ويجمع هذا كله من أول هذا المثل الى الآن - كل حزب بما لديهم فرحون - فالذى رى فى قرية لاعب أكثر منها وعالم الرياضة بألفها وعالم النبات مغرم به وهكذا الحيوان والسياسة وعالم اللغة وهكذا نجد الذى قرأ اللغة الانجليزية من المسلمين أو الفرنسة أو الألمانية وقد درس تاريخ القوم فانه لا محالة يحبهم وهكذا الشافعية والحنفية والمالكية والشيعة وهكذا الزراع والصناع والتجار كل له غرض يهواه بحسب مائشأ عليه وماعتاده فقولته تعالى - كل حزب بما لديهم فرحون - قد فسره المثل المضروب بالفيل فى الشرق والغرب معا . الله أكبر . القرآن كتاب علم والمثل المذكور عام ولكن الحكمة القرآنية أعمى وأجمل وأبهر وبهذا تظهر البلاغة والجد لله رب العالمين

هذه مسألة (الفيل والعميان) تمثل لنا اختلاف العقول وأحوال الأمم والحكماء . وأذكركم بأنهم فى هذا المقام يجمل فاقول

اعلم أن كل حكيم من حكماء الأرض وعالم يلقى للناس من العلم ما يراه سعادة لهم فى أمورهم المادية والمعنوية وجميعهم كمؤلاء العميان يدورون حول الحقائق وكل يقول ما يفهمه والله يقول لهم جيعا - وما أولئك من العلم إلا قذرا . فانظر الى

(١) سقراط

كيف استخلص الباحثون من آرائه القواعد الآتية ببيانها

(أولا) ان الانسان فى ميوله وأحواله يقصد السعادة

(ثانيا) ان الخير والمنفعة مترادفان

(ثالثا) ان العلم هو أس الفضيلة

(رابعا) ان الخير العام مقدم على الخير الخاص

(خامسا) ان الجبال شطر من الأخلاق

(سادسا) إن الشرائع الوضعية مستمدة من الشرائع السماوية

ويقولون بأنه يرى أن حياة الفيلسوف هي أسهى ضروب الحياة لأنها مؤسسة على الحكمة والخيير ولأنها تجلب لصاحبها أكثر ما ييسرنيله من السعادة والمسرّة الخاليتين من شوائب الأكداد وأن حياته هي الحياة المثلى لأن رائده فيها البصيرة ورعاية المصلحة . وبما يستخلص من آراء (أفلاطون) أن الناس لبسوا سواسية في المدارك والأخلاق وأنه من الخرق أن الجاهل يحكم العاقل والسفلة تحكم العلية لأن العامة في رأيه ليس عندهم من البصيرة ما يدركون الخير فهم يجهزون لذلك عن ادراك ما هو خير لغيرهم وكذلك لامتناس لهم من أن يحتنبوا التعرض لشئون الأئمة بل أن يلقوا مقاليدهم لمن أوتوا القطة والبصيرة وحسن الادارة وهم الفلاسفة فإذا أصبح الفلاسفة حكاما سلكوا بالناس سبيل السداد ورفعوا عنهم أذى القوضى والاستبداد ويوجب (أفلاطون) أن يجعل وصف العقلاء مقتصرًا على الفضيلة كالشجاعة والعفة وينفر من الرذيلة كالخيانة والفجور وأن تحظر الأشياء الغرامية التي تحدث خورا في العزائم ووهنا في القلوب . وكذلك يجب على الحكومة أن تحمل الناس على دينها فلا تدعهم يعيشون بالعقائد ويدنون بما يشاؤون اهـ

(٢) (آراء الفارابي)

ويقول الفارابي من علماء الاسلام في كتابه (آراء أهل المدينة الفاضلة) ماملخصه « إن الأمم تجتمع إما بالغة وإما بالدين وإما بالقرابة والنسب وإما بالمصاهرة وإما بالوطن وإما بالمعاهدات وإما بالملك الذي يجمع الجميع وإما بأن تستبد الأمة جماعة وهؤلاء وعبيدهم يستعبدون غيرهم وهكذا . ويقول إن هذه كلها مدن فاسدة وليس عنده مدينة فاضلة إلا في أن تكون الأمة كلها هيئة مركبة من جماعات كل منهم يعمل فيما يناسبه بحيث يكون فيهم من هم كاتلب ومن هم كالرأس ومنهم من هم كالعمدة ومن هم كالعظام فيفهم الخادم والخدم ولكل منهم حظا يناسبه من العمل ورئيس المدينة إما واحد وإن اجتمعت فيه صفات الكمال وإما جماعة بحيث يكون لكل واحد صفات تغاير غيره وصفات الجماعة كلها تكون قائمة مقام صفات رئيس المدينة الفاضلة وتكون الممالك كالمملكة الواحدة فتكون الأرض كلها اكرة فاضلة » هذا ملخص مقاله الفارابي

(٣) (آراء أرسطو)

ويقول (أرسطو) من حكماء اليونان مانصه « إن الفضائل وسط بين طرفين فالحكمة وسط بين السفه والبله والشجاعة وسط بين الجبن والجور وهكذا والفضائل العقلية تكسب بطرق تهذيب النفوس . وأوجب أن تقتنى الحكومة بالطفل قبل خلقه بأن تسنّ للزواج قوانين خاصة لرعاية صحة الأجنة والأطفال . وأوجب الاعتناء بتغذية الطفل وملبسه وتربيته كتمه برين تلاميذ المدارس الآن وإذا كبر تهيمن الحكومة على تربيته وعنده أن المولى والصناع بحاجة إلى العناية بهم وهكذا النساء يخافن بذلك (سقراط) القائل بأنهن يرين كما يرى الرجال وأوجب الموسيقى . وقال ان الأعمال البدنية يجب أن تكون غايتها ضبط النفس وكبح جراح الشهوات وتجميل صورة الجسم وتكوين العادات الفاضلة لا مجرد القوة الجثمانية التي بها يتباهى القرموزون بالألعاب البدنية ولا الضراوة والقساوة اللتين ينتخر بهما الجنود في الحروب فانها إن قصد منها القوة الجثمانية غلبت كانت متعبة للأجسام شاقة على النفس وإن قصد منها الضراوة وتقسية القلوب كانت مظهرا من مظاهر الوحشية القاسية . ويجب أن تتدرج هذه الألعاب في صعوبتها وأن لاتبتدىء التمرينات الدقيقة أو الخشنة

إلا بعد هذه السن . وأوجب الموضوعات الأدبية وهي تشمل القراءة والكتابة والرسم . وأوجب أن لاتعلم من أجل منافعها المادية حجب وإنما تعلم لأسباب نفسية أسمى وأعلى . فالقراءة والكتابة وسيلتان لتزويد الفكر بأنواع المعارف والرسم يربى قوة الذوق ويساعد على تعرف الجلال والموسيقى عنده العدة في تثقيف العقول وتعليل النفوس المسكودة وإثارة العواطف السكاملة وشغل أوقات الفراغ بأفضل أنواع المسرات . وبعد أن أفاض (أرسطو) في فوائد الموسيقى شرح أنواعها ومايسوغ منها تعلمه والأناشيد التي يحسن انشادها وفضل أن يتعلم الأطفال الايقاع على المزاهر حتى تتكون لهم ملكة الذوق والتقد ولكن يجب أن لايعالى في ذلك حتى يصلوا الى المهارة الفنية لأن ذلك لايليق بالرجل المهدب . وأوجب أيضا التربية الفكرية ويوافق (أرسطو) أفلاطون في دراسة العلوم الرياضية في هذه المرحلة دراسة عالية ولاسيا العلوم الهندسية والطبيعية والفلكية وينصح بدراسة النطق وعلوم الحياة . ويرى مع هذه التربية النظرية العالية ان تيسر الى جانبها التربية العملية فيأخذ الشبان بجزئيات في الأعمال والواجبات الوطنية كالأعمال الادارية والتشريعية والقضائية اه

#### (٤) آراء ابن سينا

ذكر في (كتاب القانون) في علم الطب بأنه يجب العناية بتدبير الحوامل واللاقي قاربين الولادة بان يتناولن الغذاء الجيد ويأخذن نصيبهن من الرياضة البدنية ويجنبن الاجهاد في العمل ويحترين جودة الغذاء ونظافته الخ . ثم ذكر في هذا الفصل واجب المولدة والأم لينشاطا بقام الأمراض موفورا الصحة حسن الأعضاء والشكل . وذكر أن يرضع ما أمكن بلبن أمه فان منع مانع من ارضاعه لبن أمه من ضعف أوفساد لبن أوميل الى الرقة فينبغي أن تختار له مرضع على الشروط التي نصفها بأن تكون سنها بين ٢٥ الى ٣٠ لأن هذه سن الصحة والكمال وأن تكون حسنة اللون قوية العنق والصدر واسعة اللحم حسنة الأخلاق بعيدة عن الانفعالات النفسية لأن سوء المخلق يؤثر في تربية الطفل وأن يكون لبنها معتدل القوام والمقدار ولونه الى البياض ورأحت طيبة وطعمه الى الحلاوة وأجزاؤه متشابهة . فاذا توافرت هذه الشروط في المرضع قبلت وتجب العناية بغذاؤها طول المدة ايضاحي يكون اللبن الذي تنتجه جيدا فاذا طرأ عليها مرض منع من ارضاعها . ثم ذكر كيفية التحريك العلمي الذي يهيئ الأعضاء ولايضرها وضرورة الموسيقى والتلحين الذي جرت به العادة لتنويم الأطفال . وأوجب أن يكون أوكد العناية مصروفا الى مراعاة أخلاق الصبي فبعدل وذلك بأن يحفظ كيلا يعرض له غضب شديد أوغم أوسهر وذلك بأن يتأمل كل وقت ما الذي يشتهي ويمنح اليه فيقرب اليه وما الذي يكرهه فيمنح عن وجهه (ويشبه مذهبه هذا مذهب روسو) وفي ذلك منفعتان (إحداهما) في نفسه بأن ينشأ من الطفولة حسن الأخلاق ويصير ذلك له ملكة لازمة (والثانية) لبدنه لأن الأخلاق الرديئة تؤثر في مزاج الجسم فان غضب يسخن جدا والغم يحفف جدا . ففي تعديل الأخلاق حفظ الصحة للنفس والبدن جميعا . ثم ذكر نظاما يتبع في حياة الطفل فقال (واذا تنبه الصبي من نومه فالأحرى أن يستحم ثم يغسل يديه وبين اللعب ساعة ثم يطم شيا يسيرا ثم يترك الى اللعب الأطول ثم يستحم ثم يغذى واذا أتى عليه من عمره ست سنين فيجب أن يقدم الى المؤبد والعلم ويتدرج في ذلك أيضا ولايحكم عليه بلازمة الكتاب كرة واحدة)

وذكر فصلا في التدبير المشترك للبالغين وهو (١٧) فصلا قال في الفصل الأول (إن قوام الصحة على ثلاثة أشياء) الرياضة والغذاء والنوم . ثم بسط الكلام على الرياضة بسطا لانهاية بعده وذكر من أنواعها المنازعة واللاكمة وسرعة المشي والرمي عن القوس والتقفز والحبل وركوب الخيل وشد الحبل الخ . ثم ذكر رياضة كل عضو وزمن الرياضة . وتناول في الفصول الأخرى الاستحمام وأنواعه وفوائدها للجسم وتقوية الأعضاء الضعيفة وتسميتها وتعظيم حجمها والاعباء التي يقع الرياضات وعلاج الاعياء الرياضي وتدبير الشيوخ اه



(٥) ﴿ آراء العالم الهندي السر (جاغاديس بوز) النابعة في علم حياة النبات الذي تقدم

ذكره وآراء غاندي الزعيم الهندي ﴾

أما آراء (غاندي) فقد تقدمت في آخر سورة (آل عمران) وذلك انه يحرّض الناس على الصناعة ويمنع الانكسار على صناعات الفرنجة . وأما آراء (السر جاغاديس) فانه أوصى التلاميذ الهند بهذه الوصايا في زماننا وهي خمسة وقد خاطبهم بها قائلا في هذه السنة (١٩٢٨) مايلي

(١) الثقة بالنفس وهي التي يعبر عنها الانسان بقوله (أنا أريد) فهذه الكلمة يجب أن تفهموها جيدا كثيرا ما أسمع الناس يقولون اذا طلب منهم عمل ما (سيعتهد في عمله) واني لأشتم شيئا من راحة التواضع في هذه العبارة بل أراها عنوان الجبن . هل تحت السماء أمر لا تستطيعون أن تجعلوه طوع ارادكم إن أردتم ذلك بكل قوتكم العقلية والروحية . أنا أقول لكم إن الذين لا يقفون أمام الصعوبات والمشكلات خوفا منها ليسوا إلا جبناء ضعفاء بل هم عار على الانسانية التي يتصفون بها ويتبنون اليها . ليس للانسان أن يتعصب للصعوبات أو يفرّ منها أو يشكو أمرها بل عليه أن يدلّله مادام فيه رمق من الحياة . اعلموا أنه ليس على وجه الأرض قوة تستطيع الوقوف في سبيلكم إن أردتم المضي فيه وجميع العقبات تنحني بنفسها عن طريقكم وما يظنّ معترضا لكم منها تدرسونونه وتطحنونه بأقدامكم القوية . وهكذا يصبح كل عسير أمامكم يسيرا وكل صعب سهلا

(٢) اختيار طريق الحق والصدق والمضي فيها بأقدام ثابتة فلا تضعوا أوزانكم في بيان الفضائل ومحاسن الخير بل انتهجوها وسبروا عليها . هذا هو الأساس المقدّس الذي قامت عليه الانسانية الطاهرة

(٣) الاتحاد الوطني . اتركوا التعصب للولايات وللأديان والمذاهب والطوائف وكونوا جميعا أبناء الهند الخنونة البارة . كونوا هنودا أولا وآخرا

(٤) اعتقدوا أن أساس الدين هو التسامح فلا يجعلكم اختلاف عقائدكم الدينية على الاعتداء بل ليكون الدين ينسك عنوان المحبة والوداد والوئام

(٥) لاتتركوا مدينتكم القديمة تموت بفلكم وضمفكم بل كونوا رجالا ونساء أقوياء مخلصين غيورين لتتمكنوا من انشاء مجد جديد لوطنكم ووطني العظيم

(٦) وههنا جاء دوري أنا فأقول (سادس) الجماعة أدلى دلولي في الدلاء

فهاهوذا (سقراط) وهاهوذا (أرسطاطاليس) و (الفارابي) و (ابن سينا) وعلمان هنديان يطلبان الصناعة والاقدام والأخلاق والاتحاد . فأما أنا فقد ألفت كتاب ﴿ أين الانسان ﴾ وقد تلخصت بعضه في هذا التفسير وذكرته في مواضع كثيرة فيه وملخصه أن جميع هذه المجالس الثيائية في العالم الانساني تخدم شهوات للتخيين (أولئك الثواب) وهذه الانسانية يجب أن تكون كل أمة منها قائمة بتعليم جميع الذكور والاناث وأن تستخرج مواهب أرضها وعقولها وكل شئ فيها وكل الأمم يجب أن يكونوا متضامنين في الشرق والغرب وعلى مقدار نقص أمة يكون فقد ثمرات لأمة أخرى ولكن الله يقول - كل حزب بما لديهم فرحون - ويقول - وما أوتيتم من العلم إلا قليلا - . إذن كل هؤلاء المفكرين يبحثون عن سعادة الانسان كما بحث العيمان عن (الفيل) فأمسك كل بطرف وعرفه والليل أوسع من علمهم هكذا هنا الانسانية وسعادتها أوسع من علم العلماء وحكمة الحكماء . فلا مساعدة للناس إلا اذا جدت الأمم كلها في التفكير لسعادة المجموع باخلاص والاخلاص يكون من قوم اختصوا بمواهب عالية ومدارك عظيمة وهؤلاء قليل ولكنهم مفرقون في الأمم كلها . فخي عمّ التعليم الأمم فهناك يظهر أبواب المواهب من كل أمة ويسعدون نوع الانسان ولقد رأيتم في كتاب ﴿ أين الانسان ﴾ أن موافقة تعداد الذكور للذكور غالبا في هذا العالم دليل على

أن فيه نظاما ثابتا يشمل كل شيء . فأهل الحكمة أو الصناعة أو السياسة لكل طائفة قوم خلقوا في الأرض هكذا خلق في هذه الأرض عقول خاصة لارشادهم فيجب البحث عنهم في جميع الأمم وهم الذين يدبرون دفة العالم كله وغير هذا عندى باطل . ولقد اطلعت على . قال للعلامة (هولدين) من أشهر كتاب الانجليز وكبار مفكرهم ومن أشهر علماء (البيولوجيا) في عصرنا قال فيه مائنه

( ان نظرونا الى صحة الأجسام بقطع النظر عن سواها يوجب بلاسما أن يعنى الناس جميعا بعضهم ببعض لأن مرض فرد يعنى الآخر وينقل الى أمة أخرى ) ويقول ( اذا نظرنا الى علم الاقتصاد والسياسة فانتا نجد سوء طالع زيد يكون حسن طالع لعمرو وخراب أمة ربما كان نعمة على أخرى ولكن في علم الصحة تنعكس الحال فان الدساكر في وسط المدن والمخافرات ينشرفها الغبار في الجوى أوساط حسنة يرى فيها مكروب السل الذى يصيب الفقير والغنى على حد سواء . وهذه مسألة لا تقتصر على شعب واحد بل ان الطفل الرومانى المصاب بالفالج والمندى المصاب بالجذرى والجرد الذى يحمل الطاعون كل هؤلاء يؤثرون في الأعمار وينقصونها إذن تجب العناية بكل فرد وكل أمة لاسما أن طرق النقل الآن صارت أسرع منها قبل الآن )

ومن قوله أيضا ( إن خطأ اذا كان قد وقع في بلاد الصين منذ قرنين مضيا لم يكن ليضع الرجل الانجليزى أو الأمريكى إزاء أية مسؤولية لأنه ليس لديه وسائل النقل أما اليوم فان استخدام البخار في السفن والسكر بائية في نقل الأخبار كلاهما جعل القيام بمثل هذا الواجب مستطاعا )

فهذا العالم ينحو نحو كتابي ( أين الانسان ) والجد لله رب العالمين

( الجوهره الثالثة في قوله تعالى - وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون - )

لقد تقدم الكلام على السمع والبصر في سورة ( آل عمران ) وهناك صورتهما مرسومتان وموضحتان ايضا تاما ومشروحتان شرحا كافيا . ولكن هنا وجدت صورتين أخريين مرسومتين في كتاب ( قانون الصحة ) وهما واضحتان ظاهرتان يراهما الانسان أمامه كأنهما آلتان من الآلات المشاهدات في عصرنا وفيهما من دقة الصنع واتقان القطع المختلفة الاجسام والأقدار والصور ما يبهز العقلاء إذ يرون عناية صانع هذا العالم بمخلوقاته فهما أوضح من تينك صورتين وأقرب الى الفهم والايضاح التام . ولأجزم أن السمع والبصر والفؤاد عادة لا يفكر فيها الناس ولا في حسن اتقانها لأنها مبذولات لكل حى فغفل الناس عنها لذلك كررها الله في القرآن وحث على النظر والتفكير فيها حتى تخرج هذه النفوس البشرية من عالم الحيوانية الى عالم الحكمة والعقل والرق العلمى . أما الفؤاد فأرجع الى ما تقدم في ( سورة الاسراء ) عند الكلام على قوله تعالى - قل الروح من أمرى - وأما السمع والبصر فهماك ما جاء في ذلك الكتاب صفحة ٢٣ و٢٤ وهذا نصه

( حاسة السمع )

عضو السمع هو الأذن وينقسم الى أذن ظاهرة وأذن متوسطة وأذن باطنة (الأذن الباطنة هي التي تحتوى على أعضاء أى أعصاب السمع) فالأذن الظاهرة تتركب من الصيوان والقناة السمعية الظاهرة ويوجد بها شعر وغدد تفرز مادة شمعية تسمى (بالصملاخ) وهي تتراكم اذا لم تنظف وتضعف السمع . والأذن المتوسطة تتكون من الطبلة وغشائها وثلاث عظام صغيرة . والأذن الباطنة مكوّنة من مجوف في عظم الصدغ مبطن بغشاء ينتهى فيه أطراف العصب السمعى . واذا حدث صوت بجوار الأذن يخترق الأذن الظاهرة ثم الأذن المتوسطة ثم الباطنة فيتنبه العصب السمعى فينقل الصوت الى مركزه في المخ فيوجه المخ الاحساس الى الأذن فيجعلنا نشعر كأن الأذن هي التي أحست بالسمع (انظر شكل ١٧ في الصفحة التالية)

### ( الصوت والكلام )

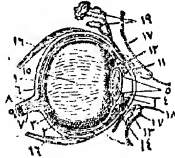


تحدث نغمات الصوت الأساسية باهتزاز الحبال الصوتية للحنجرة بواسطة هواء الرئير وينتج الصوت باللسان والأسنان والشفيتين والكلام يحصل بتغيير نغمات الصوت في التجاويف التي فوق الحبال الصوتية فتلا تغيير حجم وشكل البلعوم والفم والأنف يحدث نغمات مختلفة تكون حروف النطق

### ( حاسة الابصار )

مركزها العين وتوجد هذه في تجويف الجحاج ومعها الأعوية والأعصاب التي تغذيها وفي مقدمتها الجفون والجهاز الدمى . والجفون في حافتها الأهداب وهي تقي العين ليلا ونهارا من الاجسام الغريبة التي تصادفها (انظر شكل ١٨)

والجهاز الدمى في الجهة الوحشية للجحاج ويفرز الدمع منعاً لجفاف الملتحمة (انظر شكل ١٨)



### ( شكل ١٨ - رسم قطاع من مقلة العين )

والعين مكونة على التوالي من الطبقات الآتية وهي (الصلبة والقرنية والمشيمية والشبكية) والعين مملوءة بالزطوبة المائية والجسم الزجاجي والبلورية وتجوفها تنقسم بالقزحية الى قسمين وهي ستار قابل للانقباض والانبساط ومثقوبة في وسطها بالحدقة التي وظيفتها تنظيم كمية الضوء الداخل في العين . وتوجد القزحية عند ملتقى الصلبة بالقرنية ووظيفتها إعداد العين للرؤية وهي تؤثر في تحديق البلورية بانقباضها وانبساطها فتري الأشياء على أبعاد مختلفة وفي الشبكية ينتهي العصب البصرى (انظر شكل ١٨) . إن شرح العين والأذن في (آل عمران) أوسع جدا

والعين تماثل صندوق التصوير الشمسى فأشعة الشئ المرئي تمر بالقرنية والبلورية والزطوبة المائية والجسم الزجاجي فتقطع صورته معكوسة على الشبكية التي تشبه زجاجة التصوير فينقل العصب البصرى هذه الصورة المعكوسة الشكل الى المخ فيردها هذا الى العين غير معكوسة فنشعر برؤية الشئ ونحكم على شكله ولونه وحجمه

- أرقام شكل ١٧ - (١) الأذن الظاهرة (٢) قناة السمع الظاهرة (٣) طبلة الأذن (٤) صندوق الطبلة (٥) قناة استاكيوس (٦) الطرقة (٧) السندان (٨) الركاب (٩) التيه (١٠) مدخل القوقعة (١١) القوقعة (١٢) القنوات النصف الحلالية (١٣) العصب السمعي
- أرقام شكل ١٨ - (١) القرنية (٢) الصلبة (٣) المشيمية (٤) القزحية (٥) الحدقة (٦) الشبكية (٧) العصب البصرى (٨) الشريان المركزي للشبكية (٩) قطاع العصب البصرى (١٠) البقعة الصفراء (١١) الخزانة الأمامية (١٢) الخزانة الخلفية (١٣) البلورية (١٤) العضلة الهدبية (١٥) الجسم الزجاجي (١٦) العضلات المحركة للعين (١٧) الجفنان (١٨) الأهداب (١٩) الغدد الدمعية

﴿ القلب والأوعية الدموية وسير الدورة فيها ﴾



القلب هو عضو عضلي لائحكم للإرادة عليه فينبض وينبسط بنظام خاص وله أوعية خاصة وهو مخروطي الشكل ومغلف بغشاء وينقسم إلى ﴿ أربعة تجاويف ﴾ العلويان منها يسميان بالأذنين والسفليان يسميان بالبطينين . ففي الجهة اليمنى أذين وبطين وفي اليسرى مثلهما ولا تتصل تجاويف جهة البطينة الأخرى بل يفصل الجهة اليمنى عن اليسرى حاجز عضلي . ولكل بطين قطعة لها صمام يسمح بمرور الدم من الأذين للبطين لا العكس ويذهب الدم إلى أجزاء الجسم من البطين بواسطة عروق تسمى بالشرايين

﴿ الدورة الدموية ﴾

يمرّ الدم مرتين في القلب ليم دورته . ففي المرة الأولى يذهب من البطين الأيسر إلى جميع أجزاء الجسم ثم يعود إلى البطين الأيمن وهذه تسمى بالدورة الكبرى . وفي الثانية يذهب من هذا البطين إلى الرئتين ثم يعود إلى البطين الأيسر وهذه تسمى بالدورة الصغرى (انظر شكل ١٩)

فتبتدئ الدورة بمرور الدم من البطين الأيسر إلى أكبر شريان (الأورطي) ثم إلى فروعه الكبيرة فالصغيرة فالشعيرية التي هي أدق أوعية الجسم وظيفتها تغذية خلايا الجسم وأنسجته ثم يرجع الدم بعد تغذيتها إلى القلب بواسطة الأوردة الصغيرة التي تصب في وريدين كبيرين يسميان بالوريدين الأجوفين (السفلي والعلوي) وهذان يصبان في الأذين الأيمن حيث يمرّ الدم منه إلى البطين الأيمن ثم منه إلى الرئة وذلك بمروره في الشريان الرئوي وفروعه ثم يصل بعد انصلاحه بواسطة الهواء إلى الوريد الرئوي ومنه إلى الأذين الأيسر أي حيث تبتدئ الدورة . وهناك فرع آخر للدورة يسمى بالدورة الكبدية وهي أن الدم بعد مروره بفروع الأورطي البطني لتغذية الأعضاء يجتمع في أوعية وريدية تصب في وريد أغاظ ولكن بعض الأوردة الآتية من المعدة والأمعاء والطحال والبنكرياس تجتمع وتصب في وريد واحد يسمى بالوريد الباب الذي يذهب إلى الكبد ويتفرّع فيها إلى أوعية شعيرية وهي التي يتكوّن من اتحادها بأوعية الكبد الأصلية الوريد الكبدى الذي يصب في الوريد الأجوف السفلي ﴿ كرات الدم في الأوعية أى العروق ﴾



الدم يتكوّن من سائل شفاف مصلّى يسمى (بالإسلاها) ساج فيه كرات صغيرة تسمى بالكرات الدموية وهي (نوعان) حراء وبيضاء . وعدد الحراء خمسة ملايين عادة في المليتر المكعب من الدم والبيضاء من خمسة إلى ثمانية آلاف والحراء تحتوى على الأكسى هيموجلوبين الذي يحتوى على الاوكسيجين . والبيضاء أكبر بكثير من الحراء ولها أشكال مختلفة (انظر شكل ٢٠)

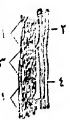
والدم إذا سال خارج الجسم يتجمد ويكون جلاطا دموية مركبة من الكرات الحراء والبيضاء في شبكة من ليفية الدم وهذه الجلاط معقورة في سائل شفاف يسمى بصل الدم

أرقام شكل ١٩ - (١) الأذين الأيسر (٢) البطين الأيسر (٣) الأذين الأيمن (٤) البطين الأيمن (٥) الإمبروا الأورطي (٦) فروع من الأورطي (٧) الأوعية الشعيرية (٨) أوعية شعيرية موصلة للأوردة (٩) وريد (١٠) الرئتين (١١) الأوعية الشعيرية الرئوية (١٢) الوريد الرئوي (١٣) الشريان الرئوي (١٤) الشريان الكبدى (١٥) الكبد (١٦) الوريد الكبدى (١٧) القناة الهضمية (١٨) و (١٩) القناة الصدرية (٢٠) الأوعية اللمفاوية

أرقام شكل ٢٠ - (١) جدر الشريان (٢) الكرات الدموية الحراء (٣) الكرات الدموية البيضاء

(الشرايين)

### ﴿ الشرايين والأوردة والأوعية الشعرية ﴾



الأوعية هي التي تحمل الدم وهي على (ثلاثة أنواع) الشرايين والأوعية الشعرية والأوردة فالشرايين أنابيب مرنة تنقبض وتنسبط بمرور الدم فيها وبذلك يحدث النبض وتنقسم الشرايين إلى شرايين شعرية دقيقة تغذي الجسم بما تحتوته من الدم الأحمر وهذا الدم يتحول بعد الغذاء إلى دم أسود اللون يتجمع فيها يسمى (بالأوردة الشعرية) ويمر منها إلى أوردة كبيرة . ولهذا الأوردة الأخيرة صهلات تمنع رجوع الدم إلى الوراء (انظر شكل ٢١)

شكل ٢١

﴿ بيان السمع والبصر والفؤاد يقول بعد ظهور رسمها بالمصور الشمسي الذي ظهر في قوله تعالى - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - وقوله - ثم إن علينا بيانه - وقوله - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - وأن هذه الصور المرسومة هي مصداق هذه الآيات ﴾

اعلم أن الفؤاد هو القلب والقلب يطلق على اللحم الصنوبري المرسوم هنا الموضحة أجزاءه المنظم . وفي الإنسان قوة عظيمة فمن حيث تصرفها للبدن تسمى روحا . ومن حيث أنها تشتهي تسمى نفسا . ومن حيث أنها تدرك المعاني يقال لها عقل . ومن حيث أنها تسري في بخار الدم الساري في الجسم الذي ينظمه ذلك اللحم الصنوبري الشكل يقال له قلب . والفؤاد هنا براد به العقل . ولما كانت هذه المعاني لها به ارتباط وجب أن أوضح هذا القلب المرسوم أمامك لتعجب من الحكمة والعلم وتدرك من الهيبة والبهاء والحسن والاشراق والجمال ما يهيب العقول ويسر أروى الألباب . حدثني الحارث بن همام قال أخذتني سنة من النوم أو كأن بين اليقظة والنمائم إذا أماني أرض فقراء واسعة الأطراف مترامية الأكفاف لا أنيس بها ولا جليس حتى اليغاير وحتى العيس . فأخذت أنأمل أكفافها وأسرح طرفي في أرجائها وأقول ما للحكمة في هذا إخلاء وما المقصد من هذه الأرض القفراء فلاجل ولا كمال ولا حسن ولا بهاء ولا شجرة خضراء ولا معالم بها يهتدى السائر . ولا مظل يستظل بها العادون والراحمون . وبيننا أنا على هذه الحال إذ رأيت شبحا ظهر كأنه بخار ثم أخذ يلثم شيئا فشيئا حتى استقام بشرا سويا ورأيت معه بذورا عجيبية مختلفة الألوان والاقطار والصفات قد مزجها بماء وهواء وأنواع من الأرض وسحقها كلها سحقا تاما ثم صارت كهيئة اللبن ثم أخذ ينثر هذه القطرات في تلك الأرض القفراء . فأولا نثر قطرة ثم اثنتين ثم أربعاً ثم ثمانيا ثم ١٦ ثم ٣٢ وهكذا إلى أن وصل عشرات الألوف ومئات الألوف وآلاف الألوف . فما كان إلا كلعج البصر أو هو أقرب حتى رأيت الأرض القفراء مجللة بتلك القطرات ولكن وجدتني أخذت تشكك في بهيئات مختلفة . ونجبت كل العجب إذ رأيت ما لا يصح الوصفون ولا يدركه العاقلون . ذلك أني رأيت هذه الأرض صارت حقولا وحدائق وبنات ورياضا وهذه الحقول قسمت أصنافا وأنواعا . فمنها حقول القمح وحقول الفول والبرسيم وأنواع الخضر . ومنها ما رأيت حدائق غناء ثم الحدائق الغناء رأيتها أسرع من لمح البصر قد قسمت أصنافا وأنواعا . فمنها ما صفت فيها أشجار الفاكهة الزينة والفاكهة السكرية والفاكهة المطرية والفاكهة الحمضية والفاكهة النشوية والفاكهة المائية كالزيتون والتفاح والليمون والبرتقال والكمثرى والبطيخ والشمام ومن عجب أنها صفوف وصفوف منتظمة لا خطأ فيها ولا خلل . ووجدت الحديقة قد صفت بالنخل والباسقات المصفوفات حولها وقد هبت النسيمات وفات الأفياء . فصررت أعجب وأقول هذه أرض فقراء وهذا الرجل كان معه حبوب ومواد مائة وأرضية وهوائية فزجها وأخذ يرميها على قاعدة الحساب (التوالي

(١) أوعية شعرية شريانية (٢) شريان متفرع إلى أوعية شعرية شريانية

(٣) أوعية شعرية ورديئة متصلة لتكوين وردي (٤) وردي صغير

المهندسية) فما للحساب وما لهذا النظام وما الذي جعل كل طائفة في موضعها . ثم نظرت فوجدت أنواع  
الرياحين قد صفت لها دوائر (اهليلجية) كدوائر الكواكب الجاربات حول الشمس فجئت إذ أرى الدائرة  
ترسم أمامي شيئا فشيئا وألارسم لها . فأنا أرى الرسم ولا أرى راسه . فبالت أرضا على هذا النوال تنظم  
وتزرع بساكنيها وتنظم حقولها وحدائقها ونحن نتجها بلاتعب ولا نصب . ثم نظرت فوجدت هذه الرابض  
نبئت فيها الرياحين مختلفة الألوان (أحمر وأصفر وأزرق وإقونيا وألماسيا) وأنا في غاية العجب من أن كل  
روضة من الرابض مختصة بنوع لا يختلط بسواه . ثم قلت في نفسي من أين تسقى هذه الحقول وهذه الحدائق  
الفناء فنظرت إذا آلة بخارية كبيرة منظمة امتدت أنابيبها في كل حقول وفي كل حديقة وفي كل روضة وتلك  
الأنابيب كلها ترجع إلى أنبوبين عظيمتين تمتدتين من تلك الآلة البخارية وجهازها العظيم المنظم السديع  
وهذه الأنابيب كل طال امتدادها دقت ورقحت حتى صارت كالشعرات عند أطراف الحدائق والبساتين والروضات  
ثم نظرت إذا قصور شائعات بديعات مزينات بأجمل الصور وفيها المناظر المعطيات وأدوات السمع وهي المسرات  
السميات (التلفون) فأخذتني العجب كل مأخذ وقلت أنا في بقطة أم في منام لعلني أرى ولعل هذه أضغاث  
أحلام . فبينما أنا على هذه الحال إذ تبدى أمامي ذلك الذي كان أولا قد بذرت تلك القطرات في الأرض القفراء  
وهو جيل الحيا بهج الطلعة حسن الشكل معتدل القوام باسم الثغر ظريف الشمايل حكيم عليم فسلم على  
وحياي وأخذ يجاذبي أطراف الحديث من قدم وحديث . ولما أيقن اني استأنست بمرآه أخذ يسألني عما  
يدور بخلدی وما حرقه لبی فقلت له هذه حدائق وهذه بساتين لازارع لها ولا منظم فكيف رأيت فيها ما لا تراه  
العيون ولا تخيله الظنون . فقال اسمع يا صاح وبلغ الناس عنی . اعلم أن هذه حال تمثل خلق جسم  
الانسان . فالقطرات التي رمت بها في الأرض القفراء منظمة العدد على مقتضى ( المتواليه المهندسيه ٢ و ٤  
و ٨ و ١٦ و ٣٢ ) وهكذا فهي بيضة الخنين في الرحم تنقسم على هذا النوال وفي أثناء ذلك يتعدها الدم الجارى  
الى الرحم من جسم الأم . فالدم يعدّ البيضات والبيضات تنقسم على هذا النوال ثم هذه الخلايا المتكاثره  
تضم كل جماعة منها من طبع واحد وتعد بنظام غائب عنكم لا تعرفونه . فمنها ما يصير عظاما . ومنها ما  
يصير عضلات . ومنها ما يصير عروقا . ومنها ما يصير عضلا وهكذا ، ثم اعلم أن الأجسام على ( ثلاثة أقسام )  
مضيئة كالشمس والكواكب والنار والكهرباء في حال خاصه . ومعتبه كالأجسام الحجرية والطينية . ومنها  
شفافه كاللواء والكلامه وكالزجاج . وهذه الأجزاء كلها داخله في الغذاء مع الدم السارى في جسم الانسان وأيضا  
المادّة إما غازية كاللهواء وإما صلبة كالخجر ولما سائلة كالأغذية وهذه الأنواع كلها يحتوى عليها الدم . وإنما  
اشتمل الدم على هذا كله لتستمد منه الأعضاء المختلفه ما يصلح لها . إنك لما نظرت البساتين والحقول  
والرباض تنظم بلاعمل تخمين أن لو كانت هذه حالكم على وجه الأرض فاعلم أن هذا الإحكام وهذا النظام  
الجميل الذي رأيته يعقل به ( أمران الأول ) تمثيل لما يقع عندكم في كل حين . فإما نبات أوحیوان  
أو إنسان إلا وهذه حاله من نظام سريع وشكل بديع منظم ولعمل لكم فيه ( الأمر الثاني ) ان الله لو جعل  
هذه حال مزارعكم أنتم وصناعانكم لأورثت خلافا في نظامكم ولأصيحتم دودا وأحشرات لانكم لا تعمل لكم  
ولا تعقول . وهل تخلق العقول إلا للفكر أو الأيدي إلا للعمل أو الأعين إلا للبصر . فإذا كان كل شيء حاضرا  
عندكم فما الداعي إذن لأسماعكم وأبصاركم . الأسماع والأبصار والعقول إنما خلقت لكم لتشكروا الله بها  
ولامعني للشكر إلا صرف هذه الأعضاء والجوارح فيها خلقت له . فإذا زرع الله لكم نخيلكم وبساتينكم  
وقطنكم وقمحكم وشعيركم وفصل في حقولكم وجنانكم فاعلم في داخل أجسامكم من خلق الأعضاء وترتيبها  
ونظامها بلاعمل منكم ولاعمل فغناه انه أمهلكم إلهالا كليا وقطع عنكم مدده . قال الخثر بن همام . هل  
لهذا ما يستأنس به من القرآن . قال نعم . انظر الى أهل مكة طلبوا من النبي ﷺ أن يفجر لهم من الأرض

ينبوعاً أو تكون له جنة من تخيل وعنب فيفجر الأثمار خلاها فنجبراً أو يكون له - بيت من زخرف - أوبريق في السماء وهكذا فقال لهم هل كنت أنا - إلا بشراً رسولاً - فما هو إلا رسول لأُمّ تعمل وتعمل لا أنها يؤتى لها بالبركات بلا عمل . قال الحرث بن همام . فلما سمعت ذلك منه . قلت له فإذا تقصد من هذه الروضات والحدائق المختلفة . فقال الأعضاء المختلفة في الجسم . فقلت له وماذا تقصد (بالمرسة) التلقون أى آلة السمع وماذا تقصد بالمناظر المعظمة وماذا تقصد بهذه الأنابيب الممتدة . فقال هذا هو تفسير آية - وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون - . ألا ترى أن الأذن في الرسم الذى أمامك عبارة عن عظمت صلبة متينة قوية وضعت وراء طيلة والطيلة أمامها فتحة والفتحة انتهت بالأذن البارزة خارجاً . وهذه العظمت المسميات بالطارقة والسندان والركاب لها رنين خفي وهذا الرنين ينتقل إلى ما وراءها ويصل إلى الدماغ فيعمل ما يقال له . فلماذا وضعت هذه العظمت في هذا المكان . ولماذا اتجهت إلى جهتي الرأس . ولماذا جعلت بنظام وحساب بحيث لو صغرت أو كبرت أو لم تكن في موضعها أو زحزحت قيد شعرة واحدة لم يمكن السمع . فهذا هو معنى المثل الذى مثل به آلة السمع . وأما المناظر المعظمة في القصر فلم أرد بها إلا أن أمثل لك البصر . ذكرت لك أن المواد منها الجامدة ومنها السائلة الخ ومنها الشفافة وهكذا أليس من العجب أننا رأينا البيضة في رحم المرأة أخذت تنقسم على طريق المتوالي الهندسية وفي الوقت نفسه حصل حساب ونظم في الوضع . الشمس والقمر ومضيئات أشرق منها النور على الجوق ووصل إلى الإنسان فكانت طبقات العين المنظمت البديعات الجليات شفافات كما أن الهواء شفاف . فما هذا الحساب الذى خصّ حجاج العين بتلك المواد الشفافة . ولم جعل الشفاف في موضع العين وجعل الصلب في موضع الأذن . هذا بوجوب الشكر ولن يكون الشكر إلا بالمعرفة لأن من لا يعرف حق النعمة لا يشكرها ولا يحب المحسن لأن المحسن لا يشكر إلا إذا عرف قدر إحسانه وهل يعرف إحسانه إلا بالدراسة . هذا هو السبب في قوله تعالى - قليلاً ما تشكرون -

ثم قال الطيف للحرث بن همام وأما الذى أقصده بالأنابيب الممتدة في الحقيقة فهو القلب الذى رسم أمامك فأنك تراه مقسماً أربع أقسام فالبلطين الأيسر الذى أمامك في الرسم قد خرج منه (الأورطى) وقد تفرع فرعين والفرعان تفرعا فروعا كثيرة ولما تغذى الجسم بالدم رجع ثانياً بواسطة الأوردة إلى القلب إلى آخر ما هو مشروح فافقاه . ثم قال هذا الطيف للحرث بن همام . انظر هذه الأعضاء الثلاثة (السمع والبصر والقلب) واجيب عن تركيبها النظم وعملها المتقن . فالقلب جعلت بنية بأجهزة تقبل التمدد قوية متينة لمناسبة عملها والأذن جعلت بأجهزتها تناسب الصوت والعين بأجهزتها تناسب الهواء الشفاف . فهل يعرف ذلك من الناس إلا قليل . هذا معنى - قليلاً ما تشكرون -

قال فقلت للطيف . هل الجهل بهذا يضر المسلمين في حياتهم الدنيا أم الضرر اللاحق بهم يرجع إلى جهلهم بنعم ربهم . قال الضرر اللاحق بالمسلمين يرجع لهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة معاً . فأما الضرر الآخري فإن الرجل القادر على فهم علم التشريع مثلاً وقد غفل عنه وتركه هو وأمثاله من عجائب صنع الله فهذا قد أعرض عن آيات الله والمعرض عن آيات الله مقصر فكان خيراً له أن يملأ قلبه حكمة وعلماً وأيضاً هذه علوم من فروض الكفايات والأمة كلها تعذب بترك فروض الكفايات . فقلت للطيف فاذكر لى مثلاً ما أضر المسلمين بسبب جهل هذه العلوم حتى يظهر معنى - قليلاً ما تشكرون - وأذن تكون قلة الشكر صارت سبباً في العذاب في الدنيا . قال ان الدنيا كلها اليوم قد عمها العلم والمسلمون تأثمون وأضرِب لك مثلاً فأقول إن الناس قد أظهروا علوم جسم الإنسان بطريق الصور المتحركة (السينما) فالسينما الآن قد أظهرت أحشاء الإنسان وأعضائه الظاهرة والباطنة . ولقد ظهر للعيان الآن في الشرق والغرب كيف ير في

الجنين في بطن أمه . أنا مثلت لك ذلك مثالا بالحدائق والجنات ولكن الناس الآن أصبحوا يرون نمو الطفل في بطن أمه وتدرجه وكيف تكون البيضة في الرحم واحدة فتقسم اثنين وتضاعف ولا يزال نمو حتى تتم أعضاؤه . كل ذلك يرونه بالصور المعركة في بضع دقائق ويكمل الجنين . وفوق ذلك يرون تلك الصور نمو الأمراض كالزهرى . ألم تر أنك أنت في ليلة الجمعة ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٢٨ قد شاهدت بنفسك تكوين الجنين وكيف نمو حيوانات المرض المسمى بالزهرى وكيف يتهلج الجسم مريضا ويمتلئ جوبا وقروحا ويسود الجلد وتتناثر الأعضاء . وهذه الحشرات المتكاثرات تنمو كما ينمو الجنين . ويظهر في الرجل وفي المرأة وفي طفلها الذي تربي في رحم المرأة المريضة بهذا الداء . وقد يولد الطفل أعرج مفرح الوجه والجسم . كل ذلك أنت شاهدته وهذه المشاهدة أبلغ من المثل الذي ضربته لك . وانما أبنت لك هذا لتعلم أن الله عز وجل لم يكن غافلا عن الخلق لأنه خلق الأعضاء والسمع والبصر والجسم للنافع . فاذا صرف الانسان قواه للشهوات التي جعلت مقدمة للنافع وغفل عن المقاصد شوه الله هذه الأعضاء وجعل الذنب على قدر المرض . - جزاء وفاقا - فقلت لللطيف مامعنى هذا . فقال معنى هذا أن الشهوة البهيمية في الانسان تأخذ بمجماع قلبه وهي ألد شئ عنده وهي لم تجعل فيه إلا لأجل الذرية . فاذا جعلها مقصودة لذاتها سلط عليها أمراض الزهرى وغيرها فشوهت نفس الأعضاء وجعلته منبوذا محقورا فهو قصد أن يكون دائما فاسقا معتزا بصلوة قوته ورجاله فقال له . كلا . أعضاؤك أشوهها وجالك أذهبه . وأجعلك بهيم منفرة بحيث اذا قرب منك أحد يقول له الناس (اللاساس) لأنهم ادسوك أصيبوا بمرضك كالسامري الذي عبد الجبل . فهذا الذي عبد شبهوته أصيب بالحقارة فهو يريد الشهوة والفتح لذاتهما والشهوة البهيمية مع النساء فقيل له كل من قرب منك يصاب بمرضك فاعتزل فأنت محقور منبوذ . هذا في عذاب الفرد من نوع الانسان على ترك الشكر وقلته في قوله تعالى هنا - قليلا ماتشكرون - . أما عذاب الأمة فهاك مثلا لذلك . أما قرأت ماجاه في خطبة (السرصمويل هور) في الجمعية الجغرافية الملكية المذكور في التلغرافات العامة الواردة الى مصر بتاريخ (٢٩) أكتوبر سنة ١٩٢٨ إذ قال ما يأتي

« إن اختراع الطيران أوجد مشكلة خطيرة في الامبراطورية البريطانية فقد دخلنا الحرب العظمى كدولة تقطن في جزيرة أمة من المهاجة وخرجنا من تلك الحرب ظافرين ولكن بآنت عاصمتنا بسبب اختراع الطيران مستهدفة للمهاجة من الخارج أكثر من أية عاصمة أخرى من عواصم غرب أوروبا وقد اضطررنا وسنظل مضطرين سنة فسنة الى بذل مجهوداتنا العقلية وأموالنا لإنشاء قوات جوية كافية لصد هجمات أى عدو يخطر له أن يغير على بلادنا . ويسرى بأن أقول اننا قبل خمس سنوات لم يكن لدينا من قوات الطيران للدفاع عن البلاد ما يستحق الذكر . أما الآن فلدينا ثلاثون سربا من طائرات الدفاع وهي التي أجهزت حتى الآن من الاثنين والخمسين سربا التي تقرر انشاؤها . نعم إن الطيران قد أضاف عبئا جديدا على عاتق دافعي الضرائب البريطانيين وبإيا للنفقة على التسليح في العصر الذي كنا نود فيه تخفيف أعباء التسليح في جميع العالم فكيف يقضى لنا أن نال فائدة من الطيران لقاء هذه النفقات الجديدة . وقد دلتى اختبارا لخمس سنين قضيتها في هذه الوزارة على أن الطريقة الوحيدة التي يقضى بها تعويض هذه النفقات هي استخدام قوات الطيران استخداما يؤدى الى الاقتصاد في نفقات الدفاع عن الامبراطورية وتحسين المواصلات والموارد في أجزائها المتفرقة . وقد تبين لنا أن هناك مناطق معلومة للدفاع الامبراطورى يقضى للطيارات أن تقوم فيها مقام القوات الحربية القديمة لأن تكون اضافية اليها . وأهم شاهد على صحة هذه السياسة هو (العراق) حيث استطعنا أن نخفض قوات الحماية التي كانت في سنة ١٩٢١ ثلاثة وثلاثين أوطرة من جنود الامبراطورية تكلفتنا أكثر من عشرين مليوناً من الجنيهات سنويا الى خمسة أسراب من سلاح الطيران المسكى ولم يبق ولا



أورطة واحدة من الجيش الامبراطورى لمساعدة قوات الطيران وكل ماينفق الآن على هذه الاسراب هودون مليونى جنيه فى العام . وسرب واحد من الطيارات كان كافيا لارغام امام الجن الذى ظلّ عدة سنين يهاجم (عدن) على الافلاخ عنها واطلق سراح بعض مشايخ مصادقين لبريطانيا كان قد اختطفهم . وكذلك كان للطيران فضل عظيم فى تهدئة رجال الدين فى بلاد (الصومال) وعلى حدود الهند الغربية وكانت أعمالها خالية من القتل وسفك الدماء تقريبا فى كلا الجانبين . وقد أخضعت الطيارات عدة قبائل كان اخضاعها قبل اختراع الطيران مستحيلا اه

هذه هى خطبة (السرصموئيل هور) . أفلس ترى أن المسلمين الآن فى (العراق) و (اليمن) هم محل التجربة والقتل . أليس هذا الدل الذى حلّ بالمسلمين لجهلهم نعم هذه الدنيا وعلاؤها والأم كلها اغترفت من نعم الله وهم لم يغترفوا . أليس هذا تفسيراً لقوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - إنما يتذكر أولو الألباب - فهل يسوى الله بين من علموا علم الطيران فى الحق ومن جهلوه . ألم يكن هذا العذاب الذى حلّ بالمسلمين الذين ضرب بهم المثل (السرصموئيل) كالعذاب الذى حلّ بالرجل والمرأة اللذين أصابهما داء الزهرى فشوه جسيهما وأعجمي أولادهما . أليست ترى أن هذا الجيل من أمّة الاسلام اذا لم يتعل فترك ذريته جهلاء فأصابتهن نار الطيارات كما أصابت الجن يكون هذا الجيل أشبه بالرجل المشوّه الجسم بالزهرى الذى خلف ذرية أصيبت مثله بالزهرى لأن الأب والأم لما جهلا نعمة الصحة والحياة وصرفاهما فى لذاتهما ففسوقهما عافيهما الله ونقل المرض الى نسلهما كما قال تعالى فى قوم نوح - ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا - فهكذا هذا الجيل من الأمم الاسلامية اذا فرط فى معرفة العلوم فلم يدرس جلال الله وحكمته فان عدوى الجهالة تنتقل الى ذريته حالا ويكون الأبناء كالآباء جهالة . إذن لافرق بين الرجل المصاب بالزهرى مع ذريته الذين يصابون بمرضه وبين الجيل الجاهل الذى يجهل نعمة الله ولا يدركها ولا ينتفع بها فيورث الاجيال الآتية جهالة ويكون مثلاً للشر وسوء المسكة والجهل العظيم . قال الحارث بن همام فقلت للطف إن هذا التشبيه قاس شديد الوقع . فقال هذا حق والحق أحق أن يتبع . إن العرب القدماء هم الذين عممو العلم فى العالم وهم آباء أهل اليمن والحجاز والعراق ومصر وسكان شمال أفريقيا والسودان والصحراء الكبرى . فآباء هؤلاء هم الذين نقل عنهم العلم أهل أوروبا فقد استفاد اللاتينيون المعلومات من العرب أى آباء هؤلاء الذين يضررون بالطيارات

(١) فان (جورج) الذى كان ببارومة الملقب (بساوتر الثانى) أدخل من سنة ٩٧٠ الى سنة ٩٨٠

ميلادية عند الفرج العلوم الرياضية التى كسبها من عرب اسبانيا

(٢) واهيلارد الانكليزى ساح من سنة ١١٠٠ الى سنة ١١٢٠ ميلادية فى كل من اسبانيا ووادى مصر

وترجم مبادئ أفقليدس من العربية بعد أن ترجمها العرب من اليونانية

(٣) وترجم أفلاطون المنسوب (لطيفوليا) وهى مدينة قرب (روسيا) من العربية الرياضيات الكروية

النسوبة الى (تيودوز) كان الاستاذ (رودلف) أحد أهالى (بروجس الباجيقية) ترجم مسائل بطليموس

للتعلقة بالكرة الأرضية والسماوية مبسوطه على خريطة وهكذا الخ (انظر ما تقدم فى سورة ابراهيم فهذا المقام

هناك واضح)

ثم قال الطيف . فهؤلاء الانجليز لم يتعلموا الهندسة إلا فى القرن الثانى عشر من أهل مصر والأندلس

فليس بدعا اذا جاؤا فى القرن العشرين أى بعد تعلمهم بنحو تسع قرون وضرروا أبناء أساتذتهم فى العراق

واليمن وغيرهما بالطيارات فان الله خاق الناس كلهم جسما واحدا كجسم الانسان . والانسان رأيتاه اذا أهل

أعضائه وفرط فيها وشغلها بالذات عاقبه بدخال حيوانات تشوّه خلقته وتجعله ذليلا محقورا . فهل يكون بدعا

إذا سلب هؤلاء الفرجة على المسلمين لما أصبحوا جاهلين بنعم الله وبالعلوم . ويكون مثل القنابل الملقاة من الطيارات على أولئك العرب الأمنين أشبه بحيوانات المرض الزهري التي تنتشر في الجسم حد انهما كه في الشهوات . فمتارك العرب وأبناء الاسلام العلوم النافعة ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ تركوا مواهب العقول ومواهب النعم في هذا العالم فسلط عليهم الطيارات . ولا جرم أن العقل أرق من عضو التناسل . فعوض التناسل لما فسق أصيب نفس العضو بمرض الزهري فابتعد الناس عنه ولكي العقل الذي هو أرق وأغبط لما عطله المسلم فلم يشغله بالعلوم كان العقاب أشد فدل أن يكون المرض بشورا وقروحا أصبح المرض بارا تنزل من الطيارات تهلك الحرث والنسل - جزاء وفاقا - لما كانوا يجهلون . فعقاب الله الناس على ترك عقولهم بالمملكات لمدتهم وأجسامهم أشد من عقابه لهم بالزهري على استعمال أعضاء تناسلهم في غير ما وضعت له . ولما كان العقل يعم أثره البلاد والعباد كان العقاب المرتب على اغفاله يعم البلاد والعباد . ولما كانت أعضاء التناسل جعلت للزنية وقد استعملت في اللذات لمآلتها شوهت أجسام الآباء وأجسام الأبناء - جزاء وفاقا - لما كل شئ خلقناه بقدر - هذا بعض سر قوله تعالى - وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون -

### ﴿ تذكيران \* التذكرة الأولى ﴾

اعلم أنه لا فرق بين تلك النيران المقدوفة من طيارات الانجيز على اليمن والعراق وغيرها وبين تلك الحيوانات الذرية (المكرويات) في داء الزهري الذي يعيش في أجسام أرباب الشهوات المقيح لأجسامهم ولكل من يصاحبهم ويلامسهم . فأهل أوروبا الذين تعلموا من آياتنا العرب كما قتمناه هنا هم أنفسهم يقذفون النار على اخواننا وعلمنا من طياراتهم . فكما حذقوا بعلم العرب القدماء تغذت الحيوانات الذرية من دم الفساق في الداء الزهري . وكما ان هؤلاء الاوروبيين المتعلمين عن آياتنا قذفونا بالنار احتقارا لشأننا فشوهوا الأجسام وأهلكوا الحرث والنسل وهدموا الدور والقصور . وهكذا ترى تلك الحيوانات الذرية في داء الزهري شوهت بحاسن أولئك الفساق . حيوانات الزهري من أجسامهم تغذت ولجأهم قبعت ولأعضاء تناسلهم مرتقت ولحسان وجوهم شوهت كذلك هؤلاء الاوروبيون لعلوم آياتنا نقلاوا لأجسام أبناءهم شوهوا ولسودهم خربوا . وكما أن الفساق لما عطلوا مواهبهم وأناموا قواهم وعكفوا على عبادة شهواتهم وتركوا نعم الله في سبائه وأرضه أصابهم بحيون يتخلقه في أجسامهم ويضدبه من لحمهم . ويسقيه من دماهم ويقول لهم أيها الناس خير لكم أن تكونوا مرضى لأسفل الحيوان وما كلالا لأدنى الخواقات . كنت اصطفتكم لعبادتي وخلقكم وأعددتكم لادراك نظامي فقصدم عن المعالي فأترلتكم إلى أسفل سافلين - جزاء وفاقا - فالغتم بالغرم والجزاء على مقدار الذنب . هكذا أنتم أيها المسلمون قتل لكم - كنتم خير أمة أخرجت للناس - وأرسلت لكم خير الأنبياء وهو آخرهم وفتحتم لكم البلاد فغفلتم عن العلوم وجهلتم المنطوق والفهوم ولم تعقلوا ما بأرضكم من كنوز ولا بما في سنانكم من جبال ولا بما لديكم من نبات وجاد وحيوان فغضبت عليكم غضبة لن أرجع عنها إلا بإيقاظكم فأرسلت إكم أنما تعلمت علوم آياتكم وقلت لها خزي دورهم وهدمى مساكنهم وشوهم بحاسنهم حتى يستيقظوا ويدرسوا . فوعزتي وجلالي لا يسكن أرضي بعد اليوم بعزة إلا المفكرون ولا يعيش فيها بهناء إلا العاقلون - ولتعلمن نبأ بعد حين -

### ﴿ فصل ﴾

ألم يعلم أبناء العرب خصوصا والمسلمون عموما أن بلاد العراق وبلاد اليمن كانت لهما مدينة عظيمة وكان في الأولى مدينة الآشوريين والبابليين ذوى العلم والحكمة والملك العظيم أيام الجاهلية . وكان في أيام الاسلام لهم ملك دولة العباسيين تلك الدولة التي ملكت أعظم الممالك فكان له ملك في آسيا وأفريقيا وأوروبا وهي التي توخت أمما وأزالت عروشها . وكان للثانية وهي اليمن في الجاهلية عرش عظيم وذكرته لها سورة في

القرآن سميت باسم (سأ) فيها سد العرم وفيها بدة طيبة ولها رب غفور . فهاتان الاثنتان اعراقية والجمنية هذه سيرتهما ومالكهما فهل يفعل الله بهما ذلك في الاسلام ويقبل لها ظهر الجحش إلا لما انصف به رجال الأتيتين هم وأكثرا المسلمين من الجهل والاعراض عن آيات الله وشوّهت محاسن دورهم وقصورهم وقتلت رجالهم بالطيارات كما شوّهت أجسام الفساق بمرض الزهري . اللهم إنك أنت المعلم والمعلم الحكيم العليم . لك الحمد على نعمة العلم . شوّهت محاسن الفساق بمرض الزهري ومحاسن هذه الأمم الاسلامية بالمقذوفات من الطيارات لأن القبيلين غفلا عن نعم الله في أنفسهما فعوقبا . ولكن لله رحمة عاتمة على الأمم وعلى الأفراد . اللهم إنك رحيم وإنك حكيم . أنت القاتل في كتابك . ولا تكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون . . إن فسوق الأفراد بالشهوات البهيمية عقابه الزهري وفسوق الأمم بالغلبة عقابه المدافع والطيارات . وأنت قلت في الكتاب بعد تلك الآيات . اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها . مريدا بذلك فتح الباب للغفرة والرحمة الشاملة للأهم وللأفراد . أما رحمتك يا الله للفساق من الأفراد فهي ظاهرة واضحة اليوم فان طبيبا أوروبيا كان له تلميذ ياباني في زماننا قد عملا بتجارب بلغت (٦٠٦) وهذه التجارب جعلوها العقاقير وأدوية ركبوها وأخذوا يجربونها واسدا بعد الآخر لشفاء مرض الزهري فلم ينهيا لها ذلك إلا بعد (٦٠٦) تجربة . فأطلقوا على الدواء ذلك الاسم وشفي به قوم ولم يشف آخرون . فهل هناك دواء للأمم الاسلامية التي حادت عن جادة الصراط المستقيم كدواء (٦٠٦) الحمد لله نعم وأعلل هذا التفسير وأمثاله الذي هو مزيج مركب من علوم قديمة شرقية ومن علوم أوروبية عصرية مع الآيات القرآنية هو أمثاله دواء الأمم الاسلامية في هذه الأيام . فكما ركب دواء (٦٠٦) للزهري بمعرفة طبيب شرقي وطبيب غربي فكذلك هنا صار الدواء مركبا من علوم شرقية وعلوم غربية وزاد دوائنا الآيات القرآنية والله يقول . قل هولاء الذين آمنوا همدى وشفاء . ويقول . قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون .

### ﴿ التذكرة الثانية ﴾

لما اطلع على هذا بعض الأصديقاء من العلماء . قال ألا جل قوله تعالى . وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون . . تكون هذه الانذارات للمسلمين بالزهري والطيارات . قلت نعم ألم يقل الله تعالى . وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحق بهم ما كانوا به يستهترون . فقال وهل المسلمون يجحدوا بآيات الله . قلت الاعراض عن النعم فيه معنى ليجود ومعنى الاستهزاء عملا . نعم لاسلم في الأرض يمجحد هذه النعم ولكنه من جهة أخرى أشبه بمن كفر النعمة ومن كفر النعمة لم يقبلها ومن لم يقبل النعمة لا يعقلها ومن لا يعقلها لا يشكرها وما الشكر إلا صرفها فيما خلقت له فإذا لم تصرف فيما خلقت له من العلوم والصناعات أذلها الله وذلك قوله تعالى . وحق بهم ما كانوا به يستهترون . ولست أقصد أن هذا هو معنى الآية نصا بل أقصده ان يراد به الاعتبار وكأنه كناية والسكناية لفظ لا يمنع المعنى الأصلي ويقصد منه المعنى العارض . فقال هذا حسن

﴿ الجوهرة الرابعة في قوله تعالى . والوزن يومئذ الحق فمن ظن موازينه فأولئك هم المفلحون •

ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون . مع قوله تعالى في سورة الأنبياء . ونضع للموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا . وإن كان مثقال حبة من خردل

• أتينا بها وكفى بنا حاسبين - ﴿

لما كتبت هذا العنوان حضر صديقي العالم الذي اعتاد أن يناقشني في هذا التفسير . فقال ماذا تريد أن تكتب هنا بعد ما كتبت في سور كثيرة عجائب العدد والوزن والنظام الخ وهل هذا إلا تكرار . فقلت له

لا تهمل ولا تهملنى أن أقول لك - إنك لن تستطيع معى صبرا \* وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا . قال  
يا عجب . أنا لم أسمع منك هذا الاقتباس إلا الآن فعسى أن يكون هناك زعزعة عليه حتى اقتبست الآية من  
قصة موسى والخضر عليهما السلام . قلت نعم هناك كذا كذا وسر الأسرار . وعلم الحكماء قد خباة الله في  
هذا الزمان ليعرزه للأجيال المقبلة في هذه الآيات . علم نفيس شريف لم يظهره الله إلا للأئمة الحالية ثم يفا  
للأئمة الإسلامية . ومتى اطلع عليه أنباؤنا طاروا فرحا وشوقا إلى العلوم واستبقوا من رفقتهم وقاموا من  
نومتهم وسيكون لقراء هذا التفسير نهضة لم ينلها قبلهم أحد من العالمين . فقال  
أسرع برّد جواب ما أنا باحث \* عنه فنار العلم ذات تشعشع

فقلت ألم تسمع قوله تعالى - والوزن يومئذ الحق - فلم ذكر الله لفظ الحق هنا . قال هذه  
عادة القرآن والله يسعى الحق وأعماله كلها حق . فهذه ليست تحتاج إلى علم ولا حكمة . فقلت هذه  
الاجابة منك تدانى أنك تنظر لهذا القرآن ولهذا الدنيا نظرة بغير عناية . إن لفظ الحق هنا له معنى لا يتم إلا  
بعلوم كثيرة سأظهرها لك الآن . علم الله قبل أن ينزل القرآن أن بعض الناس لا يهتم بلفظة مثل هذه  
يجعلها أمرا عاديا فأشار إلى دفع هذا بقوله بعد آيات - أنخسبتم أنما خلقناكم عبثا - فعادة الناس أن  
يظنوا أن مثل هذه الكلمة جاءت عفوا لا معنى يخصها وهذا اعدم التدبر والفتنة كما لا يتدبر أكثر الناس في  
أعضائهم وحواسهم وتركيبها العجيب . فقال انها لفظة مفهومة بذاتها لا تحتاج إلى شرح . قلت لا وأز يدك  
على ذلك أن قوله تعالى بعد آيات - فتعالى الله الملك الحق - تعطى هذه الكلمة صبغة خاصة . ألا ترى رعاك  
الله انه كما أن الملك ﴿ قسما ﴾ قدم هو حق لا يموت ولا يفوت شي ولا ينزعه أحد ولادله له يرثه ولا أخ ولا  
شريك ولا ضعف يعتريه . وقسم هو باطل لأنه يمرض ويموت ويشاركه سواء ويحاربه ويغلبه الغالبون  
ويغزونه الخ . فهذه المعاني وأمثالها تؤخذ من قوله تعالى - فتعالى الله الملك الحق - وإنما تعالى لأن الملك  
الباطل وهم ملوك الأرض قاطبة لا يتعلون بل هم في الخضيض . قال هذا حسن ثم ماذا . قلت اذا صح  
هذا في قوله تعالى - فتعالى الله الملك الحق - فانه يصح نظيره في قوله - والوزن يومئذ الحق - فقال ان هذه  
الجملة حاضرة فكأن الدنيا لا وزن فيها بحق وليس هناك حق في الوزن إلا يوم القيامة وهذا غير معقول فان  
في الدنيا من الوزن ما هو حق ومنه ما هو باطل فقياسك الحق الأول على الحق الثاني قياس مع الفارق . فقلت  
كلا . إن وزن الدنيا كله ليس محققا ولا وزن مع التحقيق إلا عند الله تعالى وهذا الحكم مستحيل أن يعرفه  
الناس إلا بلم الفلك والطبيعة . فقال أريد أولا أن أعرف الوزن في هذه الحياة الدنيا ثم بعد ذلك أعرف  
كيف يكون غير حق بحيث يكون ذلك مبرهنا عليه فإننى ماسمعت أن موازين الأمم كلها ناقصة غير تامة إلا  
منك . فقلت ﴿ الجواب عن الأول ﴾ اعلم أن أصل الموازين الجاذبية التي جعلها الله من صفات المادة كما  
قال تعالى - إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا - فهذا الامساك هو المسمى جاذبية فكل حجر أو شجر  
منجذب إلى الأرض ولولا تلك الجاذبية لأصبحتا جميعا بعيدا عن هذه الأرض وبهذه الجاذبية يكون  
(١) الحجر ينزل من أعلى إلى أسفل بقانون فينزل في (باريس) في الثانية الأولى (٩٠) رة أربعة أمتار  
وتسعا من عشر أى وتسع ديسات وفى مصر أقل ضرورة لقربها من خط الاستواء ولا يجوز التطويل في هذا  
لأنه مشروح شرعا تماما في أول سورة ﴿ آل عمران ﴾ فارجع إليه هناك  
(٢) اذا كان جسمان خفيفان بقتران من بعضهما على وجه الماء كالفلين مثلا فان المسافة اذا كانت  
بينهما مترا مثلا كانت السرعة بينهما أكثر منها والمسافة بينهما متران بمقدار أربعة أمتار أى على حسب عكس  
الربع إذ مربع المتر الواحد متر واحد واذا كان بينهما متران كانت السرعة بعكس الربع فاعطى ربع الثانية  
للأول وربع الأول للثاني وقس عليه ما اذا كان بينهما ثلاثة أمتار وهكذا

(٣) البندول وهو عبارة عن خيط أرحل أو معدن طويل في آخره قطعة من الرصاص أو غيره تعلق في مكان بشروط مخصوصة ويترك يذهب ويحییء من نفسه متذبذباً مضطرباً فإن هذا هو حركات منظمة في أوقات معينة

(أ) فإذا نظرنا إلى بندولين يتحركان في مكان واحد نجد زمان حركتهما واحداً إذا كانا متساويين فإن اختلافاً كانت ذبذبتهم على حسب جذر طولهما فإذا كان أحدهما طوله أربعة والآخر ذبذبت الأولى في (٣) والثاني في (٣) والمعنى أن الحركات المتساوية عدداً تكسمة مثلاً تقع من الأولى في (٣) من الثاني (ب) وإذا أخذنا بندولاً واحداً في أماكن مختلفة كانت سرعته على حسب عكس الجذر التربيعي لشدة الثقل إذ معلوم أن الثقل يكون أكثر كلما قربنا من القطبين وأقل كلما قربنا من خط الاستواء . فإذا كان البندول في النوبة قوة قله (١) وفي بلاد روسيا قوته في الثقل (٤) تحرك في الأولى حركات مضروبة في (٢) الذي هو الجذر التربيعي لأربعة وتحرك في الثانية تلك الحركات بعينها مضروبة في (١) الذي هو الجذر التربيعي لواحد . والنتيجة أن البندول الواحد في الأماكن المختلفة تكون سرعته على حسب عكس الجذر التربيعي لشدة الثقل (و عبارة أخرى) يكون في الجهات القطبية ومالوا لها لشدة قله مناسباً للجذر التربيعي في الجهات الاستوائية وهكذا بالعكس

(٤) ثم انظر إلى الموازين التي يزن بها نوع الإنسان أمتعه فانها تابعة للجزان العمومي وهذا وضحي في كتابي «میزان الجواهر» وكتابي «نظام العالم والأهم» وملخص ذلك أن لكل ميزان من موازين (القبان) «جهتين» جهة مضرى تسمى (ذراع القوة) وجهة كبرى تسمى (ذراع المقاومة) وعلاقة في الوسط فيها لسان دال على الاعتدال وعلى ضده . وإذا تساوى ذراع القوة وذراع المقاومة كان الرطل الموزون يعادل رطلا نظيره من حديد مثلاً موضوع في الكفة الثانية وهذا متداول بين صغار الباعة . فاما إذا طالت إحدى الجهتين وقصرت الأخرى كيزان القبان المذكور فإن القوة (التي هي عبارة عن الكنى الموزون كالقطن مثلاً) والمقاومة (التي هي عبارة عما يعادله من المعدن) لها قانون خاص . ذلك أن المقاومة دائماً عكس ذراعها فإذا كان ذراعها قدر ذراع القوة عشر مرات كانت هي أقل من القوة عشر مرات . وإن كان ذراعها أكبر مائة مرة كانت أقل من القوة مائة مرة . فإذا كانت هي عشرة أرطال كانت القوة ألف رطل وهكذا . فانظر كيف أمكن الإنسان وزن أشياء كثيرة بمقابل قليل مع ناموس حتى لا يتعب

فهذه المسائل نظر فيها إلى اعتبار طول الروافع ومربع المسافة في الحجر النازل وعكس المربع في الجسمين المتجاذبين والجذر في البندول المختلفة في المكان الواحد وعكس الجذر في البندول الواحد في الأماكن المختلفة هكذا

(١) الطول (٢) المربع (٣) عكس المربع (٤) الجذر (٥) عكس الجذر

هذا هو الجبال في أرضنا . هذا هو الميزان في دنيا التي نعيش فيها

(جهل أكثر الناس)

الناس يعيشون ويموتون وأكثرهم لا يفكرون أما الجهلة فلا يفقهون من هذا شيئاً وأما الذين درسوا هذه العلوم فإن أكثرهم يمتحن على هذا وهم لا يدركون وأما ينظرون إليها نظر الرارع لزراعة والموظف لمرتبته الذي يتقاضاه من صاحب العمل وهناك مستبصرون في النوع الإنساني وهم في الأرض قليل . خلقهم الله وبهم مع قلتهم في الأقطار ليبيّنوا للناس هذا الجبال وليقولوا لهم أيها الناس إذا كان البندول في الساعة يعرفكم زمانها والقبان يعرفكم مقدار المبيع لتبادل المنافع فما ذلك إلا متاع لأجسامكم . أما عقولكم ففقدواها هو هذا الجبال . والتأمل في وضع هذا الوجود وكيف ظهر الجبال فيه والميزان والعنل وتبذى لعقولكم جنال

الوضع والاتقان فاعتبرت جميع الأوضاع من طول ومربع وعكسه وجذر وعكسه دلالة على حكمة بالغة وآية باهرة ظاهرة وأن هذا العقل الانساني الذي أدرك هذا أجل وأجل وأبدع وأبدع لأنه فرح بهذه المعاني الخجوة في المادة حين اقتنصها منها . فهذا الاقتنص دلالة على أن القضية غذاء المقتنص وأن هذا الجوهر العقل الذي هو سر الانسانية مناسب لتلك الأسرار في الطبيعة . هذه الموازين والأسرار الخجوة في الطبيعة إنما هي مما يليق للعقل لأنها لطيفة وهواظيف . فتجاذب الاطيفان وتعاين الجيلان . إن العقل الخجوة في الانسان هو الذي غاص على هذه الجواهر في المادة ليصلي بها خلاصة الانسان وهو العقل غذاؤه خلاصة الطبيعة وسرها وهي القوانين كما أن جرم المادة غذاء لجرم الانسان فالمادة للمادة والمعنى للمعنى . إن اختفاء معاني المادة واحتجابها وجنالها وعدم ظهورها إلا للعقل وحده تارة ولغريزة بعض الحيوانات تارة أخرى دليل على أن هناك (عالين) عالما لطيفاروحيا وعالما كثيفا ماديا وأن العالم الكثيف المادى أشبه بالروح الذي يقرأ فيه العالم اللطيف المادى عاومه . إن الدنيا كلها لوح لنفس كلية مشرقة على هذا العالم . تلك النفس تنوعت في الأحياء كما تنوعت المادة الى صور وأشكال تنوعت المادة وتنوعت العقول والغرائز وربك على كل شيء حفيظ

(٥) المسألة الخامسة وهي ارتفاع الجوّ . يرتفع الجوّ عن سطح الأرض (٤٨٠٠٠) متر وحرارة الطبقات الجوّية تنقص درجة في كل (١٥٠) مترا أو (٢٠٠) مترا من الارتفاع لغاية (٧٠٠) متر تقريبا . ويظن أن التناقص بعد هذا الارتفاع أقل من ذلك وأن الطبقات الأخيرة ذات حرارة لاتنخفض عن ستين درجة .

وقل الجوّيزن عمودا من الزئبق ارتفاعه (٧٦) سنتيمترا أو وعمود من الماء ارتفاعه ١٠٣٣٤ متر فالضغط الكلي على سطح الأرض يعادل قتل عمود من الماء قاعدته سطح الأرض وارتفاعه (١٠٣٣٤) مترا وهذا يعادل قتل (٥٨٥٠٠) مكعب من التحاس كل مكعب ضلعه كيلومتر واحد . فهذا من الموازين التي وضعها الله في الأرض ليؤمن بها هذا الوجود وإنما قلنا انه من الموازين لأن الشمس اذا أرسلت أشعتها الى أرضنا وهي تحت الأفق صباحا ومساء أوفوقه نهارا فإن هذا الضوء إنما ينفرق عليها بنسبة محفوظة بواسطة الهواء في جميع الجهات وهذا يسمى الضوء المنتشر أو المتفرق . فلو فرضنا أنه لم يكن هناك هواء فوق أرضنا فإنه لا يتم شيء في هذا الوجود فلانبات ولاحيوان ولأما لأن الماء لا يكون إلا بحري الرياح وهذه تحمل السحاب وهنا لاهواء فلاسحاب وأيضا لا يستضيء من الأرض إلا الجزء المقابل للشمس وحده وماعداه لا يصل له الضوء وكيف يصل له وهو إنما يأتي له بواسطة الهواء الذي ينشر الأشعة المنعكسة من المادة الأرضية وهنا لاهواء فلا تنشر تلك الأشعة المنعكسة . ثم إننا الآن نرى لون السماء الزرقه وهذه الزرقه لون الهواء نفسه لان سمكه العظيم الذي يبلغ عشرات آلاف الامتار هذا شأنه يكون ماء البحر العميق . فهذا اللون اذا لم يكن هواء لا يكون وإنما ترى السماء حالكة السواد . ويرى جميع الناس الكواكب السيارة والثابتة وقت الظهور وينقل الناس من النهار الى الليل دفعة واحدة ومن الليل الى النهار دفعة واحدة . فانظر الى ميزان الهواء الذي قدر بمقدار . يحمل السحب ويأتي بلون الزرقه وينشر النور وله درجات من الحرارة متدرجة من أسفل الى أعلى

(٦) المسألة السادسة . هذا الهواء نفسه هو الذي فيه يطير الطير وقد طاف به الانسان في أيمان هذه . وقد تقدم في سورة (المائدة) عند قوله تعالى - فبعث الله غرابا يبحث في الأرض - الخ كيف كان طيران الانسان في الجوّ على (ضربين) ضرب على هيئة سير السفن والسمك في البحر وضرب على هيئة طيران الطير في السماء فاقراء هناك ولا تعبد . وإنما هنا تأتي (فائدتين) الفائدة الأولى : ان الناس اذا طاروا في الجوّ فانهم الى الآن لم يصلوا الى أكثر من عشرة آلاف متر بالطيارات ولا الى أكثر من (١٥) ألف متر بالمطاد . وقد علمت في سورة (المائدة) أن النطاد يرتفع بحفة حجمه . فأما الطيارة المسماة بالفة الفرجينية (إيرو بلن) فانها إنما ترتفع بقوة تحريكها مع قتل جسمها كقتل جسم الطائر بالنسبة للهواء (الفائدة الثانية)

إن الطائرة إنما تجرى بقوة تحريك آله أو أكثر في مقدمها وهذه الآلة تتحرك بقوة ناتجة من المادة المسماة (البزنج) التي يستخرجونها من الفحم الحجري وهذه الحركة تطرد الهواء أمامها فيخلو لها الحق من الهواء فتندفع وتأخذ في العلو أيضاً لأن اللوحين الأماميين اللذين في الطائرة مرتفعان إلى أعلى ارتفاعاً منتظماً فيضربهما الهواء إلى أعلى فيحصل (أسرار) اندفاع إلى الامام يخلو الهواء وارتفاع إلى أعلى يدفع الهواء إلى أعلى لمقدم الطائرة

(٧) المسألة السابعة بيان المقصود من قوله تعالى - والوزن يومئذ الحق -

اعلم أن هذه الموازين المتقدمة التي وضعها الله في الأرض سواء أكانت موازين طبيعية أو صناعية ليست في انتقامها كوزانين الله يوم القيامة فإن علنا الذي نعيش فيه أقل نظاماً من العالم الأعلى حينما نخرج من الأرض إلى عالم أجل من هذا وألطف منه . والبرهان على ذلك أن سرعة دوران الأرض في الثانية الواحدة (٤٦٥) متراً في خط الاستواء و (٤٦٩) متراً في عرض مصر و (٣٠٥) متراً في باريس ولا تزال قوة السرعة تقل إلى القطبين . ثم إنه كلما كانت السرعة أشد كان الجسم أخف كما نرى أن الجسم فوق الرجي وهي مسرعة الدوران يكون أخف منه لو كانت الرجي ساكنة بنسبة السرعة . فإذن الأجسام تكون أخف في خط الاستواء منها في القطبين . فأما ما بينهما فإنه يكون بالنسبة لذلك وعليه استنتج العلماء أن الكيلوجرام ينقص وزنه في خط الاستواء بقدر (٣٥) ثلاث جرامات ونصف جرام أي مقدار جزء من (٢٨٩) جزءاً ومعلوم أن الكيلوجرام ألف جرام . فإذن كل ألف جرام تنقص نحو (٣٥) في الوزن في هذه الدنيا . ويقول العلماء لو أن الأرض كانت أسرع دوراناً مما هي عليه (١٧) مرة فقط لانعدم وزن الأجسام في خط الاستواء بحيث يصير الجسم هناك لا وزن له لشدة الحركة ويكون أقل من وزنه كثيراً جداً في غير خط الاستواء

هذا هو تفسير الآية التي نحن بصددناها . يقول الله تعالى - والوزن يومئذ الحق - ويقول - فاعلم أن الله الملك الحق - أما كونه ملكاً حقاً فهو ظاهر لأن مالوك الأرض تحت تصرفه هو فهذا ظاهر أي أن ملكهم باطل زائل . أما كون وزن يوم القيامة حقاً ووزن هذه الدنيا غير حق فهو غير معلوم وإنما يعلم بطريق العلوم التي ظهرت في الدنيا والمسلمون عنها ناثقون . لقد استبان هنا أن جميع الأجسام التي تزن في هذه الأرض ليس وزنها جارياً على الحقيقة تماماً لأن أرضنا تجري جرياً سريعاً وإذا كان كذلك فسرعتها تنقص وزن الأجسام التي عليها فالجسم الذي ينقص في خط الاستواء جزءاً من (٢٨٩) ينقص في مصر وفي غيرها جزءاً أقل من ذلك فتكون الأوزان غير حقة عندنا لأن علنا عالم ثقل ليس نورياً بل هو مظلم فلذلك كانت موازينه غير حقة ولا صادقة . هذا هو تفسير القرآن . القرآن أظهر لنا أن الوزن يوم القيامة حق أما وزن الدنيا فإنه ناقص ولو جزءاً قليلاً جداً . وهذا ظهر لنا من العلوم المنتشرة في ربوع الشرق والغرب الآن ومن قوله تعالى - فاعلم أن الله الملك الحق - وفهم معنى الحق في المقامين ومن قوله تعالى - ألخبتن إنما خلقناكم عبثاً - الخ الذي يشير إلى أن أي كلمة في الكتاب ليست عبثاً بل لها مقصود خاص ومنها قوله تعالى - والوزن يومئذ الحق - أي أما في الدنيا فإن الوزن عندكم فيه تقرب لتحقيق . فبالتشعري كيف يعرف المسلمون معنى قوله تعالى - والوزن يومئذ الحق - إلا بجل ما بيناه وكيف وافق نظام هذا الكون سر القرآن وكيف أصبح العلم الحديث والقديم سرين من أسرار القرآن . فبالأسف على أمة مات علمائها وضاع مجدها وطاح قوادها وذهبت كأمس العابر - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له وما لهم من دونه من وال - . اللهم إن المسلمين غيروا ما بأنفسهم من حب العلم والمعرفة فأصبحوا طغيان الرجي أذلاء ضعفاء جهلاء ، وعسى الله أن ينقدهم برجال يقرؤن أمثال هذا التفسير ويكونون قادة للأمة الإسلامية والحمد لله رب العالمين

(٨) المسألة الثامنة . قال ذلك الصالح لما سمع هذا إذن تجيع الموازين على الأرض غير موصلة لحقيقة الموازين بسبب حركة الأرض الدورية وهذا عسر لا يعرفه إلا المارسون لهذه العوالم فهل تذكر لي مثلاً آخر أعرف به أن موازين هذه الأرض لا توصل إلى الحقيقة حتى يتبين لي معنى قوله تعالى - والوزن يومئذ الحق - التي نحن بصدد الكلام عليها . فقلت مسألة (أرشميدس) قال وما هي . قلت إن (أرشميدس) الفيلسوف كان ملك زمانه قد أعطى للصائغ ذهباً يصنعه له تاجاً فلما وقع في يد الملك شك في أمره . وقال لابد أن يكون هذا الذهب قد خلط بفضة وأحضر (أرشميدس) وقال له أريد أن تبحث لي في ذلك ففكر أياماً وبنينا هو يستحم إذ أحس بأن جسمه في الماء أخف منه وهو فوق الأرض فأدرك حلاً لأن جميع الأجسام تنخفض في الماء فأسرع بالخروج من الحمام من غير أن يستر بلباس وقال عرفتها عرفتها ثم صنع تاجاً يوزن هذا التاج من الذهب وتاجاً آخر يوزنه من الفضة فوضع تاج الذهب في إناء فيه ماء فارتفع الماء في الإناء فجعل هناك علامة ثم وضع تاج الفضة في الماء فارتفع الماء طبعاً فوق علامة ارتفاعه للذهب لأن الذهب أثقل والفضة أخف فتأخذ حجماً أكبر مما يأخذ الذهب ثم أتى بالتاج المطلوب معرفته فارتفع الماء إلى علامة بين العلامتين فعرف يقيناً أن هذا التاج مخلوط فيه ذهبه بالفضة ولولا ذلك لم يرتفع الماء في الإناء عن ارتفاعه في تاج الذهب فسر ملكه بذلك وظهر أن ظن الملك كان صادقا وأن الصائغ غاش . وهذه القاعدة هي أسن لسير السفن في البحر والسكك في الماء والمظاد في الهواء . إن السفينة في البحر لا تطفو على الماء إلا إذا كانت أخف من الماء الذي أزاحت . وهكذا السمك لا يطفو إلا إذا نفخ المنفاخ الهوائي الذي في جسمه فكبر حجمه فصار أخف من الماء الذي يزيحه وهكذا المظاد في الجو يسرع في الارتفاع بمقدار خفته . فتبين من ذلك أن الجسم في الماء أخف منه وهو في الهواء ثم الجسم الذي في الهواء فوق سطح الأرض أقل من حقيقته بجزء قليل كاتقدم هذا هو معنى قوله تعالى - والوزن يومئذ الحق - وقوله - ونضع الموازين القیامة فلنظلم نفس شیئاً وإن كان متقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا جاسين - فقوله - ليوم القيامة - قيد لدة الوزن أما في الدنيا فإن الوزن لا يكون تاماً ولا يأتي بمقتال حبة من خردل لأنك علمت أن كل ألف جرام في خط الاستواء تنقص ثلاثة ونصفا وهذه فيها حبات خردل لاجبة واحدة بل فيها مئات الحبات . هذا هو سر القرآن ظهر في هذا الزمان . قال فهل هناك موازين من هذا الباب عاتمة . فقلت نعم الهواء جعله الله أخف من الماء (٨٠٠) مرة والبخار أخف من الماء (١٧٢٨) مرة ولذلك الميزان ترى الهواء فوق الماء وترى البخار يعلو سحباً ويرتفع في طبقات الجو

(٩) المسألة التاسعة . قال صاحبي هذا حسن جداً وبيان عجيب ونور مبين لم يظهر إلا في هذا الزمان فهل هذا الوزن المذكور في القرآن جاء في ديانات الأمم السابقة . فقلت نعم ولدينا دليل مشاهد ظاهر واضح لم يظهر إلا في هذا الزمان . فقلت وما هو . قلت قد عرف الناس أن دين قدماء المصريين مأخوذ عن النبي ادريس عليه السلام المسمى (هرمس) ويسمى (اخنوخ) كما يسمى بهذين الاسمين أيضاً كوكب الشعرى الذي بنى الهرم لاجتلاء نوره ويسمى أيضاً (نوت) فهو لاء قد صوروا لأهم ميزان الله يوم القيامة بصورة تمثل لهم العدل يوم القيامة . وقد تقدم الكلام على دين قدماء المصريين في سورة (يونس) عند قوله تعالى - فالיום نصيبك ببسندك لتسكون لمن خلفك آية - وأن تلك الجثث إنما بقيت بمصر ليعين الله للناس ما كان عليه القوم من علم ومن جهل وضلال وهدى . وأزيد الآن عليه ما نقله أستاذنا أجد أفندي نجيب مفتش وأمين دار عوالم الآثار المصرية إذ نقل في كتابه «الأثر الجليل» في صفحة ٩٣ وما بعده عن (هيروdot) أن أهل (طيبة) كانوا يعبدون الله وحده ويقولون هو الأول والآخرة - الأبدى - السرمدي . ونقل عن (جانبليك) أنه سمع من كهنة المصريين أنفسهم أنهم يعبدون الله وحده ويقولون أنه فاطر السموات والأرض ورب كل

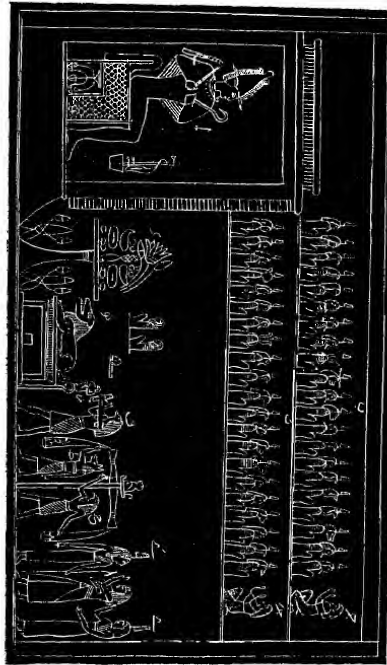


شيء وهو المالك لكل شيء . الخالق لكل شيء الذي لم يخلق ولم يتجرأ ولا تراه العيون . يعلم ماكنه الضائر وما تخفيه الصدور وهو الفاعل المختار لكل شيء وفي كل شيء إلى أن قال وأما ما تراه من كثرة المعبودات لجميعها رمن إلى صفاته تعالى وهذا هو اعتقاد كهنة المصريين المدون في كتبهم المقدسة اه

ثم نقل أستاذنا الله كورن المؤرخ (شمبلون فيجاك) ما يفيد أن المصريين كانوا أمة واحدة يعبدون الله تعالى ولكن لما أظهرها صفاته العالية مشخصة للعيان وقد غرقوا في التوحيد تشعبت طرقهم

ونقل في صفحة (٩٤) نقلا عن (مسيرو) ماملخصه ان الأمة المصرية كانت مخصصة لله في العبادة فكانوا يرون أن الله في كل مكان فهامت قلوبهم في حبه وشجنت كتبهم بمحاسن أفعاله ثم عقدوا صفاته وجعلوها صورا محسوسة وصوروا لها كل شيء بافع فاشتهرت تلك الصور حتى ملأت المدن فنشأ عن ذلك جلة معبودات متباينة في الشكل والهيئة دخلت فيها الحيوانات والطيور والسمك والحشرات ولكل واحد وظيفة خاصة مثل (أمون) الله ومثل (فتاح) الذي أنقذ كل شيء ومثل (أوزيرس) الله الرحيم فاعل الخير

ونقل عن بعض المؤرخين صفحة (٩٥) مانصه « كان مكتوبا في أحد الأسفار المصرية المنسوبة إلى هرمس (أدريس عليه السلام) مآصورته « يامصر يامصريائي عليك يوم يتغير فيه دينك القويم ومنهجك القديم فتظهر الخرافات وتم الضلالات وتنحصر أخبارك في أحبارك » . لكن نقل بعد ذلك عن (ماريت باشا) انه قال « لم نجد إلى الآن على الآثار أدنى شاهد على ذلك التوحيد بل هم عبدوا كل شيء إلا الرب جل جلاله » ثم قال « وهذا هو الذي عرف عن نفس الأمة أما التوحيد فهو خاص بعلماه الذين وهم الكهنة » هذا ملخص ما نقله . فهؤلاء صوروا العدل بصورة مجسمة فيها (٤٢) قاضيا لهم رئيس هو (أوزيرس) رئيس القضاة والروح تحاسب بين يدي القضاة وعلى رؤسهم ريشة العدل وهناك ملك العذاب وتوت كاتب الأعمال يسجل مآظهم والميزان له كفتان في اليمنى قلب الميت وفي اليسرى معيار الحق وهناك ملك يسمى هوروس ينظر كم بلغت الحسنات والسيئات وآخر يراقب كفة معيار الحق وآخر في يده قضيب الملك وأمامه روح الميت مصورة تنبأ من كل ذنب وهذا كله ينطق بقوله تعالى - فن نقلت موازينه فأولئك هم المفلحون \* ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون - وقوله - ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أثينا بها وكفى بنا حاسبين - وإنما نقلت لك هذا لتعجب من دين الاسلام كيف كان هو الدين الذي كأنه صورة لجميع الديانات وكيف كان الوزن فيه واردا ومرسوما في ديانة قدماء المصريين بنفسه . فهو في القرآن جاء بالقول وفي ذلك الدين جاء بالرسم والتصوير وهذا صورته (انظر شكل ٢٢ في الصفحة التالية)



(شكل ٢٢ - صورة محكمة (أوزيريس) الجهنمية )

- (أ) أوزيريس رئيس القضاة جالس على منصة الحكم  
 (ب ب) الاثنان والأربعون قاضيا من الملائكة المسكفون بحساب الروح وعلى رؤسهم ريشة العدل  
 (ج ج) الروح تحاسب بين يدي القضاة  
 (د) مائدة عليها بعض أرواح الموتى وقليل من القرابين  
 (هـ) ملك العذاب  
 (و) توت كاتب الأعمال يسجل ما ظهر له  
 (ز) علامة العدل ثم الميزان في كفة اليمنى قلب الميت وفي اليسرى معيار الحق كما تقدم  
 (ح) الملك هوروس ينظر كم بلغت الحسنات والسيئات  
 (ط) (أنونيس) يراقب كفة معيار الحق  
 (ي) ملك العدل له صورتان بيد أحدهما قضيب الملك و بوسطهما روح الميت تنبأ من كل ذنب اهـ

﴿ الجوهره الرابعة في قوله تعالى - فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون \* ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون \* تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون - ﴾

اللهم إنك قد حكمت بحسب أرواحنا في هذه الأجسام المظلمة وحجبنا عن الاطلاع على سرّ التكوين وأسرار الوجود ولكنتك لم تفعل ذلك بخلا كلا والله ولا حبسا للعطاء والكنك سبحانه لك لا تعطى إلا على مقدار قوة المعطى وذلك بالوزن ولقد شاهدنا الوزن في هذه الدنيا . شاهدناه يا الله حتى أصبحنا به موقنين إيقانا تاما وقرأنا كتب علماء الأرواح الذين نؤموا أنفسهم وقالوا إنا شاهدنا بعض عالم الأرواح قرأنا النظام هناك كالنظام هنا من حيث إن كل روح قد وضعت في المركز اللائق به في أعلى عليين أو في أسفل سافلين فالعوالم هناك على وزن العوالم هنا وأصحاب النار هناك قد استحقوها بما غلب على عقولهم في الدنيا

ولما وصلت الى هذا المقام واطلع عليه أحد الأصدقاء الفضلاء قال لي كيف تقول إنك شاهدت الوزن في الدنيا وكيف تستدل بقول علماء الأرواح فأما في الأولى فلا يخلو إما أن تكون من أهل الكشف أو من أهل العلم فإن كنت من أهل الكشف فأنك لا تقيدنا علما لأن كشفك خاص بك لا يتعداك كالم يتعد كشف أولياء المسلمين ولا كشف نساك الهندو أشخاصهم الى أهمهم بدليل ضعف الاليتين معا . وإن كنت من أهل العلم فما أحرك أن تذكر لنا البراهين التي جعلتك موقنا بالوزن حتى ننظر فيها بعقولنا كما نظرت . وأما في الثانية وهي استدلالك بأقوال علماء الأرواح فإن قولهم ليس برهانا . فقلت سأوضح هذا المقام ﴿ بفصلين ﴾ الفصل الأول ﴿ فيها هومشاهد في الدنيا من الوزن ﴾ الفصل الثاني ﴿ في أن كلام علماء الأرواح الذين شاهدوها وقالوا أنهم قد اطلعوا على مراتبها موافق كل الموافقة لما نشاهد في الدنيا سواء بسواء مما يفهمنا قوله تعالى - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - ويوافق قوله تعالى - وترعنا ما في صدورهم من غل - إخوانا على سرر متقابلين - إن كلام هؤلاء العلماء موافق للآية كل الموافقة وهذا عجب عجب . ثم قلت ﴿ الفصل الأول فيها هومشاهد في الدنيا من الوزن ﴾

اللهم إنك (وإن حسبتنا في الدنيا وأغرقت أرواحنا في هذه الاجسام المظلمة والعوالم التي أحيطت بسلاسل وأغلال من الشهوات أحكمت وثاقها علينا فلم نستطع التخلص منها ) قد أنرت لنا السبل وفتحت بصائرنا وكنيت يديك على قرطاس الطبيعة كتابا منشورا رأيناه . سطورا فيها فقرائنا فألفينا فيه انك خصمت لكل حي من الأحياء عملا لا يتعداه وعلما لا يخطئه . ذلك انك سبحانه لم تدع كوكبا يجري بلانظام وحكمت عليه أن لا يترك فلسكه ومداره وأمرته أن يجري بحسب لا يتخطى فيه ثانية واحدة . هذا رأيناه مطردا في الكواكب السائرة والثابتة لا تشذ قاعدة ولا يتخطى قانونه . ومن عجب انك لم تقتصر في تلك القوانين على الأجرام العظيمة بل رأينا السنن جارية في أصغر الحشرات وأدنى الخلوقات بحيث لا تتخلف ما رسم لها ولا يشابه واحدا منها الآخر في سننه كما لم يشابه كوكب كوكبا آخر في نظامه وقوانينه المحكمة . ولقد وجدنا الانسان جرى على هذه السنن عينها فألفينا كل واحد من الناس سار على منهج يخالف سواه مخالفة ما فانا نفرق بين لون زيد وعقله ومذهبه في الحياة كما نفرق بين الكوكب والكوكب والحشرة والحشرة فلنكمل عمل خاص يشارك غيره في بعض الصفات ويخالفه في بعضها . فهذا هو الميزان المنصوب في الأرض . ومن ذلك ما سأذكره من ﴿ اثني عشر مثالا الآن ﴾ في عوالم الحيوان أذكرها هنا لأقيس عليها عوالم الانسان في الدنيا والآخرة حتى يلتزم علما فيكون آخوه كأوله وغائبه كشاهده . وآخرته كأولاه ليكون ذلك دليلا لنا على ما سألناه بعد الموت ويرون كل منا بمسقبله هناك متى عرف ما ركز في نفسه وفهم ما توجهت اليه هي في الحياة من المناهج والسيرة والأحوال فيعمل علما ليس بالظن ماحاه هناك وما درجته وهل أخلاقه وذنبه تلازمه هناك كما تلازمه

هناك هناك حال خاصة ينزع فيها من الفاضل رذائله ومن الشرير فضائله حتى يتصرف كل لما غلب على عقله كما نرى في الحيوانات في الدنيا إذ كل سار فيها رسم له من الصفات . كل هذا سيفصل في الفصل الثاني . أما هذا الفصل فإما أذكر فيه الأحد عشر مثالا

### ( المثال الأول )

إنك يا الله سبحانه خلقت (السلحفاة البحرية) وقد سبق علمك انها تكون باردة الدم فلا حرارة فيها كافية لتدفئة البيض فاختصت حكمته أن يتبع لها ضربا من التدبير يناسبها فملأها علما يخصها إذ أمرتها أن تبيض في طبقات الرمل على شاطئ البحر لا ينفذ اليها الماء وذلك البحث في ظلمات الليالي الموحلة والناس لا يشعرون ولا تزال تبيض عن تلك الطبقات بعد خروجها من البحر حتى تظفر بها ومتى ظفرت بها وضعت نحو (١٢٠) بيضة ثم تغطيها بالرمل بغاية العناية وتعود الى البحر ولا يشعر بها أحد . وكما ألهمت الأم ذلك وعلمتها أن تبيض على المكان المناسب . علمت أفرانها اذا خرجن من البيض أن يرجعن الى البحر ولا مرشد لها ولا معين فلا أب يعرفه ولا أم تستفقه بل هي لورأتهم لم تعرفهن فتراهن قد خرجن من تحت الرمل وقاسين الشدائد وسرن في الوهاد والزمال والحوابر العظيمة التي تكون بالنسبة كما أنها الجبال الشاخات حتى ترجع البحر ولا تعود وتعيش هناك وهي لاتعلم آباءها ولا أمهاتها . إنك أنت المعلم لها والمرشد وقد وزنت أحوالها وزنا حقا وجعلت الآخرين في الميزان كالأوليين . ومثل (السلحفاة البحرية) في ذلك جيع الحيوانات الزاحفة وهكذا القماش لا أنهم ليس عندهم من الحرارة ما يفيق البيض فجعلت يا الله حرارة الرمل لها بدل الحرارة الطبيعية . انتهى المثال الأول

### ( المثال الثاني )

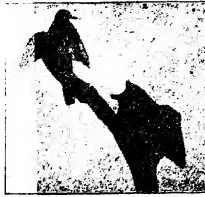
إن بعض القماش (وان فعل مثل الزواحف في كيفية التناسل) يراقب بيضة في الرمل آنا فآنا حتى اذا تم تكوين أفرانها أخذ يكسر لأبنائه الصغار البيض اذا سمع أصواتهم من وراء قبور البيض فهو إذ ذاك يساعدن كما تفعل القابلات في مساعدة الوالدات وأولادهن وكما تفعل القابلات من النمل من مساعدة الخلات الصغيرة المكبلات في خيوطهن وهن ضعيفات ليخرجن حشرات كملات انتهى المثال الثاني

### ( المثال الثالث والرابع )

إن أكثر الثعابين جارية على القاعدة العامة في الحيوانات الزاحفة ولكن بعضها ابتليت بأعداء يؤذونها ويترصون بها وبأولادها القوار فأنت يا الله للطفك بها وحكمتك خصصت هذا النوع بأن يرقد على بيضه يضع أسابيع كما يرقد الدجاج سواء بسواء وذلك هو الميزان لأن هذه الأنواع لما احتاجت الى دفع أعدائها أعطيت قوة المحافظة على بيضها والا فلا

### ( المثال الخامس )

إن جيع الطيور ترقد على بيضها بعكس الثعابين وقليل منها ترك أفرانها لغيرها وذلك أن طائرا يسمى (الككم) وهو طير كالباشق لا يني له عشا وإنما يضع بيضه في عش طائر غيره وذلك الطائر يجمله كل الخافقة وهو لا يخلص نوعا دون نوع بل وجدوا انه قد وضع بيضه في أعشاش ثمانية نوعا من الطيور وهذه الطيور التي تودع (الككم) عندها بيضها ترى بها بكل حنان وشفقة ومتى كبرت طارت الى مواطن أنواعها الساكنات في (أفريقيا) بلا هاد يهديها ولا مرشد يرشدها وهي تقطع المسافات تلو المسافات والاسباب وراء السباب ثم تلد كما ولدت أمهاتها وكل لا يعرف والدها ولا مولودا . وهذه صورة فرخ من أفرانها (انظر شكل ٢٣ في الصفحة التالية)



( شكل ٢٣ - صورة فرخ صغير من طائر الكمكم يطلب من حاضنته أن تغذيه مع أنها من نوع آخر )

#### ﴿ المثال السادس ﴾

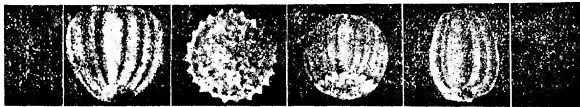
إن السحاج الاسترالي يصنع كما تقدم في الحيوانات الراحقة ولكن هذه لها طريقة خاصة فان دجاجتين او ثلثا تصنع حظيرة بأرجلها يبلغ قطرها نحو (١٥) قدما ثم تضع كل واحدة منهن بيضا منظما و يغطين البيض بغطاء منظم محكم . ومن العجيب أن درجة الحرارة في تلك الحظيرة أعلى من الحرارة العادية عشر درجات ومتى فقس البيض خرجت الأفراخ وحفرت لها نفقا في تلك الحظيرة وخرجت تجرى ثم تعيش في مكان يصلح لحياتها

#### ﴿ المثال السابع ﴾

وهو ما تقدم في سورة (طه) من أن السمك تنزل ذكوره على بيض أنثاه فيترى الصغار ولا علم للأبوين بما حل بالذرية وذلك في قوله تعالى - قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى -

#### ﴿ المثال الثامن ﴾

ما قد تقدم في سور كثيرة كسورة البقرة والأنعام والحجر في قوله تعالى - إن في خلق السموات والأرض - إلى آخره في الأولى وفي قوله تعالى - انظروا إلى ثمره إذا أنثر - في الثانية وفي قوله تعالى - وأرسلنا الرياح لواقح - في الثالثة من أن الحشرات زين لها الأزهار فكانت تلك الزينة سببا لنهاك الحشرات عليها لتأكل منها رزقها وهو العسل وتكون سببا في إلقاح النبات إنائه من ذكرانه وبعض الحشرات تبحث بعد الجهد والعناء على أوراق خاصة صالحة لأن تنثر في عليها صغارها فتضع عليها بيضا بحيث تكون تلك الأوراق بعد الفقس صالحة للتغذية منها (انظر شكل ٢٤)



( شكل ٢٤ - رسم بعض أنواع بيض الفراش )

( ٢٤ - جواهر - حادي عشر )

### ( المثال التاسع )

السدود المتقدم ذكره في آخر سورة (الحج) ينقلب الى صور بدية جيلة من حشرات لامعات مرقشات منقوشات ببدائع الألوان وغريب الأشكال مع انها كلها دودات حشرات مخلوقات في أماكن فدرات - فبارك الله أحسن الخالقين -

### ( المثال العاشر )

إن جمهوريات (النحل والنمل والزناير) المعروفة تسير على الخط المعروف من حيث إن الأبناء يكونون معروفين عند الآباء . ولكن المدهش الحبيب أن الأنواع الوحشية من هذه تضع بيضها في أماكن مختلفة كل بيضة في مكان خاص وتضع معها غذاء خاصا كما تفعل المرأة اذا حملت من السفاح ورمت ولدها فانها قد تضع معه نقودا ليصرفها عليه من يجده في الطريق

### ( المثال الحادى عشر الزناير الوحشية )

ان الاناث منها تفعل ما تقدم هنا من وضع كل بيضة منفردة وحدها وتضع بجانبها الديدان أو الخنافس أو العناكب ولا تزيد امامتها لئلا تفسد وانما تحفظها في مركز مجموعها العصي بسائل مختزل حتى لاهي حية تسمى فتذهب ولاهي ميتة ففسد جثتها حتى اذا خرجت ذريتها من البيض أكلت من تلك الجثث التي أحضرها الوالد للولد كما قال تعالى - والله واولده - . أقسم الله بالوالد والولد تذكرا بهذه العجائب المدهشة والرحات المتنوعة البديعة انتهى وبهذا تم الفصل الأول فيها هو مشاهد في الدنيا من الوزن بناسبة آية - فمن قلت موازينه -

( الفصل الثاني في أن كلام علماء الأرواح الذين شاهدوا الأرواح وقالوا انهم قد اطلعو على مراتبها موافق كل الموافقة لما نشاهد في الدنيا سواء بسواء مما يفهمنا قوله تعالى - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - إذن لا تفاوت بين نظامه في الدنيا ونظامه في الآخرة فكلامها على صراط مستقيم ويفهمنا قوله تعالى - ونزعنا ما في صدورهم من غل - إخوانا على سرر متقابلين - وبيان أن كلام هؤلاء العلماء موافق لهذه الآيات كل الموافقة )

ذلك انك يا الله سبحانه كما أر بئنا ما تقدم في الفصل الأول (فعرفنا وتحققنا لاسيا في زماننا هذا الذي أبدعت وأبرزت فيه هذه العلوم للمسلمين وشرحت قلبي لهذا التفسير وأبرزت فيه من العجائب ما عرض عنه الكثير إما غرورا وإما جهلا وإما ضعفا في بصائرهم وخورا في عزائمهم فكبرت تلك العجائب في أعين المسلمين في زماننا فارتقت نفوسهم اليك وعرفوك معرفة أعظم من معرفة المتأخرين من أسلافنا) هكذا أسمعنا عجايب من كلام أحد علماء الأرواح المذكور سابقا في هذا التفسير في مواضع كثيرة المسمى عمادونيل سودنيج الذي يقول انه شاهد الأرواح واطلها ولذلك زاه ليس متعصبا للمسيحيين بل ذم أكثرهم ومدح كثيرا من المسلمين وحكم بدخولهم الجنة وقد تقدم بعض كلامه في (سورة التوبة) مع تاريخ حياته فهذا العالم يقول (١) إن الانسان بعد الموت ليس له من السعادة أو الشقاء إلا ما فكر فيه أولا وعمله ثانيا والفكر بلا عمل كزبرطرحانه في الرمل فذلك لا يثبت والفكر مع العمل كالبراذنأ ثبت وأزهر وأثمر واقد جعل المدار في الحياة الأخرى على ما غلب على طبع الانسان واستولى على نفسه وملك قيادها وصار لها أشبه بغائر الزناير المتقدمة والنحل والنمل والدجاج الاسترالي بحيث يفعل الانسان فعله بناء على حب قلبي فيكون إذن أشبه من بعض الوجوه بتلك الحيوانات في الأمثال التي قدمناها . فكما نرى الحيوانات الزاحفة تعطف على صغارها قبل خلقها وتهيئ لها الأما كن التي نلثمها لاتطلب جزاء ولا شكورا إلا أداء الواجب طاعة لضابطها هكذا لا يرى الناس لهم بعد الموت منزلة ومقاما إلا مع قوم نجدهم وياهم رابطة فكرية عملية بحيث يلتشون في آرائهم التثامات قلبيا حقيقيا . أما ما ليس له أصل في القلب من الأعمال ولاله منزلة من المحبة في نفس الانسان فهذا ملقى لا

عمل له . فاذا رأينا رجلا مقوما بإيذاء جيرانه أو مقاضاة أعدائه أو الحسد والمخاربة وقلبه فرح بهذه الأعمال وغلبت عليه غلبة حقيقية ومع ذلك يعمل أعمالا سالحة فهذا بعد الموت ينظر في أمره وهو نفسه لا يستحي إلا ما غلب عليه في الدنيا من هذه الأمور الشيطانية ولا سبيل للتفاد والخداع هناك . فهذا يتسبب عليه أن يدخل مع الأبرار بل يدخل مع أمثاله الذين هم اخوان الشياطين في جهنم . وبالعكس ذلك الذي عشق الفضيلة ومنفعة الناس وصار ذلك ديننا له وأحب العلم وكان أكثر غرامه . فهذا بعد الموت ينطلق إلى أمثاله ولا يعرف كيف يعيش إلا أولئك الذين أحبههم ولا يألف سواهم . وهناك لا أحد يحجز أحداعن مرتبة فخرى استحق مرتبة دخلها ومن لا يستحق والاستعداد عنده فانه لا يقدر هو نفسه أن يعيش بين أهلها بل يفتر منهم فرار الغم من الذئاب

وقد وضع في صفحة ٢٨٩ من كتابه هذا الموضوع إضاحا لم أجد له نظيرا إلا في بعض كتب محيي الدين ابن عربي وفي إشارة قرآنية . ذلك انه قال ﴿ إن الروح السالحة تسلب منها جميع ما لا يتفق مع صلاحها ثم تدخل مع الصالحين وبفضل نظير هذا الفعل مع الروح الشريرة فنسب الفضائل لغلبة الرذائل عليها وحبا لها حتى يمكنها أن تعيش مع الأشرار مشاكلة لهم فبعد الروح هي نفسها تحوّل وجهها إلى الوجهة التي غلبت عليها من تلقاء نفسها ولن تقدر الروح أن تقاوم ما غلب على طبيعتها فتكون الروح إذ ذاك أشبه بمن غلب عليه في الدنيا شرب الخمر فلم يقدر على التخلص من ذلك أو غلب عليه الاحسان للناس فشكل منها لا يقدر على تغيير طبيعته هكذا هناك وتصير تلك الأخلاق أشبه بالجاذبية بين الأرض وما عليها واذن تكون الرذائل القليلة وسط الفضائل الكثيرة أشبه بالحشائش النابتة في وسط الذرة المزروعة زراعتنا في أرض طيبة قد سمدت تسميدا جيدا فهذه تنهك حشائشها في وسط تلك الذرة وتكون الفضائل القليلة وسط الرذائل الكثيرة كالذرة النابتة وسط الحشائش في أرض غير طيبة التربة ولم تسمد تسميدا جيدا ولم يرق عليها الزارع حتى القيام فلن الحشائش إذ ذاك تغلب على الذرة فلا تنمو . فهذا هو المثل الذي اخترته لغلبة الخير على الشر وأغلبة الشر على الخير . اللهم إن هذا القول عني ينطبق على ما يقوله المؤلف المذكور وترجع سبحانه إلى الإنسان الغالبة عليه أشبه بما أورد في غرائر الحشرات من العطف على ذريتها فيكون عالم الآخرة كعالم الدنيا نظاما واحدا - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - وبهذا يظهر قوله تعالى - أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا - ويظهر أيضا ما جاء في الحديث أن النبي ﷺ سئل عن الساعة فقال للسائل ما أعددت لها قال حب الله ورسوله قال أنت مع من أحببت . وهذا عجيب فهو موافق لقول هذا العالم الروحي . ويشهد نزع الرذائل من نفوس الأبرار الذين لم تغلب عليهم شقوتهم قوله تعالى - ونزعنا ما في صدورهم من غل - اخوانا على سرر متقابلين - . أقول وإذا لم يكن الأمر كذلك ولم يكن هناك نزع بل تبقى جميع الصفات ملازمة للناس بعد الموت فإن هذه الصفات نفسها عذاب أليم . فالخقد والبضاء والخوف والجن وأمثالها هي نفسها عذاب وأكثر الناس قد لزمتهم بعض العادات فلا يقدرون على التخلص منها . فهل القضاء الذين على هذه الصفة تلازمهم ولا تفارقهم صفاتهم واذن يكونون إلى الأبد في عذاب أليم فهذا الزرع يكون فرجا لهم . ومن قرأ كتاب ﴿ إحياء علوم الدين ﴾ لاسيا الجزء الثالث منه واطلع على المهلكات فيه لم يدخل في قلبه شك أن صفات الشر لا تفارق الإنسان بعد الموت وهذا غالبا يورث اليأس فأما هنا فانه يقول إن سيئات من غلبت عليهم الفضائل تفصل عنهم واذن يدخلون الجنة مع أحببهم . وقد جاء في هذه السورة - قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا - وهذه الآية موافقة لما قاله الروح كل الموافقة . فغلبة الشقوة كافية في ادخال جهنم كما أن طالب العلم الذي غلبت عليه اللصومية تراه يترك العلماء ويعيش مع اللصوص كأن الشقوة غلبت ففحت العلم وآثار العلم . ويقول الله تعالى هنا - فن قلقت موازينه فأولئك هم المفلحون \* ومن خفت

موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالسون - . أليس هذا من العجب . ان القرآن يصريح بشقل الموازين وخفتها أى ان المدار على الغلبة . ويرجع الأمر لما يشبه غرائز الحيوانات المتقدمة في الفصل السابق ويطابق قول الأرواح معاني القرآن .

رب إن الهدي هداك \* وآياتك نور تهدي بهامن تشاء

هديثي فرأيت كتاب العالم الروحي ورأيت . من كل وجه يشبه الذرة والحشائش ورأيت يوافق القرآن . ثم أطلعت على ما كان يعتقد قديما المصريين اذا هو أشبه بما في القرآن . وكلام الأرواح ومثل النبات المتقدم وغرائز الحيوان كما تقدم في وزن الأعمال عندهم . فالجد لله على نعمة العلم وبدايع الحكمة وبحجاب الفرقان

(١) وقد قال (عنهانويل) : « إن روحا سالحة معلومة أرادت أن تعلم شريعة فهربت بعيدا فلما وصلت الى أمثالها سرت بهم وعاشت معهم »

(٢) وقال أيضا انه رأى روحا سالحة تعلم قوما صالحين فأصفوا اليها اصغافا تاما وأما الأشرار فانهم لم يصفوا كأنهم لا يسمعون

(٣) ومن عجب انه في صفحة (٣٩٢) من كتاب (السماء وجهنم) للمؤلف المذكور يقول : قالت الملائكة ان حياة المحبة السائدة لا تتغير مطلقا مع أحد الى الأبد لأن كل واحد هو محبة الخاصة به فاذا أريد تغيير هذه المحبة في روح فذلك يوجب حرمانها من حياتها واعدامها وقالوا إن سبب ذلك أن الانسان بعد الموت لا يمكن فيما بعد اصلاحه بالتعليم كما في العالم \* ثم قال : « فالعواطف القلبية والآراء العقلية أشبه بأساس البيت وهم يتجربون من الناس كيف لا يفهمون أن رحمة الله ما هي إلا واسطة فقط وسخرها عن يعتقدون أن الرحمة وحدها تخصهم مع الإيمان » وهذا القول ناطق بقوله تعالى - أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون - وناطق بقوله تعالى - يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم - (٤) وجاء في صفحة (٣٣٠) من الكتاب المذكور ما ملخصه أن أناسا من الأشرار لما ماتوا ظنوا انهم يقولون التعاليم النافعة لدخول الجنة ولكنهم لما سمعوا من الملائكة قبلوها أولا ولكنهم لم يقدروا أن يعيشوا بها وبستمروا عليها وانما أبيض لهم ذلك ليكونوا على بينة من أمرهم وأن تلك الحال لا يكون أساسا إلا في الدنيا فأما بعد الموت فان الباب أقفل . وهذا نفسه قول الله تعالى - يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل - الخ وقوله تعالى - الآن وقد عصيت قبل - وقوله تعالى هنا - حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعوني \* لعلني أعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يعثون -

ثم قال المؤلف في نفس الصفحة (١) : « إن بعض الأرواح لما سمعوا تعاليم الملائكة المذكورة رفضوها حالا ولم يحبو سماعها » (ب) « وبعضهم قالوا اذا كانت أخلاقنا الشريرة قد متعتنا من دخول جهنم فنحن نحب أن نتخذ منا هذه العواطف والأميال فأجيبوا الى طلبهم ولكن أصبحت تلك الأرواح بعد أخذ أخلاقها وعواطفها منها مطروحة كالنوى ولم تبق لهم حواس » ثم قالت الملائكة : « إن تغيير الروح بعد الموت أشبه بتغيير اليوم الذي يعيش في الليل الى حمام يعيش في النهار » انتهى ما أردت نقله من ذلك الكتاب . أنا أجده بالآلة إذ وقتني لنقل هذا وفهمه . لقد تبين من هذا أنها الذكاء أن أرواحنا بعد الموت تصبح حياتها موقوفة على صفاتها التي كسبتها في الدنيا وهنا ظهر فيما تقدم (أمران عجيبان \* الأمر الأول) ان الروح السالحة التي أحبت الأعمال الفاضلة تنزع منها الشرور حتى يتمكن أن تعيش مع الفضلاء الذين هم في



درجتها وقد تقدم هذا هنا أولا وأن الروح الشريرة التي غلبت عليها شقوتها تنزع منها فضائلها لقلتها لتكون موافقة لأصحابها وأمثالها (الأمر الثاني) أن الروح الشريرة التي غلب عليها الشراد أخذ الشر منها وسلبت تلك الصفات تكون معدومة الحس والحركة فهنا لا يسلب شرها . لماذا هذا . لأن روحها ليس لها قوة سوى قوة الشر ولو كانت لها قوة خيرية لاعتمدت عليها في الحياة والبقاء . فهنا لا بد من رجوع شرورها لها حتى يتمكنها أن تعيش . إذن تصير الأرواح الشريرة أشبه بالقيران التي تعيش في المراحض وكلحيات والعقارب فإن هذه إذا نزع منها أوصاف القيران وأوصاف الحيات والعقارب لم تعيش يوما واحدا . ولواننا وضعنا جساما مع البواشق والشواهب لم تستقم حياته . وهكذا لا تعيش الأرضة في أماكن الجمل ولا الخيل في أماكن الأرضة (انظره في سورة النمل) إذ ظهر الآن سر عظيم وذلك السر أن الله لا يعدم أهل جهنم كما لا يعدم الحيات لأن الحيات تكره الموت لأنها ترى لها حياة وهي عزيزة عليها . هكذا أهل جهنم إذ يرون أنهم في حياة كما ترى الحية ولا يحبون زوالها فلما أخذت منهم الصفات التي بها حياتهم صاروا أشبه بالأموات فرجعت إليهم الحياة لأنهم يقولون « شئ خير من لا شئ » فلافرق بينهم وبين المسجونين فالمسجونون يحبون الحياة وإن كانوا أذلاء . إذن حياة أهل جهنم مع عذابهم لطف من الله بهم وذلك كان من الرحمة العامة إذ قال تعالى - ورحمتي وسعت كل شئ -

### ( مذكرة )

لا تظنن أنها الذكي اتى وإن كنت أوضحت هذا المقام إيضاحا اتى أقطع به . كلا . وانما أقول إن هذا قول عامما للأرواح وقد نقلته من كتاب المؤلف المذكور وعلفت عليه فإذا صح قوله فهذا توجيهه . ومعنى هذا أن تكون مشكلة جهنم قد انحلت في هذا التعبير انحلالا تاما فانه إذا قال قائل ( لماذا يعذب الله الناس إلى الأبد وماذا يوجبهم وهل هذا إلا الظلم المبين وهلاهم ) فيقال ( إن الله فعل الممكن وليس من الإمكان أن تحول العقارب إلى عصافير ولا العصفافير إلى عقارب ومتى حول أحدهما إلى الآخر مات فلا سبيل للحياة التي هي مستمدة من الرحمة إلا ببقاء الخلق على ما كان عليه ونقلهم من هذه الصفات معناه اهلاكه وهذا ينافي الرحمة ومتى أمكن بقاء الروح مع حذف بعض الصفات بقيت الروح وحذفت تلك الصفات كالروح الصالحة التي لها من السلاح ما به تقدر أن تعيش ويكون لها به قوام فان الملائكة إذ ذاك تنزع منها الشر فيبقى الخير الذي غلب حافظا للروح فتعيش ولا يكون أخذ الشر منها مضرا لها غاية الأمر انها ضعفت بعض الضعف كما ضعف الذي تعاطى المسهل . الله أكبر . أليس هذا إن صح يفسر كثيرا من آيات القرآن وكلام السنة . فقد ورد في الحديث ( لعن الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ) وذلك لأن النبي ﷺ علم أن هذه النفوس قوية جدا وليست تذب إلا بأصغر الذنوب وهذه لا تؤرقها لأن محبتها للخير تامة وقد قال تعالى - الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم - وإن صح ما جاء في كلام هذا المؤلف بدخل في أحاديث الشفاعة فاذن تكون الشفاعة بالفرقان لأرواح قويت في الخير حتى يمكن أن تعيش هناك فلوان الأرواح صارت كالحيات والعقارب في الشر فكيف تصير أشبه بطيور أو طواويس . وهكذا تعرف قوله تعالى - ولوردوا لعداوا لما نهوا عنه وأنهم لعداؤون - . لماذا ذلك . لأنهم لا يعيشون إلا على أخلاق خاصة ولا معنى لأخذهم منها إلا هلاكهم فالرحمة تقتضى أن يعيشوا . إذن الروح تأتي إلى أرضها وهي خالية فتعطي من القوة ما به تعيش والقوة إما قوة شر كاللصوصية وإما قوة خير كالإحسان فلن يعيش الأول ولن يعيش الأخير الجنة والنار لا يبقونه التي كسبها . انتهى ما أردت ذكره في هذا المقام والحمد لله رب العالمين ﴿ بهجة العلم في آيتين من هذه السورة آية - وإنك تدعوهم إلى صراط مستقيم - وآية - فنقل موازينه فأولئك هم المفلحون - ﴾

ها أنت ذا أيها الذكي شاهدت الميزان الذي رسمه قدماء المصريين إظهاراً للعقول في هيئة المحسوس وتبنيان للعاني بالأمثال . فاحجب من تنابع البيانات وتلاحقها وتشابهها . ففي القرآن ميزان وفي الكتب قبله ميزان . وهنا أريد أن أبين لك ما فتح الله به ليلة الأربعاء (٧) نوفمبر سنة ١٩٢١ م في معنى هاتين الآيتين . ذلك ان قوله تعالى - وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم - قد ثبت بها أن لله صراطا وآية الوزن أثبتت أن له ميزانا ويقول في سورة أخرى - وانك لتهدى الى صراط مستقيم \* صراط الله الذي له مافى السموات ومافى الأرض - وفي سورة إبراهيم يقول - كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد \* الله الذي له مافى السموات ومافى الأرض - وفي سورة هود يقول - مامن دابة إلا هو آخذ بماصيتها إن ربي على صراط مستقيم - وفي الفاتحة يقول - اهدنا الصراط المستقيم - الخ

فها هو ذا الصراط جاء في هذه السور الخمس . وفي هذه السورة ذكر مطلقا غير موصوف منكرات ولكنه في السورتين الثانية والثالثة وصف الصراط بأنه صراط الله وفي الرابعة أشار الى أنه خلق الحيوان ونظمه وأحكم أمره وجعله على هذا الصراط وفي الفاتحة جعله صراط الذين أنعم عليهم من بنى آدم . اللهم انى أجدك على نعمة العلم ونعمة التوفيق . لقد مننت يا الله بالحكمة وأنعمت بالعلم فلا أشرح ما شرحت به صدرى في هذه الأيام لتنتهج النفوس وتشرح الصدور بما مننت من العلم وما ألهمت من العرفان . سبحانك اللهم . لقد ذكرت الصراط نكرة في هذه السورة ثم أبنت في السورتين الأخريين انه - صراط الله الذى له مافى السموات ومافى الأرض - فعرفنا أن الصراط فى هذه السورة وفي السورتين الأخريين انما نعرفه بما فى السموات والأرض ولا معنى لهذه المعرفة إلا بالعلم والعلم يرجع الى علم الفلك ونظام الطبيعة . نظرا فى علم الفلك فألفيناك قد عدلت وقومت وهندست وزوّقت ونظمت وأحكمت . كيف لا ونحن نعلم

(١) ان الشهور العربية مثلا لها موازين معاومة وحساب لا يتغير حتى ان السنين الكبيسة والسنين البسيطة لا تتغير ولا تتبدل بحيث يكون فى كل (٣٠) سنة (١١) سنة كبيسة و(١٩) سنة بسيطة وذلك فى الدور الأصغر وتكرر الثلاثون سبع مرات فيكون الدور الأكبر (٢١٠) ويعود ذلك ويكرر أمدا الدهر فالسنة الكبيسة (٣٥٥) يوما والبسيطة (٣٥٤) وقد مر شرح هذا مرارا فى هذا التفسير . وكأنما هذا الحساب موسيقى تصدح فان نسبة (١١) الى (١٩) كنسبة (٢٢) الى (٣٨) وحاصل ضرب الطرفين يساوى حاصل ضرب الوسطين وهكذا يستمر هذا النظام مهما تكرر الى ما لا يتناهى . فهذا مثال واحد من أمثلة نظامك فى سمواتك

(٢) وهذه الشهور العربية لن تعرف حق معرفتها عند علماء الفلك وتوزن حق وزنها إلا بأن يحسبوا ما بين كل كسوفين للشمس ويقسموه على عدد الأشهر فيخرج لهم الحساب بالذقة بالدقائق والثواني وما هو أقل من ذلك . إذن حدوث الكسوف والخسوف (بحيث يكون القمر بين الأرض والشمس فى الكسوف فى أواخر الشهور وتكون الأرض بين الشمس والقمر فى أنصاف الشهور وفى الخسوف ويكون الثلاثة فى الحالين فى عقدة واحدة) لم يكن رمية من غير رام ولا مصادفة واتفاق بل لها منافع كثيرة ومنها هذه فان اللحظة التى يقف فيها القمر بين الأرض والشمس وقد منع عن أبصارنا ضوء الشمس بها نذكر أن هذه اللحظة هى نهاية الشهر فيكون ما بين هذه الحادثة والى قبلها معلوما عندنا وتقدمه على عدد الشهور . فهذا ضبط الحساب لنا فى معاملتنا وأعمالنا فى الأرض . وفوق ذلك قد عرفنا أن عدد مرات الكسوف والخسوف فى كل مدة تبلغ نحو ١٨ سنة محدودا لن يتغير أمدا الدهر فالخسوف والكسوف محدود العدد والأشهر التى يحصرانها تضبط بهما

## ﴿ بيان تام لهاتين المسألتين ﴾

اعلم أن الأقدمين قد سمو مدة قدرها (١٨) سنة و(١١) يوما باسم مخصوص وهو (ساروس) وهذه المدة تحتوي على (٧٠) خسوفاً وكسوفاً منها (٢٩) خسوفاً و(٤١) كسوفاً والخسوفات والكسوفات التي تشاهد في غضون هذه المدة تحصل في المدة التالية لها بالعدد بعينه وفي التواريخ بعينها وبذلك توصلوا الى القول بالخسوف والكسوف مقدماً كما يتوصلون الى معرفة الظهر والعصر والمغرب قبل حصولها . ثم إنهم اعتادوا أن يعينوا خسوفين اثنين منفصلين بعدد عظيم من الدورات الاقترانية السبابة (الحركات البورية) أيضاً أي دورات القمر حول الأرض ويقسمون المدة الكلية بينهما على عدد الدورات فتحصل المدة المتوسطة وهي ٢٩٥٣٠٥٨٨ يوماً أو ٢٩ ٢٤ ١٢ يوماً وهل تم هذا الحساب الذي عرفناه به مدة الأشهر إلا بفضل الخسوف . فالخسوف إذن أشبه بمدفع الظهر بمصر الذي تضبط الساعات عليه فهو ضابط أزمان الأشهر العربية ومدها ولولاه لم تتم هذه الحكمة

هذان مثالان لما فعلته يالاه في الفلك ودبرته في الحساب . فهذا صراطك الذي سلكته في سمواتك فقول الله لنا في سورة ابراهيم - الى صراط العزيز الحكيم الذي له ماني السموات وماني الأرض - وقوله في سورة اخرى - صراط الله الذي له ماني السموات وماني الأرض - . يذكر اننا بهذا الصراط المستقيم الذي اتضح لنا بحسابه ونظامه وبأدنى تأمل في نظام الأرض والسموات في هذا التفسير نعرف صراطه فيهما . ألم تر الى ما تقدم في قوله تعالى - وكل شئ عنده بمقدار - في (سورة الرعد) فهناك تجد مقدار حركات الأجرام الساقطة وحسابها المنتظم وبدائع الحكمة في السموات والأرض بحيث ترى أن ابعاد الكواكب عن الشمس جارية على مقتضى المتواليات الهندسية (٣-٦-١٢-٢٤-٤٨-٩٦) وهكذا أمر الثلج ونظامه فهو مرسوم هناك مبين بحسابه وبهجته . فهذا وأمثاله كثير في هذا التفسير . صراط الله هذا هو الذي هدانا اليه قوله تعالى - صراط الله الذي له ماني السموات وماني الأرض - فهو يذكر السموات والأرض أفهما أن نبحت عن صراطه فيهما ولا سبيل للبحث فيهما على ذلك الصراط إلا بعلم الطبيعة وعلم الفلك . فقارئ القرآن حين يسمع قوله تعالى في هذه السورة - وانك لتدعوهن الى صراط مستقيم - يريد أن يعرف أي صراط هذا فيقال له صراط الله الذي له ماني السموات وماني الأرض فيدرس هذه العلوم فيعرف صراط الله المستقيم ثم يسمع قوله تعالى أيضاً في سورة (هود) - مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - هناك يدرس الحيوان بعد أن درس نظام السموات ونظام الأرض على وجه عام . أما الحيوان فن له حالا خاصة فيدرسه أيضاً ليعرف صراط الله فيه فيرى أن الجردان عاشت تحت الأرض والظباء في الأوداج والغزل اتخذت البيوت والكستور يتخذ له من أغصان الأشجار جسراً متبنا على هيئة سد يمنع عنه قوة السيل وذلك بهندسة لاتنقص عن هندسة الانسان بل الانسان تعلم منه . والسبب في المنطقة الشمالية يسافر في البحر على قطع من الثلج الى حيث يقصد . أو السنجاب يركب خشبة في البحر يلد الثلج ويجمعه لذنه قائماً مقام القلغ وقائماً مقام (السكان) وهي الدقة عند العائمة التي بها يدير هذه السفينة بمنة وبسرة . والطوايف وهو نوع من ذوات الاصداف يركب صدفه ويرفع مرساته وينشر أغشيه للريح ويسافر من مكان الى مكان وهكذا . والدجور أعطيت قوة بأن تذل أي حيوان بحري لتركبه بهيئة خاصة . وهذه المسائل تقدمت بعينها في (سورة طه) ذكرت قليلا منها هنا لتكون مثالا لصراط الله المستقيم في الحيوان لأننا رأينا كما ان صراطه مستقيم في حساب الكواكب وشهورها وسننها وفي حساب العوالم الأرضية رأيناها أيضاً يعطى كل ذى حق حقه من الحيوانات ويتوق في الاعطاء بحسب حال الحيوان ذاته ويجعل ألوانه مناسبة لحال معيشته وهذا الأخير تقدم في أول السورة

فارجع اليه تجد هناك موضعا . فالصراط في هذه السور الثلاث أفهمنا قوله تعالى - اهتدوا الصراط المستقيم \* صراط الذين أنعمت عليهم - فأنتم عليهم من الناس يهتدون بهج الله في صراطه المستقيم وصراطهم المستقيم هو المتوسط بين الإفراط والتفريط . ولا جرم أن هذا يفتح لنا باب فهم الميزان الذي أصل كلامنا فيه

### ( الميزان )

جاء الميزان في (سورة الرحمن) إذ يقول تعالى - والسما رفعها ووضع الميزان - والميزان في السموات هو جعلها منظمة كما رأيت في الأمثلة المتقدمة . فأنه حسب حركات الأفلاك أن لا تم أدارها على مقتضى ذلك الحساب فالخسب يعبر عنه بالميزان وجوبها على مقتضى الحساب يعبر عنه بالصراط فهو وزن الأمور ويجعل العمل على مقتضى الوزن وهذان ينطبقان على لفظي ( القضاء والقدر ) فالقضاء التقدير أولا والقدر هو سير الحوادث على مقتضى القضاء . وأفضل أحوال العبد أن يهتج بهج ربه فأنه على صراط مستقيم فليكن العبد على صراط مستقيم . فإذا كان الصراط المستقيم الإلهي في السموات بحسب حاملها وفي الأرض بحسب حاملها وفي الحيوان بحسب حاله هكذا فليكن الصراط المستقيم عند الإنسان هو صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم . ولقد أشار الله إلى ذلك في سورة إبراهيم إذ أمر النبي ﷺ أن يذكر الناس بأيام الله ووقائعهم في الأمم وجعل ان في ذلك آيات للصابرين الشاكرين فيهنجون نهج الخيرات في الخير ويحتجون الشورى في الشر بحسب ماذكروا به من وقائع الأمم وذلك نفسه هو المذكور في الفاتحة إذ يقول تعالى - صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين - ومعلوم أن المنعم عليهم والضالين والمغضوب عليهم لا يعرفون إلا بالتاريخ ولا معنى للتاريخ إلا وقائع الأمم المذكورة في (سورة إبراهيم) يقول الله تعالى - وذكرهم بأيام الله - إذن يجب أن يقوم جماعات في الأمم الإسلامية فليؤلفوا كتبها شذرات جليات من التاريخ العلم والتاريخ الخاص بالاسلام والأوطان التي يراد انتظامها ليكون ذلك صراطا يهتج المجتهدون لهذه الأمم الإسلامية ويناسب ذلك كله قوله تعالى - والسما رفعها ووضع الميزان \* ألا تظفوا في الميزان \* وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان - وأنت أيها الذكي تعرف هذا مما تقدم في أول (سورة يونس) عند قوله تعالى - هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا - وكيف كان هرم قدماء المصريين مبني على مقتضى مقدار مدار الأرض حول الشمس فحيط الهرم منسوب لمدار الأرض وارتفاعه لبعده ما بيننا وبين الشمس والضلع الواحد من الهرم جعل أذرعاً معلومة والارتفاع جعل مقياساً للأطوال وللسطوح وجعل مكعبه مكابيل مصرية من حيث الحجم وموازين مصرية من حيث الثقل وكل ذلك مستعمل إلى الآن في بلادنا المصرية كما مر هناك موضعا أيضا تاما . فأنه يقول لنا هذا هو ميزاني في عوالي فزنوا على مقتضاه واجعلوا نموذج ميزانكم من نموذج ميزاني كما هو واضح في البلاد المصرية . إذن عدلتنا في الأرض على نسق عدل الله في السموات . وإذا قرأنا تاريخ الأمم ظهر لنا جلال العدل وقبح الظلم في أفعالها فترجع لسنه الله . فإذا رأينا قوم شيعب عليه السلام يطفقون المكيال والميزان وقد حدوا عن سنه الله في ذلك أحترسنا من فعلهم ورجعنا للعدل الذي سنه الله في عوالمه . فليكن تاريخ الأمم الحاضرة للعبرة والذكرى كما بينه الله في القرآن

### ( تذكرة )

لقد كنت قرأت منذ (٤٠) سنة في بعض كتب الامام الغزالي أن الميزان لا يعرف إلا من درس سائر العلوم . ولما طلعت على شذرات منها في ( دار العلوم ) وفي دراستي الخاصة ألفت كتابا صغيرا بعنوان ذلك سميت ( ميزان الجواهر ) وهونائي كتاب ألفته في هذه العلوم . فأنا الآن أحسط الله عز وجل إذ علمني ما لم أكن أعلم وأنعم علي وعلى الناس بهذا التفسير . فانظر أيها الذكي كيف كان دين الاسلام شائقا لكل علم . وكيف غفل بعض صغار المتعلمين في عصرنا فظنوا أنه دين لا يألف العلم ولا العقل . انتهى والحمد لله رب العالمين

## ( تبيان )

هل التبخر في العلوم الطبيعية والرياضية الذي يقتضيه الميزان المذكور في القرآن والصراط كاذب كونه مرق للأخلاق الانسانية . أم ترى أولئك المتبحرين فضل أعمالهم في هذه الحياة الدنيا ( الجواب ) اعلم أن العلم والجمال والمال والصيت والسلطان كل أولئك صالحات للتجبر وللشر - وسواسية تصلح للشر والخير . وآية ذلك أن كثيرا من هؤلاء يسارعون الى الشرور والموت والاحتبالت ويهيئون على وجوههم في المخازي والعار كما أن كثيرا منهم رفعوا أنفسهم الى المستوى الرفيع والمجد الباذخ . فقامل سلاح والعلم صراط مستقيم والجاه والسلطان أجنحة ومن لآمال له قل عمله ومن لا علم عنده ضل وغوى ومن لاسلطان له أصبح كظا لا أجنحة له ولا قوة . ولقد حض (سقراط) في تعاليمه على فتح عين البصيرة لأولى العلم وأبان أن هذه الطائفة ان لم تكن عاشقة له ساء مصيرها وضل سعيها مبرهنا بما يأتي

( إن للإنسان ثلاث قوى الشهوية للغذاء والتناسل واللباس والسكن (والغضبية) للاستلاء والاستيلاء والمدافعة (والعقلية) للعلم والحكمة )

فإذا كان القائمون بأمر المدن لم تفتح بصائرهم فتعشق العلم عشقا مفرطا بحيث تضارع في عشقها له وجهها القوتين الآخرين ( الشهوية والغضبية ) فإن صاحبها لا يرى أمامه إلا (باين من الذات) باب الانتقام بالقوة الغضبية وباب الشهوات في المال والنساء واذن يقول في نفسه « ما فائدتي من علوي على الناس أن أكل بما يأكلون وأقتصر من الشهوة البهيمية على القليل . كلا . فلا تشارك الناس في أمورهم بالرشا وفي أعراضهم بالزنا والا كنت غيب راجع من هذه الحياة وبما يناسب علوي على الناس » . فأما ذلك الذي فتحت عين بصيرته وحشق العلم واستنارت بصيرته فإنه بينا تراءى يحكم بين الناس بالعدل يكون غرامه موجه الى إدراك الحقائق باحثا عن عجائب هذا الوجود متبهجا بهجة لا يحسن بها غيره واذ ذاك يعلم علما ليس بالظن أن بينه وبين صانع هذا العالم محبة فاقدة وعلى مقدار ارتقائه في تلك المدارك تكون لذته بها . فلا تعلم نفس ما ألقى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون - ويرى الناس أبنائه وكأنما هو خليفة عليهم وأأم لهم وتقتل له هذه الدنيا والعدل فيها بهيمة قناطر بناها المهندسون فإذا غفلوا عن أحكامها وانتظامها وحسن انتظامها اعتراها الاختلال لغري الماء وأغرق البلاد وأهلك العباد . فالوزن والنظام في القناطر والجسور يضارعه الوزن والنظام في الأخلاق . والحساب في المعاملات ونظام البنين يضارعه قراءة التاريخ وسبر الرجال في علم الأخلاق فالتاريخ والحوادث وعلم الأخلاق والقانون والفقه . كل هذه موازين لأعمال الناس وأحكامهم ومعاملاتهم وقضائهم كما كان علم الهندسة والحساب والجبر وأمتالها موازين توزن بها أعمال دواوينهم ونظام مدنتهم وهندسة مبانيهم . وكما كان رقص الساعة تبياناً لأوقاتهم ومواعيد أعمالهم وخسوف القمر مبينا مقادير شهورهم كما تقدم موضعا وهكذا مقاييسهم وموازينهم المرتبة على النظام العام كافي ضلع الهرم المبني على مقتضى مدار الأرض حول الشمس إذ كان محيط الهرم جزءاً من مليار منه والارتفاع جزء من البعد بين الأرض والشمس وضلع الهرم المذكور أصل كل مقياس في مصر . وهكذا ( المتر ) لم يصنعه الفرنسيون إلا على مقتضى محيط الأرض (والإلارد) عند الانجيز ترجع للعدن في رقص الساعة الذي يدق في الثانية مرة واحدة فهو إذن رجع للنظام العام . وهكذا ترى في هذا العصر أن الماء يعرف مقداره بالآلة تعده . وهكذا بخار القطار له جهاز يعرف به عدته كما يعرف الزمن بالساعات . وتقاس الحرارة بالمقياس المتيني (سنجراد) أو بمقياس (فارنهيغ) الانجليزي أو بالمقياس التلياني وهو النجاشيني . كل تلك المقاييس تنبيه على الطبايع الثابتة ففوى الحرارة لا خطأ فيها كما لا خطأ في سبر الكواكب وفي الجاذبية . وهكذا مقياس الكهر باء . فهذا كله من الميزان الذي قامت به السموات والأرض وكلما كثرت موازين الأثمة زاد ارتقاؤها وعقولها ونقص الموازين

تنقص العقول والشم وموارد الرزق وجميع هذا كله قوله تعالى - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط - فآله يشهد بوحديته مع القيام بالقسط وهو ما شرعنا وبليه الملائكة - وبهدهم أولوا العلم وهم المذكورون في قوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس الذواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء - فظهر أن هؤلاء هم الذين يخشون الله ومتى عمت هذه الآراء في أمة الإسلام ظهر فيها حكماء يجددون بهم يدوم مجد هذه الأمة الإسلامية كإدام مجد قدماء المصريين وآلاف قبل أن يخل بهم الفساد والفسوق والتزلف فان هذه المباحث قد أنبرت بها نفوسهم وحبيت إلى قلوبهم حتى كتبوها على صناديق موتاهم للتبرك بالبرج السماوية والكواكب الدرية المرسومة كما رأيته في الكتب المنشورة حديثا ونظير صراط الله في السموات والأرض صراط الانسان بالعمل الصالح والأخلاق الفاضلة لانها وسط بين الإفراط والتفريط . وخير معرفت لحسن الأخلاق تاريخ الأمم والله يقول في ذلك - اهدنا الصراط المستقيم \* صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم - وهم الذين يقرأ الناس سيرهم في التاريخ . ويقول أيضا - وذكر بآيام الله - ومن ذلك علم التاريخ والوقائع . هذا ما فتح الله به صباح يوم السبت (١٠) نوفمبر سنة ١٩٢٨ م وبه تم تفسير (سورة المؤمنون) والحمد لله رب العالمين

### ﴿ تذكرة ﴾

قد اطلع أحد الاخوان على ما كتبت ههنا في أقوال (عممانوئيل) في صفحة (١٨٨) وما بعدها فقال إن هذا الكلام معناه انه لا تعبير للأخلاق بعد الموت وكان هذا يأس للنفس فهل أنت واثق بأقواله . قلت هذه أمور غيبية والغيب لله ولكن هذا القول أشبه مما جاء في علم الأعداد فان علماء خواص الأعداد يقولون إن لكل عدد خاص لا يشركه فيها سواه فالانسان أول الأعداد أما الواحد فليس منها لأنه لا تعدد فيه والثلاثة أول عدد فردى والأربعة أول عدد زوجى والخمسة عدد كروى أى انه متى ضرب في نفسه مرة أو مرتين أو آلافا فان (٢٥) يكون محفوظا دائما ولم يجدوا عددا مثله وهكذا (٦) مثله في انه يحفظ عدد (٦) في جميع مضروباته لا غير وليس مثل (٥) في حفظه الآحاد والعشرات . فالعالم الذي نعيش فيه كأنه أعداد وكل عدد لا يشترك سواه فكل فرد لا يشترك سواه في خواصه . هذا من جهة يوافق حديث ﴿ كل مبسر لما خلق له ﴾ ومن جهة أخرى يقول نحن نجعل خواص النفوس والله هو العليم وحده بها . فاذا قرأنا حديثه <sup>عليه السلام</sup> في الشفاعة وأن الله لا يزال يخرج العاصين من النار حتى يخرج من في قلبه مثقال ذرة من إيمان ثم هو نفسه (وهو أرحم الراحمين) يخرج أناسا منها برحمة لم يفعلوا خيرا قط رأينا ينطبق على الرحمة التي شاهدناها في الدنيا وهو الذي يليق بجماله وجلاله . وأما مشاهدات (عممانوئيل) إن صح ما نقلناه عنه فهي جزئية لا كلية والله وسعت رحمة كل شئ ومع هذا علينا أن نخترس من الذنوب حتى لا يحجبنا عن مشاهدته وعن النظر لوجهه وعن دخول جنته . وينبغي أن نزداد علما حتى نخشاه وكما قل علم الانسان قلت خشيته من ربه وكلما كثر علما زادت خشيته والحمد لله رب العالمين

( تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء الحادى عشر من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم )  
وبليه الجزء الثانى عشر وأوله تفسير سورة النور )

## ( الخطأ والصواب )

غلينا التصحيح ففاننا سقط وأشياء أخرى يدركها القارئ بلاتبيه . وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك

صواب	خطأ	سطر	صحيفة	صواب	خطأ	سطر	صحيفة
فاتها تعيش	والناموس فاتها لا	٣٥	٧٧	وأقواها	في السنة	٦	١٩
درجة	تعيش	١٤	٧٩	وكواكب	وأقواها	١٤	٢٠
بالاستعلاء	قدم	٢٣	٨٠	فرجعوا	كواكب	١٩	٢٧
والعالم	بالاستعلاء	٢٥	٨٠	فكان	سنة ١٣٤٦	٢٩	٣١
الحشرة	والعلم	١	٨٢	نتيجته	فرجعوا	١٦	٣٤
القول	الفراشة	٦	٨٧	فصرت	فكان	٢٦	٣٥
فون	حدث	٣٤	٨٧	وأنقضوا	نتيجة	١٤	٣٧
انتهى . وقد بلغنا	فون	٢٠	٩١	رسول رسول	فصرتك على	٤	٤٠
من بعض حجاج سنة	انتهى			وكل نبي مني	وأنقضوا	٣	٤٤
١٣٤٦ أن الحكومة				حقيقته	رسول رسول	٣	٤٧
الحجازية منعت هذا				الذين عرفاهذه	وكل نبي مني	٣٢	٥٣
الضرر فالجد لله				الحقائق ودوناهها	حقيقة	١٥	٥٥
تقرى	تفرس	٣٣	٩٤	بعدا	ييد	٢٦	٥٨
يفرى	يفرى	٣٣	٩٤	الذى له سلك	الذى	٢٢	٦٢
الفراش	الفرائش	٢	١١٧	والذى	وبالعكس	٣٤	٦٢
هذه هي	هذه	٤	١١٧	وكانت في باطنها	إن	١٠	٦٣
الفراش	الفرائش	٤	١١٧	إنه	نباني	٣١	٦٣
رفضته ولم تأكله	رفضه ولم يأكله	١٣	١١٧	تلاميذ	تلاميذ	٤	٦٤
تبع (بتشديد الباء)	تبع	٣٣	١١٧	المتقدمة	المتقدمة	٧	٦٤
أكل	أكل	٣٥	١١٨	منار	لمنار	٢٨	٦٧
العوامل يريها	العوامل	٢٤	١٢١	الوطن	الجنس	١٣	٦٨
المغنين	المغنيين	٢	١٢٢	صنعوها	صنعوه	١٦	٦٩
أنفسكم	أنفسكم	٣٢	١٣٠	بالتعلم	بالتعليم	٣٠	٧٠
مستكبرين	مستكبرين	١٨	١٣١	القلب	في القلب	٣٠	٧٠
وعشش	وعشش	٥	١٣٣	وتعممها	وتعممها	٧	٧٧
فإذا نجد	فنجد ماذا	٣٤	١٣٣				
سما وأن	سما وأن	١٩	١٣٨				
طباع	أطباع	٢٤	١٣٨				
المائة	المائة	١٢	١٤٠				

صحيفة	سطر	خطأ	صواب	صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١٤٢	١٩	فاسبقبدلوها	فاسبقبدلوها اللغات	١٧٤	٢٧	ولا بما	ولاما
		باللغات	١٧٥	٢٧	أذلها الله	سببت النذل	
١٤٣	٢	فرنسي	فرنسي	١٧٥	٣٠	والوزن يومئذ	- والوزن يومئذ
١٥١	١	خاصة	خامسة			الحق	الحق - في الأعراف
١٥٤	٦	النحل				للمناسب لما هنا	
١٦٣	١٢	التي	والتي	١٧٦	١٥	تعطى	يعطى
١٦٨	١٨	الأيسر	الأيسر ثم البطين	١٧٦	٣٠	عموان	عمران
			الأيسر	١٧٨	١٥	أو بعمود	أو عمود
١٧٠	٢١	عضلا	حواس	١٧٩	٦	والوزن يومئذ	والوزن يومئذ الحق
١٧١	١٤	والقمر	والقمر والكواكب			الحق	في سورة الأعراف
١٧٤	٢٧	ولا بما	ولاما	١٧٩	١٠	مترا	للمناسب لما هنا أمتار

( تمت )



فهرست الجزء الحادى عشر من كتاب الجواهر فى تفسير القرآن الكريم

صحيفة

- ٢ تقسيم سورة الحج الى ثلاثة أقسام وذكر القسم الأول مكتوبا مشكلا
- ٤ تفسير القسم الأول المبتدئ بأول السورة المنتهى بقوله تعالى - وهدوا الى صراط الجيد -
- ٥ عجيبة من عجائب العلم وبيان أن استدلال (سقراط) على العالم الآخر هو غوى هذه الآية ذم للمعجبين بأنفسهم
- ٧ العذاب المصغر فى الدنيا مقدمة العذاب فى جهنم
- ٩ هنا (أربع اطائف الخ) - فصل فى الكلام على قرب الساعة وبيان اضطراب أقوال بعض العلماء الذين تعرضوا لمعرفة يوم القيامة من محدثين وصوفية ومنجمين فهؤلاء كلهم أخطأوا مثل السهلبى المستدل بحروف أوائل السور ومثل (شاذان البلخى) المنجم الخ
- ١٠ (الفصل الثانى) فى الكلام على ظهور المهدي المنتظر وبيان نقد الأحاديث الواردة فيه وأن الجرح مقدم على التعديل وبيان أن المهدي لو صح لا يكون إلا فى عصية من قومه وعصية قر يش قد انحلت إلا قليلا كما يقول ابن خلدون
- ١١ بيان آراء الصوفية فى المهدي المنتظر وأن أوائلهم لم يتكلموا فى ذلك وأولهم ظهر فيهم أمثال ذلك وهو دال على التشيع - وبيان (حاتم الأولياء) ومراتب الولاية التى يدعون انها تشبه مراتب النبوة وبيان خطئهم فى تعيين زمن المهدي فقد ظهر كذبه ورأى المؤلف أن الهداية يجب أن تنهاى لها الأئمة كلها فلا يجوز الاتكال على رجل واحد فهذا من مصائب التقليد
- ١٢ (الطائفة الثانية) فى قوله تعالى - ثم من مضفة مخلقة وغير مخلقة - وبيان أن الجنين كتاب كتبه الله لنا بحروف كبيرة وأنه تدرج فى نموه كما يتدرج الحيوان فى مراتبه فخاله حاسة وحاستان وهكذا الى الجنس - الكلام على التوهمين المتصلين
- ١٥ توهمان هنديةان وتوهمان صينيةان وتوهمان سياميةان وقد اتحدوا بعظم القص فى أسفل الصدر وتفرج عليهما الناس بأوروبا وذكر قصة حياتهما - وتوهمان آخران أحدهما صغير والآخر كبير - وبيان الحكمة فى خلق هذه التوائم - ذلك أن (شانغ) و (انغ) اتحدوا فى الحياة بحكم الضرورة - هكذا نوع الانسان كله شرقا وغربا يضر الجيع ما يضر البعض غاية الأمر انهم لا يعلمون إلا قليلا فكيف إذن يكون أهل البلد الواحد أو أهل الدين الواحد - هذا هو الذى فهمناه من خلق هذه التوائم
- (الطائفة الثالثة) فى قوله تعالى - ثم نخرجكم طفلا - التناسل غلى (قسمين) قسم بطريق الذكور والاناث وهو معروف والآخر يكون بطريق الانقسام ونحوه - وبيان أن الذى يتناسل بالزواج ايضا إما أن يحضنه الطائر واما أن يكون جنينا فى الرحم
- الكلام على نبات الكروم وأن منافعه مرتبة على العناصر الداخلة فيه فكيف أنتجت الفتحاح تلك العناصر حولها وكيف قترت بحكمة - تعاون الحيوان والنبات على الحياة وهما لا يشيران وبيان تنفس النبات وتنفس الحيوان وكيف علم الناس أن نفس الحيوان يخرج منه المادة الفحمة فتصل الى النبات فتصير فى تركيبه ويخرج منه اكسوجين فيصل للحيوان وهذا تبادل عجيب وأمر بدع وبيان كيفية تنفس النبات وانه يتنفس بأوراقه ففيها آلاف آلاف من الفتحاح فيها يكون تنفسه
- ١٩ بيان مقدار ما يتنفسه الانسان من الاكسوجين فى السنة وأن الحيوان يتنفس أربعة أمثاله - التعجب

٢٠ من أن النبات والحیوان يتبادلان المنافع بالنفس ولا حياة لأحدهما إلا بما يتنفسه الآخر جوهره في مقال عام في قوله تعالى - يا أيها الناس إن كنتم في ريب مما نزلنا من البينات والبراهين على أنفسنا فليذكر الله الذي خلقكم من طين مطبوخة بالحرارة ثم جعل منكم فصالا ثم ينفخ فيه الروح فليس منكم من شيء إلا وهو عائد لدين سابق كذا - وفيها قصة خيالية تخیل فيها المؤلف طوائف من الناس اجتمعوا ولهم رئيس فاصطفى من بينهم خبثا وجعلهم قوامين على هذه الطوائف التي هي (٣٦) طاقة وهم يتخاطبون رئيسهم برسم الصورة لا بالكلام في أسرع من لمح البصر بين بذلك أن الرئيس هو الانسان والنفس هي الخواص والطوائف هي (٣٦) محسوسا كالسموعات والمذوقات وهذه تجتمع في السماغ الذي ضربه المؤلف مثلا للوح المحفوظ مع أنه لا تماثل بينهما ففرق بين الحادث والقديم وهنا ذكر القوى الباطنة كالذاكرة والمفكرة والتخيلة والحس المشترك - فكما أطاعت الخواص الانسان أطاع الملائكة الله وإن كان لا تشابه ولا تماثل بل هو ضرب مثل لا غير - وكما أن الانسان غرائز كالوجع والعطش والشبق والغضب والحب والبغض والظلم في الهواء - فبما من غريزة من هذه إلا وجد لها ما خلقت له كالأكل والشرب والنساء والأعداء والأحباب - هكذا غريزة حب البقاء وجد لها ما خلقت له وهو عدم الفناء بعد موت الأجساد - وهكذا يجد الانسان في نفسه غراما بهذه النجوم الجلية واشتياقا إليها - كل ذلك غريزة في النفوس الكبيرة كما أن حب التزويج وحب الولد غريزة في البالغ لاق الصبي - وههنا ذكر المؤلف سديم المرأة المسلسلة وسديم الشياق الحلقى والسلاقي اللوحي وسديم الجبار الموسومات كلها في صفحة (٢٥) والانسان مغرم بها فلا يد من وصول نفوس بعض الناس إليها متى كل استعدادها بعد خروجها من أجسادها

لطيفة في قوله تعالى - ومنكم من يرد إلى أرذل العمر - وبيان كلام (كلنصو) الوزير الفرنسي الذي بلغ الثمانين ويقول اني قوى كالشباب - اوضح الكلام على النبوغ (العبقريه) صفات النابغين وانهم يحسون بنقص في زمن الصبا فيريدون تكميل أنفسهم وانهم يعتنون بصحة أنفسهم وانهم يعيشون طويلا وهذا مصداق لقوله تعالى - وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض - (القسم الثاني) قد كتب مشكلا أولا - إن الذين كفروا يصدون عن سبيل الله - الى قوله تعالى - وبشر المحسنين - والتفسير اللفظي لهذا القسم

٢٩ ذكر خمس لطائف في المسجد الحرام وما بعده (اللطيفة الأولى) وفيها تبيان لطف الله تعالى بكل نبات وحيوان حتى انه راعى أمر الامن فجعل البيت مأمنا لهم كما خلق الجبال المنيعه يأمن فيها الخائفون - وهكذا جعل أهل أوروبا وسويسرا مأمنا يأوي اليها المضطهدون السياسيون

٣١ (اللطيفة الثانية) في قوله تعالى - فكلوا منها - الخ - واللطيفة الثالثة في قوله تعالى - لكم فيها منافع الى أجل مسمى - وبيان اختلاف العلماء في المنافع المذكورة مثل ابن عباس ومالك والشافعي وغيرهم - مسامرة في قوله تعالى - فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا الفقاع والمعتر - وبيان محارة بين المؤلف وبعض الحجاج وملخصها أن ذبح الضحايا والهدايا ورميها على الجبال أيام منى (ان صح) انها تلقى هناك وتعفن الجثث وتميت الناس ولا تعطي للفقراء فان هذا حرام لأن الله أمرنا أن نعطي البائس الفقير لا أن نرميها تعفن الجثث وتهلك الناس والاستشهاد بكلام الأطباء والعلماء وبحت مسألة الوفاء العام وهل يدخل الناس القرية الموبوءة ويخرجون منها وهكذا - وبيان ما يقوله (ابن القيم) من أن دين الاسلام يسر كله لا عسر - وبيان تفسير الأحكام بتغير الأزمنة والأمكنة والعرف - ودخل في هذا المقام شرح مسألة التوكل وهل دخول الناس أرض الوفاء مع العلم به توكل - الجواب - كلا - كما يقوله الغزالي (اللطيفة الرابعة) في قوله تعالى - لكل أمة جعلنا منسكا - (والخاصة) في قوله تعالى - لن

ينال الله لجومها ولادماؤها - الخ

٣٧ ﴿ القسم الثالث ﴾ - إن الله يدافع عن الذين آمنوا - مكتوبا مشكلا الى آخر السورة

التفسير اللفظي لهذا القسم

٤٠ نصر الأنبياء المذكورين في السور السابقة ونصر سيدنا محمد ﷺ وأصحابه وبيان أن التجربة هي الحكم في أمر الأديان . فاذا جرت الأنسان نصاع الدين ووجد النتيجة كما ورد فذلك دليل على الصدق كقوله تعالى - إن تنصروا الله ينصركم - وهكذا

٤١ بقية التفسير اللفظي من قوله - إن الله لقوى عزيز - الى قوله - والى المصير -

٤٣ لطيفة لتبيان ما تقدم وبيان ما يقوله ابن رشد الفيلسوف ان علم التوحيد مجرد قواعد أصعب جدا من التوحيد الفطري والتعريف يجب أن يكون أعرف من العرف . وبيان أن (سورة النبأ) مثلا فيها ذكر الأرض والجبال وهكذا . وبيان أن كتب الفلسفة العربية عاشت في أوروبا الى النصف الأول من

القرن السابع عشر . وبيان أن السفر سفران جسمي أولا ففعل ثانيا

٤٤ نظرا للمسلمين في المستقبل يكون ﴿ لأمرين ﴾ الأم البائدة ولم يأت كالأندلس ومدنية بغداد العربية وأسباب ذلك ثم يدرسون الأمم الحاضرة المحيطة بنا كاليابان والصين وأوروبا . علوم الحكمة أيضا في الأمم وبيان أن أهل اليونان ترموا من فلسفة (أرسطو) فتركوها غربا مثل ما فعل العرب بعدهم سواء بسواء . بقية التفسير اللفظي - قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين - الى قوله - وإن الله لعليم خبير -

٤٥ فصل في تفصيل الكلام على قوله تعالى - إلا اذا غنى ألقى الشيطان في أميته - وبيان أن أكاذيب المبشرين والقسيسين على دين الاسلام في زماننا ومدارسهم المفتوحة فيها أشبه بالخشاش في زرعنا وأن شيوع القرآن في بلاد الاسلام وطردهم من بعضها نسخ لما ألقى الشياطين ومصدق للآية

جوهرية في إيضاح تفسير قوله تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول - وبيان ما قاله (الشيخ الدباغ) الأيم بطريق الفتح إذ قطع بأن الحق مع عياض وابن العربي لا مع ابن حجر في هذه المسألة وأن مسألة

الفرانق لا أصل لها وقد سرت بذلك الشيخ أحمد بن المبارك وأيدها بعلم مصطلح الحديث . ويقول الشيخ الدباغ ﴿ الأمانة في الآية أن يجنى النبي الصلاح لأتمته فيوسوس لهم الشيطان فينسخ الله تلك

الوسوسة من قلوبهم ﴾ . وهنا استطراد بذكر حال هذا الشيخ وقد سئل في حديث ﴿ أنزل القرآن على سبعة أحرف ﴾ وكيف بين هو أن القرآن أتى بسبعة أصناف ﴿ آيات الصبر وآيات الآخرة ومقدرة

الانسان على الكلام وآيات صفات الله وآيات الأمم الماضية وآيات الكفار وآيات النعم عليهم ﴾ ولسلك واحد منها اسم مثل حرف النبوة حرف للرسالة وهكذا الى آخرها وحرف البسط وقسم كل واحد منها

سبعة أقسام كالسطح مثلا جعله سبعة أقسام مثل الفرح الكامل الذي ينفي الحقد والحسد والخ ومثل سكوت الخير في الذات ومثل فتح الحواس الظاهرة أي الاستلذاذ بالمحسوسات كاللمصبرات مثلا فيجد لذة بالصور الحسنة وهكذا . وبيان سبب اقتضاري على هذا من (٤٠) صفحة مكتوبة في هذا المعنى لمناسبة الآية وتبيان أن هذا الأيم أرجع الأحرف التي أنزل عليها القرآن الى ما يخلص النفس من التوائب لتقرب

من ربها

٥٠ اعتراض الشيخ ابن المبارك على الشيخ الدباغ بأن الأحاديث تدل على أن المراد بالأحرف السبعة كيفية النطق بألفاظ القرآن واجابة الاستاذ الدباغ بأن اختلاف الحركات في الكلمات تابع لاختلاف الأنوار

الباطنة وأخذ يرجع القراآت السبع في القرآن الى تلك الامور السبعة المقسمة كل منها الى سبعة بحيث لا يكون خفض ولا رفع ولا تسكين في كلمة من القرآن إلا وهو راجع الى حال من تلك الأحوال الباطنة . وتبيان الحكمة في ظهور أمثال (الشيخ الدياغ) في أمة الاسلام وأن ذلك ليعلم المؤلفون أن علومهم إنما هي شيء قليل جدا وإذا عرفون قدر أنفسهم ولعلم مشايخ الطرق أنهم إذا لم يفيضوا على تلاميذهم مثل ما أفاض هذا الشيخ على ابن المبارك فهم إذن مغرورون وليجدة العلماء في العلم وبيان أن هذا الشيخ عرف جبال اللج الآتي ذكرها في (سورة النور) قبل معرفتها بالطيارات في أوروبا وسيأتي ذلك عند قوله تعالى - و ينزل من السماء من جبال فيها من برد - الخ في (سورة النور) وتبيان أن هذا بوجب أن يكون المسلمون أعلم الأمم بهذه العلوم وأن هذه تحمل لنا مشكاة الانسانية تلك التي سخر لها الأرضون والسموات فعمل ذلك التسخير لأجل هؤلاء الناس على ما هم عليه . كلا . بل الناس اليوم أطفال بريهم الله وأن أمثال هذا الشيخ عرفونا قدر الانسانية التي ربما تصل لها الأرواح يوما ما . وتبيان أن آراء هذا الشيخ في الحديث مع اختصارها جعلت زبدة الجزء الثالث والرابع من كتاب (إحياء علوم الدين) للإمام الغزالي أي المهلكات والمتعبدات وأيضا هذه الروح فهمتنا ما معنى الروح الكاملة والناقصة وأن أرواح أهل الأرض تصل الى الصلاح أما الكمال فنادر جدا

٥٢ بيان أن رجال السياسة الآن أشبه بالأطفال يقولون بالمساعدة العامة لفظا وقولهم كما خبث كما نرى الأطفال يركبون الأعواد تشبها براكي الخيول من آباءهم . وبيان أن قراء هذا التفسير سيكونون على رأي واحد ومشرب واحد لأنهم يرون ديننا كل العلوم فأين الخلاف إذن سؤال المؤلف هذا التفسير في أنه إذا صح هذا أوجب (أمرين) الحزن على جهلنا بالنسبة لأسئال هذا الشيخ وإنما نعيش متعشين الى هذه المرتبة وهذا يضر بالعلماء في هذه الأمة فلا يخلص من هذا كله إلا المكذبون لهذه الامور وجواب المؤلف على ذلك بأن هذه العلوم لا يصح التطلع لها فان الجنين لا يصح أن يولد قبل تمام أشهره والا حصل الضرر . وأيضا نفس (الشيخ الدياغ) يقول (إن بين السماء والأرض ناراً هي نار البرزخ فيها الأرواح المعذبة بشاهدها هؤلاء المفتوح عليهم وشاهدون الأفلاك والتجوم وجيع العوالم وهذا كله ظلام فإذا اغترتوا به انقطعوا عن الله فالتفوح خطر لأنهم معرضون لمعادنات الشياطين) وقال نحو ذلك الشيخ الخواص الذي أبان أن الفتوح قد يكون شرا على صاحبه واستدل بآية - فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد - الخ بل قال (لا يصح قبول الفتوح إلا إذا لم يكن للنفس حظ فيه)

٥٤ بيان نتيجة ما تقدم من أننا قد استوفينا هنا هذا المقام لنبين للمسلمين بعدنا أن كثرة العاطلين في أمم الاسلام باسم الرواية والصلاح أضاعت مجد الأمة فقد استبان هنا أن المفتوح عليه نادر ولوفرض ظهوره للناس وأقبلوا عليه كان الاكرام نفسه محسوبا عليه وأن كثيرا من المفتوح عليهم يصبحون سحرة وكهانا وهم مغرورون وأيضا لا ينبغي لهم قبول الصدقة . وبيان أن ما شرحتنا أي لى ما قرأته في كتاب (راجا يوقا) الهندي إذ أظهر أنهم مع وثنيهم يفتح عليهم فعملت انه فتح ظلماني وهوشوة نفسية لأقل وبهذا تبين أن ما يقوله الامام الغزالي في كتاب أيها الولد وفي الإحياء وما يقوله محي الدين بن عربي في (الفتوح المكية) من الكشف يجب أن يحترس منه لأن ذلك قد عذب بهم كثير من العلماء فتذكروا مواهبهم العقلية وبحوثا عما وراء الحسن فأضاعوا الأمة وحوث من أمثال (أديسن) مخترع الفونوغراف إذن ما نكتبه في هذا التفسير نعمة وجهت لي وللمسلمين بعدنا . وبيان أن الله جعل بعض أنواع

النبات والحيوان مبتليات بالزيجات المهلكات كالخشائش في مزارع الذرة والقمح وكالطوام والميكروبات  
المسلطات على الحيوانات الكبيرة هكذا ديانات الانسان ان لم تكن فيها شبه يعوزها عقل نامت الأمم  
وكسل الناس

٥٧ فصل في أن العقاب يجب أن يكون على قدر الذنب وتتمثل ذلك بإبلاغ كل من الليل والنهار في الآخر  
وبيان أن الفرق بين الليل والنهار في مزارع ساعات وفي أطراف الهند والصين ساعتان وهكذا يكون  
١٢ و ١٨ و ٢٤ وستة أشهر . فأما في خط الاستواء فهو (١٢) ساعة لاغير

٥٨ لطيفة في قوله تعالى - ذلك بأن الله يولي الليل في النهار - أيضا وبيان أن القتال مع العدو ليس هو  
مقصود هذه الدنيا بل العلم فارتفعوا رؤسكم إلى السموات وهذا يتم بعد نظام الأخلاق وجعلها الذي  
شرع لأجله الجهاد . وبيان أن هذه المناسبة في الآية وجعلها يجعلها عالم البلاغة

٥٩ فصل في ذكر عجائب الأرض بعد العجائب السماوية قال تعالى - ألم تر أن الله أنزل - إلى قوله - لكفور-  
لطيفة في قوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة - وأن الأمم ان لم تهذبها  
الحوادث فلا سيل إلى رقيها والتي هذبها الحوادث تكون كأرض نزل عليها الغيث فنبت بعد يسها .  
وهنا أقوال الأرواح ان الحوادث العظيمة يحدث بعدها رقي الانسان وهكذا قول علماء الألمان ان وقوع  
الأزمات والحروب في الأمم مرقبات لها وهذا يخفى معنى الآية أو ما يقرب منها وبيان أن دراسة البلاغة  
لا تكفي لفهم القرآن

بهجة العلم في قوله تعالى - فتصبح الأرض مخضرة - وبيان أن كتاب (أين الانسان) فيه وجوب  
خدمة جمع الناس بعضهم لبعض وأن أرض كل أمة يجب استخراج ماكين فيها وأن الأمم يجب أن تفعل  
ذلك طوعاً أو كرهاً وأن انتهاب ما في أيدي الناس بالحرب جرمية في عصرنا لا تقتصر أيضاً يجب ترقية جميع  
العقول في الأرض - فهذه هو العالم الهندى (جاجاديس بوز) جاء للنوع الانساني بعلم جديد ينفع أهل  
الشرق والغرب مصداقاً لما ذكرت في كتاب (أين الانسان) فقال في خطبته بمصر في ١٧ سبتمبر  
سنة ١٩٢٨ انه عرف أن النبات كالانسان والحيوان سواء بسواء وله إحساس وله حركة وقد برهن على  
ذلك بالته المسماة (كوسيكوغراف) وهي تكبير الحجم خمسين مليون مرة مع ان (الميكروسكوب)  
يكبره ألفي مرة فقط وتبيان مقدمة لهذا في أن يد الانسان الآتي بيانه في (سورة المؤمنون) ١٢ طبقة  
في كل ناحية ست طبقات وأن الجلد يتلوه أعصاب الحس - فأعصاب الحركة فالشرابين التي تغذى الجسم  
وهذا أشبه بهيئة ما تراه في الأرض من أسلاك التلفراف (البرق) أعلى والقطار على سكة الحديد تحته ثم  
المساق تحته تسبق الأرض فترتيب جسم الانسان الذي ظهر في اليد هو عينه ترتيب الناس في نظامهم .  
كل ذلك لمعرفة خطبة (جاجاديس بوز) وملخص خطبته في حياة النبات وأن الشرق والغرب كل منهما  
يخدم الآخر وقد سلط الكهرباء على نباتة فأخذت في التزرع كالانسان ثم ماتت وكل هذا وضع بالعمل  
والحركات وعدمها وقد أعطى نباتاً آخر سماه فأخذ في التزرع ثم أعطاه تريباً فنبتت النباتة من الموت

٦٦ بيان أن جنب الأرض لنا أشبه بمقامع من حديد والا فلماذا لا ينسبر في أعلى لغرى النجوم التي نجها  
فصل في ذكر أن كل أمة لها شريعة ونحو ذلك قال تعالى - لكل أمة جعلنا منسكاً - وتفسيرها تفسيراً  
لفظياً إلى - وبئس المصير - . لطيفة في قوله تعالى أيضاً - لكل أمة جعلنا منسكاً -

بهجة ومسامرة في قوله تعالى - لكل أمة جعلنا منسكاً - إلى - وبشر المخبتين - ووصف أم ملكة  
(اشاتني) الذين هم وثنيون وحشيون وهكذا وصف قوم آخريين على نهر (نيجر) فد أسلموا وتبدلت  
عادتهم وصاروا عادلين وذلك في رواية (المستمرسون) الأمريكى

٦٨ بيان عادات الزواج عند الوثنيين هناك وكيف يتزوجون لوضع الأفعى وبغضون الذكر وان من القبايل من جعلت النساء عبيق السيد والعمل وصل الرجال صنع الطعام في البيت وذا جاء الحرب حارب الرجال وعلى النساء القيادة والتدبير . وهكذا هناك قوم آخرون يكمن هؤلاء طائر جبال السلطان والشمس أفعبه بالسرايم والقرآن جاء لاصلاح أهل الأرض قاطبة

٦٩ كيف كان هذا افعال باهم وذكر اني كنت أقول إن هذا العالم مشغوف بربهم وتظلمت في العالم الملعون واسلم كل يقول السماء قد أجد إن خلاصا على حسب فهمي إن ذلك ولكن لما قرأت حديث ﴿ لقد أرسلت عن الأنبياء آية وبل لن قرأها ولم يشد برها وهي - إن في خلق السموات والأرض - الخ فكثرت إنفن وانفتح لي الباب الى الآن

٧٠ بيان معاني تفسير الجلائين ودخول ﴿ دار السلام ﴾ وكيف رحبت دعوى المالك والمليمة والكعبة هي التي كانت أمليا في المقول وكيف كانت مسرا في بذلك . ﴿ آية الاسلام والمسلم ﴾ وبيان اني تخليت من آية الاسلام كيف يكون هذا دينا وفناء معاليه وكيف يكون أهل أوروبا والذين ليس في دينهم شيء من ذلك أهم من المسلمين بهذه الملم

٧١ بيان أن جد الانسان على مقدار المعرفة وكيف يتألم بالمسلم ربه بقوله في ركوعه ﴿ تسبح لك سمى الخ ﴾ وقد سجدوا بقوله ﴿ سجد وجهي للذي خلق ﴾ . كيف يفتقه سمعه وبصره المذكورين في خطاب ربه بلا الا اذا عرف حقيقتهما وعالماهما

الى آخر السورة (فصل) في ضربات مثل بالباب وهو التفسير اللطيف لقوله تعالى - يا أيها الناس شرب مثل فاستموا له - اقلية في قوله تعالى - يا أيها الناس شرب مثل فاستموا له - وبيان درس من كتاب الغيبيات فيهم عن الفرنسية وأن المدرس سأل التلاميذ عن الفرق بين البداية والبيان . فأجاب بالكتاب والمضمر . ورتبه بالتأني المصطف . فأجاب آخر الأجيال وعندهما فورد بفتح أجنبية البداية وهكذا الشعر فورد بأن البداية لها شعرا قل غيرهم بعدد الأرجل فرتد بغير رجاين الذين من البداية ثم قال - كلا - فاطمان له عظام ودم

والأبدية لاصلها ولادم وعلى هذه النظرية رجع تقسيم الحيوان الى ﴿ أربعة أقسام ﴾

(١) الحيوانات القلبية كالسماك والانسان  
(٢) الحيوانات الجلدية كالفطريات والنباتات والحيوانات القشرية والورد  
(٣) الحيوانات المائية كسمها أفعبه بالفلوج  
(٤) الحيوانات السمعية مثل (سلك التليم) و (الرخيان) و (الاستنخ) وهذا في صفحة ٧٥ سورة الرحمان والسماك النجعي وبيان أن هذا كل سائل الله في أرضنا منه وقد صفا (استنسر) مليونين

٧٢ جمرة في قوله تعالى - وإن يسلم الله أبنا غيا لاستنفذوه منه -  
رحمت الجنات وسماح استسمة في قوله تعالى أيضا - وإن يسلم الله أبنا غيا لاستنفذوه منه -  
بيان أن الأناب والحيات ونحوها مخلوقة من المراتة العنودة لتصلح الخلق ولكن هناك في تلك الأنواع يبقى أصل الامر ليقبض العزم اليهم ولكي يبق العبد في الحيات ولكي سلطانا عليها مهلكا لها وأن لها ستة أرجل

بيان أوصاف الأناب والمغبرات وكيف كثرت وكيف سلطانا عليها مهلكا لها وأن لها ستة أرجل واضعة وثقة وأوصافها وأنها تبيض كالبلور ولكنها لا تعين بيضها كما يعين المغير وبنيتها يخرج من المغيرة وردة بخلاف المغير فانه يخرج لميرا

٧٧ آثار الحشرات وعدم إختارها و بيان أن أمثال النباب رزقه موفراً لاحتاج الى أذكار . وأيضاً هو رزق الناموس والجراد لاتعيش للعام المقبل فلم تدخر إذن

٧٨ العنكبوت والطيور والنبات الحيواني . و بيان أن الله يقول بلسان الطبيعة التي خلقها و أيها الطيور ويا أيها العنكبوت ويا أيها النبات الآكل للحيوان (المتقدم في سورة الرعد مرسوماً مشروحاً هناك) ان هذا الذباب (وان نفع أهل الأرض بأكله القاذورات) قد أضرتهم بنقله العدوى فهأنذا سلطتك عليه لأنى رحيم يخلق الذباب ورحيم بهلاكه وأنت أيها العنكبوت قد جعلت ذات قوة و بطش بالذباب الذي أغنته بالعيون التي تبلغ (٤) آلاف عين وهكذا أنت أيها النبات الآكل للحيوان قد سلطتك على الذباب فاحتل عليه بنفسك كما احتالت العنكبوت عليه بشبكته . فهذا اتفاقى فى صنعى فكيف يعبد الناس الأصنام وقد سلطت عليها أضف مخلوقتى وهي لاتمتنع . ولقد أنزلت هذا القرآن ليكون ملجأً ليعلم له الناس بعد القرون الأولى أولئك الذين لم يعقلوا عجائب خلقى للذباب وللعنكبوت فعبدوا الأصنام ولوعقوا ما يعقله الناس اليوم لم بين أهل الصين مثلاً أصنامهم فوق أعلى الجبال والأنهم المستقبلة هي التي تنبد الأصنام و يعبدون لوقوفهم على بدائع خلقى في أحقر مخلوقاتى كالذباب الذي كان عيشه الرغد لا يلزم الشرف بل معيشة السى اللازمة للعنكبوت أشرف كالآدم الصائفة فهمى أشرف من أم الفلاحة كشرف العنكبوت وعلوه على الذباب . و بيان أن العنكبوت يجب على رجال الزراعة إبقاؤها وإبقاء الطيور لأنها قتلة للحشرات . و بيان أن بعض أهل العلم فى المدارس ونظارها يجهلون أمثال هذا لحقارة هذا العالم عند بعضهم والمحاورات بين المؤلف وناظر مدرسة . و بيان مدار بين المؤلف وبين بعض مدرسى المعارف فى مجمع عام أيام الامتحان العام وانكارهم عليه جميعاً كون الفلحة لها (٤٠٠) عين وإظهاره الحق له ونشر ذلك فى الجرائد فى حينه . وستشترك الرسالة فى (سورة النمل) وأن ذلك لوجود عاطفة العلم فى البلاد لأحوال عارضة . و بيان أن المدار فى العلم على الشوق اليه وذوقه لاعلى قوامته وحضوره كالجبال فقد يكون الجيل لذيك ولا تعقل جلاله لعدم استعدادك لفهمه والكلام على الجنادب والذباب والحشرات . وأن اللبن المخلوط مع الملح عند الفلاحين بعد بقاءه مدة مغطى فى الأواني يرون فيه ذباباً ودوداً وذلك بسبب بيض الذباب فيه قبل تغطيته

٨٣ رسم الذبابة وشرقتها ودودتها وأن الله ألهما أن تضع بيضها فى طعامنا وشرابنا ثم ان الحشرات خلقت من الصفونات وهي تخرج أنواعاً وأصنافاً ذات ألوان ونقوش جميلة وعجاس بديعة كالعقرب والذباب وغيرها ولم يعرف الناس من الحشرات إلا (٢٠٠٠٠٠) مثل الجعلان ونحوها ، ثم ان النفاث عثوا منها (٨٠٠٠٠) ولما كانت هذه المخلوقات فى غاية الإبداع جعل المصليون (الجعل) علامة الخشب أولاً ثم جعلوها قبلتهم ثم عبدوها

٨٤ ههنا وصف جبل بديع للحشرات وأدوار تقاها ووصف (الشرقة) بقم المرحوم أستاذنا على باشا مبارك وبهجة الجعلان وحسن نقشها وعبادة المصريين لها وهذا كله بأحسن بيان يشرح الصدر

٨٥ محاضرة فى قوله تعالى - يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له - الخ و بيان اعتراض على المؤلف وانه لما ذاب وصف الذبابة ويطيل فى هذا المقام والاجابة عليه بأن اللسان العربى يقتضى ذلك وأن اسرار القيس فى قصيدته وصف الذئب لما عوى بينتين وطرفة بن العبد وصف ناقته التي ليست مقصودة له فى (٧٩) بيت وليبدى بن ربيعة وصف الناقة بنحو (١٤) ثم زاد (١٧) وما ذكر الذئب ولا الناقة عند هؤلاء إلا فى عرض الكلام على المحبوبة . فاذا صح هذا فى أغراض ساقطة سافلة أفلا يصح نظيره فى أغراض شريفة

عالية لرفعة الأمم و بناء مجدها في مستقبل الأيام . وهذا التفسير قد هياؤه الله لبناء مجد الأمم الاسلامية وغيرها في المستقبل

٨٦ نخط آخرى المحاضرة و بيان اننا نحن المسلمين لجهلنا لم يكنف الله بتسليط الذباب علينا . كلا . بل أرسل (مكروب الطاعون) ونحن لانعلم انه موجود في الأرض وهكذا مكروب الأمراض الأخرى . ولما جهلنا هذا وذاك سلب علينا أوروبا . ذلك لأن المسلم الذي أشبه بمن يعبد هواه . وهذه الأمم الاسلامية طال عليها الأمد فقتت قلوبها وأذلها ملوك الظالمون . والمسلمون أقرب الى رجوع مجدهم من الأمم الأخرى واستطراد في شأنت العلاقة التي هي أحد أقسام الحيوان التي عرفت بمناسبة الذباب وانها حيوان مائي والحيوان المائي يقال انه ارتقى فصار برزخيا وأخذت ترتقى الحيوانات طبقا عن طبق فهي أولا متشابهة ثم تأخذ في التباعد كلما ارتقت ثم ذكر ملخص المحاضرة وذلك في (١٢) مسألة

٨٩ محادثات بين المؤلفين والناظرين في علم الفقه كالبيع والطلاق والصلوات وانه مفهوم وأن العلوم الأخرى متروكة مع انها في القرآن مذكورة بكثرة . وإيضاح معنى عبادة الهوى وأن عباد الصنم ماعبدوا إلا أهواءهم . أقلابكون اعراض المسلم عن جلال الله في الطبيعة أشبه بعبادة الهوى . و بيان أن دراسة هذه الجباب في الحيوان دراسة لأفئسا كما جاء في كلام (بول پرت) . ثم بيان أن هذه الدراسة ترقى العقول الاسلامية وتحبب الناس في ربهم . تذكر في إيضاح - فإذا وجبت جنوبها - الخ . وبهذا تم الكلام على (سورة الحج)

٩٢ (سورة المؤمنون) تقسيمها (ثلاثة مقاصد) وكتابة المقصد الأول . شكلا وتفسيره اللفظي من أول السورة الى قوله تعالى - وعليها وعلى الفلك يحملون -

٩٧ (ثلاث لطائف) رأى جديد في مهد البشرية وحضارة ما قبل التاريخ وقول (جيمس) الضابط الانجليزى انه قرأ (١٢٥) لوحة في الهند قديمة تدل على قارة (مو) في الأوقيانوس الباسفيكي قبل (١٥) ألف سنة ثم ابتلعها البحر وكانوا يطيرون بطياراتهم والطيارة فيها (٢٠) جنديا

٩٨ (هداية نجت من هذه الآيات) . ذكر الله تاريخ خلق الانسان . فلماذا هذا . ليدلنا على سبيل التعلم في المستقبل بأن نقرأ تاريخ العلوم . إن العلم بدون تاريخه ناقص كالقراءة بلا معرفة الحروف الهجائية وكزراع الأرض بدون حوت وهذا صراط ربك مستقيما فلنسر على صراطه وكتاب (كشف الظنون) وأمثاله يقوم بأكثر ذلك . إن أوروبا تفروقه كما هو صراط الله فليقرأ المسلمون لأنه صراط الله

٩٩ جوهره في قوله تعالى - نخلقنا المصفى عظاما - الى - خلقنا آخر - و بيان أن العين والأذن شرهما في (سورة آل عمران) وكذلك جميع أعضاء الجسم التي لها أهمية كلها مشروحة هناك تفصيلا

١٠٠ (خاطران متباينان) المؤلف عند اطلاعه على نظام جسم الانسان (خاطر العظمة) و (خاطر الخجل) فالعظمة لأن أرواحنا أعدت لها سكن فوق ما يتخيله العقل من الاتقان والخجل من أن الانسان جهول يعيش ويموت وهو لا يعلم هذا الجلال إلا النادر جدا من الناس

(الفصل الثاني) في تركيب جسم الانسان

١٠١ (شكل ٩) قطاع عمودي لجسم الانسان وفيه مجاورة الأعضاء بعضها لبعض وفيه بيان العنق والحجرة والقصة الهوائية والجنب ومافيه من صدر وتجويف و بيان القلب والرئتين والأورطى . وهكذا تفصيل (٢٠) عضوا موضحة أيما إيضاح

١٠٢ جهاز الحركة مرسوما (شكل ١٠) وفيه إيضاح (٢٩) عضوا كعظام الجمجمة والوجه والفقرات والقص



وهكذا الى عضلات الساق وضرب مثل لذلك كونه بتفاحة يأكلها الانسان فهي كزائر لمنزل والعين توصل الخبر للخ كاتوص الكبرياء الخبر لأهل المنزل وهكذا أعصاب الحس وأعصاب الحركة كل له عمل في دخول التفاحة كما كان للمخادوم وغيره عملا في دخول الزائر

١٠٣ إيضاح الكلام على الجهاز العصبي وجهاز الحركة والجهاز الهضمي والدموية والتنفسية واللينفوية والجهاز البولي والجهاز الجلدي . فهذه (أ) أجهزة كلها تعاونت على قبول الزائر لها وهي التفاحة التي استأذنت من الحاكم في المخ بواسطة أعصاب الحس ودخلت بواسطة أعصاب الحركة

١٠٤ (الفصل الثامن) في أبداع ما رأيته في هذا المقام . وذلك اني حصلت لي موانع منزلية نغفت أن تلهيني عن جبال التفسير فقابلني في أثناء عملي من جاء من أوروبا ومعهم صور في تشريح اليد وانها (١٧) طبقة . وهنا تبدى لي العجب إذ رأينا أعصاب الحركة القابضة مثلا غير الأعصاب الباسطة وكل منها أنواع تعد العشرات . فأنواع البسط كثيرة فقد يكون قليلا وقد يكون كثيرا وهكذا ولكل نوع منها أعضاء خاصة فأخذت بعض الصور ورسمت في صفحة (١٠٦) و (١٠٧) والذي رسم هو أعصاب الحركة التي للقبض وأعصاب الحركة التي للبسط تنهيا على غيرها

١٠٨ إيضاح أن الأجهزة الثمانية كلها متعاونات والمسيطر واحد . وهنا يتعجب المؤلف من نظام هذا الانسان في جسمه المتقن اتفاقا تاما مع نظام الاجتماع وتذكير القارئ بما تقدم في أول (سورة طه) من أم حياتها كلها قتل وتوحش فظيع . وأن ذلك النظام الوحشي لا يناسب نظام الانسان وانما الذي يناسب نظام جسم الانسان ما نقله الأرواح (إن الأرواح العالية لا خلاف بينها فما يراه بعضها يكون فكريا للجميع) هذا هو النظام الموافق لنظام جسم الانسان فان التعاون الذي بين هذه الأعضاء هو نفسه الذي نسمعه عن الأرواح العالية الذي جاء في قوله تعالى - وزعنا ما في صدورهم من غل - اخوانا - ثم إننا نرى رجال الحكومات متعاونين تعاوننا صناعيا تاما تشبها بالنظام الأعلى ونرى رجال الأمم السياسيين متعاونين تعاوننا على طريق النفاق والخداع والكذب فهو تشبه خيالي

١٠٩ نور على نور في قوله تعالى - ثم أنشأناه خلقا آخر - الى قوله - ثم إنكم يوم القيامة تبعثون \* - ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق - وبيان أن الناس قد سخروا البر والبحر والكهرباء والمنغنطيس وطاروا في الهواء وتراهم فرحين بهذا وفاتهم أن هذا الفرح كفرح الفاروس بفرسه والطفل بلعبته . انه فرح بما هو خارج عن النفس أي مالا تملك فكيف فرحوا . يجلس الانسان ساعة فيجد نفسه تنتقل من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب ومن السموات الى الأرض فلا يبالى بهذا السر الذي فيه ويعده من سقط المتاع وذلك لأنه لم يتعب فيه ولم ينصب . لذلك كلف الله الناس بالعلم والعبادة والعمل جميعه ليعرفوا أنفسهم وقواهم بكدهم وجدهم حتى لا يحقرها وهذا هو سر التكليف وأيضا ان ولوعنا بجميع العالم واتجاه نفوسنا لجميع الجهات دليل على أن نفوسنا مستمدة من عوالم محيطة بنا كما أن الجوهر الفرد مركب من ذرات كهربائية تدور حول بعضها دوران السيارات حول الشمس فدل ذلك على أن نفوسنا المشتربة للاطلاع على جميع العوالم نسبتها الى النفس الكلية المحيطة بجميع العوالم كنسبة الجوهر الفرد الى النظام الشمسي وحكم الجزء حكم الكل في الخالقين . وكما أن الجوهر الفرد له أصل كمن يجمع أمثاله وهي الأجرام العظيمة كالأرض والشمس . هكذا الأرواح الصغيرة في الأرض لها روح كبيرة تجمعها كما جمعت الشمس والأرض مثلا جواهرهما الفردة . إن هذا العالم مشمول بالرحمة وصغيره ملحق بكبيره . ودليل ذلك حادثة الفتاة التي توأمها (شاردل) وقولها له أنا بظنانية

وأنت نائم . وهناك ابنة أخرى كانت ترى جسمها يتمدد شيئاً فشيئاً في حال الانخفاف . وأيضاً كم من أناس انتقلوا الى أماكن بعيدة بأرواحهم في حال الحياة . ومنهم من عرفوا حوادث بعيدة عنهم وهذه ملأت الأقطار ومنها حادثة والدى لما غرقت وقت الفجر وقد كنت في المركب ثم نجوت بهجة العلم في قوله تعالى - وما كنا عن الخلق غافلين - وذكر أوصاف المؤمنين الذين أفلحوا فهم وصفوا (بعضة أوصاف) كالصلاة والخشوع فيها وكعدم الغفلة عن هذه المخاوف وبيان أن الخشوع في الصلاة يفيد توجيه الخواطر لأمر واحد وكذلك توارد العلوم على قلبه وقول المسلم (الله أكبر) في الصلاة دليل أن العلم لانهائية له لأن كل ما علمناه رأينا الله أكبر منه

١١٢ بيان ما يقوله مؤلف (علوم للجميع) بالإنجليزية إن المفكر العادي يرى أن الألوان وزعت على الحيوان بلا منفعة وهذا خلاف الحقيقة . الحيوان منه الآكل ومنه المأكول ، والألوان لا كل تظهر للأكل ففتر منه فلا يعيش الآكل وهكذا لو أظهر لون الحيوانات المأكولة لكان ذلك هلاكاً لها . إذن اللون ضرر للجميع ولكن الألوان ملأت هذه الدنيا والحيوان باق فماذا نقول . نقول إن جميع ألوان النبات وألوان الأزهار وأضواء الشمس والكواكب واضحة وهي لحياة الحيوان وحفظه وهكذا ظهر أن أكثر هذه الألوان خلقت قصداً لحماية الحيوان (مثال ذلك) الحشرات المسميات (سلاقي) حين تقع على الأرض تكون مثل حصبائها في لونها وشكلها وذلك جاية لها . وهناك حشرة تشبه (العصا) فتتجو بذلك من الملاك وبعض السوس لا يفرق بينه وبين قطع الطين في الأرض فيعصف بذلك . ومنه ماهو أخضر وجيل لا يميزه الناس . وهنا خنافس تشبه حبوب بعض النبات وأخرى تعيش على ورق (المنصف) فتصير مثله . وهناك فراش أخضر وآخر رمادي يشبهان النبات الذي يعيشان عليه . وفراش آخر مرسوم في صفحة (١١٤) أجعته أشبهت الورق الجاف فيعطف بذلك من الملاك . وهناك حشرة أخرى تشبه قطعة من (عصا) مكسورة حديثاً كما في شكل (١٤) صفحة (١١٥) وهناك حشرات تشبه زرق الطيور فتعشاه طائفة أنه زرقها وبذلك تحفظ لخل الحكيم العليم لون الفراش أعد لحفظه لأنه يشاكل ما يعيش عليه من خضرة إن كان أخضر ومن سحره إن كان أسمر . إن دود الفراش على (قسمين) دود يكون لونه أخضر أو أسمر يأكل ليلاً أما في النهار فانه يبقى ساكناً فيعطف من أكل الطيور له والقسم الآخر له لون واضح ولكنه لا يختفي نهاراً بل يأكل جهرة ولا تقربه الحيوانات . والسبب في ذلك أن طعمه ردي لا تقبله الطيور ولا تسيفه كما في الصورة المرسومة في صفحة (١١٦) (شكل ١٥) . وقد يكون لدود الفراش شعر يغطي جلده . وقد يكون له غزل فكل هذا يجعل الطيور تأنف من أكله فهذا لا يختفي فتأكل علنا ولا تختفي وكأنها علمت أن الله جعلها في أمان من الملاك

١١٧ وهناك حشرات مكشوفات لانخفاف لأنها أشبهت في لونها الذي لا اتقان فيه (دودة الفراش) التي خبت طعمها فكانت المشابهة سبباً في حفظها . والنحل والزنايب تغدو وتروح ملونة لما لها من الحماية بالسلاح الذي خاق لها فلو أنها إذن انذار للهاجم عليها وحفظ لها من المهاجمة . وهناك امبراطور الفراش جميل الشكل واللون مشابه لما يحيط به من الأغصان والأزهار فلا يمتاز عنها فيحفظ بذلك . وتجد في الصحراء لون (القبر) وألوان أنواع أخرى من الطيور وكذلك الحيوانات ذوات الفروء من ذوات الأربع وجلد الحيات والضب . كل هذه مشاكات لألوان الرمال والجل والأسد لها لون لطيف رملي أو صخري والذب القطعي وأرنب القطب وغيرهما كلها بيضاء . ولكن ذلك لم يكن من تأثير الوسط والبيئة بل

الحياة اقتضت ذلك . والا فلماذا نرى الغراب هناك أسود لأن فريسته وهي الرم لانقرض منه اذا رآته ولا طالب له والسمر الذي يعيش وسط الأشجار لا يتغير لونه كما لا يتغير لون الغراب فدل هذا على أن الوسط لا تأثير له في اللون . وانما المدار على منفعة الحيوان كما يرى في الطائر الأمريكي (سكانك) في أمريكا الشمالية فذيله الزاهي الطويل يرى ليلا وانما تحفظه الرائحة الكريهة التي يطلقها على عدوه . والبيضاء يكون لونه كاللون الأشجار التي يسكنها

١١٩ في الجزائر الاستوائية جام أخضر كالبيضاء للشاكة . الضب والحية أسمران زيبان في بعض الأقطار واسكنهما في الأقطار الاستوائية وحدها يكونان شديدي الخضرة البراقة اللامعة لمشاكة النبات هناك و بلاد الانجليز ليس فيها لون يقرب من الأخضر ولكن الأسمر والزيبي هما الظاهران في ريش الطيور وهذا هو نفس لون الأشجار التي لا أوراق لها وهي كثيرة فيكون ذلك حافظا لتلك الطيور . السمك الذي يسكن قاع البحر تكون ألوانه كالألوان الحديقة منمقة جميلة مشاكلة لما هناك في قاع البحر من الرمال والحصى المنقوشة . فأما ما قرب من سطح الماء فانه يكون أزرق مانلا للخضرة من أعلى مشاكلة للجزء الأبيض من أسفل لأجل أن يحفظ من العدو في الهواء وفي الماء . وتخل البحر في أساليب لونها السحرية تشبه الأعشاب البحرية من المرجان والشقائق وغيرها التي هي حداثق بهجة للنظر هناك تسر الناظرين . وفي الأقطار الاستوائية حشرات أجنتها وعروقها مشابهة كل المشابهة أوراق الأشجار ثم نفس الأرجل والصندوق وهيئة الرأس كلها مشاكلة لما تعيش عليه من أغصان وأوراق بحيث لا يمكن تمييز تلك الحشرات منها . ومن الحشرات ما تظهر كأنها قطعة من غصن مغطاة بطحلب . وهناك حشرة (أبي دقيق) البرتقالية الرأس تعيش على أطراف الأزهار في شجر البقلونس (شكل ١٦) صفحة ١٢٠

١٢١ وهنا يتجلى (أمران \* أولا) ان ماشاء في مصر و بلاد الشرق أن مذهب (داروين) و (لامارك) ينافي وجود نظام الكون خطأ فذلك كان في قرون مضت . أما علماء أواخر القرن التاسع عشر والعشرين . فهذه هي نفس آرائهم ومنهم نقلت هذه الأقوال فعني آية - وما كنا عن الخلق غافلين - قد فهمه علماء هذا القرن العشرين وبعض المتعلمين في أمم الاسلام لم يفهم هذا الخبير جبال العلم ومحاسن الطبيعة . وبيان أن الناس في هذا العالم أكثرهم كالعلمي أمام الغايات وأولهم أمام الغني لفتاها عن الجبال . وحكاية الجنيّد مع المرأة الجيلة وقد كبرهاله بحمال الله

١٢٢ بيان أن الموسيقى ترجع الى النظام العام . وحكاية فيثاغورس إذ مرّ على حدّاد وكانت النسبة في مطارقه (٦) الى (٨) الى (٩) الى (١٣) فأثى بالأوتار على هذه النسبة فأطرب وأن الموسيقى سبب وودت وفاصلة كالشعر ومن هذه جيع الألحان والكلام على لحن الفاخنة وهونفسه بحر الطويل وهونسبة هندسية فأتان الطير والعلماء والجهاه على حدّ سواء ولكن هناك موسيقى أرفع وهي حساب الأفلاك والعناصر وبدائع الألوان المذكورة في هذا المقام وكيف تحمي الحيوان بسواد أوجرة أوخضرة . فهذه موسيقى أبدع مما تقدّم كه . وهذه العجايب كلها ترجع الى عناصر والعناصر عبارة عن ضوء وحرارة ترجع الى كهرباء . هذا هو الوجود الحادّ كه فالوئد والسبب والفاصلة تنوّعت بهذا الحساب والعناصر الراجعة للكهرباء تنوّعت هذا التنوّع . فالعالم راجع لحركة مستمرة ونظام جميل

١٢٣ بعض أسرار القرآن تظهر في هذا الزمان وذلك كمسألة الألوان التي ذكرناها . أثبتت هي بعينها قوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض

وجر مختلف ألوانها وغرايب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك - ثم أعقبه بقوله - إنما يخشى الله من عباده العلماء - فأين هؤلاء العلماء . أليسوا هم الذين يدرسون أمثال ما ذكرناه هنا حتى يفقهوا سر الألوان بقدر الطاقة البشرية . وكيف يقول الله تعالى - ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم - ثم يقول - إن في ذلك لآيات للعالمين . - ولقد حسب الله أصوات الحيوان لا ألوانه غيب وهذا هو الحق الذي خلق الله السموات والأرض على مقتضاه وهو التسبيح لأنه قدس عن أن يخلق لونا أو صوتا بلا حساب

١٢٤ صوت الفاختة وشعر من بحر الطويل وخفيف الثقل الأول من الموسيقى وحسابها جميعها يرجع إلى أن حاصل ضرب الطرفين يساوى حاصل ضرب الوسطين . والكلام على قوله - وإن لكم في الأنعام لعبرة - وآراء الفرنجة في المواليث الثلاثة وشرح مذهب (داروين) وبعده (برن) وأن هناك أناسا يقولون إن العالم لا موجد له

١٢٥ شرح أصول مذهب (داروين) وهي (أربعة) الحياة أطوار وتكون بالوراثة في النسل وهناك تنازع والأقوى الأكل هو الباقي وأم أوروبا جرت على هذا المبدأ في تنازع البقاء في السياسة . وتنقض هذا المذهب (جوستاف لوبون) بأن المادة ليست أبدية و(بوانسكاريه) بأن النواميس تقريبية (وجولييه) بأن آراء (داروين) محجرت عن تفسير الإلهامات في الحشرات وأمثالها . ودوفرى بأن التحول الفجائي هو القاعدة أما البطيء فلا . وجولييه يقول إن الحشرة وانقلابها الفجائي يبطال مذهب داروين و(فون بابر) يقول « إن تولد الإنسان من أعلى القرود أصبح القول به أقرب إلى الجنون » وفيركو الألماني وغيره يقول « لانساجة بين أعلى القرود والإنسان » ثم إن الانتخاب الطبيعي نفاه (سينسر) ونفى (ويسمان) انتقال الصفات بالوراثة وقال إن هذه الآراء حكايات أشبه بكلام الجاهل و(بوهم) أبطل الانتخاب الطبيعي و(جينو) يقول « البط والطيور المائية خلقت لها أرجل لتصلح للوم وتلك الأغشية بين أصابعها خلقت لها قبل أن تعوم » و(بلوجر) نفى الوراثة . ودو بوار يمد كذلك نفاه ودارة المعارف الكبرى الفرنسية تقول « إن نفس آراء (داروين) مختلة لأنها تقول بالمصادفات » و(ادورد هارتمان) يقول « إن نفى القصد في الوجود وهم لا أساس له لأن الطبيعة منتظمة » . و(لويز بوردر) يثبت القصد والروح للدبرة في الوجود . و(فون بابر) الألماني ينكر الضرورة العمياء ويقول بالقصد السامى . و(كاميل فلاسريون) يقول « إن هناك تبصرا في النبات والحشرات والطيور يقصد به حفظها وهي غافلة وهذه الملاحظات في التاريخ تثبت أن في الطبيعة عقلا مدبرا » و(لوجيل) الفرنسي يقول « إن كل القوى صادرة من قوة أزلية » . ودارة معارف القرن العشرين تقول « إن للسكانث غاية » . و(ميان ادوارد) يذكر ذلك الطير الذي يضع زادا لكي تربيته سنة وهي نفس المدة التي يحتاج إليها لاغير وقد مات الأبوان

١٢٨ يستدل من هذا كله أن طاقة عظيمة من المتعلمين في بلاد الشرق مغرورون بزعمهم أن نفى الخالق علم أوروبي ، ففهم أولاء يكذبون هذا الرأي وهؤلاء المتعلمون بالشرق لم يبلغهم خبر هذا التكذيب فصل في ذم للتفسفين والمتبذلين والمفلسين من شرح الرازي على اشارات ابن سينا وإثباته أن المتفلسفين الذين ينفون الشرائع أشد حقا من العامة الذين يصدقون بغير دليل لأن الأولين يصبرون كالشياطين في الخلعة والفساد . ثم إن المقلدين لاتنفعهم العلوم لأن التقليد يمنعهم منها وأحسن الناس المتفلسفة بعدهم عن الشرائع

١٢٩ ﴿المصدق الثاني﴾ مكتوب مشكل من قوله - ولقد أرسلنا نوحا - الى - ربوة ذات قرار ومعين -

١٣٠ التفسير اللفظي للقصد الثاني

١٣٣ مناسبة هذه السورة لما قبلها . وبيان أن - الحمد لله رب العالمين - في فاتحة مجل وإنما فصله قول

المصلى في الركوع ﴿خضع لك سمي إلح﴾ وهذا التفصيل في الركوع هو عين التفصيل في هذه السورة

لأن فيها علم التشريع وقول المصلى ﴿ربنا لك الحمد مل السموات ومل الأرض﴾ بعد الرفع من

الركوع هو هنا علم الفلك في ذكر خلق سبع طرائق . إذن ذكر التشريع أولا وعلم الفلك ثانيا في هذه

السورة قد جاء بترتيب صلاة المصلى في الركوع والرفع والاعتدال وذلك كله لأن أول السورة فلاح

المؤمنين الخاشعين في صلاتهم وخشوعهم فيها لا يتم إلا بتدبر هذه المعاني المناسبة لما في الركوع والسجود

إذن ما هنا في أول السورة تفصيل للحمد في الصلاة وقصص الأنبياء وأهمهم تفصيل للزم عليهم والمغضوب

عليهم . إذن هذه السورة شرح للصلاة وبهذا يكون فلاح المؤمن . ثم إن سعادة الانسان لا تتم إلا

بسعادة الناس معه ولذلك يقول - نعيد - بالتون لابلهمز . فالانسان في صلاته مع الصالحين من كل

الأمم ومن الملائكة

طرق علم التوحيد وبيان أن (سورة الأنبياء) تكميل لهذه السورة . وبيان أن علم التوحيد اللفظي

الذي أصبح عاما لا قيمة له بالنسبة لما يطلبه القرآن فالمسلمون بعد ما يدرسونه على طريقة هذا الكتاب

وأمثاله ولما جعلوا أمثال هذا تفرقوا شيئا وهذا قوله تعالى في سورة المؤمنون - تنقطعوا أمرهم

بينهم - إلح وهل حفظ الأطفال صفات الله كالقدرة والارادة يفيد المسلمين فائدة هذه العلوم . كلا .

إذن بعض هؤلاء نسوا الله ففسهم . بيان - كل حزب بما لديهم فرحون - وبيان التفرق في العصر

الأول في قراءة القرآن الذي تلاه الخلفاء الراشدون وتدوين القرآن واستظهاره وفداء الأسير بأن يعلم

عشرة من المسلمين القراءة والكتابة . وذكر كتاب الوحي وهم (زيد بن ثابت) و (أبي بن كعب)

(الزبير بن العوام) و (خالد بن الوليد) و (حظيفة) و (معقب) و (معاوية) و (علي) و (زيد) و بيان أن

القراء قتل كثير منهم في قتال المرتدين في واقعة (اليمامة) فأمر أبو بكر زيد بن ثابت لجمعه مع لجنة

وحفظ عند أبي بكر وجعله عمر بعده عند حفصة وفي خلافة عثمان خاف حذيفة تفرق المسلمين باختلاف

القراءات فأخبر أبا بكر فأرسل الى حفصة وأخذ المصحف وأمرهم أن يكتبوه وإذا اختلفوا فليجعلوه

بلغه قريش والرئيس في اللجنتين البكرية والعمانية (زيد) وأحرق ما عدا هذا المصحف العثماني

وطبع القرن أول مرة بألمانيا سنة ١٦٩٤ م

١٣٨ كيف يتحد المسلمون . ذلك بأن يعلموا أن علم التوحيد والفقهاء ليسا إلا شيئا يسيرا من علوم الدين

والعلوم كلها مطالب القرآن . فأين الخلاف إذن بينهم

١٤٠ حكاية الأستاذ (ادوارد براون) الانجليزى وتعبه من العداوة التي رآها من بعض الشيعة لأهل السنة

وهذه العداوة قد ذهبت الآن لرق عقول المسلمين

علوم الحكمة في سورة المؤمنون . ورأى (بيكون) وتقسيمة العلوم كلها على قوى الدماغ كالشعر

للخيلة والتاريخ للقوق الذاكرة وهو (قسمان) طبيعي وبشرى ودينى والطبيعى يشمل علوم السموات

والأرض وهكذا . بيان السروس التي تلقى الى المسلمين (١) العبادة والأخلاق (٢) علم الأشياء

(٣) العلوم الطبيعية (٤) سير الملوك والأمراء والعلماء إلح . وليكن في الاسلام مجتدون

١٤١ الكلام على قوله تعالى - وجعلنا ابن مريم وأمه آية - إلح وفهم معنى التثليث في أصل وضعه عند الأمم

القديمة وأن المادّة والعقل المدبر لها يدلان على خالق لهما فهما اثنان يدلان على الله . فالمادّة كلام والعقل العالم كالآلن والله موجدهما فهما دلاتان وهذا هو ما جاء في التحليل من الأنجيل وهو نفس هذه الآية فعبس آية لا أقل ولا أكثر . وقد اكتفى المسيحيون عن المادّة بجسم المسيح وعن العقل العالم بعقله في الدلالة على الله فافرح بالعلم والحكمة

١٤٢ تذكر في أن ألوهية المسيح منقولة عن الأم السابقة وأن هذه القصة المتفرعة على المسيح هي قصة (فشنو) وهو الاقنوم الثاني عند الهنود وهو الذي صار (خرستا) الخ . وألوهية المسيح ظهرت بعد خراب (أورشليم) وتفرق اليهود في مصر والهند والفرس فرجعوا بهذا التثليث الذي نقلوه عن تلك الأم . وفي انجيل (مرقس) ما ينفي الألوهية لصا . ومعنى المسيح الممسوح بالدهن كملوك بني اسرائيل وذكر مذهب (الأسونيين) الذين أخذ الدين المسيحي الحقيقي عنهم ثم أوجاه الله اليه . وبيان الكلام على (بولص) الفريسي الذي لم ير المسيح ولكنه أخذ بحاص بطرس ويدعى انه أعلم منه ثم بعد ذلك ترمد اليهود وحصل حرب فقتلوا منه سنة (٧٠) ب. م

﴿المقصود الثالث﴾ من قوله تعالى - يا أيها الرسل كلوا من الطيبات - الى آخر السورة

١٤٥ التفسير اللفظي لهذا القسم . أرسطاطاليس والاسكندر والسياسة وبيان أن العاقلة لابد من كبح جماحهم وتأديبهم وأن الدعة والتمتع والبطرنة لك الأم وأن المشقة هي الكفاية برفق الأم

١٤٦ بيان تنقل الدول والرياسات في (آشور) وأهل (ماه) و(فارس) وهذا كله قاعدة واحدة . الدعة وخاض العيش هلاك وضد ذلك بقاء . وهنا ناصح لللك أن يحب الرعية فيه وهكذا

١٤٧ التفسير اللفظي لقوله تعالى - ولدينا كتاب ينطق بالحق - الى آخر السورة

١٥٢ وهنا أربع لطائف في قوله تعالى - يا أيها الرسل كلوا - الخ وفي قوله - كل حزب - الخ وفي قوله - وهو الذي أنشأ لكم - الخ وفي نور الأنوار في قوله تعالى - فمن هتلت موازينه - الخ

١٥٣ الجوهرة الأولى - يا أيها الرسل كلوا من الطيبات - الخ وبيان أن ما قلته في كتاب ﴿أبن الانسان﴾

قبل الحرب العظمى من أن الأم يجب أن تكون جميعها متضامنة قد قاله محافظ كابول بمصر في خطبته وجاء في ﴿ميثاق السلم﴾ بين ملوك أوروبا والشرق . والذي جاء في كتاب ﴿أبن الانسان﴾ أن

عدد الذكور والاناث واحد في الأرض تقريبا وأن الأم القوية اذا تركت عقول الأم الضعيفة تكون هي قد قوّت منفعتها وأن المنافع موزعة على الأرض كلها وأن الأم التي كثر عددها تأخذ أرضا من

غيرها ويجب أن تحصى الأراضي كلها في الأرض وأنهم يجب أن يتحدوا ليستخرجوا المنافع وأن

المسكات في العمل يجب أن تكون قوية وبيان قول محافظ كابول ﴿ان بممالك الشرق وشعوبه استيقظوا من سباتهم العميق وانه ليس لهم قصد إلا التعاون مع أوروبا لاصلاح العالم كله﴾ ويقول

أيضا ﴿إن الشرق قوي وإن على الشرقيين أن يقتبسوا من مدينة الغرب﴾ وبيان أن آباءنا لو خاطبونا لسخرنا منا لأننا نستخرج بعقولنا مهلكات الانسان في البر والبحر لامينفعه ويرقيه

١٥٧ ﴿الفصل الثالث﴾ في ميثاق السلم ونبد الحرب الذي أرسلته الحكومة الأمريكية الى الأم كلها بمناسبة تفسير قوله تعالى - وان هذه أمتكم أمة واحدة - وأن هذه الأم كلها الآن في أوروبا وأمريكا

استنكروا الحرب في هذا الميثاق وانهم صمموا أن يحلوا المشاكل بالوسائل السلمية

١٥٨ ﴿الفصل الرابع﴾ فكرة عامة في هذا الموضوع وبيان أن الدين الاسلامي الذي أحل القتال بل أوجبه في بعض الأحوال الخاصة هو نفسه الذي أخبر أن الحرب ستمنع يوما ما في قوله تعالى - حتى تضع

الحرب أوزارها - حين لا يبق على الأرض إلا مسلم أو مسلم وأن الله نفسه تولى هذا العمل وقد فصل مع الدول مافعله مع زراع القطن في أمريكا الذين توغلوا في زراعته فسلط عليه السود فقتلوا من زراعته فصلحت الأرض ونفعتهم في مزارع أخرى . هكذا هنا ألهم علماء الكيمياء وغيرهم فاخترعوا المهلكات فزمت الأمم على الامتناع عن الحرب . ومتى تمّ هذا تمت مجزة آية - حتى تضع الحرب أوزارها - وتأيد ما تقدم بذكره ما نقوله جريدة الانجليزية ﴿ ان الدول كلها قد أحست بمصائب الحرب وريائتها غالبا ومغالوبها أمراثا وصعاليكها الملبكين والعسكريين ﴾ كلهم أدركوا أن الحرب تقع مصائبها عليهم جميعا بلا تمييز وأن انكاثرا مستهدفة للخطر من كل ناحية وأن الحكومات (روسيا وألمانيا والنمسا وبلغاريا) كل هذه وقعت في الخطر

١٦٠ حكمة إلهية ونور على نور وبصيرة وذكرى . وههنا تبيان ما جاء في الأنفال في قوله تعالى - وأصلحوا ذات بينكم - من أن في القرآن آيتين إحداهما تطلب جعية أم اسلامية أو شرقية وهي - وأصلحوا ذات بينكم - والأخرى تطلب التعارف العام بين الشرق والغرب بجمعية أخرى وهي آية - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا - وتجب المؤلف من أنه لم يرض على كتابة هذا سنان حتى ظهر أن هذا الذي كان يقوله بطريق الفكر والاستنتاج أصبح الآن بخطبه على المنابر عظاما كحافظ كابول فدل هذا على أن الاسلام كله متحد على اظهار هذه الفكرة وأن المسلمين مرتقون لامحالة . وبيان أن الله عامل الأمم جميعها معاملة الأب الشفيق والأستاذ العظيم فأولا ناهم وأمرهم فلما لم يمتثلوا أبعدهم بالطرق التي بهاميتلون ومن ذلك خلق الحشرات المؤذيات الموجبات للأمراض مثل حشرة تسمى (الكولاكس) فكان عملها موجبا على الناس تعلم الطب والاتحاد في مطاردتها لأنها لا تميز بين أمة وأمة وهي معدية . ومثلها المدمرات المهلكات . فههنا عذابان يقعان على الناس موجبان لاتحادهما عذاب المهلكات الطبيعية وعذاب المهلكات الصناعية وهذان المهلكان وغيرهما ذكرنا هنا بتعلقنا بقوله تعالى - فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا - كأن الله يقول لهم أتمم أمة واحدة وقد تقطعت أمة بينكم زبرا فعلى إذن أن أرجعكم للاتحاد بمدمراتي ومهلكاتي الطبيعية والصناعية وحينئذ تنفع الحرب أوزارها وهذا من أعظم عجائب القرآن

١٦١ الجوهرة الثانية في قوله تعالى - كل حزب بما لديهم فرحون - والكلام على (العميان الست) الذين اختلفوا في القيل أحربه هو أم حية أم حائط أم شجرة أم مروحة أم جبل وذلك بالنسبة لنابه وخوطومه وجنبه وركبته وأذنه وذنبه على الترتيب وأن هذه رأيتها في الإحياء وفي كتب الانجليز وهي هندية الأصل وأن هذا المثل ينطبق على جميع الناس في كل أحوالهم في المطاعم والملابس والمساكن والديانات والمذاهب . وبيان ست من المتكلمين على الانسان مثل

(١) سقراط القائل ﴿ إن الانسان يقصد السعادة والخير وأن أس الفضيحة العلم وأن الخير العام يقدم على الخير الخاص وأن حياة الفيلسوف أشرف حياة لأنها مبنية على البصيرة ﴾

(٢) وأن الفارابي يقول في كتابه ﴿ إن الأمة يجب أن تكون أشبه بالجسم الواحد وكل جماعة يعملون فيها خلقوا له بل كل أمة يجب أن تكون كعضو في المجموع الانساني ويكون أهل الأرض كلهم أمة واحدة تجسم الانسان ﴾ وهذا في كتابه ﴿ آراء أهل المدينة الفاضلة ﴾

(٣) وبيان آراء (أرسطو) الذي شرح الفضائل الأربعة ﴿ الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ﴾ وأنها وسط بين طرفين وإنما ترتب عليها سعادة الانسان . وبيان ما قاله من تعليم القراءة والكتابة

ومن طلبه تعلم الموسيقى ودراسة العلوم الرياضية والطبيعية

(٤) وبيان آراء (ابن سينا) في الحضاربات الرياضية وفي تربية الأطفال وتدبير الرياضة والنوم والغذاء الخ  
(٥) وبيان آراء عالمين هنديين في زماننا وهما (غاندى) و (جاجاديس بوز) القائمين بالثقة بالنفس والصدق والاتحاد الوطنى والتسامح وعدم ترك ما عندنا من منافع العلم الموروث والتحريض على تعلم الصناعة وعدم الاتكال على صناعة القرنجة

(٦) وبيان ما قاله المؤلف في كتابه (أين الانسان) الذى مرّ شرحه قريبا في نفس هذه السورة من أن الأم كلها يجب أن تتعاون في ارتقاء العقول واستخراج منافع الأرض . فاذن يكون هؤلاء الست ضرب لهم مثل العميان الذين يمشون عن حقيقة واحدة وهى سعادة الانسان والله تعالى يقول - وما أوتيتم من العلم إلا قليلا -

بيان أن مذهب العلامة (هولدين) العالم الانجليزى بنحوه ككتاب (أين الانسان) بطريق مختص به هو إذ يرجع في ذلك الى مسألة المرض والصحة . وأن الناس يجب أن يتضامنوا لأن الأمراض تفتك بهم لانفرق بين أمة وأمة بالمعنى وهذا هو الذى شرحناه في هذا التفسير وفي هذه السورة أيضا

١٦٦ (الجزء الثالث) في قوله تعالى - وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون - وبيان أن الناس لما بذل الله لهم السمع والأبصار والأفئدة لم يعرفوا حق النعمة لأن المبدول لا يلتفت اليه فوجب أن يعرف ذلك بالعلم . وبيان حاسة السمع بأوضح مما مرّ في سورة (آل عمران)

١٦٧ وكذلك الصور ورسم صورة الأذن (شكل ١٧) وتبيان (١٣) جزءاً من أجزائها ورسم صورة العين وتبيان (١٩) جزءاً من أجزائها تصويراً وقولا

١٦٨ رسم صورة القلب والدورة الدموية موضحة أيضاً كما نأما (شكل ١٩) وتبيان (٢٠) جزءاً من أجزائها تلك الدورة . والفرق بين الدورة الصغرى إذ يذهب الدم من البطن الأيمن الى الرئتين ثم يعود الى البطن الأيسر وبين الدورة الكبرى إذ يذهب الدم من البطن الأيسر الى الجسم ثم يعود الى البطن الأيمن . والدورة الكبدية فرع للدورة الدموية وهى عبارة عن بعض أوردة آتية من المعدة والأمعاء والطحال والبنكرياس تصب في وريد واحد يسمى (الوريد البابى المتحد) فروعها الشعرية بأوعية الكبد) وواجتماع هذه كلها يتكوّن الوريد الكبدى الذى يصب في الوريد الأجوف السفلى

كرات الدم في العروق (شكل ٢٠) . تعرف بالدم وبيان كراته الحمراء والبيضاء وعدد الجراء في السنتيمتر وعدد البيضاء وبيان أن هذه الكرات ساجدة في سائل شفاف

١٦٩ بيان الشرايين والأوردة والأوعية الشعرية المنقسمة الى وريدية وشريانية وأن للدم صمامات تمنع رجوعه (شكل ٢٠) . إيضاح السمع والبصر والفؤاد بالقول بعد نظرهما في الصورة وأن تصويرها الشمسى مصداق لقوله تعالى - وكل المحدثه سيركم آياته فتعرفونها - وهذا ذكر أن القلب والروح والعقل والنفس تدل على اللطيفة الربانية بمعان مختلفة . وبيان منظر خيالى تخيله المؤلف فيه حقول المزارع المختلفة والحدائق الغناء فيها أنواع الفاكهة والزرايع ذات الألوان المختلفة الجبلات الاشكال وذلك كله بعد أن كانت الأرض قفراء لا أنيس بها ولا جليس وغاية الأمر أن طائفاً طاف بها فبذر فيها بذوراً مشوبة بمواد كثيرة وكل ذلك مخرج لمنزاجنا لما حتى صار بهيمة خاصة فأخذ ذلك الطائف يبذر ما في يده بحسب ما علم فازدهرت الأرض وأخذت زخرفها وزاينت وظهرت فيها الآلات المماثلة الكاسية الساقية لحشائشها وزروعها وأشجارها بخراطيم امتدت من تلك الآلة عظيمة في مبدئها دقيقة



مشككة عند نهايتها . وبيان أن ذلك المنظر يمثل جسم الانسان والقلب فالحدائق والمزارع تمثل الأعضاء المختلفة في جسم الانسان والمسرة (التلفون) الذي في قصر الحديقة يمثل السمع والمناظر المعظمة تمثل البصر وذلك تبيان لقوله تعالى - وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون - وكيف يشكر الناس تلك الحكمة في وضع العظام الصلبة في الأذنين والطبقات اللطيفة في العين فتشا كل الصلب مع الهواء والشفاف اللطيف مع الضياء . ثم كيف انقسمت البيضة في رحم المرأة أقساما منظمة بحساب المتوالي الهندسية ومع ذلك الحساب قد حصل الإبداع في التركيب والنظام البديع . ثم إن الآلة التي تسقي الحدائق والمزارع تمثل القلب المرسوم هناك المقسم أربعة أقسام الذي خرج من البطن الأسفريه الاورطي المتفرع إلى فرعين والفرعان متفرعان إلى فروع كثيرة تصل إلى كل عضو وكل جلد وشعر وكل مادي وجل وأن الله لو فصل لنا في مزارعنا ومنازلنا وحدائقنا ما فعله في أجسامنا لكان هذا معناه أنه لا انسانية ولا حيوانية لأن ذلك لا يجعل للإنسان ارادة ولا عقلا ولا فكريا . ولا معنى للانسانية إلا هذا . فتكليف الناس بالأعمال بمعناه حياتهم وعدم التكليف بأعمال الحياة وغيره معناه إعدامهم وبيان أن ضرورتك ذلك يرجع إلى المسلمين في الحياة الدنيا وفي الحياة الأخرى لأنه من فروض الكفايات التي تركها يذل المسلمين في دنياهم وفي آخرهم

١٧٢ بيان أن العلم اليوم ارتقى حتى شاهد الناس في منظر (السينما) مشاهد الصور التي تمثل الجنين وهو يغوى في بطن أمه وكيف يخلق بالترجيح وكيف تظهر فيه وتولد وتشكل الحيوانات الصغيرة التي تسبب له مرض الزهري وأن المؤلف شاهد ذلك أثناء هذا التفسير وأن ذلك بسبب استعمال الشهوة البهيمية في غير ما وضعت له . وبيان أن ذلك العقاب مقدر بقدر الذنب وأن أعمال السمع والبصر والقواد في أمة الاسلام كان جزاءه أن حلّ بإساحتهم أُم الفرجة فزقوا الأجسام وخربوا المنازل كما قاله الخطيب الانجليزى في البرلمان القائل ﴿إنهم جربوا الطيارات في بلاد العراق وفي اليمن وفي الصومال فأذيت المسلمين خير تأديب﴾ فهاهم أولاء الانجليز ضربوا المثل في اهلاك الطيارات بأثم الاسلام الثلاثة . إذن هذا عقاب للمسلمين على تفریطهم في عقولهم كما عوقب المسرف في الشهوة البهيمية بأن جعلت أعضاء التناسل عنده مشوهة مقرحة وجزاء أعمال العقل عند المسلمين ذل الأمة كلها وجزاء الفاسق تشويه جسمه وحده فإن العقاب على قدر الجريمة . العقل عام فالعقاب عام والشهوة خاصة فالعقاب خاص . ولا جرم أن الاورو بين تعلموا من آياتنا مثل (بابا روم) الذي أدخل العلوم الرياضية في ايطاليا ناقلها من الأندلس سنة ٩٨٠ واهيلارد الانكليزى أخذها سنة ١١٢٠ من مصر واسبانيا فترجم (اقليدس) من العربية . فهؤلاء من علوم آياتنا تعلموا ولأجسام أبناء معلمهم مزقوا كما مزق الحيوان الزهري المغتذى من أجسامنا أعضاء التناسل عند وضع الشهوة في غير ما وضعت له . وههنا نداء لأبناء العرب في اليمن وفي العراق ملخصه ﴿ألم تكن لكم يا أهل العراق قبيل الاسلام مدينة الآشوريين والبابليين و بعد الاسلام مدينة العباسيين . ثم أتم يا أهل اليمن ألم يكن لكم عرش عظيم قبل الاسلام وملك مجيد حتى جعل الله لكم في القرآن (سورة سبأ) هل يصح أن تتركوا السمع والأبصار والأفئدة وبقلّ شكركم ومن قلّ شكره سلبت منه النعمة . ثم يقول المؤلف إن طبيباً أوروبياً ساعده تلميذه الطبيب الياباني الشرقي فصنعا دواء هذا الداء الافرنجى سميها (٦٠٦) بعدد التجارب . فهل يكون هذا التفسير الذي امتزج فيه العلم الغربي والشرقي بالقرآن هو الدواء لمرض المسلمين الاجتماعي حتى لا يضرب بهم المثل في الإذلال والتأديب بالضرب بالطيارات ﴾ وبيان أن المسلم

وإن لم يحمده نم الله قدرتها وهذا كفر للنعمة

١٧٩ ﴿الجوهرة الرابعة﴾ في قوله تعالى - والوزن يومئذ الحق - في سورة (الاعراف) المناسبة لما هنا في قوله - فمن ثقلت موازينه - الخ و بيان الموازنة بين قوله تعالى - والوزن يومئذ الحق - وقوله تعالى - فتعالى الله الملك الحق - وأن الملك ﴿قسبان﴾ ملك ليس حقا بل هو زائل ميت وهم ملوك الأرض وملك حق لا يزول ملكه وهوالله . وهكذا الوزن ﴿قسبان﴾ قسم حق وهووزن الله وقسم تقريبي وهو وزن الانسان وأن الأوزان في أرضنا كلها ليست إلا تقريبية لأن الجاذبية عندخط الاستواء أقل منها في جميع الكرة الأرضية لأن خط الاستواء شديد البعد عن مركز الأرض وهذا البعد يقل بالتدرج كلما توجهنا الى القطبين شمالا وجنوبا و يترتب على ذلك اختلاف حركات البندول في الساعات المختلفة بحيث يكون البندول في خط الاستواء كثير السرعة لخفته وعند القطبين قليل السرعة لثقله فيبندول خط الاستواء وما والاها بخفة يتحرك حركات أكثر من حركات أمثاله في القطبين وما والاها وهناك نسب جنزية واضحة في التفسير . و بيان أن موازين القبان يعتبر فيها طول ذراع القوة وطول ذراع المقاومة وأن الحجر التازل اعتبرت فيه المسافة وعكس للربيع في الجسمين المجاذبين والجسم في البندول المختلفة الخ و بيان ارتفاع الخ وانه بعد (٨٠٠٠) مترا تناقص حرارته تناقصا قليلا ثم بعد ذلك طبقات حارة نحو (٦٠) درجة . وأن ثقل الهواء يعادل (٧٩) سنتيمترا من الزئبق وبيان ارتفاع الطيران في زمانا ثم الوصول الى المقصود من هذا المقال وهوأن الوزن تقريبي لأن الكيلو جرام ينقص وزنه في خط الاستواء (٣٥) جرامات ونصف . ويقولون إن الأرض لو كانت أسرع مما هي عليه في الدوران (١٧) مرة لانعدم الثقل عليها . إذن الوزن عندالله حق وعندالناس تقريبي بهذا البرهان . فهذا معنى قوله - والوزن يومئذ الحق - في الأعراف وقوله هنا - فمن ثقلت موازينه - الخ بيان قاعدة (أرشميدس) وقصته مع ملك زمانه الذي لافه بتمييز التاج الذهبي أهومغشوش أمغيرمغشوش فلما استحم الفيلسوف في الحمام أحس بأن جسمه خفيف فأيقن أن الجسم في الماء يكون أخف بمقدار ما أزاحه من الماء للمعادل لجسمه فصنع ذلك في التاج فظهر له غشه . فعل ذلك تكون الاجسام في الهواء أخف من حقيقتها بمقدار الهواء الذي أزاحته وإن كان ذلك يسيرا جدا . إذن وزن الله هو الحق لا وزن الناس في الأرض

١٨٠ ﴿المسألة التاسعة﴾ في بيان هذه الآية ومصدقها في دين ادريس بنى المصريين المسعى (هرمس) أو (اخنوخ) أو (نوت) فقد صور المصريين الميزان قبل النبوة بألاف السنين تقريبا للمقول كنص الآية وبيان انهم كانوا يعبدون الله الواحد وأن الاشراك كان يلقي الى العاتية الذين لا يقدرين أن يعقلوا الوحدةانية وأن هذه الآلهة كانت معتبرة صفات لله مجسمة ثم اغتروا بها فعبدها . وبيان الميزان الذي صوروه (شكل ٢٢) وهناك (أوزوريس) رئيس القضاة و٢٠ قاضيا يحاسبون الروح بصورة الروح الخاسية وتوت كاتب الأعمال وهورس ينظر في الحسنات والسيات وأونيس يراقب كفة الميزان وملك العدل له صورتان وفي وسطهما الروح تتبرأ من الذنب ثم بيان أن العدل ليس مقتصر على الميزان المنصوب في السماء والأرض بل يكون في الحيوانات المختلفة فنها أن السلحفاة البحرية باردة السم فلقلة الحرارة عندها ألهمها الله أن تبعث عن الرمل المناسب الباقى في الشاطئ فتدفن فيه (١٢٠) بيضة وتتركها في هذا المكان الباقى المناسب لها وترجع الى البحر فإذا قفس بيضا خرجت أولادها واجهدت الجهاد الكثير حتى رجعت الى البحر وعاشت فيه وهي لاتعلم أن آبائها كانت فيه بل ذلك من الميزان

المنسوب في الحيوان كالمنسوب في الأرض وفي السماء . ومنها أن بعض التماسيح تضع بيضها في الرمل ولكنها لاتتركه بل تراقبه حتى اذا سمعت أصوات أفراسها في البيضة ساعدتهن بقرا القشرة فتخرج الذرية مع آياتها . ومنها أن بعض الثعابين تعلم أن نسلها معرض لاهلاك أعدائه له فألمت أن ترقد عليه أسابيع كالسباع حفاظا له من الأعداء وهذا هو الميزان الحق . ومنها أن بعض الطيور وهو (الكمك) لاترقد على بيضها بل اعتادت أن تجعله في أعشاش غيرها من الطيور المختلفة التي عتوها (٨٠) نوعا . ومن الحكمة الإلهية أن تلك الطيور تعطف على هذه الذرية عطفها على أولادها مع اختلافها اختلافا ينافي كبر الكما كم الصغيرة قطعت السباب والمقاووز ورجعت الى مقرها في (افريقيا) موطن قومها بلاتعليم كما حصل نظير ذلك من صغار السلحفاة البحرية سواء سواء (شكل ٢٣) صورة فروخ صغير من الكمك يطلب من حاضنته أن تغذيه مع انها من نوع آخر السباع الاسترالي الذي يصنع حظيرة يضم فيها بيضه . صورة بيض الحشرات (شكل ٢٤)

الزناوير الوحشية تضع الاناث منها بيضها في أماكن خاصة وتضع بجانبها نحو الديدان والخنافس وتحفظها حتى تتخثر وتنبق بجانب الذرية حتى تأكلها عند نفسها

بيان كلام علماء الأرواح موافق لما شاهد في الدنيا سواء بسواء وهم يقولون ان الانسان بعد الموت لاسعاده ولاشقاء إلا بما اتصف به في الدنيا فمن فكر في الصالحات ولم يعمل فلا خير فيه ومن عمل الصالحات برغبة وصدق كما تفعل أتهات الحشرات والأنعام والانسان مع ذريتها . فهذا هو الذي يبقى بعد بهم وبهكذا المتوفون بحب الشر والكبرياء والعظمة والظلم فكل يموت على الصفات التي كسبها وأحبها وأغرم بها ولاعبه بالظواهر بل بالاخلاص والصدق والحيه . ومن غلب عليه الشر نزع منه صفات الخير والعكس بالعكس وهذا يقرب من قوله تعالى - فمن ثقلت موازينه - الخ وقوله تعالى - ومن خفت موازينه - الخ وبيان ضرب المثل بالزرع والحشائش به وأن هذه الآراء تقرب من آراء الامام الغزالي في الاحياء . وبيان أن روحا شريرة قالت للملائكة خذوا صفاتي الشريرة ادخل الجنة فلما سلبوها تلك الصفات بقيت محذرة فكان من الرحمة أن ترجع اليها صفاتها لتحيي ولوعلى الشر وتعيش مع أمهاتها . وجاء في كتاب (السماء وجهنم) أن الملائكة تهجوا من الناس إذ ينكمون على الرحمة والايمان فانهم أن الرحمة مجرد واسطة لاغير والناس لاتتغير أخلاقهم بعد الموت والايمان وحده لايفيد وبيان أن تغيير الأخلاق بعد الموت كتنغير (حمام) النهار الى (بوم) الليل وهو محال

مذكورة في تبيان اني لست أقطع بما ذكر وانما أقول إن صح هذا فان مشكلة جهنم تكون قد انحلت لأن الإخراج من جهنم معناه موت الروح الشريرة فبقاؤها إذن رحمة لها ولا يمكن تغيير العقرب الى عصفور وينطبق على هذا المغفرة لأهل بدر لغلبة الفضائل عليهم

بهجة العلم في آية - وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم - وآية - فمن ثقلت موازينه - الخ وأن لفظ الصراط جاء في سورتين أخريين وصفه بأنه صراط الله الذي له مافي السموات ومافي الأرض وفي القامحة انه صراط الذين أنعم الله عليهم وفي أخرى ذكر الدواب وأخذ الله بنواصيها . وبيان أن وصف الصراط بأنه لله الذي له مافي السموات ومافي الأرض ليعرف الناس ذلك في سيرالشمس والقمر وغيرهما وشرح ذلك في السنين الكبيسة والبسيطة والأدوار (٣٠) و (٢١٠) وهكذا فهذه الأدوار لاخطأ فيها وقد جاء ذكر الميزان في قوله - والسماء رفعا ووضع الميزان - فله ميزان ولله صراط فاليزان يرجع الى القضاء والصراط يرجع الى القدر فصراطه على مقتضى ميزانه وصراط المنع عليهم غير المنسوب عليهم

يوجب علينا فهم أخلاق الأمم لتوجه الى الفضائل . وتبيان ائى ألفت كتابا يسمى ﴿ ميزان الجواهر ﴾ ( تذكرة ) يقول الامام الغزالي « لا يعرف معنى الميزان إلا من درس من كل فن طرفا »

١٩٣ بيان أن التبحر في العلوم مرق لأخلاق بعض الناس وقد تفسد به أخلاق قوم فهو و المال والجمال أسلحة تصلح للخير وللشر معا . وقد حضت (سقراط) في تعليمه على فتح عين البصيرة ليكون العلم لذة يستغنى بها المرء عن اللذة الحيوانية . للإنسان ﴿ ثلاث قوى ﴾ الشهوة للغذاء الخ والغضب للدافعة والعقل للحكمة . و بيان أن الذى يلى أمور الناس إن لم تفتح له عين البصيرة فيستلذ بالعلم انحصر همه في لذة المال والنساء بالرشوة ولكن ذلك الذى افتتحت عين بصيرته يرى لذة لا يعرفها غيره ويرى انه بينه وبين صانع العالم محبة فائقة ويرى الناس أبناءه ويرى النظام في الأخلاق كالنظام في القناطر ويرى القانون والأخلاق والفقهاء توازن بها أحمال الناس كما ان علم الهندسة ونحوه توازن بها المدن ومثل رفاض الساعة للزمن وخسوف القمر لمعرفة متوسط أيام الشهور وبناء الحرم المبنى على دائرة الأرض حول الشمس نظام للوازين ونحوها بمصر وكذا رفاض الساعة الذى يهتز في الثانية مرة هو الباردة للأجليز وميزان بخار القطار وسنجراد وفارنهيث والمقياس التلياني الثمانيني . كل هذه يعرف بها السوائل كالماء والكهرباء مقاييس . وكلما ارتقت الأمة كثرت موازينها والعكس بالعكس وذلك قوله تعالى - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط - فأولوا العلم يراد بهم من يعرفون مثل ما كتبناه في هذا التفسير وهم الذين يحشون الله في آية أخرى وهم العالمون بكسر اللام في آية أخرى أيضا وبكثرة هذه العلوم يظهر في الاسلام مجددون ويدرم مجدهم كما دام مجد قدماء المصريين قبل أن يحل بهم الفساد . ونظير صراط الله في السموات والأرض صراط الانسان بالعمل الصالح والأخلاق وصرط النعم عليهم يعرف بالتاريخ المتقدم في - وذكرهم بأيام الله -

تذكرة في أن كلام (عمانويل) فيه ان أخلاق الأرواح لاتغير بعد الموت وأن هذا القول على حسب مشاهداته هو والا في حديث الشفاعة أن الله تعالى يخرج من النار أقوما بالتاريخ بعد انقضاء زمن العذاب اذا كان في قلوبهم مثقال ذرة من إيمان ثم يدخل الله الجنة قوما لم يعملوا خيرا قط

( تمت )